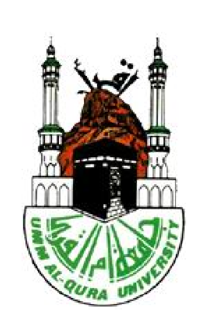
المملكة العربية السعودية

وزارة التعليم العالي

جامعة أم القرى

كلية الدعوة وأصول الدين

قسم العقيدة



البيضاوي وآراؤه الاعتقادية

عرض ونقد من خلال تفسيره

رسالة مقدمة لنيل درجة الماجستير في العقيدة

إشراف

سعادة الدكتورة/ ابتسام جمال

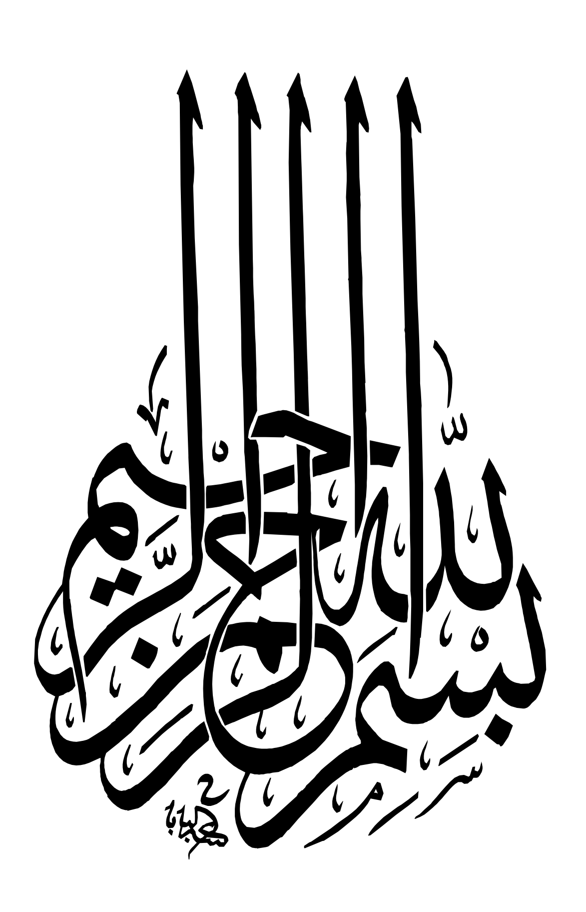
الأستاذ المشارك بكلية الدعوة وأصول الدين

إعـــداد

الطالبة : شريفة أحمد المالكي

الرقم الجامعي: ٤٢٤٨٠٢٣٧

١٤٢٩هـ - ١٤٣٠هـ


بسم الله الرحمن الرحيم

ملخص الدراسة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين وبعد:

فهـذا ملخـص الدراسـة عـن " البيضـاوي وآراؤه الإعتقاديـة عـرض ونقـد مـن خـلال تفسـيره ". والبيضاوي هو:

أبو محمد عبد الله بن عمر بن علي القاضي ناصر الدين، شافعي المذهب وأشعري المعتقـد. ولـد بمدينـة البيضاء بفارس، ثم رحل مع أسرته إلى شيراز عاصمة بلاد فارس، في عهد الأتابك أبو بكـر بـن سـعد بـن زنكي. وتلقى تعليمه الأولي على يد والده، ولم يقتصرعليه بل أخذ العلم عن كثير مـن علـماء عصرـه، إلى أن وُلي قضاء شيراز، كما تولى هذا المنصب من قبل والده وجده. ثم رحل فيما بعد إلى تبريـز حيـث قضىـ آخـر حياته بها وترك المناصب الدنيوية واشتغل بالعلم والتأليف إلى أن توفي سنة(٦٨٥ هـ)وخـّ لـف الكثـير مـن المؤلفات في شتى العلوم في الدين والعربية والفلسفةوالمنطق والهيْئَة، ومن هـذه المؤلفـات تفسـيره المسـمى "أنوار التنزيل وأسرار التأويل". الذي أنتشر في العالم الإسلامي، وطبع عـدة طبعـات، وهـو تفسيرمتوسـط مختصر ليس بالكبير. مأخوذ من تفسير الزمخشري "الكشاف" ومن تفسـير الـرازي "مفـاتيح الغيـب" ومـن تفسير الراغب الأصفهاني "جامع التفسير". وجمع فيه بين التفسير من ناحية اللغة ووجـوه الإعـراب وبـين التأويل على منهج الأشاعرة. أما إثباته للمسائل العقديه منها ما وافق فيها الجهمية والمعتزلة والفلاسفة مثـل تعريفه للتوحيد، وتأويله لبعض النصوص التي لا يراها على الحقيقه مثل النصوص المتعلقه بالقدر كـالطبع، والختم، والغشاوه، والران والإقساء وغيرها وتأويله للميزان في اليوم الأخر بالعدل أو القضاء.

ووافق الأشاعرة في كثيرمن الأمورالعقدية ،منها،وجوب النظـرفي معرفـة الله،وهـذا الوجـوب يكـون بالشرع خلافاً للمعتزلة التي توجبه بالعقل .وفي باب الصفات أثبت الصفات العقلية عندالأشـاعرة وتـأول الباقي .

والإيمان عنده مجردالتصديق القلبي ،وهذا مذهب المرجئة من أشاعرة وغيرهم .

وكلام الله هوالكلام القديم النفسيـ القـائم بذاتـه تعـالى مـن غيرحـرف ولاصـوت،ورؤية الله عنـده جائزةعقلاًفي الدارالآخرة للمؤمنين بلاجهة ولامقابلة ولاكيفية.

في باب القـدروافق فيـه أهـل السـنة والجماعـة ،إلافي بعـض الأمورالمتعلقـة بالقـدرمثل جوازتكليـف مالايطاق،ونفي الغرض والحكمة في أفعال الله تعالى.وغيره من التأويلات التي ذكرتها في أماكنهـا مـن هـذا البحث.وأما إثباته لتوحيدالربوبية والألوهية ،والنبوة،واليوم الآخرفقدوافق فيها أهل السنة والجماعة.فهـذه إعتقاداته من خلال تفسيره.وأسأل الله سبحانه وتعالى أن يجعل هذا العمل خالصاً لوجهه الكريم،وصلى الله وسلم على نبينا محمد.

Abstrac

Thesis abstract

Praise to be to Allah , the Lord of the Worlds and peace be upon the most honorable prophet and apostle .

This is abstract about ," Albaidhawi and his beliefs by demonstration and criticism through his interpretation . Albaidhawi is Abu Mohammed Abdullah Ibn Amr Ibn Ali Al-Qadhi Naser Eldeen . He belongs to Al- Shafei Sect and Al-Ashari doctrine . He was born in Baidhah City in Persia. Then he moved with his family to Shiraz the capital city of Persia at that time and during the reign of Atabech , A Persian title for a ruler , Abu Bakr Saad Ibn Zinki .He started his early education under patronage of his father . Then he received most of his education from the great scholars of his time. Then he became the judge of Shiraz . His father and grandfather were judges too. After that , he moved to Tebrez city where he spent most of his life .He retired from secular matters and took on studying and writing till he died in (685 H). He left behind a great legacy of books in all fields of sciences such as religion , philosophy , logics . One of his most famous books is his Quran Interpretation entitled, " Anwar Altanzil " i.e. the lights of revelation and" Asrar Altanzil " Secrets of revelation . This book was widely spread all over the Muslim World. Several editions were issued since it was a concise short interpretation book . The author extracted most of iits material from Alzamakhshari book (Alkashaf) , Alrazi book (Mafateh Elghaib) i.e. the keys of the invisible world and Alragheb Alasfhani book , " Jamei Altafaseer i.e. "assembled interpretations " . In his book , Albaidhawi included in his Koran Interpretation the linguistic and syntactic aspects of the language and the approach of Alashaerah in interpretation. His controversial beliefs were approved by Sophists like Jahmiah and Motazilah such as his definition to the term Monotheism, fate controlling human behavior like cruelty , inability to understand the word of God and his interpretation to the Day of Resurrection and the setting of the Scales in the Day After to inflict Justice and judge people's deeds.

His ideas were approved by Alashaera in most philosophical issues such as knowing the entity of God unlike Almotazellah doctrine that is based on using mind to reach the entity of God. Faith for Albaidhawi is just believing by heart . This is the same bbellief of Alashaerah and Morjea and others. Also , he believes that God's words are as old as God Himself without hearing seeing Him except for the sight of God in the Day of Judgment by the believers who will be able to see Him without thinking over the way of doing that.

In the part of (the fate) or destiny .His believes and doctrines were approved by the Sunnah Sect except for the issues concerned with fate such as negating purposes in the deeds of God and other similar issues dealt with in this research .However , His proving to the Monotheism of God , prophecy and the Day of Resurrection were approved by the Doctrine of the Sunnah Sect. These are his believes deduced from his interpretation . I beg my Lord to accept this work and dedicate it to Him only and peace be upon his apostle , Mohammed Peace be upon him .

By student : SHARIFAH AHMED ALMALKI.

مقدمـــــة

الحمد لله الذي أنزل على عبده الكتاب ولم يجعل له عوجاً، وأشهد أن لا إلـه إلا الله وحـده لا شريـك لـه، وأشـهد أن محمـداً عبـده ورسـوله صـلى الله عليـه وعـلى آلـه وصـحبه وسـلم تسليماً كثيراً.

أما بعد:

فإن إنزال القرآن على هذه الأمة منّة عظمى لأنـه طريـق الهدايـة فـالله -سـبحانه وتعـالى- جعله هدىً وبرهاناً لهذه الأمة، ويسر ّ ه للذكر والـتلاوة وأنزلـه بلسـان عـربيّ مبـين وتكفّـل الله بحفظه لجميع البشر ليكون للمؤمنين به عزّاً ورفعة.

وهو معجزة نبينا محمد ﷺ لا نجاة بغيره ولا طريـق إلى الله سـواه، وهـو متضـمن للـدين عقيدة وشريعة بأدلة فطرية وشرعية وعقلية عـلى وجـوده -تعـالى- وتوحيـده وصـدق رسـله وإثبات البعث والمعاد ولكن الاستفادة الحقة من هـذا الكتـاب لا تكـون إلا بالصـلة بـه علـماً وعملاً وتلاوةً وتدبراً وفهماً، ولا يكون تدبره إلا بفهم معانيه ومدلولاته، ولهذا يكـون التفسـير لهذا القرآن هو رئيس العلوم الدينية ورأسها وحاجة الناس إليه ماسة لمعرفة أمور دينهم.

وقد تعددت تفاسير القرآن مـا بـين تفسـير بالمـأثور وتفسـير بـالرأي أو اللغـة أو التفسـير الإشاري أو الباطني وغيره، وإن كانت أغلـب هـذه التفاسـير بـالرأي لا تخلـو مـن تـأويلات تخالف منهج أهل السنة والجماعة في الإعتقاد.

ونحن نعلم أن القرآن هو المصدر الأول من مصادر التشريع وأساسها فـلا بـد في تفسـيره من أقوال الرسول ﷺ وأقوال الصحابة لأنهم أعرف الناس بمعاني القرآن.

ولشهودهم لنزوله ومعرفتهم بدقائق أموره.

لأنهم كانوا يتعلمون من النبي ﷺ القرآن والسنة ويتلقون ذلك بالتسـليم والإلتـزام قـولاً وعمـلاً، وسـار التـابعون وأئمـة الـدين مـن العلـماء عـلى ذلـك ولم ينقـل عـنهم الإخـتلاف والخصومات والجدل في أمور العقيدة إلا بعد إنقضـاء القـرون الثلاثـة الأولى وظهـور الفـرق



والمذاهب ودخول العلوم المختلفة كالفلسفة والمنطق ومزجها بالعلوم الإسلامية أو محاولة التوفيق بينها وبين العلوم الإسلامية.

وباختلاف الفرق والردود على بعضها البعض ظهرت كثير من البدع والتأويلات المخالفة للكتاب والسنة.

ومن أبرز هذه الفرق فرق المتكلمين الذين نفوا كثيراً من نصوص الشرع بتأويلات فاسدة باعتبار أن ظاهرها غير مراد لأنه تشبيه وتجسيم.

وكما نعلم بأن التأويل ليس كله مذموماً ولكن الذين سموا أنفسهم بالمتأولين ويقصدون بذلك تأويل النصوص عن مدلولها بلا مستند شرعي ، حجتهم في ذلك هو الدليل العقلي، والعقل لا مدخل له في إثبات العقائد أو نفيها بل يجب أن تثبت العقائد بما أثبته الله في كتابه الكريم وبما أثبته الرسول ﷺ.

ولذا نجد أن الذين تأولوا آيات الله -سبحانه- بلا دليل شرعي قد كثر لديهم الخطأ ونفوا عن الله صفاته أو عطلوا مدلولها أو أثبتوا البعض منها ونفوا البعض فلم يستقم لهم حال لأنهم أجروا نصوص الشرع على قواعدهم العقلية بحجة تنزيه الله عن هذه الصفات لأنها تقتضي التنقص أو التشبيه أو التعدد وبذلك خالفوا منهج السلف.

وبهذا نعلم أن أغلب تفاسير القرآن بالرأي هي لعلماء الكلام وخاصة علماء الأشاعرة نظراً لانتشار المذهب الأشعري في أقطار البلاد الإسلامية لعوامل كثيرة فثبتت معتقداتهم في كثير من كتبهم ومؤلفاتهم، ومنها التفسير، ولهذا وجب علينا أن ننبه على هذه الأمور العقدية المخالفة لمنهج السلف.

وهذا هو المقصود من دراسة هذه المؤلفات لا كما يدعيه بعضهم بأننا نبحث عن عقائد الناس وكأننا مكلفون بذلك.

فنقول: نعم لسنا مكلفين بالبحث في عقائد الناس لأن ذلك بينهم وبين الله ولا يعلم ما في النفوس إلا هو -سبحانه وتعالى-، وليس المقصود التنقيص من هؤلاء المؤلفين أو الحط من

قدرهم فأمرهم إلى الله ولكن هذه العقائد قد تكلم بها أصحابها وكتبوها في مؤلفاتهم ودعوا إلى التمسك بها على أنها عقائد صحيحة وأنها مذهب السلف، وانتشار هذه المؤلفات بين الناس واتّباع ما فيها من العقائد الباطلة على أنها عقائد صحيحة وفيه خطر عظيم على عقيدة المسلمين.

فتوضيح الحق والصواب في هذا واجب شرعي فما وافق الكتاب والسنة قبلناه وما خالفهما رددناه والحق أحق أن يتبع أينما كان بغض النظر عن صاحبه، وخاصة إذا تعلق هذا الأمر بكتاب الله وسنة رسوله ﷺ فهذا هو مقصود الباحث المسلم، ولهذا اخترت هذا الموضوع « **البيضاوي وآراؤه الاعتقادية: عرض ونقد من خلال تفسيره**» وذلك للآتي:

١ - لأهمية كتاب الله بالنسبة للمسلم وحرصه على تدبره وفهم معانيه كما وردت في الكتاب والسنة ولا سبيل لمعرفة معانيه إلا بالتفسير.

٢ - العقائد الصحيحة تؤخذ من الكتاب والسنة وتفسير آيات العقائد بخلاف مدلولها في القرآن وأحاديث الرسول فيه خطر عظيم على عقائد الناس وخاصة العوام منهم الذين لا يعرفون مدلولها الشرعي فيعتقدونها فتفسد عقيدتهم وإذا فسد الأساس فسدت الفروع.

٣ - انتشار التفاسير بالرأي وتداولها بين الناس على أنها تفاسير صحيحة للقرآن رغم ما فيها من مخالفات لمنهج السلف ومن ضمن هذه التفاسير المتداولة بين أيدي الناس تفسير البيضاوي فأردت أن أنبه على ما خالف فيه السلف من مسائل الاعتقاد.

٤ - أن العقيدة الإسلامية كاملة وشاملة وقائمة على الحق والوضوح والبيان فلا لبس فيها والقرآن والسنة فيهما الغنية عن إثبات عقائد المُتكلمين حسب قواعدهم الكلامية.

المنهج الذي سرت عليه في البحث:

١ - ذكر أقوال البيضاوي وبيان موافقته أو مخالفته للسلف ثم الرد عليه .

٢ - حرصت على نقل الأقوال من مصادرها مباشرة، وإن نقلت بالواسطة فإني أنبه على ذلك في الحاشية.

٣ - جعلت الكلام المنقول بنصه بين علامتي تنصيص وأذكر المرجع في الحاشية، وما نقلته



بالمعنى أو تصرفت فيه أنبه عليه في الحاشية بلفظ (انظر).

٤ - عزوت الآيات إلى سورها وجعلت ذلك في متن الرسالة.

٥ - تخريج الأحاديث مظانها وقد أكتفي بما في «الصحيحين».

٦ - شرح الكلمات الغريبة عند الحاجة لذلك.

٧ - التعريف بالفرق، وكذلك بالأماكن والبلدان.

٨ - ترجمت لمعظم الأعلام الوارد ذكرهم في الرسالة إلاّ المشهورين منهم كالصحابة والأئمة الأربعة وغيرهم من العلماء المشاهير.

٩ - قمت بعمل فهارس للبحث هي:

أ- فهرس الآيات.

ب- فهرس الأحاديث.

جـ- فهرس الأعلام المترجم لهم.

د- فهرس الفرق.

هـ- فهرس الأماكن والبلدان.

و- فهرس الكلمات الغريبة .

ز- فهرس المصادر.

ح- فهرس موضوعات البحث.

وأما خطة البحث فهي كالتالي:

قسمت البحث إلى مقدمة تمهيد وبابين وخاتمة.

المقدمة ذكرت فيها أهمية الموضوع، وسبب اختياره.

والتمهيد عن:

أثر كتب التفسير في العقيدة.

١ - **الباب الأول**: البيضاوي ومنهجه في تقرير العقيدة.

الفصل الأول: حياة البيضاوي.

المبحث الأول: حياته الشخصية.

المبحث الثاني: حياته العلمية.

الفصل الثاني: منهجه في تقرير مسائل العقيدة.

الفصل الثالث: تفسير البيضاوي.

تمهيد: أهميته.

المبحث الأول: مصادره.

المبحث الثاني: منهجه في التفسير

٢ - **الباب الثاني**: موقف البيضاوي من مسائل العقيدة.

الفصل الأول: التوحيد.

المبحث الأول: تعريفه.

المبحث الثاني: تقرير البيضاوي للتوحيد.

الفصل الثاني: معرفة وجود الله بالفطرة أم بالاستدلال؟

المبحث الأول: الفطرة عند أهل السنة.

المبحث الثاني: النظر والاستدلال.

الفصل الثالث: توحيد الربوبية.

المبحث الأول: تعريفه.

المبحث الثاني: تقرير البيضاوي لتوحيد الربوبية.

الفصل الرابع: توحيد الألوهية.

المبحث الأول: تعريفه.

المبحث الثاني: تقريره لتوحيد الألوهية.

الفصل الخامس: توحيد الأسماء والصفات.

المبحث الأول: تعريفات عامة - التأويل - المجاز - المحكم والمتشابه- والتفويض.

المبحث الثاني: تعريف توحيد الأسماء والصفات.

المبحث الثالث: تقريره لتوحيد الأسماء والصفات.

الفصل السادس: الإيمان.

المبحث الأول: تعريفه وذكر مسائله.

المبحث الثاني: تقريره للإيمان ومسائله.

الفصل السابع: القضاء والقدر.

المبحث الأول: تعريفه وذكر مراتبه.

المبحث الثاني: المخالفون في القدر.

المبحث الثالث: تقرير البيضاوي للقدر ومسائله.

الفصل الثامن: النبوات.

المبحث الأول: التعريف بالأنبياء وذكر دلائل النبوة.

المبحث الثاني: نبوة نبينا محمد ﷺ.

المبحث الثالث: موقف البيضاوي من النبوة.

الفصل التاسع: اليوم الآخر.

المبحث الأول: أشراط الساعة.

المبحث الثاني: الحياة البرزخية.

المبحث الثالث: القيامة وأحوالها.

المبحث الرابع: موقف البيضاوي من اليوم الآخر.

وفي نهاية البحث: الخاتمة، ثم الفهارس العامة.

وهذه هي الخطة التي سرت عليها في بحثي هذا وما صعب عليَّ فيه هو تتبع جميع الآيات لحصر أقوال المؤلف نظراً لاختصار تفسيره فربما يمر على الآية دون شرحها وفي موضع آخر قد يذكرها إجمالاً وفي آخر قد يفسرها تفصيلاً وربما قد تتعارض الأقوال لأول وهلة وبحصر أقواله يتضح المقصود منها حتى لا أقوِّل الرجل ما لم يقل فإن الأمانة العلمية تقتضي ذلك.

وقد بذلت جهدي ووسعي ولا أدعي الكمال فإن التقصير والخطأ من طبيعة البشر فما كان فيه من صواب فهو بتوفيق الله وفضله علي وما كان غير ذلك فمن نفسي وأستغفر الله منه.

وفي الختام: أتوجه بالشكر لجامعة أم القرى ممثلة في كلية الدعوة وأصول الدين والقائمين عليها.

كما أشكر أستاذتي الفاضلة المشرفة على هذا البحث الدكتورة: ابتسام جمال الأستاذ المشارك، بكلية الدعوة وأصول الدين، قسم العقيدة، على ما أولتني به من رعاية واهتمام وتوجيه وإرشاد كما أشكرها على سعة صدرها وتواضعها، فجزاها الله عني كل خير.

وأثني بالشكر على المناقشين الكريمين: الدكتور/ علي العلياني، والدكتورة/ سلوى المحمادي، على ما قدماه لي في مناقشتهما، فجزاهما الله عني خير الجزاء.

وأشكر كل من أعانني في هذا العمل سواءً بكتاب أو نصح أو إرشاد فجزاهم الله خيراً وأحمد الله وأشكره أولاً وآخراً.

وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليماً كثيراً.

التمهيد

أثر كتب التفسير في العقيدة:

القرآن الكريم هو حبل الله المتين، والذكر الحكيم، وحاجة الناس ماسّة لفهمه ومعرفة معانيه وأصوله وأحكامه، ولهذا كان التفسير من أجلّ العلوم وأشرفها لأنه متعلّق بكلام الله وأحكامه.

وتفسير القرآن قد أُلِّف فيه الكثير من الكتب والمصنّفات إلاّ أن هذه الكتب ليست على مستوى واحد من صحة التلقِّي والمنهج وصحة الاعتقاد، ومعروف لدى المسلمين أن العقائد والأحكام تؤخذ من الكتاب والسنة، لأنهما مصدر التلقِّي للدين الإسلامي.

وعلى هذا منهج السلف الصالح الذين جمعوا كل ما أُثِرَ عن الرسول ﷺ والصحابة والتابعين، في تفسير القرآن وفهمه وذكروه بالسند المتصل إليهم فلهم الفضل والمنة في جمع كل ما أثر من تفسير كتاب الله وسنة نبيه ﷺ، وهذا ما عرف بالتفسير المأثور لدى أهل السنة والجماعة، فأثبتوا العقائد كما جاءت في الكتاب والسنة دون تحريف أو تعطيل أو تناقض فيما يثبتُونه أو ينفونه.

وأما الفِرق المُخالفة لمنهج السلف فقد ألَّفَت في التفسير كُتباً إلاّ أنّ هذه الكُتب تابعة لمناهج أصحابها؛ فهم اعتقدوا عقائد فاسدة، ثمّ نظروا للقرآن من خلالها، وأوّلوا النصوص بما يشهد لعقائدهم، ويتمشّى معها.

فكُلّ طائفة فسّرت القُرآن على مذهبها، وحاولت جهدها على إثبات ما تعتقده وإن كان مخالفاً للشرع والعقل واللغة، وما ذاك لإلحادهم عن السُّنّة وإدخال علوم الفلسفة[1]، والمنطق[2] على العلوم الإسلامية».

---

(١) **الفلسفة:** هي البحث عن طبائع الأشياءوحقائق الموجودات. انظر"الفلسفة الإسلامية" .عرفان عبدالحميد ص(٢٨)ط٢مؤسسة الرسالة.

(٢) **المنطق:** آلة قانونية تعصم مراعاتها الذهن عن الخطأ في الفكر. «التعريفات» للجرجاني (١٨٥).



واعتمادهم على العقل فما وافقه أثبتوه، وما خالفه نفوه، ومنهم من اعتمد على الرأي المجرد والهوى، فحوت هذه الكتب الكثير من الأقوال الباطلة والاعتقادات الفاسدة، لأنهم تارة يسلبون لفظ القرآن ما دل عليه وأريد به، وتارة يحملونه على ما لم يدل عليه ولم يرد به.

ومن هذه الفرق من كانت لهم كتباً في التفسير أو أقوال في تفسير بعض آيات الكتاب: كالمعتزلة[(١)]، والشيعة[(٢)]، والخوارج[(٣)]، والصوفية[(٤)]، والفلاسفة[(٥)]، والأشاعرة[(٦)]، وأصحاب التفاسير العلمية في العصر الحاضر وغيرها مما كان لها تأثير على معتقدات أصحابها وآرائهم ومن تبعهم على ذلك، وليس المراد هنا التفصيل في مناهجهم وطرقهم ومذاهبهم، وألوان

(١) **المعتزلة**: فرقة كلامية افترقت إلى عدة طوائف وقالت بالأصول الخمسة، وسميت بهذا لإعتزال واصل بن عطاء مجلس الحسن البصري، وقيل: لمخالفتهم جماعة المسلمين في مصادر التلقي والاستدلال ويسمون بالقدرية والوعيدية، والمعطلة. انظر مقالاتهم: «مقالات الإسلاميين» للأشعري (٩٩)، و«الملل والنحل» للشهرستاني (ص١/ ٤٠)، «الفرق بين الفرق» للبغدادي (ص١١٤).

(٢) **الشيعة**: هم من شايعوا علي وأهل بيته وقالوا بأنه الأحق بالإمامة بوصية النبي ﷺ له ولأبنائه، وهم ثلاثة فرق الغالية وهم خمسة عشر فرقة والروافض وهم أربع وعشرون فرقة والزيدية وهم خمس فرق وكل فرقة إلى عدة فرق. انظر مقالاتهم: «مقالات الإسلاميين» (ص١٢).

(٣) **الخوارج**: الذين خرجوا على علي بعد وقعة صفِّين ولم يرضوا بالتحكيم منه، والخوارج عشرون فرقة وكل فرقة انقسمت إلى عدة فرق ويجمعها تكفير علي وعثمان وأصحاب الجمل والحكمية ومن رضي بالتحكيم والخروج على السلطان الجائر. انظر مقالاتهم: «مقالات الإسلاميين» (ص٥٩)، و«الفرق بين الفرق» للبغدادي (ص٧٣).

(٤) **الصوفية**: هي فرقة تميزت بالتقشف والزهد قيل نسبة إلى لبس الصوف، وقيل: نسبة لصفاء قلب المريد وطاعته لربِّه، وقيل: من الصُّفَّة نسبة لفقراء الصحابة ولكن هذا المصطلح لم يعرف في العصور الثلاثة وإنما عُرف فيما بعده . انظر مجموع الفتاوي كتاب التصوف (١١/ ٦)

(٥) الفلاسفة :هم القائلون بأن االإله علة تامة. والعالم متولد عنه تولدا لازما لا ينفك عنه فهم يرون العقول تتولد عنه وهي عندهم رب العالم ، فالعقل الأول أبدع ما سوى الله . وهذا من أعظم الكفر . انظر الرسالة الصفدية لابن تيمية ص (٥٤)

(٦) الأشاعرة :فرقة تنسب الى مؤسسها أبي الحسن الأشعري في طورها الثاني لأنه كان على الإعتزال في الطور الأول ثم أخذ بمذهب ابن كلاّب ثم في آخر عمره أخذ بمذهب الإمام أحمد ، والأشعرية تثبت السبع صفات وتأول الباقي أو تفوضه ، والإيمان عندهم مجرد التصديق فقط . انظر الملل والنحل للشهرستاني ص (٧٤)

التفسير لديهم، ولا الكلام على مؤلفيها لأن هذا له مجاله في بحوث مستقلة، وإنما المقصود أن تخصصاتهم ومذاهبهم العقدية أثرت في تفسيرهم لآيات العقيدة وغيرها بما يخالف المراد منها، مما جرَّ إلى إعتقادات باطلة وإلى أتباع لهؤلاء يجادلون عنهم بالباطل.

ونذكر بعض الأمثلة لبعض الفرق والتي تبين بعض معتقداتهم التي فسروا الآيات على تلك الآراء والمذاهب ولا دلالة فيها على ذلك بل هو تحريف للكلم عن مواضعه.

أولاً: مثال ذلك المعتزلة: وضعوا تفاسيرهم على أصول مذهبهم، وهي الأصول الخمسة لديهم وهي:

١ - **التوحيد**: الذي مضمونه نفي الصفات.

٢ - **العدل**: ومضمونه نفي القدر.

٣ - **المنزلة بين المنزلتين لمرتكب الكبيرة**: وفي الآخرة مخلد في النار إذا مات قبل التوبة.

٤ - **الوعد والوعيد**: ومضمونه نفي الشفاعة عند أهل الكبائر.

٥ - **الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر**: ومضمونه جواز الخروج على الأئمة وقتالهم بالسيف.

«المقصود أن هؤلاء اعتقدوا رأياً ثم حملوا ألفاظ القرآن عليه وليس لهم سلفاً من الصحابة والتابعين لهم بإحسان ولا من الأئمة المسلمين لا في رأيهم ولا في تفسيرهم، وما من تفسير من تفاسيرهم الباطلة إلا وبطلانه يظهر من وجوه كثيرة وذلك من جهتين تارة من العلم بفساد قولهم وتارة من العلم بفساد ما فسروا به القرآن إما دليلاً على قولهم أو جواباً على المعارض»[1].

ثانياً: مثال آخر عن الشيعة وما ذكره بعض مفسريهم[2] في معنى لفظ الجلالة والإله

(١) «مجموع الفتاوى» (١٣/ ٣٥٧-٣٨٦).

(٢) هو عبد اللطيف الكازراني أحد مفسري الإمامية الإثنى عشرية وتفسيره المسمى «مرآة الأنوار ومشكاة الأسرار».

والرب وتأويل ذلك على الإمام وساق الروايات في ذلك ففي قوله -تعالى-: ﴿وَقَالَ ٱللَّهُ لَا تَتَّخِذُوٓاْ إِلَٰهَيۡنِ ٱثۡنَيۡنِۖ إِنَّمَا هُوَ إِلَٰهٞ وَٰحِدٞ فَإِيَّٰيَ فَٱرۡهَبُونِ﴾ [النحل:٥١].

قال: يعني بذلك لا تتخذوا إمامين إنما هو إمام واحد.

وفي قوله -تعالى-: ﴿مَّثَلُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِرَبِّهِمۡۖ أَعۡمَٰلُهُمۡ كَرَمَادٍ ٱشۡتَدَّتۡ بِهِ ٱلرِّيحُ﴾ [إبراهيم:١٨].

فقطلَن لم يُق ر ّ بولاية علي -عليه السلام- بطل عمله مثل الرماد الذي تجيء الريح فتحمله»[1].

وهكذا بحسب التفسير الباطني عندهم للآيات لأن جل إهتمامهم وتفسيراتهم عن الأئمة وعصمتهم، فأوّلوا الآيات في الأئمة وصرفوها عن معناها المراد إلى معاني بعيدة لا تدل عليها حسب أهوائهم.

ثالثاً: وكذلك الخوارج الذين يرون أن مرتكب الكبيرة كافر ولذلك قالوا بعدم جواز الغفران لكبيرته.

نتقل عن أحد مفسريهم وهو محمد بن أطفيش الوهبي الإباضي (ت:١٣٣١هـ) في تفسيره «هميان الزاد إلى دار المعاد» في قوله -تعالى-: ﴿لِّلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِۗ وَإِن تُبۡدُواْ مَا فِيٓ أَنفُسِكُمۡ أَوۡ تُخۡفُوهُ يُحَاسِبۡكُم بِهِ ٱللَّهُۖ فَيَغۡفِرُ لِمَن يَشَآءُ وَيُعَذِّبُ مَن يَشَآءُ﴾ [البقرة:٢٨٤].

يقول: «... ولا دليل في الآية على جواز المغفرة لصاحب الكبيرة الميت بلا توبة منها، كما زعم غيرنا...»[2].

رابعاً: وكذلك تفسيرات الصوفية الذين يزعمون أنهم أهل الحقائق. يقول السلمي[3] في

(١) "مرآةالأنوارومشكاة الأسرار"ص(٤١)ط العجم.

(٢) «هميان الزاد ص(٣/ ٤٤٣)ط المطبعةالسلطانية زنجبار.

(٣) **السلمي**: هو أبو عبد الرحمن محمد بن الحسين النيسابوري، شيخ الصوفية، سمع الأصم وطبقته، وصنّف «التفسير» و«التاريخ»، وبلغت تصانيفه مائة، توفي سنة (٤١٢هـ) . انظر الشذرات (٣ / ٣٤٤)

«حقائق التفسير» في قوله -تعالى-: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى مَدَّ ٱلْأَرْضَ وَجَعَلَ فِيهَا رَوَٰسِىَ﴾ [الرعد:٣].

يقول: «قال بعضهم:هو الذي بسط الأرض وجعل فيها أوتاداً[1] من أوليائه وسادة من عبيده فأليهم الملجأ، وبهم النجاة فمن ضرب في الأرض يقصدهم فاز ونجا، ومن كان بغيته لغيرهم خاب وخسر»[2].

ولا شك أن المقصود من الآية ليس هو الأوتاد والأولياء والسادة لدى الصوفية ولكنهم أنزلوا الآيات على ما يعتقدونه في الأولياء والسادة وإعتقاد النفع والضر بهم بل النفع والضر بيد الله وإليه الملجأ لا إلى ما ذكر لأن هذا من أعظم الشرك

خامساً: كذلك تفسيرات الفلاسفة الذين فسروا النصوص الشرعية حسب النظريات الفلسفية لديهم.

مثال ذلك ابن سينا[3] يقول في تفسير قوله -تعالى-: ﴿وَٱلْمَلَكُ عَلَىٰٓ أَرْجَآئِهَا ۚ وَيَحْمِلُ عَرْشَ رَبِّكَ فَوْقَهُمْ يَوْمَئِذٍ ثَمَٰنِيَةٌ﴾ [الحاقة:١٧].

قال: «... فنقول: إن الكلام المستفيض في استواء الله على العرش من أوضاعه أن العرش نهاية الموجودات المبدعة الجسمانية وتدعي المشبهة من المتشرعين أن الله على العرش لا على سبيل حلول، هذا وأما في كلام الفلسفي فإنهم جعلوا نهاية الموجودات الجسمانية الفلك التاسع الذي هو فلك الأفلاك... والحكماء والمتشرعون اجتمعوا على أن المعنى بالعرش هو هذا الجرم...ثم بيّنوا أن الأفلاك لا تفنى ولا تتغير أبدالدّهر وقد ذاع في الشرعيات أن الملائكة أحياء قطعاً... فإذا قيل أن الأفلاك أحياء ناطقة لا تموت والحي الناطق الغير الميت

(١) الأوتاد:هومايعتقده الصوفية في الأولياءبأنهم يحفظون هذاالكون.وأنهم أربعة رجال منازلهم على منازل الجهات الأربعة ويحفظ الله بهم تلك الجهات.انظر المصطلحات الصوفية.د/ عبدالمنعم الحفني ص(٢٤).

(٢) حقائق التفسير.للسلمي .ص(١٣٨).

(٣) ابن سينا : هو أبو علي الحسين ابن عبدالله أحد الفلاسفة الإسلاميين يلقب بالرئيس ولد ببخارى وكان أبوه من دعاة الإسماعيلية صنف الكثير من الكتب منها " الشفاء في الحكمة " و " النجاة " و الإشارات " و " القانون " وغيرها ، وتوفي بهمذان عام (٤٢٨ هـ) ، انظر : الشذرات (٣ / ٣٩٣)

يسمى ملكاً فالأفلاك تسمى ملائكة فإذا تقدّم هذه المقدمات وضح أن العرش محمول على ثمانية ووضح تفسير المفسرين أنها ثمانية أفلاك»[1].

ففسر العرش بأنه الفلك التاسع والملائكة الحاملين له بأنهم الأفلاك الثمانية وهذا قول باطل بعيد عن مراد الله ورسوله ﷺ، وهذا لأن الفلاسفة لا يعترفون بالملائكة.

وهذه مجرد أمثلة على التفسيرات المخالفة لمراد الله ورسوله صلى الله عليه وسلم وليس المقصود في هذه العجالةدالعلى ذلك وإنما ذكر أمثلة تبين أن مذاهبهم العقدية أثرت على تفسيرهم للنصوص الشرعية وأخرجتها عن مقصودها الصحيح إلى إعتقادات باطلة، وأصبحت مؤلفاتهم في التفسير بهذه المناهج منتشرة ولها أتباع يدافعون عنها رغم ما فيها من باطل، ففسدت عقيدة الكثير من أتباعهم.

*****

(١) رسائل ابن سينا ص(١٢٨-١٢٩) المطبعة الهندية١٩٠٨م

الباب الأول
البيضاوي ومنهجه في تقرير العقيدة

الفصل الأول: حياة البيضاوي.

المبحث الأول: حياته الشخصية.

المبحث الثاني: حياته العلمية.

الفصل الثاني: منهجه في تقرير مسائل العقيدة.

الفصل الثالث: تفسير البيضاوي.

تمهيد: أهميته.

المبحث الأول: مصادره.

المبحث الثاني: منهجه في التفسير.

الفصل الأول
حياة البيضاوي

المبحث الأول
حياته الشخصية

١ـ اسمه ونسبه وكنيته:

هو: عبد الله بن عمر بن علي القاضي ناصر الدين البيضاوي الشيرازي الشافعي هكذا نَسَبَهُ من ترجم له[1] وكذلك ذكر نسبه في مقدمة «الغاية القصوى»[2]، وهو فقيه شافعي المذهب أشعري المعتقد، مفسر نحوي وأصولي متكلم.

يكنّى بأبي «الخير» وأبي «محمد» وأبي «سعيد».

---

(١) انظر ترجمته:

«الوافي بالوفيات» للصفدي (١٧/ ٢٠٦).

«بغية الوعاة» للسيوطي (٢/ ٥٠).

«كشف الظنون» حاجي خليفة (١/ ١٨٦).

«شذرات الذهب» لابن العماد (٥/ ٣٩٢-٣٩٣).

«طبقات المفسرين» للداودي (١/ ٢٤٢).

«طبقات المفسرين» للأدنه وي (٢٥٤-٢٥٥).

«طبقات الشافعية الكبرى» لابن السبكي (٥/ ٥٩).

«البداية والنهاية» لابن كثير (١٣/ ٣٥٦).

«دائرة المعارف الإسلامية (٤/ ٤١٨).

«الأعلام» للزركلي (٤/ ١١٠).

«حاشية القونوي» (١/ ٣).

«حاشية الشهاب» (١/ ٢).

«معجم المؤلفين» لكحالة (٥/ ٩٧).

«مرآة الجنان» لليافعي (٤/ ٢٢٠).

(٢) «مقدمة الغاية القصوى» (١/ ١٨٤).

٢ـ لقبه:

لقب البيضاوي نسبة إلى «البيضاء»[١] التي وُلد بها وهي إحدى المدن المشهورة بفارس.

ولقب بالشيرازي نسبة إلى مدينة «شيراز»[٢] التي نشأ بها وتولّى فيها منصب قاضي القضاة.

والتبريزي نسبة إلى «تبريز»[٣] حيث توفي بها.

وبالشافعي لأنه على مذهب الشافعي -رحمه الله-.

وأما لقبه بناصر الدين فكما ذكر ابن العماد: «حيث قابل الأحكام الشرعية بالاحترام والاحتراز»[٤].

٣ـ المشاركون له في اللقب:

شارك المصنف في لقبه «البيضاوي» وهو أشهر ألقابه مجموعة من العلماء أشير إلى بعضهم خاصة أن بعض المترجمين قد أسند إليه بعض المؤلفات على سبيل الخطأ لاشتراكهم في اللقب.

ومن هؤلاء العلماء:

(١) **البيضاء**: كان اسمها في أيام الفرس «دار إسفيد» فعُرِّبت بالمعنى واسمها بالفارسية (نسايك) سميت بالبيضاء لأن لها قلعة تبين من بعد، وكانت معسكراً للمسلمين يقصدونها في فتح اصطخر وهي تامة العمارة خصبة جدًّا ينتفع أهل شيراز بميرتها وبينها وبين شيراز ثمانية فراسخ. انظر «معجم البلدان للحموي» (١/ ٤١٦).

(٢) **شيراز**: بلد مشهور معروف وهو وسط بلاد فارس بينها وبين نيسابور مائتان وعشرون فرسخاً وينتسب إليها كثير من العلماء في مختلف الفنون. انظر «معجم البلدان» (٣/ ١٦٩).

(٣) **تبريز**: أشهر مدن أذربيجان وهي مدينة عامرة حسناء ذات أسوار محكمة وأنهار جارية ومرّ بها التتر لمّا خربوا البلاد في سنة (٦١٨) فصالحهم أهلها ببذول بذلوها لهم فنجت من أيديهم وعصمها الله منهم ونسب إليها جماعة من أهل العلم. انظر «معجم البلدان» (١/ ٤٣٠).

(٤) «شذرات الذهب» لابن العماد (٥/ ٣٩٣).

١- أبو بكر البيضاوي:

هو محمد ابن أحمد بن العباس الفارسي القاضي أبو بكر البيضاوي كان إماماً جليلاً له المرتبة في الفقه وله معرفة بالأدب، وكان يعرف بالشافعي له «التبصرة» في الفقه، و«الأدلة في تعليل مسائل التبصرة»، و«التذكرة في شرح التبصرة»، و«الإرشاد في شرح كفاية الصيمري»، وذكره السبكي في الطبقة الرابعة ممن توفي بين سنة (٤٠٠-٥٠٠)[1].

وهذا العالم هو الذي نسبت بعض كتبه إلى ناصر الدين البيضاوي.

ومنها «التبصرة في الفقه»، و«الإرشاد»، و«التذكرة».

ونذكر ذلك لاحقاً عند الكلام عن مؤلفات المصنف.

٢- أبو عبد الله البيضاوي:

هو محمد بن عبد الله بن أحمد ولي القضاء بربع الكرخ من بغداد وحدث بيسير عن أبي بكر القطيعي والحسين بن محمد بن عبيد العسكري.

قال الخطيب: كتبت عنه وكانثقةً صدوقاً.

مات فجأة ليلة الجمعة رابع عشر رجب سنة أربع وعشرين وأربعمائة (٤٢٤هـ) ودفن بمقبرة باب حرب[2].

٣- أبو الحسن البيضاوي:

هو محمد بن محمد بن عبد الله بن أحمد ختن القاضي أبي الطيب.

قال الخطيب كتبت عنه وكان صدوقاً.

توفي في شعبان سنة (٤٠٨هـ) عن ست وسبعين سنة[3].

---

(١) «الطبقات الكبرى» (٣/ ٣٩).

(٢) «طبقات الشافعية الكبرى» (٣/ ٦٣).

(٣) المرجع السابق (٣/ ٨١).

٤- أبو القاسم البيضاوي:

هو علي بن محمد بن عبد الله أبو القاسم البيضاوي ابن أبي الحسين ابن أبي عبد الله سبط القاضي أبي الطيب الطبري مات شابًّا في شهر رمضان سنة (٤٥٠هـ)[1].

٤ـ مولده:

ولد القاضي ناصر الدين البيضاوي -رحمه الله- في مدينة «البيضاء» بفارس قرب شيراز، إلاّ أن مصادر ترجمته التي بين أيدينا لم تذكر لنا تاريخ ميلاده.

٥ـ نشأته:

وُلد القاضي ناصر الدين في البيضاء ونشأ بها أول حياته مع أسرته ثم رحل إلى شيراز وكانت في ذلك الوقت عاصمة بلاد فارس وحاكمها الأتابك أبو بكر بن سعد بن زنكي الذي حكمها من سنة (٦٢٣هـ) إلى سنة (٦٥٨هـ) والذي حفظ بلاده من ويلات الحروب حين صالح المغول والتتر وأرسل إليهم بالهدايا ودخل في طاعتهم فلم يتعرضوا لبلاده بسوء فكانت شيراز ملجأ العلماء من جميع أقطار العالم الإسلامي طلباً للأمان والرخاء والاستقرار والرزق فارين إليها من أثر الحروب على البلاد الإسلامية من المغول.

- وكان لوالده منزلة عند الأتابك أبو بكر بن سعد فولاه منصب قاضي قضاة شيراز، كما تولّى جده محمد من قبل قاضي القضاة[2].

فنشأ في أسرة ذات علم ودين وفضل ومنصب ونشأ في شيراز حيث تلقى فيها العلوم والمعارف عن والده في أول الأمر وتفقه على يديه، وأخذ في تعلم الكثير من العلوم في أصول

---

(١) المرجع السابق (٤/ ٤).

(٢) انظر «تاريخ الأدب الفارسي» لرضا زاده (ص١٣٧)، و«تاريخ الشعوب الإسلامية» لبروكلمان (٢٧٩).



الدين وأصول الفقه، والتفسير والعربية والأدب والتاريخ وفي علم الكلام والمنطق والفلسفة حتى برع في كثير من العلوم والفنون في مختلف المجالات العلمية.

- والبيضاوي لم يقتصر في تعليمه على والده فقط بل أخذ العلم عن كثير من علماء عصره لا سيّما وشيراز كانت ملجأ العلماء والأدباء من جميع أقطار العالم الإسلامي، فتلقّى العلم مبكّراً حتى برع فيه وألّف في جميع فنون العلم وعاش في شيراز حتى تولى منصب القضاء فيها.

٥ـ وفاته:

أجمعت كتب التراجم التي ترجمت له أن وفاته بمدينة تبريز حيث قضى الجزء الأخير من حياته بها.

وذكر حاجي خليفة[١] أنه دفن عند قبر شيخه محمد الكتحتائي[٢].

وقال ابن كثير[٣]: أن القاضي ناصر الدين أوصى إلى القطب[٤] الشيرازي[٥] أن يدفن بتبريز[٦].

إلاّ أن مصادر ترجمته قد اختلفت في تاريخ وفاته إلى عدة تواريخ:

١ – أن وفاته كانت سنة (٦٨٢هـ) ذكرها حاجي خليفة[٧].

٢ – وأنها كانت سنة (٦٩١هـ) ذكرها السبكي في «الطبقات الوسطى»، والسيوطي في «بغية الوعاة»[٨]، والقونوي في «حاشيته على تفسير البيضاوي»[٩]، والداودي في «طبقات

(١) «كشف الظنون» (١/ ١٧٨).

(٢) محمد الكتحتائي: تأتي ترجمته فيما بعد ضمن شيوخ المصنف.

(٣) «البداية والنهاية» (٦/ ٣٥٦).

(٤) القطب: هوكل من دارعليه مقام من المقامات وانفردبه في زمانه على أبناءجنسه. انظر "موسوعة مصطلحات التصوف الإسلامي". د/ رفيق العجم ص(٧٧)ط١. ١٩٩٩م.

(٥) القطب الشيرازي: هو محمد بن مسعود بن مصلح الفارسي ولد بشيراز سنة (٦٣٤هـ).
صنّف الكثير من المصنفات منها «شرح الكليات»، «شرح السنة» للبغوي، «شرح السكاكي» وغيرها.
لازم النصير الطوسي، ودخل بغداد ودمشق ومصر واستوطن تبريز إلى أن توفي بها سنة (٧١٠هـ).
انظر «الطبقات الكبرى» للسبكي (٦/ ٢٤٨).

(٦) «البداية والنهاية» (٣/ ٣٥٦).

(٧) «كشف الظنون» (١/ ١٨٦).

(٨) «بغية الوعاة» (٢/ ٥٠).

(٩) «حاشية القونوي» (١/ ٢٤).

المفسرين»[1].

ونقله عن السبكي والإسنوي بن العماد في «شذرات الذهب»[2].

٣- أنها كانت سنة (٦٩٢هـ) ذكره اليافعي في «مرآة الجنان»[3].

٤- أنها كانت سنة (٧١٩هـ) ذكرها شهاب الدين الخفاجي في حاشيته على تفسير البيضاوي وقال بأن المؤرخين صرحوا بذلك وهو المعتمد[4] إلا أن القونوي في حاشيته اعترض أن يكون هذا معتمداً مع كثرة الاختلافات ولأن المؤرخين يكتبون كل صحيح وسقيم[5].

٥- أن وفاته كانت سنة (٦٨٥هـ) وهي ارجح الروايات ذكرها الصفدي في كتابه «الوافي بالوفيات»[6] واعتمدها ومشى عليها أكثر المؤرخين وأصحاب التراجم.

❊ ❊ ❊ ❊ ❊

---

(١) «طبقات المفسرين» (١/ ٢٤٣).

(٢) «الشذرات» (٥/ ٣٩٢).

(٣) (٤/ ٢٢٠).

(٤) (١/ ٣).

(٥) (١/ ٢٤).

(٦) (١٧/ ٢٠٦).

المبحث الثاني
حياته العلمية

١ـ رحلاته العلمية:

الرحلة في طلب العلم أمر معتاد ومشهور لدى العلماء فكثير منهم يرحل من قطر إلى قطر طلباً للعلم في شتّى مجالاته وفنونه.

إلاّ أن مصادر ترجمة البيضاوي -رحمه الله- لم تذكر لنا سوى رحلتين:

الأولى: رحلته من البيضاء إلى شيراز مع أسرته[١].

وكانت شيراز في ذلك الوقت مقصد العلماء من جميع أقطار العالم الإسلامي الذين فروا إليها من ويلات الحروب المغولية، حيث كانت بمأمن من هذه الحروب وكان حاكمها الأتابك أبي بكر يشجع على العلم والعلماء فاجتمع بها كثير من العلماء، فتلقّى ناصر الدين البيضاوي علومه وفنونه على علمائها وشيوخها حتى برع في كثير من فنون العلم.

رحلته الثانيةكانت من شيراز إلى تبريز بعد أن تولى القضاء في شيراز[٢].

وكانت في عهد الإلخانيين[٣] الذين أسلموا واتخذوا تبريز عاصمة لهم غير أن كتب التراجم لم تذكر تاريخاً لهذه الرحلات، إلا ما ذكره أحد الباحثين[٤] عن ابن عاشور في كتابه «التفسير ورجاله» من أن انتقال البيضاوي من شيراز إلى تبريز كان حوالي سنة (٦٥٠هـ)، ورده الباحث، ورجّح أنها كانت سنة (٦٨١هـ).

إلاّ أن كتب ترجمته لم تذكر لنا شيئاً عن ذلك ولا نستطيع الجزم بهذه التواريخ تحديداً لأن

---

(١) «كشف الظنون» (١/ ١٢٨).

(٢) المرجع السابق (٣٢١).

(٣) الإلخانيين: هم الذين أسلموا من المغول واتخذوا تبريز مقرا لحكمهم وبدأ عهدهم بعبور هولاكو لنهرجيحون سنة(٦٥٤هـ)انتهى بقتل "بايدو"سنة(٦٩٥هـ) انظر "تاريخ الأدب في إيران" لبراون ص(٥٥٣).

(٤) هو جلال الدين عبد الرحمن في رسالته للدكتوراه «القاضي ناصر الدين وأثره في أصول الفقه»

البيضاوي قد يكون له أكثر من رحلة إلى تبريز.

وقد أشارت بعض كتب ترجمته أنه دخل تبريز طلباً لقضاءشيراز فأُعطي ذلك دون تأخير.

ذكر ذلك السبكي في «الطبقات الكبرى»(1).

والقصة الأخرى: أنه دخل تبريز ومكث مدة واستشفع بشيخه محمد الكتحتائي عند الأمير لتوليه القضاء فشفع له إلا أنه زهد في المناصب وترك القضاء، ولازم شيخه حتى توفي بتبريز.

ذكر ذلك حاجي خليفة في «كشف الظنون»(2).

ومن هاتين القصتين يتضح أنه دخل تبريز أكثر من مرة. والله أعلم.

٢ـ شيوخه:

تلقّى البيضاوي علومه الأولية على يد والده، ولاشك أنه لم يقتصر على والده بل تلقّى العلم عن علماء بلده شيراز حيث كانت في عصره محط أنظار العلماء واجتمع بها كثير منهم، فنهل البيضاوي من منهل هؤلاء العلماء وتتلمذ على أيديهم، وأول شيوخه هو والده.

١ – والده:

هو أبو القاسم عمر بن محمد بن أبي الحسن علي البيضاوي.

«مقتدى عصره وواحد دهره كان إماماً مستبحراً جمع بين العلم والتقوى وتقلّد القضاء بشيراز سنين عديدة ودرّس وأسمع وحدّث وروى عن شيخه عبد الرحيم بن عبد الرحمن السجستاني توفي في ربيع سنة خمس وسبعين وستمائة ودفن بالضفة الجنوبية من المدرسة الغربية

(١) (٥/ ٥٩)، وأيضاً «طبقات المفسرين» للداودي (١/ ٢٤٢).

(٢) (١/ ١٦٢).

بالسوق الكبير»[١].

وقد ذكر البيضاوي أنه أخذ الفقه عن والده فقال: «فاعلم أني أخذت الفقه عن والدي مولى الموالي الصدر العالي ولي الله الوالي قدوة الخلف وبقية السلف إمام الملة والدين أبو القاسم عمر قدّس الله روحه وهو عن والده قاضي القضاة السعيد فخر الدين: محمد بن الإمام الماضي صدر الدين: أبي الحسن علي البيضاوي قدس الله أرواحهم»[٢].

٢- عمر البوشكاني:

هو شرف الدين عمر الزكي البوشكاني أستاذ العلماء وملجأ الأكابر في عهده وجامع أقسام العلوم بين المعقول والمنقول، تتلمذ عليه الكثير ومنهم ناصر الدين البيضاوي، وكان عين تلامذته، توفي سنة (٦٨٠هـ).

ودفن بالضفة الجنوبية من تلك المدرسة ورثاه ناصر الدين بقصيدة طويلة[٣].

٣- الشيخ محمد الكتحتائي:

هو العارف الأوحد خواجة محمد بن محمد الكتحتائي، لم أعثر له على ترجمة تبين تاريخ ولادته أو وفاته والذي عرفناه عنه أن هذا الشيخ قد استشفع به ناصر الدين البيضاوي في طلبه لقضاء شيراز فقال حاجي خليفة: «فلما أتاه على عادته قال إن هذا الرجل عالم فاضل يريد الاشتراك مع الأمير في السعير يعني أنه يطلب منكم مقدار سجادة في النار وهي مجلس الحكم فتأثر الإمام البيضاوي من كلامه وترك المناصب الدنيوية، ولازم شيخه إلى أن مات وصنّف التفسير بإشارة من شيخه، ولما مات دفن عند قبره»[٤].

(١) «البيضاوي ومنهجه في التفسير» رسالة دكتوراة ليوسف علي (ص١٦) نقلاً عن المصدر الأصلي «شد الإزار وحط الأوزار» لمعين الدين أبو القاسم، مطبعة طهران، ولم أستطع الحصول على هذا الكتاب.

(٢) «مقدمة الغاية القصوى» (ص١/ ١٨٤).

(٣) انظر «البيضاوي ومنهجه في التفسير» (ص١٨) باختصار.

(٤) «كشف الظنون» (١/ ١٨٧).

وهذا يدل على أنه صحب هذا الشيخ في أواخر عمره -رحمه الله-.

وأما ما ذكرته بعض المصادر[1] من أن البيضاوي صحب نصير الدين الطوسي، والسهروردي، فيتضح ذلك بعد نبذة عنهم:

١- نصير الدين الطوسي[2]:

هو أبو عبد الله نصير الدين محمد بن محمد بن حسن الطوسي، برع في العلوم العقلية، والأرصاد، والرياضيات، ولد بطوس، ونشأ بها، وكان ذا منزلة من هولاكو وولاه الوزارة، وصحبه في غزو بغداد.

وتوفي في ذي الحجة ببغداد سنة (٦٧٢هـ) وقد نيف على الثمانين[3].

قال عنه ابن القيم في «إغاثة اللهفان»: «لما انتهت النوبة إلى نصير الشرك والكفر والإلحاد وزير الملاحدة النصير الطوسي وزير هولاكو شفا نفسه من أتباع الرسول ﷺ وأهل دينه فعرضهم على السيف حتى شفا إخوانه من الملاحدة»[4].

ولم يذكر أحد من المترجمين له أنه رحل إلى شيراز، والتقى بالبيضاوي كما أن البيضاوي لم يخرج من بلده شيراز، ولم يذكر هذه الصحبة غير الخوانساري.

٢- شهاب الدين السهروردي[5]:

هو عمر بن محمد بن عبد الله بن محمد شهاب الدين السهروردي صاحب «عوارف

---

(١) «روضات الجنات» للخوانساري (٣/ ٤٣٥).

(٢) **الطوسي**: نسبة إلى (طوس) وهي مدينة بخراسان بينها وبين نيسابور نحو عشرة فراسخ، ونُسب إليها كثير من العلماء ومنهم الغزالي وغيره. انظر «معجم البلدان» (٣/ ٢٧٢).

(٣) انظر ترجمته في «البداية والنهاية» (١٣/ ٢٧٦)، و«شذرات الذهب» (٥/ ٤٨٣).

(٤) (٢/ ٢٦٧).

(٥) **سهرورد**: بلدة قريبة من زنجان الجبال خرج منها جماعة من الصالحين والعلماء. انظر «معجم البلدان» (٣/ ٩٩).

المعارف» ولد في رجب سنة (٥٣٩) بسهرورد، وقدم بغداد وأخذ العلم عن كثير من شيوخها، وكان فقيهاً فاضلاً صوفيًّا زاهداً، عقد مجالس للوعظ بمدرسة عمه على دجلة، ثم أضر في آخر عمره وتوفي مستهل المحرم في بغداد سنة (٦٣٢هـ)[١].

وبهذا يعلم عدم مصاحبته للبيضاوي، ولم تشر المصادر إلى لقاء أحدهم بالآخر.

٣ـ تلاميذه:

قضى البيضاوي حياته بالتدريس والتأليف شأنه شأن العلماء في إلقاء الدروس على طلبة العلم من شتى الأقطار، لا سيما وشيراز كانت مركز الثقافات والعلوم المتنوعة وأخذ عنه العلم تلاميذه الذين اهتموا بكتبه ونشر علمه من بعده ومن هؤلاء التلاميذ:

١- فخر الدين الجاربردي:

هو فخر الدين أحمد بن الحسن بن يوسف، الإمام الجاربردي الشافعي نزيل تبريز أحد شيوخ العلم المشهورين، أخذ عن القاضي ناصر الدين البيضاوي وشرح منهاجه، و«الحاوي الصغير» ولم يكمله وشرح «تصريف ابن الحاجب» وله على «الكشاف» حواشي مفيدة.

قال ابن السبكي كان إماماً فاضلاً ديِّناً وقوراً مواظباً على الاشتغال بالعلم وجده يوسف أحد شيوخ العلم المشهورين.

توفي الجاربردي في تبريز في شهر رمضان سنة (٧٤٦هـ)[٢].

٢- زين الدين الهنكي:

لم أعثر له على ترجمة ولكن ذكره ابن السبكي في ترجمته لعضد الدين الإيجي[٣] قال: «إنه

---

(١) انظر ترجمته: «طبقات الشافعية الكبرى» (٥/ ١٤٣)، و«شذرات الذهب» (٥/ ٢٦١)، و«البداية (١٣/ ١٣٨-١٤٣)، و«معجم البلدان» (٣/ ٩٩).

(٢) انظر ترجمته في «طبقات الشافعية الكبرى» لابن السبكي (٥/ ١٦٩)، و«الشذرات» (٦/ ٣٢٧).

(٣) **الإيجي**: هو عبد الرحمن بن أحمد بن عبد الغفار ولد بأيج من نواحي شيراز سنة (٦٨٠هـ) قاضي القضاة عضد الدين الشيرازي -له- المواقف، شرح «مختصر ابن الحاجب» وغيرها، توفي مسجوناً بقلعة (دريمان) سنة

اشتغل على الشيخ تاج الدين الهنكي تلميذ القاضي ناصر الدين البيضاوي»[1].

وكذلك ذكره ابن حجر في «الدرر الكامنة»[2] في ترجمة الإيجي.

٣- جمال الدين الكسائي:

«هو جمال الدين محمد بن أبي بكر بن محمد ... كان من علماء المشايخ بشيراز تتلمذ على القاضي إمام الدين البيضاوي... وله تصانيف فائقة منها كتاب «نور الهدى في شرح مصابيح الدجى»، وكتاب «النجم في الأصول»، و«سير القرائح في الأحاجي»، وغيرها، كان يعظ الناس ويدعوهم إلى الله سنين، ومرقده خلف درب كازرون في رباط»[3].

٤- روح الدين الطيار:

«هو الشيخ روح الدين ابن الشيخ جلال الدين الطيار تلقّى العلم على البيضاوي وشرح كتابه «المصابيح» شرحاً وافياً وصنّف كتاباً في الكلام، توفي سنة نيف وتسعمائة ودفن بجوار والده الشيخ جلال الدين -رحمة الله عليهم أجمعين-»[4].

٥- المراغي: هو عمر ابن الياس ابن يونس المراغي ، ولد بأذربيجان سنة (٦٤٣هـ) أقام بمصر خمس عشره سنه ، وذكر ابن حجر عن شيخه البدر النابلسي- أن المراغي سمع على القاضي ناصر الدين البيضاوي المنهاج والغاية القصوى والطوالع [5]

(٧٥٦هـ)، انظر «طبقات الشافعية» (٦/ ١٠٨).

(١) «طبقات الشافعية» (٦/ ١٠٨).

(٢) «الدرر» (٢/ ١٣٢).

(٣) انظر «البيضاوي ومنهجه في التفسير» (ص٢١).

(٤) نفس المرجع السابق، نفس الصفحة.

(٥) الدرر الكامنة ص(٣/ ٢٣٢)

٤ـ مؤلفاته:

تعددت مؤلفات البيضاوي، وتنوعت شأنه في ذلك شأن كثير من العلماء الذين لا يقتصرون على علم واحد، والناظر إلى مؤلفات البيضاوي يجد هذا واضحاً من مصنفاته المختلفة في مجالات العلوم فألف في أصول الدين، وأصول الفقه، وفي الفقه والتفسير، والحديث، والعربية، والتاريخ وغيرها.

وكتب التراجم قد ذكرت الكثير من مؤلفاته ولكن لم تذكر لنا تاريخ تأليفها ولهذا سوف نذكر هذه المؤلفات حسب موضوعاتها:

أولاً: في أصول الدين:

صنّف البيضاوي في هذا المجال أربعة كتب قد ذكرها من ترجم له.

١- طوالع الأنوار من مطالع الأنظار:

وكتاب «الطوالع» قد ذكره البيضاوي في «تفسيره»، وأحال عليه عند تكلمه عن الملائكة من سورة البقرة[1].

وقد ذكره كل من ترجم له، وهو مصنف في علم الكلام قال عنه السبكي في «الطبقات الكبرى»: «أنه أجل مختصر في علم الكلام»[2].

وهذا الكتاب توجد له عدة نسخ مخطوطة بدار الكتب المصرية، وغيرها من مكتبات العالم، وهو مطبوع ومتداول طبع بمطبعة المؤيد بمصر سنة (١١٢٣هـ)، وطبع بالمطبعة الخيرية بالقاهرة سنة (١٣٣٩هـ)، وطبع بدار الجيل ببيروت طبعة أولى سنة (١٤١١هـ).

واعتنى به العلماء كثيراً وشرحوه ومن هذه الشروح:

(١) «أنوار التنزيل» (١/ ٥٤).

(٢) (ص٥/ ٥٩).

- شرح الأصفهاني المتوفى سنة (٧٤٩هـ)بعُنوان: «مطالع الأنظار على طوالع الأنوار» وله عدة نسخ وهو مطبوع.

- وشرح البري الفرغاني المتوفى سنة (٧٤٣هـ) بعنوان «شرح الطوالع».

وتوجد له عدة نسخ بدار الكتب المصرية برقم (١٨٧٨ -علم الكلام).

- ومنها شرح الدواني المتوفى سنة (٩٢٨هـ) واقتصر على شرح خطبة الكتاب وله نسخ بدار الكتب المصرية بعنوان «شرح خطبة الطوالع» برقم (١٥٢ -م/ مجاميع) وغيرها من الشروح[(١)].

وكتاب «الطوالع» قد رتب مصنفه على مقدمة وثلاثة كتب والمقدمة تتعلق بمباحث النظر وفيها أربعة فصول:

١ - في المبادئ.

٢ - في الأقوال والشروح.

٣ - في الحجج.

٤ - في أحكام النظر.

والكتاب الأول في الممكنات ويشمل ثلاثة أبواب هي:

١ - في الأمور الكلية.

٢ - في الأعراض.

٣ - في الجواهر.

والكتاب الثاني في الإلهيات ويشمل ثلاثة أبواب هي:

١ - في ذات الله -تعالى-.

---

(١) انظر هذه الشروح في «كشف الظنون» (٢/ ١١١٦)، و«مقدمة الطوالع» (ص٢٢).



٢ - صفاته -تعالى-.

٣- في أفعاله -تعالى-.

والكتاب الثالث في النبوات ويشمل ثلاثة أبواب هي:

١ - في النبوة.

٢- في الحشر والجزاء.

٣- في الإمامة.

٢- الإيضاح:

نسبه إلى المصنف كل من: الصفدي[١] والسيوطي[٢] والداودي[٣] والقونوي[٤] ولم أجد في المصادر عنه شيء سوى اسمه وأنه في أصول الدين.

٣- مصباح الأرواح:

ذكره البيضاوي في كتابه «المنهاج» عند ذكره للحسن والقبح العقليين[٥].

ونسبه للمصنف كل من: السبكي[٦] وطاش كبرى زادة[٧] وابن العماد[٨] وقال حاجي خليفة: «إنه مرتب على مقدمة وثلاثة كتب، وشرحه القاضي عبيد الله العبيدي[٩] بقال

(١) «الوافي بالوفيات» (١٧/ ٢٠٦).

(٢) «بغية الوعاة» (٢/ ٥٠).

(٣) «طبقات المفسرين» (١/ ٢٤٢).

(٤) «حاشية على التفسير» (١/ ٣).

(٥) «نهاية السول في شرح منهاج الأصول» للأسنوي (١/ ١٢٣).

(٦) «طبقات الشافعية الكبرى» (٥/ ٥٩).

(٧) «مفتاح السعادة» (٢/ ١٠٣).

(٨) «شذرات الذهب» (٦/ ٥٣).

(٩) **العبيدي**: هو المعروف بالعبدي الفرغاني، وهو برهان الدين عبيد الله بن محمد الشريف برهان الدين

أقول...»[1].

٤- منتهى المنى في شرح أسماء الله الحسنى:

ذكره البيضاوي في «تفسيره» في آخر سورة الحشر وأحال عليه لمن أراد الاستزادة من شرح الأسماء الحسنى، فقال: «ومن أراد الإطناب في شرح هذه الأسماء وأخواتها فعليه بكتابي المسمّى بمنتهى المنى»[2]، وذكره حاجي خليفة[3]، ولم أجد هذا الكتاب.

ثانياً: في أصول الفقه:

صنّف البيضاوي العديد من الكتب في أصول الفقه والذي وجدته في المصادر هي:

١- منهاج الوصول إلى علم الأصول:

نسبه للمصنف كل من ترجم له، وهذا الكتاب انتشر انتشاراً واسعاً واهتم به العلماء ودرسوه وقاموا بشرحه والتعليق عليه.

حتى بلغت شروحه أكثر من (٣٤) شرحاً غير الحواشي والتعليقات[4].

ومنها شرح العبدي[5] وشرح الأسنوي[6] «نهاية السول شرح منهاج الوصول إلى علم

الحسيني الشافعي الفرغاني قاضي تبريز كان جامعاً لعلوم الأصلين والمعقولات بشرح كتب البيضاوي: «المنهاج»، و«الغاية القصوى»، و«المصباح»، و«المطالع»، توفي في رجب أو في ذي الحجة سنة (٧٤٣هـ). انظر شذرات الذهب» لابن العماد (٦/ ٣١٧).

(١) «كشف المظنون» (٢/ ١٧٠٤).

(٢) «أنوار التنزيل» (٢/ ١٠٦١).

(٣) «كشف الظنون» (٢/ ٥٠، ٥٤٢).

(٤) انظر هذه الشروح في «كشف الظنون» (٢/ ٥٥٤)، و«القاضي ناصر الدين وأثره في أصول الفقه» (ص٣٣٣).

(٥) تقدمت ترجمته.

(٦) **الأسنوي**: هو جمال الدين أبو محمد عبد الرحيم بن الحسن بن علي بن عمر القرشي الأموي المصري الشافعي ولد بأسنا في رجب سنة (٧٠٤هـ)، وقدم القاهرة واشتغل بالعلوم. له: «الكوكب الدري»، و«طبقات



الأصول».

ولأهمية «المنهاج» و«شرحه» للأسنوي جعل من الكتب المقررة في الدراسات الشرعية في أكثر جامعات العالم الإسلامي.

والمنهاج له عدة نسخ خطية بدار الكتب المصرية ومعهد المخطوطات العربية ومكتبة الأزهر وطبع عدة مرات.

٢- شرح المنهاج:

نسبه إلى المصنف الصفدي[١] والداودي[٢] والقونوي[٣]والبيضاوي جعل كتابه هذا شرحاً لكتابه «منهاج الوصول إلى علم الأصول».

٣- شرح المحصول من علم الأصول للرازي:

كتاب المحصول للرازي، شرحه البيضاوي وسماه «شرح المحصول» ذكره ابن كثير[٤].

٤- شرح منتخب المحصول في الأصول للرازي:

«منتخب المحصول» مصنف للرازي انتخبه من كتابه السابق «المحصول»، وشرحه البيضاوي.

وذكره للبيضاوي كل من الصفدي[٥] والسيوطي[٦] وابن كثير[٧]

الشافعية»، وغيرها. توفي سنة (٧٧٢هـ) بمصر. انظر «الشذرات» (٦/ ٤٢٢).

(١) «الوافي بالوفيات» (١٧/ ٢٠٦).

(٢) «طبقات المفسرين» (١/ ٢٤٢).

(٣) حاشيته على «تفسير البيضاوي» (١/ ٣).

(٤) «البداية والنهاية» (١٣/ ٣٥٦).

(٥) (١٧/ ٢٠٦).

(٦) «بغية الوعاة» (٢/ ٥٠).

(٧) نفس المرجع السابق، نفس الصفحة.

والداودي[1] والقونوي[2].

٥- مرصاد الأفهام إلى مبادئ الأحكام:

هذا الكتاب هو شرح لمختصر ابن الحاجب[3] المسمى «مختصر المنتهى» الذي اهتم به العلماء وشرحوه ومنهم البيضاوي شرحه في هذا الكتاب.

و«مرصاد الأفهام» قد ذكره البيضاوي في «تفسيره»[4].

وممن نسبه إليه الصفدي[5] والسيوطي[6] والداودي[7] والقونوي[8] وحاجي خليفة وقال: وقال: «إن أوله الحمد لله الذي هدانا إلى مناهج الحق»[9].

---

(١) نفس المرجع السابق، نفس الصفحة.

(٢) نفس المرجع السابق، نفس الصفحة.

(٣) **ابن الحاجب** هو أبو عمرو بن عمر بن أبي بكر الكردي الأسنائي وُلد بأسنا وهي بلدة بصعيد مصر في أواخر سنة (٥٧٠هـ) وكان والده حاجباً للأمير عز الدين موسك الصلاحي واشتغل بالقراءات على الشاطبي وغيره، واشتغل بالفقه المالكي، وكان محبًّا للعزّ بن عبد السلام، وحُبس معه، وانتقل إلى دمشق، ثم عاد للقاهرة، وانتقل إلى الإسكندرية، وتوفي بها نهار الخميس السادس عشر من شوال سنة (٦٤٦هـ).

انظر «الشذرات» لابن العماد (٥/ ٣٦٠).

(٤) «أنوار التنزيل» (١/ ٢٤٠).

(٥) «الوافي بالوفيات» (١٧/ ٢٠٦).

(٦) «بغية الوعاة» (٢/ ٥٠).

(٧) «طبقات المفسرين» (١/ ٢٤٢).

(٨) حاشيته على «تفسير البيضاوي» (١/ ٣)

(٩) «كشف الظنون» (٢/ ٥٣٩).

ثالثاً: مؤلفاته في الفقه:

١- الغاية القصوى في دراية الفتوى:

نسبه إليه الصفدي(١) والسيوطي(٢) وابن كثير(٣) والسبكي(٤) والداودي(٥) وابن العماد(٦) العماد(٦) وحاجي خليفة وقال عنه «وهو كتاب معتبر اعتنى به الفقهاء فشرحوه...»(٧).

وذكر له عدة شروح وهذا يدل على انتشاره وتداوله بين العلماء وله عدة نسخ في المكتبات العامة للعالم الإسلامي وهو مطبوع ومتداول.

٢- شرح التنبيه:

والتنبيه لأبي إسحاق الشيرازي(٨) شرحه البيضاوي في أربع مجلدات ذكر ذلك ابن كثير والبستاني(٩).

رابعاً: مؤلفاته في العربية:

ألّف البيضاوي في اللغة العربية مؤلّفان هما:

---

(١) انظر «الوافي بالوفيات» (١٧/ ٢٠٦)،

(٢) «بغية الوعاة» (٢/ ٥٠).

(٣) «البداية والنهاية» (١٣/ ٣٥٦).

(٤)«طبقات الشافعية الكبرى» (٨/ ١٥٧).

(٥) «طبقات المفسرين» (١/ ٣٤٢).

(٦) «شذرات الذهب» (٥/ ٣٩٢).

(٧) «كشف الظنون» (٢/ ١١٩٢).

(٨) **أبو إسحاق الشيرازي:** هو إبراهيم بن علي بن يوسف الفيروزآبادي ولد بفيروزآباد بُليدة بفارس سنة (٣٩٣هـ) وتوفي سنة (٤٧٦هـ) وله: «التنبيه»، «المهذبات في الفقه»، و«النكت في الخلاف»، و«اللمع» و«شرحه»، و«التبصرة في أصول الفقه»، و«الملخص»، و«المعونة في الجدل»، و«طبقات الفقهاء»، و«نصح أهل العلم» وغيرها.

انظر «الطبقات الكبرى» للسبكي (٣/ ٨٨)، و«شذرات الذهب» (٤/ ٤٥).

(٩) «دائرة المعارف» للبستاني (٥/ ٧٦٩).

١- لب الألباب:

وهو مختصر الكافية لابن الحاجب[١] في النحو اختصرها السخاوي في مصنف وسماه «لـب «لب الألباب» ونسبه إليه كل من: القونوي[٢]، والزركلي[٣] وهو عنده باسـم «اللبـاب في علـم الإعراب» وكذلك حاجي خليفة وقال: «إنه «مختصر الكافية»للبيضاوي وهو منطوٍ على فوائـد جليلة وتكفل بغرائب النحو...»[٤] واهتم به العلماء فشرحوه وقد ذكر له عدة شروح أشـهرها شرح محمد بن بير علي المعروف ببيركلي المتوفى سنة (٦٨١هـ) وسماه «امتحان الأذكياء».

٢- شرح الكافية:

اختصر البيضاوي «الكافية» في «لـب الألبـاب» وشرحهـا أيضـاً ذكـر ذلـك الصـفدي[٥] والسيوطي[٦] والداودي[٧] وعند ابن كثير[٨] «شرح الكافية في المنطق».

خامساً: **مؤلفاته في الحديث**:

ألّف البيضاوي في الحديث شرحاً للمصابيح وكتاب «مصابيح السـنة» للإمـام البغـوي[٩] -رحمه الله- اشتهر واهتم به العلماء وشرحوه ومنهم البيضاوي.

---

(١) ابن الحاجب تقدمت ترجمته.

(٢) في حاشيته على «تفسير البيضاوي» (١/ ٣).

(٣) «الأعلام» (٤/ ١١٠).

(٤) «كشف الظنون» (١/ ١٦٢).

(٥) «الوافي بالوفيات» (١٧/ ٢٠٦).

(٦) «بغية الوعاة» (٢/ ٥٠).

(٧) «طبقات المفسرين» (١/ ٢٤٢).

(٨) «البداية والنهاية» (١٣/ ٣٥٦).

(٩) **البغوي**هو الحسين بن مسعود الفرّاء أبو محمد الملقب محيي السنة مفسر محدث فقيه شافعي من مصـنفاته «معالم التنزيل» في التفسير «شرح السنة»، و«المصابيح»، توفي بمرو الروذ في شوال سنة (٥١٦هـ).
انظر «الطبقات الكبرى للسبكي» (٤/ ٢١٤).

الذي شرحه في مصنف سماه «تحفة الأبرار» وقد ذكره في «تفسيره»[1].

ونسبه إليه كل من السبكي[2] والقونوي[3] والداودي[4] واليافعي[5] وحاجي خليفة[6].

سادساً: مؤلفاته في التفسير:

ألّف في تفسير القرآن كتاباً سماه «أنوار التنزيل وأسرار التأويل» إليه جُل مَن ترجم له وقد اعتمد في تأليفه على ثلاث كتب: «الكشاف» للزمخشري[7]، و«التفسير الكبير» للرازي[8]، للرازي[8]، «مفاتيح الغيب»، و«تفسير الراغب الأصفهاني»[9]، وقد انتشر تفسيره هذا في العالم العالم الإسلامي وحظي بالاهتمام من العلماء فعكفوا عليه بالدرس والتحشية والتعليقات، وقد ذكر حاجي خليفة عدة حواشي وتعليقات وسوف أتكلم عن هذا التفسير فيما بعد بشيء

(١) «أنوار التنزيل» (١/ ٢٦٨).

(٢) «طبقات الشافعية الكبرى» (٨/ ١٥٧).

(٣) حاشيته على «التفسير» (١/ ٣).

(٤) «طبقات المفسرين» (١/ ٢٤٢).

(٥) «مرآة الجنان» (٤/ ٢٢٠).

(٦) «كشف الظنون» (٢/ ٤٤٢).

(٧) **الزمخشري**: هو أبو القاسم محمود بن عمر بن محمد الخوارزمي النحوي اللغوي المفسر المعتزلي، ومن مصنفاته: «الكشاف» في التفسير، و«الفائق»، و«أساس البلاغة» وغيرها، ولد بزمخشر سنة (٤١٧هـ)، وتوفي بخوارزم سنة (٥٣٨هـ).

انظر «الشذرات» (٤/ ٢٨١).

(٨) **الرازي**: هومحمدبن عمربن حسين القرشي الطبرستاني الأصل.كان والده ضياءالدين خطيب الري،ولهذالقب بابن الخطيب وهومتكلم أشعري مشهوروشافعي المذهب ولدسنة(٥٤٤هـ)وله مصنفات كثيرة في شتى العلوم منها تفسيره"مفاتيح الغيب"و"المحصول"و"المنتخب"و"نهاية العقول"وغيرها.وكانت وفاته سنة(٦٠٦هـ) انظرترجمته في السيرص(٢١/ ٥٠٠)والشذرات ص(٥/ ٩٣)

(٩) **الراغب الأصفهاني**: هو الحسين بن محمد بن المفضل أبو القاسم الأصفهاني، عالم أديب سكن بغداد واشتهر، من مؤلفاته في التفسير «جامع التفسير»، وله «محاضرات الأدباء»، و«الذريعة إلى مكارم الشريعة»، و«الأخلاق»، و«المفردات في غريب القرآن»، و«حل متشابهات القرآن»، توفي سنة (٥٠٢هـ).

انظر ترجمته «بغية الوعاة» للسيوطي (٢/ ٢٩٧)، و«الأعلام» للزركلي (٢/ ٢٥٥).

من التفصيل.

سابعاً: مؤلفاته في التاريخ:

البيضاوي -رحمه الله- لم يترك هذا الفن بل كتب فيه مؤلّفاً سماه: «نظام التواريخ» إلا أنه في هذا التأليف لم يكتبه باللغة العربية كسائر كتبه الأخرى بل كتبه بلغته الفارسية، وممن ذكره ضمن مؤلفاته: القونوي[1] والشهاب الخفاجي[2] والزركلي[3] وبروكلمان وقال عنه: «وكتب البيضاوي أيضاً تاريخاً للعالم باللغة الفارسية من عهد آدم حتى سنة (٦٧٤هـ) (١٢٧٥م) واسم هذا المصنف نظام التواريخ» وهناك مخطوط محفوظ بين المخطوطات الشرقية بـ(هامبورج) تحت رقم (١٨٧) تضمن بعد بدايته تاريخ الصين المأخوذ من كتاب «تاريخ العالم لرشيد الدين ولذلك فقد طبع هذا المخطوط ونسب خطأ إلى البيضاوي»[4].

وقال حاجي خليفة: «أوله الحمد لله ذي العظمة والكبرياء» ذكر فيه الأنبياء والخلفاء والأموية والعباسية ثم الصفارية والسامانية والغزنوية والديالمة والسلجوقية والسلفرية والخوارزمية والمغولية»[5].

ثامناً: مؤلفاته في المنطق:

وعلم المنطق أحد العلوم اليونانية ترجمت إلى اللغة العربية على يد فلاسفة الإسلام وكثرت حوله البحوث وممن ألف فيه الأرموي[6] في مصنف «سماه مطالع الأنوار في المنطق

(١) حاشيته على «التفسير» (١/ ٣).

(٢) نفس المرجع السابق، نفس الصفحة.

(٣) الأعلام (٤/ ١١٠).

(٤) «دائرة المعارف الإسلامية» لبروكلمان (٤/ ٤١٩).

(٥) «كشف الظنون» (٢/ ١٩٥٩).

(٦) **الأرموي**: هو سراج الدين محمود بن أبي بكر بن أحمد الأرموي أبو الثناء الشافعي صاحب «التحصيل»، «مختصر المحصول في أصول الفقه، و«اللباب»، و«مختصر الأربعين» في أصول الدين، و«البيان»، و«المطالع» في المنطق، كان مولده سنة (٥٩٤هـ)، وتوفي سنة (٦٨٢هـ) بمدينة قونية (القيروان) الآن.

انظر «طبقات الشافعية الكبرى» للسبكي (٥/ ٥٥).

والحكمة» وهذا الكتاب شرحه الكثير ومن العلماء وممن شرحه البيضاوي في مؤلف سماه «شرح المطالع»، نسبه إليه الصفدي[1] والسيوطي[2] والداودي[3].

تاسعاً: مؤلفاته في الهيئة والفلك:

ألّف البيضاوي في هذا الفن كتابين هما:

١- شرح الفصول لنصير الدين الطوسي:

نسبه إليه إسماعيل البغدادي في هدية العارفين[4].

٢- مختصر في الهيئة:

نسبه إليه القونوي في حاشيته على «تفسير البيضاوي»[5].

عاشراً: مؤلفاته في العلوم والفنون العامة:

صنف البيضاوي كتاب أو رسالة في العلوم العامة سماها «موضوعات العلوم وتعريفها» أو «رسالة في موضوعات العلوم وتعريفها».

نسبه إليه كل من البغدادي[6] والزركلي[7] وذكر أنه مخطوط.

وتوجد منه نسخة بدار الكتب المصرية برقم (٣٨٤) مجاميع في أربع ورقات تذكر علم الأدب وفروعه، وعلم النواميس وفروعه، والعلم الطبيعي وفروعه، وعلم الهندسة وفروعه، وعلم الموسيقى، وعلم الأخلاق، وعلم الحساب.

---

(١) «الوافي بالوفيات» (١٧-٢٠٦).

(٢) «بغية الوعاة» (٢/ ٥٠).

(٣) «طبقات المفسرين» (١/ ٢٤٢).

(٤) «هدية العارفين» (١/ ٤٦٢).

(٥) «الحاشية» (١/ ٣).

(٦) «هدية العارفين» (١/ ٤٦٢).

(٧) «الأعلام» (٤/ ١١٠).

حادي عشر: **مؤلفاته في التصوف**:

ألف فيه «التهذيب والأخلاق» نسبه له: البستاني[1].

ثاني عشر: **المؤلفات المنسوبة إلى البيضاوي خطأً**:

نُسبت إلى البيضاوي ثلاثة كتب ليست له وذلك للاشتراك في النسبة بينه وبين مصنفها أبو بكر البيضاوي وهذه الكتب هي:

١- الإرشاد في الفقه:

نسبه إلى ناصر الدين البيضاوي ابن شاكر الكتبي في «عيون التواريخ»[2].

إلا أن ابن السبكي قال: «وله أيضاً على ما ذكر ابن الصلاح (يعني أبو بكر البيضاوي[3]) كتاب (الإرشاد في شرح كفاية الصيمري)»[4].

فهذا الكتاب لأبي بكر البيضاوي ونسب خطأ إلى ناصر الدين البيضاوي للاشترك في النسبة بينهما.

٢- التبصرة في الفقه:

نسبه إلى ناصر الدين البيضاوي ابن شاكر الكتبي في «عيون التواريخ»[5] وذكر ابن السبكي أن «التبصرة في الفقه» لأبي بكر البيضاوي وأنه وقف عليه بقوله: «وأبو بكر هذا هو مصنف (التبصرة في الفقه) مختصرة عندي»[6].

(١) «دائرة المعارف» (٥/ ٧٦٩).

(٢) انظر الغايه القصوى (١ / ٩٥)نقلاً عن المصدر الاصلي

(٣) تقدمت ترجمته في المشاركين للمصنف في النسبة ص(١٧).

(٤) «الطبقات الكبرى» (٣/ ٣٩).

(٥) «الغاية القصوى في دراية الفتوى» (١/ ٩٥) نقلاً عن المصدر الأصلي.

(٦) «الطبقات الكبرى» (٣/ ٣٩).

٣- التذكرة في الفروع:

نسبه إلى ناصر الدين البيضاوي إسماعيل البغدادي[١] وحاجي خليفة بقوله: «تذكرة في الفروع على مذهب الشافعي لسراج الدين ابن الملقن... ويقال إن الإمام البيضاوي المفسر تذكرة عليه»[٢].

إلاّ أن ابن السبكي قد بين أن هذا المؤلّف لأبي بكر وأنه عنده في مجلدين فقال: «وأبو بكر هذا هو مصنِّف (التبصرة في الفقه) مختصر هو عندي وله عليه كتابان، أحدهما: (الأدلة في تعليل مسائل التبصرة) ذكر ابن الصلاح أنه وقف عليه، والثاني: (التذكرة في شرح التبصرة) وقفت أنا عليه وهو في مجلدين»[٣].

فتبين من كلامه أنّ أبا بكر قد صنّف «التبصرة في الفقه» وشرحه في كتابين هما: «الأدلة في تعليل مسائل التبصرة» الذي وقف عليه ابن الصلاح، والآخر: هو كتاب «التذكرة في شرح التبصرة» الذي وقف عليه ابن السبكي وقال إنه في مجلدين.

وبهذا تكون الكتب الثلاثة: «الإرشاد» و«التبصرة» و«التذكرة» كلها لأبي بكر البيضاوي نسبت إلى ناصر الدين البيضاوي خطأً وسهو لاشتراكهما في النسبة.

ثالث عشر: تولّيه لمنصب القضاء:

ذكرت المصادر أن ناصر الدين البيضاوي -رحمه الله قد تولى قاضي القضاة بشيراز، كما تولى هذا المنصب والده وجده من قبل، إلا أن المصادر لم تشر من بعيد أو قريب على تاريخ تولِّيه للقضاء، إلا أنها أشارت أنه تولى القضاء بعد عزل القاضي إسماعيل الشيرازي[٤] ثم أعيد

---

(١) «هدية العارفين» (١/ ٣٦٢).

(٢) «كشف الظنون» (١/ ٣٩٢).

(٣) «الطبقات الكبرى» (٣/ ٣٩).

(٤) **فخر الدين الشيرازي**: هو قاضي القضاة فخر الدين أبو إبرااهيم إسماعيل بن يحيى بن إسماعيل بن محمود التميمي الشيرازي الشافعي، ولي القضاء بفارس وهو ابن خمس عشرة سنة وعزل بعد مدة بالقاضي ناصر الدين البيضاوي ثم أُعيد بعد ستة أشهر وعزل ناصر الدين واستمر مجد الدين على القضاء خمساً وسبعين سنة، ألّف:

أعيد الشيرازي للقضاء بعد ستة أشهر وعزل ناصر الدين البيضاوي.

والروايات في تولِّيه للقضاء قد اختلفت فرواية تقول أنه رحل إلى تبريز طلباً للقضاء فأعطي طلبه على الفور ورواية أخرى تقول أنه مكث مدة حتى استشفع بالشيخ محمد الكتحتائي في تولِّيه للقضاء إلاّ أنه زهد فيها بعد وتفرّغ للعبادة والعلم والتأليف وملازمة شيخه، فنُورِدُ هاتين الروايتين:

١ - **الرواية الأولى**: عند ابن السبكي حيث قال: «ولي قضاء القضاة بشيراز ودخل تبريز وناظر بها وصادف دخوله إليها مجلس درس قد عقد بها لبعض الفضلاء فجلس القاضي ناصر الدين في أخريات القوم بحيث لم يعلم به أحدفذكر المدرس نكتة زعم أن أحداً من الحاضرين لا يقدر على جوابها وطلب من القوم حلّها والجواب عنها فإن لم يقدروا فالحل فقط فإن لم يقدروا فإعادتها فلما انتهى من ذكرها شرع القاضي ناصر الدين في الجواب فقال له لا أسمع حتى أعلم أنك فهمتها فخيّره بين إعادتها بلفظها أو معناها فبُهت المدرس، وقال أعدها بلفظها فأعادها ثم حلّها وبيّن أن في تركيبه إياها خللاً ثم أجاب عنها وقابلها في الحال بمثلها ودعا المدرس إلى حلّها فتعذّر عليه ذلك فأقامه الوزير من مجلسه وأدناه إلى جانبه وسأله من أنت فأخبره أنه البيضاوي وأنه جاء في طلب القضاء بشيراز فأكرمه وخلع عليه في يومه وردّه وقد قضى حاجته»[1].

٢ - **الرواية الثانية**: أوردها حاجي خليفة بقوله: «وقيل إنه طالت مدة ملازمته فاستشفع من الشيخ محمد بن محمد الكتحتائي فلما أتاه على عادته قال إن هذا الرجل عالم فاضل يريد الاشتراك مع الأمير في السعير يعني أنه يطلب منكم مقدار سجادة في النار وهي مجلس الحكم فتأثر الإمام البيضاوي من كلامه وترك المناصب الدنيوية ولازم الشيخ إلى أن مات وصنف

«الفرائض الركنية» في الفقه، و«شرح مختصر ابن الحاجب»، و«مختصر في الكلام»، وكان مولده سنة (٦٦٢هـ)، وتوفي بشيراز سنة (٧٥٦هـ).

انظر «الطبقات الكبرى (٦/ ٨٣)، و«الشذرات» (٦/ ٣٦٧).

(١) «الطبقات الكبرى» (٥/ ٥٩).

التفسير بإشارة من شيخه ولما مات دفن عند قبره»[1].

وقصة رحلته إلى تبريز وطلب القضاء عند السبكي تدل على أنه تولى قضاء شيراز ثم بعد عزله بمجد الدين رحل إلى تبريز وطلب القضاء فأجيب إلى طلبه والقصة الأخرى تدل أن مدته طالت حتى استشفع بشيخه ولكنه تأثر من كلامه وترك المناصب الدنيوية زهداً ولازم شيخه إلى أن توفي ومجموع القصتين يدل على أن البيضاوي قد رحل إلى تبريز أكثر من مرة وكما ذكرنا أن ليس هناك تاريخ يبين لنا متى كانت هذه الرحلة، ومتى كان توليه للقضاء، إلا أن المؤكد أنه تولى القضاء بشيراز.

(١) «كشف الظنون» (١/ ١٨٦).

الفصل الثاني
منهجه في تقرير مسائل العقيدة

البيضاوي -رحمه الله- من كبار المتكلمين والمتأولين، وقد سار في منهجه في تقرير مسائل العقيدة على منهج المتكلمين بصفة عامة وعلى منهج الأشاعرة بصفة خاصة.

ويمكننا معرفة منهجه في إثبات المسائل العقدية في النقاط التالية مع ذكر مثال واحد تجنُّباً للإطالة والإعادة وتأتي أقواله في هذه المسائل والرد عليها فيما بعد في الباب الثاني.

أولاً: معرفة وجود الله:

والمعروف عند أهل السنة أن معرفة الله فطرة مركوزة في نفوس البشر، وأما عند المتكلمين فيرون أن معرفة الله لا تكون إلا بالنظر والاستدلال.

والبيضاوي -رحمه الله- يرى أن معرفة الله واجبة عنده بالشرع خلافاً للمعتزلة الذين يرون وجوبها بالعقل.

فقال في تفسيره للآية: ﴿خَلَقَ ٱلْإِنسَـٰنَ مِنْ عَلَقٍ﴾ [العلق:٢].

قال...: ولما كان أول الواجبات معرفة الله -سبحانه وتعالى- نزل أولاً ما يدل على وجوده وفرط قدرته وكمال حكمته»[1] وغيرها من النصوص تأتي في مكانها -إن شاء الله تعالى-.

ثانياً: في باب التوحيد:

البيضاوي سار في تعريفه للتوحيد على منهج المتكلمين الذين يرون معنى الواحد هو نفي التبعيض والتركيب والتعدد والتثنية ونفي الجسمية والجهة وغيرها من المصطلحات الكلامية.

فقال في قوله -تعالى-: ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾ [الإخلاص:١].

قال ....: «إذا الواحد الحقيقي ما يكون منزه الذات عن أنحاء التركيب والتعدد، وما

(١) «أنوار التنزيل» (٢/ ١١٦٣).

يستلزم أحدهما الجسمية والتحيز والمشاركة في الحقيقة وخواصـّ ها كوجوب الوجـود والقـدرة الذاتية والحكمة التامة المقتضية للألوهية»[1].

وهم يفسر ّ ون الواحد والتوحيد بما لـيس في الكتـاب والسـنة ولـيس هـذا توحيـد الرسـل الذي دعوا إليه وإنما هذه مصطلحات المتكلمين التي ابتدعوها في معنى الواحد والأحد.

ثالثاً: في توحيد الربوبية:

وإن كان البيضاوي في توحيد الربوبية يوافق السلف وأنه لا خالق ولا مـدبر ولا متصرـف لهذا الكون إلا الله -سبحانه وتعالى- إلاّ أنه سلك منهج المتكلمين وألفاظهم وأدلتهم.

فقال في تفسيره لقوله -تعالى-: ﴿رَبِّ ٱلْعَـٰلَمِينَ﴾ [الفاتحة:٢].

بعد تفسيره لمعنى الرب: «والعالم اسم لما يعلم به كالخاتم، والقالب، غلـب فـيما يعلـم بـه الصانع[2] -تعالى- وهو كل ما سواه من الجواهر[3] والأعراض[4] فإنها لإمكانهـا وافتقارهـا إلى مؤثر واجب لذاته[5] تدل على وجوده... إلى أن قال: وفيه دليـل عـلى أن الممكنـات[6] كـما هـي

---

(١) «أنوار التنزيل» (٢/ ١١٧٨).

(٢) **الصانع**: ليس من أسماء الله الحسنى ولكن يجوز الإخبار به عن الله -تعالى-.

(٣) **الجوهر**: ماهية إذا وجدت في الأعيان كانت لا في موضع وهو منحصر في خمسة: هيولي، وصورة، وجسم، ونفس، وعقل. والجوهر ما احتمل الأعراض.

انظر «التعريفات» للجرجاني (ص٧٠)، و«بيان تلبيس الجهمية» لابن تيمية (١/ ١٣٢).

(٤) **العرض**: هو الموجود الذي يحتاج في وجوده إلى موضع أي محل يقـوم بـه كـاللون المحتـاج في وجـوده إلى جسم يحله ويقوم به، أي: هو ما لا يقوم بنفسه وإنما يقوم بغيره.

انظر «التعريفات» (١٢٢)، و«بيان تلبيس الجهمية» (١/ ١٣٢).

(٥) **الواجب لذاته**: هو الموجود الذي يمتنع عدمه امتناعاً ليس الوجود له من غيره بل من نفس ذاته فإن كـان وجوب الوجود لذاته؛ سـُمـِّي واجباً لذاته، وإن كان لغيره سـُمـِّي واجباً لغيره.

انظر «التعريفات» (ص١٩٩).

(٦) **الممكنات**: هي التي لا تستحق بنفسها الوجود ولا يمتنع عليها العدم فلا تكون موجودة إلا بمرجح.

انظر «تلبيس الجهمية» (٢/ ٤٧٦)، و«التعريفات» (ص١٨٣).



مفتقرة إلى المحدث حال حدوثها فهي مفتقرة إلى المبقي حال بقائها»[1].

فهو هنا قد ذكر أدلة المتكلمين على وجود الله وهي دليل الحدوث ودليل الإمكان.

رابعاً: **توحيد الأسماء والصفات**:

المصنّف سار في توحيد الصفات على منهج الأشاعرة الذين يثبتون الصفات السبع فقط فهو يثبت هذه الصفات وهي القدرة، والإرادة، والحياة، والعلم، والكلام، والسمع، والبصر، وما عداها من الصفات الفعلية والخبرية فهو يقوم بتأويلها كالاستواء، والفوقية، والإتيان، والغضب، والرحمة، والوجه، والعين، واليد، وغيرها من الصفات التي تأتي في بابها في مبحث الصفات التي أثبتها والصفات التي أوّلها.

خامساً: **القرآن كلام الله**:

البيضاوي رغم أنه يثبت صفة الكلام لله ضمن الصفات السبع التي أثبتها وأن الله متكلم إلاّ أن معنى الكلام عنده هو الكلام القديم النفسي الذي ليس بحرف ولا صوت فهذا الكلام عنده غير مخلوق.

فقال في قوله -تعالى-: ﴿**وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُكَلِّمَهُ ٱللَّهُ إِلَّا وَحۡيًا أَوۡ مِن وَرَآيِٕ حِجَابٍ أَوۡ يُرۡسِلَ رَسُولٗا فَيُوحِيَ بِإِذۡنِهِۦ مَا يَشَآءُۚ إِنَّهُۥ عَلِيٌّ حَكِيمٞ**﴾ [الشورى:٥١].

﴿أن يكلمه إلا وحياً﴾ قال: كلاماً خفيًّا يدرك لأنه بسرعة تمثيل ليس في ذاته مركباً من حروف مقطعة تتوقف على تموجات متعاقبة...»[2].

وغيرها من النصوص التي تؤكد أن الكلام عنده هو الكلام القديم النفسي بلا حرف ولا صوت وهو منزل غير مخلوق وتأتي باقي نصوصه في هذا في مكانها من الباب الثاني -إن شاء الله-.

(١) «أنوار التنزيل» (١/ ١٤).

(٢) «أنوار التنزيل» (١/ ٩٥٢).

وهو بهذا يلتقي مع سلفه الأشاعرة الذين يرون الكلام النفسي- أنه غير مخلوق خلافاً للمعتزلة وأما الكلام المتكون من الحروف والألفاظ فهم متفقون مع المعتزلة أنه مخلوق.

سادساً: الرؤية:

والبيضاوي وإن أثبت الرؤية وأنها ممكنة في الآخرة كما جاءت بها النصوص إلاّ أنه يرى أنها لا تكون مقابلة ولا في جهة شأنه في ذلك شأن الأشاعرة وهذا من تناقضاتهم إذ كيف يرى بلا جهة ولا مقابلة.

فقال في قوله -تعالى-: ﴿ وَإِذْ قُلْتُمْ يَٰمُوسَىٰ لَن نُّؤْمِنَ لَكَ حَتَّىٰ نَرَى ٱللَّهَ جَهْرَةً فَأَخَذَتْكُمُ ٱلصَّٰعِقَةُ وَأَنتُمْ تَنظُرُونَ ﴾ [البقرة:٥٥].

فقال: «لفرط العناد والتعنّت وطلب المستحيل فإنهم ظنُّوا أنه تعالى يشبه الأجسام فطلبوا رؤيته رؤية الأجسام في الجهات والأحياز المقابلة للرائي وهي محال، بل الممكن أن يرى رؤية منزهة عن الكيفية، وذلك للمؤمنين في الآخرة ولأفراد من الأنبياء في بعض الأحوال في الدنيا[(١)]»[(٢)].

سابعاً: في باب الإيمان:

الإيمان عند البيضاوي -رحمه الله- هو التصديق القلبي فقط وأن الأعمال خارجة عن مسمى الإيمان لأنها معطوفة عليه، والعطف يقتضي التغاير، وهذا هو مذهب الأشاعرة، الذين هم مرجئة في الإيمان، بل ويرى أن الإيمان القلبي كافٍ في استحقاق المغفرة.

فقال في قوله -تعالى-: ﴿ ٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِٱلْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴾ [البقرة:٣].

قال: «والإيمان في اللغة عبارة عن التصديق مأخوذ من الأمن... وأما في الشرع: فالتصديق بما علم بالضرورة أنه من دين محمد ﷺ كالتوحيد والنبوة والبعث والجزاء ومجموع ثلاثة أمور: اعتقاد الحق والإقرار به، والعمل بمقتضاه عند جمهور المحدثين والمعتزلة

(١) لم يثبت لأحد من الأنبياء رؤية الله في الدنيا، وما روي عن نبينا محمد ﷺ لم يثبت أنه رأى ربّه رؤية عين.

(٢) «أنوار التنزيل» (١١/ ١٦٨).

والخوارج... إلى أن قال والذي يدل على أنه التصديق وحده أنه -سبحانه وتعالى- أضاف الإيمان إلى القلب فقال: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ ٱلۡإِيمَٰنَ﴾ [المجادلة:٢٢].

﴿وَقَلۡبُهُۥ مُطۡمَئِنُّۢ بِٱلۡإِيمَٰنِ﴾ [النحل:١٠٦]، ﴿وَلَمۡ تُؤۡمِن قُلُوبُهُمۡ﴾ [المائدة:٤١]، ﴿وَلَمَّا يَدۡخُلِ ٱلۡإِيمَٰنُ فِي قُلُوبِكُمۡ﴾ الحجرات:١٤]وعطف عليه العمل في مواضع لا تحصى وقرنه بالمعاصي فقال -تعالى-: ﴿وَإِن طَآئِفَتَانِ مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ٱقۡتَتَلُواْ﴾ الحجرات:٩]، ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُتِبَ عَلَيۡكُمُ ٱلۡقِصَاصُ فِي ٱلۡقَتۡلَى﴾ [البقرة:١٧٨]، ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَلَمۡ يَلۡبِسُوٓاْ إِيمَٰنَهُم بِظُلۡمٍ﴾ [الأنعام:٨٢]، مع ما فيه من التغيير فإنه أقرب إلى الأصل وهو متعين الإرادة في الآية، إذ المعدى بالباء هو التصديق وفاقاً»[1].

وغيرها من نصوصه التي تدل على أن الإيمان عنده هو التصديق فقط وأنه كافٍ في استحقاق المغفرة، وأن الأعمال خارجة عن مسماه.

وأما زيادة الإيمان ونقصانه فهو يثبت أن الإيمان يزيد وينقص حتى وإن لم تكن الأعمال داخلة فيه فهو يزيد عنده بتناصر الحجج وبزيادة اليقين وبالإيمان بالشرائع تفصيلاً.

ثامناً: باب القضاء والقدر:

البيضاوي -رحمه الله- قد وافق أهل السنة والجماعة في إثباته للقضاء والقدر وإثبات مراتبه الأربعة، كما أنه وافقهم في أفعال العباد وأن لهم كسباً واختياراً وإرادة ومشيئة تابعة لإرادة الله ومشيئته.

إلاّ أنه خالفهم في بعض التفصيلات ونهج فيها منهج الأشاعرة ومنها:

١- نفي الحكمة والغرض في أفعال الله:

وحجته في ذلك هي حجة سلفه الأشاعرة في أن أفعال الله لا تعلل بالأغراض لأن الفاعل لغرض مستكمل به والله منزه عن ذلك. فقال في تفسير قوله -تعالى-: ﴿هُوَ ٱلَّذِي خَلَقَ لَكُم مَّا فِي ٱلۡأَرۡضِ جَمِيعٗا﴾ [البقرة:٢٩].

(١) «أنوار التنزيل» (١/ ٢٤).

بعد تفسيرها قال: «... لا على وجه الغرض فإن الفاعل لغرض مستكمل به بـل عـلى أنـه كالفرض من حيث أنه عاقبة الفعل ومؤداه»[1].

٢- موقفه من بعض الألفاظ المتعلقة بالقدر كالختم والطبع والران وغيرها:

فالبيضاوي لا يراها على الحقيقة بل يراها استعارة فقال في تفسيره لقوله -تعالى-: ﴿خَتَمَ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ وَعَلَىٰ سَمْعِهِمْ وَعَلَىٰٓ أَبْصَـٰرِهِمْ غِشَـٰوَةٌ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ [البقرة:٧].

بعد تفسيرها قال: «ولا ختم ولا تغشية على الحقيقة وإنما المراد بها أن يحدث في نفوسهم هيئة تمرنهم على استحباب الكفر والمعاصي واستقباح الإيمان والطاعات بسبب غيهم وانهماكهم في التقليد وإعراضهم عن النظر الصحيح، فتجعل قلوبهم بحيث لا ينفذ فيها الحق وأسماعهم تعاف استماعه فتصير كأنها مستوثق منها بالختم... إلى أن قال: وسماه على الاستعارة ختماً وتغشية»[2].

فهو لا يراها حقيقة بل هيئة في نفوسهم تمرنهم على استحباب الكفر واستقباح المعاصي وهذا مخالف للنصوص ولمنهج السلف بل هي على الحقيقة عقاباً من الله لهم على كفرهم.

٣- تجويزه لتكليف ما لا يطاق:

جوّز البيضاوي تكليف ما لا يطاق فقال في تفسيره لقوله -تعالى-: ﴿رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِۦ﴾ [البقرة:٢٨٦].

قال: «وهو دليل على جواز التكليف بما لا يطاق وإلاّ لما سُئل التخلُّص منه»[3].

❊ ❊ ❊ ❊ ❊

(١) «أنوار التنزيل» (١/ ٥٥).

(٢) «أنوار التنزيل» (١/ ٢٨).

(٣) «أنوار التنزيل» (١/ ١٥٢).

الفصــل الثــالث

تفسير البيضاوي

تمهيد: أهميته.

المبحث الأول: مصادره.

المبحث الثاني: منهجه في التفسير.

* * * * *

الفصل الثالث
تفسير البيضاوي

التمهيد: أهميته

ذكرنا في مؤلفاته: أن البيضاوي -رحمه الله- قد سمى تفسيره بـ«أنوار التنزيل وأسرار التأويل»وهو من آخر مؤلفاته وإن لم تذكر لنا المصادر تاريخ تأليفه إلاّ أنه قد ألّفه في آخر عمره -رحمه الله- ويدل على ذلك أن البيضاوي قد ذكر كثيراً من كتبه في تفسيره وأحال عليها وكذلك ما ذكره حاجي خليفة في «كشف الظنون» من أنه ألّف تفسيره هذا بإشارة من شيخه محمد الكتحتائي الذي لازمه في آخر عمره إلى أن توفي بمدينة تبريز.

وهذا التفسير متوسط الحجم ليس بالمختصر المخل ولا بالطويل الممل بل هو يعرض للآيات ويفسرها نحويًّا ثم يذكر الأقوال والمذاهب فيها ويرد على من خالفه وكل ذلك دون توسع إلاّ في بعض المواضع التي تحتاج لذلك.

وهذا التفسير قد جمع فيه مصنفه بين التفسير من الناحية اللغوية ووجوه الإعراب وبين التأويل على منهج الأشاعرة.

وبحق فهذا التفسير له من اسمه نصيب، والناظر إلى مصادر ترجمته يذكر بأن هذا التفسير من أهم كتب أهل السنة وذلك لأن الأشاعرة يسمون أنفسهم بأهل السنة، والمعروف بأن منهج الأشاعرة في إثبات العقائد مختلف تماماً عن منهج أهل السنة والجماعة.

ولو سلم هذا التفسير من التأويل لكان من أفضل كتب التفسير المختصرة، وذلك لقدرة مؤلفه الفائقة في اختصار الألفاظ الكثيرة دون الإخلال بالمعنى، ولعلو أسلوبه في الكتابة والبسط والشرح.

وقد رُزق هذا التفسير القبول فاهتم به العلماء ووضعوا له الكثير من الحواشي والتعليقات فقال حاجي خليفة: «ثم إن هذا الكتاب رزق من الله -سبحانه وتعالى- بحسن القبول عند جمهور الأفاضل والفحول فعكفوا عليه بالدرس والتحشية فمنهم من علق تعليقه على سورة



منه ومنهم من حشى تحشية تامة ومنهم من كتب على بعض مواضع منه»[1].

ويقول عنه بروكلمان في «دائرة المعارف الإسلامية»: «ويعتبر أهل السنة تفسير البيضاوي أحسن التفاسير جميعاً وله في أنفسهم مكانة عظيمة»[2].

ويقول ابن عاشور: «على ما يبدو عليه من اختصار وما يتبادر لمتناوله بادئ الرأي من بساطة فقد أصبح كتاباً عميق الغور صعب المراس ثري المطاوي محتاجاً تقريره إلى الرجوع إلى موارده...فأصبح تدريسه ميداناً للملكات الراسخة ومجالاً لقوة العوارض ونفوذ الأنظار وسمو البيان، وتتابعت العناية به لذلكتدريساً وتخريجاً وتأليفاً زيادة على الكتب التي ترجع إليه أصالة من الحواشي والتعاليق التي لا تدخل تحت حصر فإنه ما من مفسر للقرآن في القرن السابع وما بعده إلاّ وتفسير البيضاوي في طليعة مراجعه»[3].

ومن هذه الحواشيوالتعاليق الكثيرة على هذا الكتاب نذكر بعضاً منها كما ذكرته بعض مصادر ترجمته:

١ـ الحواشي:

الحواشي التامة كثيرة منها:

١ - **حاشية العالم الفاضل محيي الدين محمد ابن الشيخ مصلح الدين مصطفى القوجوي المتوفى سنة (٩٥١هـ)**: وهي أعظم الحواشي فائدة وأسهلها عبارة وهي في ثمان مجلدات.

٢ - **حاشية أبي الفضل القرشي الصديقي الخطيب المشهور بالكازروني المتوفى في حدود سنة (٩٤٠هـ)**: وهي حاشية لطيفة في مجلد.

٣ - **حاشية شمس الدين محمد الكرماني المتوفى سنة (٧٨٦هـ)**:في مجلد أيضاً.

٤**حاشية جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي المتوفى سنة (٩١١هـ)**: وهي

(١) «كشف الظنون» (١/ ١٨٨).

(٢) (٤/ ١٨-٤١٩).

(٣) نقلاً عن كتاب «ناصر الدين البيضاوي وأثره في الفقه» (ص٩٢).

مجلد أيضاً سماه: «نواهد الأبكار وشوارد الأفكار».

وغيرها الكثير من الحواشي التي ذكرها حاجي خليفة وغيره من المؤلفين.

٢ـ التعليقات:

التعليقات على هذا التفسير كثيرة نذكر بعضها:

١ - **تعليقة المولى مصطفى بن محمد الشهير ببستان أفندي المتوفى سنة (٩٧٧هـ)**: وهي على سورة الأنعام خاصة.

٢ - **تعليقة العالم الفاضل مصلح الدين محمد اللاري المتوفى سنة (٩٧٧هـ)**: وهي إلى آخر الزهراوين مشحونة بالمباحث الدقيقة.

٣ - **تعليقة المحقق الملا حسين الخلخالي الحسيني من سورة (يس) إلى آخر القرآن.**

وغيرها الكثير من التعليقات[1].

وقد انتشر هذا التفسير في العالم الإسلامي انتشاراًواسعاً وطُبع عدة طبعات في بلدان مختلفة عربية وآسيوية وأوروبية ومن هذه الطبعات:

١ - الطبعة الأولى في ألمانيا سنة (١٨٤٤م): باعتناء المستشرق (فليشر) الألماني وتقع في مجلدين ثم قام المستشرق الألماني (ويناندفل) بوضع فهارس لها طبعت في (ليبسك) سنة (١٨٧٨م).

٢ - طبع في مطبعة (بولاق) بمصر سنة (١٢٦٣هـ): وتقع في مجلدين.

٣-ثم طبع في مصر أيضاً سنة (١٢٨٢هـ) وسنة (١٣٠٣هـ): وبهامشيه حاشية أبي الفضل الكازروني.

٤ - ثم طبع في مطبعة محمد علي صبيح بالقاهرة سنة (١٣٤٤هـ).

---

(١) انظر هذه التعليقات والحواشي «كشف الظنون» (١/ ١٨٨-١٩٣).

٥ -وطُبـع في (الآسـتانة) سـنة (١٢٨٥هــ) وسـنة (١٢٩٦هــ) وسـنة (١٣٠٥هــ) و(١٣١٣هـ).

٦ - وطبع في (لكنو) و(بومباي) في الهند.

٧ - وطبع في طهران بإيران.

٨ - ثم طبعة أولى بدار صادر في بيروت سنة (٢٠٠١م) في مجلدين.

* * * * *

المبحث الأول
مصادره

البيضاوي -رحمه الله- حين فكر في التصنيف في هذا الفن أوضح بأنه سوف يجمع فيه صفوة ما بلغه عن الصحابة والتابعين وأقوال السلف، وما يستنبطه هو ومن قبله من أفاضل العلماء المحققين من النكت واللطائف البارعة، وما يعرب عنه من القراءات المشهورة.

هذا ما ذكره في مقدمة «تفسيره»[1] فقد أوضح مصادره بشكل عام ولم يصرح باسم عالم أو أو كتاب قد اعتمد عليه في تفسيره حيث ذكر ما يستنبطه هو ومن قبله من العلماء بشكل عام.

إلاّ أن مصادر ترجمته قد أوضحت أنه قد اعتمد على عدة تفاسير سبقته وهي ثلاثة تفاسير:

١ -تفسير الزمخشري المسمّى «الكشاف على حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل» والمعروف بـ(تفسير الكشاف).

٢ – وعلى تفسير الرازي المسمى «مفاتيح الغيب» والمعروف بـ(التفسير الكبير).

٣ – وعلى تفسير الراغب الأصفهاني: «وهو تفسير معتبر في مجلدين أورد فيه جملاً من الآيات ثم فسرّها تفسيراً مشبعاً»[2]، واسم هذا التفسير: «جامع التفسير»[3].

وقال حاجي خليفة عن تفسير البيضاوي ومصادره: «وتفسيره هذا كتاب عظيم الشأن غني عن البيان لخص فيه من الكشاف ما يتعلق بالإعراب والمعاني والبيان ومن التفسير الكبير ما يتعلق بالحكمة والكلام ومن تفسير الراغب ما يتعلق بالاشتقاق وغوامض الحقائق ولطائف الإشارات وضم إليه ما ورى زناد فكره من الوجوه المعقولة والتصرفات المقبولة فجلا رين الشك عن السريرة وزاد في العلم بسطة وبصيرة كما قال مولانا المنشي:

---

(١) انظر «مقدمة التفسير» (١/ ٩).

(٢) «كشف الظنون» (١/ ١٨٧).

(٣) **الزمخشري والرازي والأصفهاني**: تقدمت ترجمتهم في مبحث مؤلفات المصنف في التفسير ص(٣٦).

أولـــوا الألبـــاب لم يـــأتوا بكشـــف قنـــاع مـــا يـــتلى
ولكـــن كـــان للقـــاضي يـــد بيضـــاء لا تـــبلى[1]

وكذلك ذكر الصفدي أن له في التفسير «مختصر الكشاف»[2].

فاعتمد على «تفسير الكشاف» في بيان التراكيب اللغوية والألفاظ والمعاني وتجنب ما فيه من الاعتزال ورد على المعتزلة فيما يخالفون فيه الأشاعرة.

واعتمد في الحكمة والفلسفة وأصول الدين والفقه على «تفسير الرازي» واعتمد في الاشتقاق وغوامض الحقائق ولطائف الإشارات على «تفسير الراغب»، وضم إليه ما استنبطه هو من الوجوه المعقولة والتصرفات المقبولة.

«وحلل في (تفسيره)ما جمع في أفكار المتقدمين وبحثها ونقدها واستخرج منها أحكاماً واستظهارات شخصية، وأبدع في كثير من الأحكام والاستظهارات ما استقل به وانفرد بتحقيقه وبما جمع من الأوجه المتعددة والاحتمالات المختلفة فرتّبها بحسب الرجحان، وأشار إلى ما هو المعتمد منها وما هو ضعيف أو مردود، وسبك تلك الأنظار البعيدة والتحارير العالية سبكاً دقيقاً رقيقاً بناءً على تنقيح العبارات وضبطها وتهذيبها واختصرها الاختصار المحكم القابل للبسط والإيضاح على ما هو الطريقة المختارة المملوكة يومئذٍ في تحرير العلوم»[3].

(١) «كشف الظنون» (١/ ١٨٧).

(٢) «الوافي بالوفيات» (١٧/ ٢٠٦).

(٣) «القاضي ناصر الدين البيضاوي في أصول الفقه» د. جلال الدين عبد الرحمن (ص٢٢٩) نقلاً عن المصدر الأصلي «

المبحث الثاني
منهجه في التفسير

يمكننا معرفة منهج البيضاوي العام في تفسيره من خلال ما ذكره في مقدمته وما اشترطه من أمور سار عليها في «تفسيره» فقال في مقدمة التفسير بعد أن تكلم عن فضل التفسير وأنه رأس العلوم وأساسها بيّن أنه لا يليق لتعاطيه والتصدّي للمتكلم فيه إلا مَن بَرَعَ في العلوم الدينية كلها أصولها وفروعها وفاق الصناعات العربية والفنون الأدبية بأنواعها، ولطالما أحدّث نفسي بأن أصنّف في هذا الفن كتاباً يحتوي على صفوة ما بلغني من عظماء الصحابة وعلماء التابعين، ومن دونهم من السلف الصالحين، وينطوي على نكت بارعة ولطائف رائعة استنبطتها أنا ومن قبلي من أفاضل المتأخرين وأماثل المحققين ويعرب عن وجوه القراءات المشهورة المعزوة إلى الأئمة الثمانية[1] المشهورين والشواذ المروية عن القراء المعتبرين، إلا أن قصور بضاعتي يثبطني عند الإقدام... حتى سنح لي بعد الاستخارة ما صمم به عزمي على الشروع فيما أردته»[2].

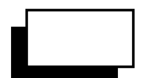
ومن هنا نستطيع أن نعرف منهجه العام فيما يلي:

١ - أن البيضاوي لم يقدم على هذا التفسير إلاّ بعد أن برع في العلوم الدينية أصولها وفروعها بل وصنّف الكثير من المصنفات فيها قبل أن يؤلف تفسيره هذا وبذلك قد حقق ما

---

(١) القراءات المشهورة :هي القراءات السبع المنسوبة الى القراءالسبعة وهم:ابن عامراليحصبي المتوفى سنة(١١٨هـ)بدمشق.وابن كثيرالداري إمام أهل مكة المتوفى سنة(١٢٠هـ)بمكة .وأبوعمروابن العلاءالبصري المتوفى سنة(١٥٤هـ).وحمزة بن حبيب الزيات الكوفي المتوفى سنة(١٥٦هـ)بحلوان.ونافع ابن عبدالرحمن أبي نعيم المدني المتوفى سنة(١٦٩هـ).وعاصم ابن أبي النجودالأسدي المتوفى سنة(١٢٧هـ)بالكوفة.والكسائي أبوالحسن علي بن حمزة النحوي المتوفى سنة(١٨٩هـ).والبيضاوي أخذالقراءات السبع وأضاف لها قراءة يعقوب ابن إسحاق الحضرمي البصري المتوفى سنة(٢٠٥هـ) فصارت عنده ثمانية.انظر"مناهل العرفان في علوم القرآن" للزرقاني ص(١/ ٤٥٣).

(٢) مقدمة «التفسير» (١/ ٩).



اشترطه للمفسر من أن يكون عالماً بالدِّين أصوله وفروعه.

٢ -مما اشترطه أيضاً أن يكون عالماً باللغة العربية فنونها وآدابها والبيضاوي قد برع في ذلك وألف في علوم اللغة العربية قبل تأليفه لتفسيره، وقد اهتم في تفسيره بالناحية اللغوية فهو يفسر الآية ويذكر وجوه الإعراب فيها والتزم ذلك في الغالب من تفسيره، مثاله: قوله -تعالى-: ﴿الٓمٓ . ذَٰلِكَ ٱلۡكِتَٰبُ لَا رَيۡبَۛ فِيهِۛ﴾ [البقرة:١-٢].

قال: «واعلم أن الآية تحتمل أوجهاً من الإعراب: أن يكون (الم) مبتدأ على أنه اسم للقرآن، أو السورة أو مقدر بالمؤلف منها، وذلك خبره وإن كان أخص من المؤلف مطلقاً، والأصل أن الأخص لا يحمل على الأعم لأن المراد به المؤلف الكامل في تأليفه البالغ أقصى درجات الفصاحة.

و(الكتاب) صفة ذلك.

وأن يكون (الم) خبر مبتدأ محذوف و(ذلك)خبراً ثانياً، أو بدلاً و(الكتاب) صفته.

و(لا ريب) في المشهورة مبني لتضمنه معنى منصوب المحل على أنه اسم (لا) النافية للجنس العاملة عمل (إنّ) لأنها تقتضيها ولازمة للأسماء لزومها»[(١)].

٣- ما بينه في منهجه أن يأخذ صفوة ما بلغه عن الصحابة والتابعين والسلف والعلماء قبله وما يستطيعه هو ومن قبله من العلماء من نكت ولطائف بارعة.

٤- ومن منهجه العام الأخذ بالقراءات الثمانية المشهورة، ولم يقتصر عليها بل أخذ بالقراءات الشاذة وعلل ذلك بأنها مروية عن القراء المعتبرين كما ذكر ذلك.

٥-ومن منهجه العام أن يذكر الآية ويذكر ما يوافقها من القرآن أحياناً وما يدل عليها من أقوال الرسول ﷺ للاستشهاد به أحيلاً ولا يلتزم ذلك دائماً مثاله في قوله -تعالى-: ﴿ٱلَّذِينَ يُؤۡمِنُونَ بِٱلۡغَيۡبِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقۡنَٰهُمۡ يُنفِقُونَ﴾ [البقرة:٣].

(١) «أنوار التنزيل» (١/ ٢٢-٢٣).



قال بعد تفسيرها لغويًّا: «أو موضحة إن فسر بما يعم فعل الحسنات وترك السيئات لاشتماله على ما هو أصل الأعمال وأساس الحسنات من الإيمان، والصلاة، والصدقة، فإنها أمهات الأعمال وأساس الحسنات من الإيمان، والصلاة، والصدقة، فإنها أمهات الأعمال النفسانية والعبادات البدنية والمالية المستتبعة لسائر الطاعات، والتجنب عن المعاصي غالباً، ألا ترى إلى قوله -تعالى-: ﴿إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ تَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ﴾ [العنكبوت:٤٥]، وقوله -عليه الصلاة والسلام-: «**الصلاة عماد الدين**[1]**، والزكاة قنطرة الإسلام**»[2].

٦-من منهجه إذا مرّ بآية فيها أمر عقدي فإنه يذكر أقوال الفرق فيها ويرجح قول الأشاعرة ويرد على من يخالفه في ذلك.

مثاله: تعريفه الإيمان في قوله -تعالى-: ﴿ٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِٱلْغَيْبِ﴾ [البقرة:٣].

قال بعد تعريفه للإيمان لغةً: «وأما في الشرع: فالتصديق بما علم بالضرورة أنه من دين محمد ﷺ كالتوحيد والنبوة والبعث والجزاء، ومجموع ثلاثة أمور: اعتقاد الحق، والإقرار به، والعمل بمقتضاه عند جمهور المحدثين والمعتزلة والخوارج فمن أخل بالاعتقاد ووحده فهو فاسق، ومن أخلّ بالإقرار فكافر، ومن أخلّ بالعمل ففاسق وفاقاً، وكافر عند الخوارج وخارج عن الإيمان غير داخل في الكفر عند المعتزلة، والذي يدل على أنه التصديق وحده أنه -سبحانه وتعالى- أضاف الإيمان إلى القلب فقال: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ كَتَبَ فِى قُلُوبِهِمُ ٱلْإِيمَٰنَ﴾ [المجادلة:٢٢]، ﴿وَقَلْبُهُۥ مُطْمَئِنٌّۢ بِٱلْإِيمَٰنِ﴾ [النحل:١٠٦]، ﴿وَلَمْ تُؤْمِن قُلُوبُهُمْ﴾ [المائدة:٤١]، ﴿وَلَمَّا يَدْخُلِ ٱلْإِيمَٰنُ فِى قُلُوبِكُمْ﴾ [الحجرات:١٤] وعطف عليه العمل في مواضع لا تحصى»[3].

٧- عند ذكره لآيات الأحكام فهو يذكر المذاهب الفقهية فيها باختصار ويرجح المذهب الشافعي، إلاّ أنه لا يذكر المذهب الحنبلي إلاّ نادراً بل يقتصر على المذهب الحنفي والمالكي

(١) اخرجه الترمذي برقم(٢٦١٦)وقال:هذ احديث حسن.

(٢) أخرجه الذهبي في ميزان الإعتدال(٢/ ٣٢٣).والألباني في السلسلة الضعيفة برقم(٥٠٦٨)ط١

(٣) نفس المصدر (١/ ٢٤).

والشافعي، وهذا الغالب في «تفسيره» إلى نهايته، ولا أعلم هل كان المذهب الحنبلي غير مشهور في بلده أم ماذا.

مثاله ١: في قوله -تعالى-: ﴿ٱلْحَجُّ أَشْهُرٌ مَّعْلُومَٰتٌ ۚ فَمَن فَرَضَ فِيهِنَّ ٱلْحَجَّ فَلَا رَفَثَ وَلَا فُسُوقَ وَلَا جِدَالَ فِى ٱلْحَجِّ﴾ [البقرة:١٩٧].

قال: «(الحج أشهر معلومات) أي: في وقته كقولك البرد شهران (معلومات) معروفات وهي: شوال، وذو القعدة، وتسعة من ذي الحجة بليلة النحر عندنا، والعشر عند أبي حنيفة -رحمه الله- وذو الحجة كله عند مالك... فإن مالكاً كره العمرة في بقية ذي الحجة، وأبو حنيفة -رحمه الله- وإن صحح الإحرام به قبل شوال فقد كرهه.

(فمن فرض فيهن الحج) فمن أوجبه على نفسه بالإحرام فيهن عندنا، أو بالتلبية أو سوق الهدي عند أبي حنيفة -رحمه الله تعالى- وهو دليل على ما ذهب إليه الشافعي -رحمه الله- وأن من أحرم بالحج لزمه الإتمام»(١).

مثال (٢): في قوله -تعالى-: ﴿إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيْكُمُ ٱلْمَيْتَةَ وَٱلدَّمَ وَلَحْمَ ٱلْخِنزِيرِ وَمَآ أُهِلَّ بِهِۦ لِغَيْرِ ٱللَّهِ ۖ فَمَنِ ٱضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ فَلَآ إِثْمَ عَلَيْهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [البقرة:١٧٣].

بعد تفسيره للآية قال: «فعلى هذا لا يباح للعاصي بالسفر وهو ظاهر مذهب الشافعي وقول أحمد -رحمهما الله -تعالى-»(٢).

٨- من منهجه العام أنه لا يكثر من رواية الإسرائيليات وهذا يحمد له وإن ذكرها فهو يذكرها بصيغة التضعيف ليبين ضعفها.

مثاله في قوله -تعالى-: ﴿وَهَلْ أَتَىٰكَ نَبَؤُا۟ ٱلْخَصْمِ إِذْ تَسَوَّرُوا۟ ٱلْمِحْرَابَ . إِذْ دَخَلُوا۟ عَلَىٰ دَاوُۥدَ فَفَزِعَ مِنْهُمْ ۖ قَالُوا۟ لَا تَخَفْ ۖ خَصْمَانِ بَغَىٰ بَعْضُنَا عَلَىٰ بَعْضٍ فَٱحْكُم بَيْنَنَا بِٱلْحَقِّ وَلَا تُشْطِطْ وَٱهْدِنَآ إِلَىٰ سَوَآءِ ٱلصِّرَٰطِ . إِنَّ هَٰذَآ أَخِى لَهُۥ

(١) «أنوار التنزيل» (١/ ١١٦).

(٢) «أنوار التنزيل» (١/ ١٠٦).

تِسْعٌ وَتِسْعُونَ نَعْجَةً وَلِيَ نَعْجَةٌ وَاحِدَةٌ فَقَالَ أَكْفِلْنِيهَا وَعَزَّنِي فِي الْخِطَابِ ﴾ [ص: ٢١-٢٣].

قال بعد تفسيرها: «ما رُوي أن بصره وقع على امرأة فعشقها وسعى حتى تزوجها وولدت منه سليمان، إن صح فلعله خطب مخطوبته أو استنزله عن زوجته، وكان ذلك معتاداً فيما بينهم وقد واسى الأنصار المهاجرين بهذا المعنى.

وما قيل أنه أرسل (أوريا) إلى الجهاد مراراً وأمر أن يقدم حتى قتل فتزوجها هزءٌ وافتراءٌ ولذلك قال علي -رضي الله عنه-: من حدث بحديث داود -عليه السلام- على ما يرويه القصاص جلدته مائة وستين.

وقيل إن قوماً قصدوا أن يقتلوه فتسوّروا المحراب ودخلوا عليه فوجدوا عنده أقواماً فتصنعوا بهذا التحاكم فعلم غرضهم وأراد أن ينقم منهم، فظن أن ذلك ابتلاء من الله له (فاستغفر ربه) مما هم به (وأناب)»[1].

٩- ذكره للأحاديث بعد كل سورة تبين فضلها، والتزم ذلك في كل تفسيره، وهذه الأحاديث مما اتفق أهل الحديث على أنها موضوعة وهو في هذا الأمر تابع فيه للزمخشري وهذا مما يؤخذ عليه في «تفسيره».

* * * * *

(١) «أنوار التنزيل» (٢/ ٨٩٨).

الباب الثاني
موقف البيضاوي من مسائل العقيدة

الفصل الأول: التوحيد.

المبحث الأول: تعريفه.

المبحث الثاني: تقرير البيضاوي للتوحيد.

الفصل الثاني: معرفة وجود الله بالفطرة أم بالاستدلال؟

المبحث الأول: الفطرة عند أهل السنة.

المبحث الثاني: النظر والاستدلال.

المبحث الثالث: تقريره لمعرفة وجود الله.

الفصل الثالث: توحيد الربوبية.

المبحث الأول: تعريفه.

المبحث الثاني: تقريره لتوحيد الربوبية.

الفصل الرابع: توحيد الألوهية.

المبحث الأول: تعريفه.

المبحث الثاني: تقريره لتوحيد الألوهية.

الفصل الخامس: توحيد الأسماء والصفات.

المبحث الأول: تعريفات عامة: التأويل - التفويض - المجاز - المحكم - المتشابه

المبحث الثاني: تعريف توحيد الأسماء والصفات.

المبحث الثالث: تقريره لتوحيد الأسماء والصفات.

الفصل السادس: الإيمان.

المبحث الأول: تعريفه وذكر مسائله.

المبحث الثاني: تقريره للإيمان ومسائله.

الفصل السابع: القضاء والقدر.

المبحث الأول: تعريفه وذكر مراتبه.

المبحث الثاني: المخالفون في القدر.

المبحث الثالث: تقريره لمسائل القدر.

الفصل الثامن: النبوات.

المبحث الأول: التعريف بالأنبياء وذكر دلائل النبوة.

المبحث الثاني: نبوة نبينا محمد ﷺ.

المبحث الثالث: موقف البيضاوي من النبوة.

الفصل التاسع: اليوم الآخر.

المبحث الأول: أشراط الساعة.

المبحث الثاني: الحياة البرزخية.

المبحث الثالث: القيامة وأحوالها.

المبحث الرابع: موقف البيضاوي من اليوم الآخر.

* * * * *

الفصل الأول
التوحيد

المبحث الأول: تعريفه.

المبحث الثاني: تقرير البيضاوي للتوحيد.

المبحث الأول
تعريف التوحيد

أولاً: التوحيد لغةً:

مشتق من وحّد الشيء إذا جعله واحداً[1].

والوحدة والواحد تدل على الانفراد والاختصاص، ولهذا قال الجوهري في «الصحاح»: «الوحدة: الانفراد تقول رأيته وحده»[2].

والله الواحد الأحد هو الذي توحّد بجميع الكمالات بحيث لا يشاركه فيها مشارك ويجب على العبيد توحيده عقلاً، وقولاً وعملاً، بأن يعترفوا بكماله المطلقوتفرّده بالوحدانية ويفردوه بأنواع العبادة»[3].

٢ـ التوحيد شرعاً:

والتوحيد عند أهل السنة والجماعة هو كل ما انفرد الله به من الخصائص التي لا تكون إلاّ له -سبحانه وتعالى-، وقد ذكروا التوحيد في كتبهم وأشاروا إلى أنواعه وعرفوه بعبارات مختلفة ولكن معناها واحداً.

فمنهم من عرفه بأقسامه الثلاثة (ربوبية - ألوهية - أسماء وصفات) ومنهم من عرفه بقسميه، توحيد المعرفة والإثبات وتوحيد الطلب والقصد، أو التوحيد العلمي الخبري والتوحيد الطلبي العملي:

١ - **ومنهم ابن القيم حيث قال:** «هو نوعان: توحيد في المعرفة والإثبات وتوحيد في الطلب والقصد.

(١) انظر «القول المفيد» (ص١١).

(٢) «الصحاح» (٢/ ٥٤٧).

(٣) «تفسير السعدي» (٢/ ٥٤٧).

فالأول: هو إثبات حقيقة الرب -تعالى- وأسمائه وصفاته وأفعاله وعلوّه فوق سماواته على عرشه، وتكلمه بكتبه، وتكليمه لمن شاء من عباده وأثبت عموم قضائه وقدره وحكمه...

والنوع الثاني: ما تضمنته سورة: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلۡكَـٰفِرُونَ﴾[1].

٢- **تعريف الطحاوي**: قال -رحمه الله-: «نقول في توحيد الله معتقدين بتوفيق الله أن الله واحد لا شريك له ولا شيء مثله، ولا شيء يعجزه، ولا إله غيره»[2].

٣- «وتوحيد الله معناه اعتقاد أنه إله واحد لا شريك له ونفي المثل والنظير عنه والتوجه إليه وحده بالعبادة... فهو واحد في إلهيته فلا إله غيره وواحد في ربوبيته فلا رب سواه وواحد في كل ما ثبت له من صفات الكمال التي لا تنبغي إلا له»[3].

٤- وعرفه ابن عثيمين: «بأنه إفراد الله -سبحانه- بما يختص به من الربوبية والألوهية والأسماء والصفات»[4].

فنرى من هذه التعاريف ما يبين لنا أن معنى التوحيد هو إفراد الله بما يختص به، وهذه التعاريف الشرعية موافقة للمعنى اللغوي من أن الواحد يراد به الإنفراد والاختصاص.

وسواء كان التقسيم ثنائي أو ثلاثي فهذه العبارات صحيحة متوافقة لا اختلاف بينها فمن حيث النظر إلى ما يتعلق بالله -سبحانه- يقسم على الربوبية والألوهية، والأسماء والصفات، ومن حيث النظر إلى ما يتعلق بالعبد يقسم إلى معرفة وإثبات، وقصد وطلب.

فالمعرفة والإثبات أو التوحيد العلمي الخبري هو -نفسه توحيد الربوبية والأسماء والصفات من حيث أنها أخبار من الله -سبحانه وتعالى-.

والقصد والطلب أو التوحيد العملي يدخل فيه توحيد الألوهية من حيث أنه طلب من

---

(١) «مدارج السالكين» (٣/ ٢٤٩).

(٢) «شرح العقيدة الطحاوية» لابن أبي العز (ص٢١، ٥٧، ٦٨، ٧٢).

(٣) «دعوة التوحيد» للهراس (١١).

(٤) «القول المفيد» (ص١١).

العبد للعبادة أو عمل العبد لعبادة ربه.

وهذا التقسيم موجود في القرآن الكريم والسنة النبوية وعرفه الصحابة والتابعين ومن بعدهم من العلماء، وذكر الشنقيطي أن هذا التقسيم موجود في الكتاب والسنة وعرف بالتتبع والاستقراء[1].

٢- تعريف التوحيد عند المتكلمين

المتكلمون يعرفون التوحيد بتعريفات مخالفة لمنهج أهل السنة والجماعة حيث يرون الواحد عندهم هو الذي لا ينقسم ولا يتعدد ولا يتبعض ولا يتجزأ، لأن هذه من خواص الجسم والله ليس بجسم.

١ـ تعريف المعتزلة للتوحيد:

قال القاضي عبد الجبار[2]: «اعلم أن الواحد قد يستعمل في الشيء ويراد به أنه لا يتجزأ أو لا يتبعض على مثل ما نقوله في الجزء المنفرد أنه واحد وفي جزء من السواد والبياض أنه واحد»[3].

فهو عندهم على ثلاثة أوجه:

١ - بمعنى أنه لا يتجزأ.

٢ - وبمعنى أنه منفرد بالقدم لا ثاني له.

٣ - بمعنى أنه منفرد بالصفات النفسية من كونه قادراً لنفسه عالماً لنفسه، وحياً لنفسه... وهذه الأقسام ذكرها القاضي عبد الجبار عن شيخه الجبائي في «المغني»[4].

(١) «أضواء البيان» (٣/ ٤١٠).

(٢) **القاضي عبد الجبار**: هو عبد الجبار بن أحمد بن عبد الجبار، أبو الحسين من كبار المعتزلة وأئمتهم له: «المغني في أبواب العدل والتوحيد»، و«شرح الأصول الخمسة»، وتوفي سنة (٤١٥هـ). وانظر: «الشذرات» (٣/ ٣٥٣).

(٣) «شرح الأصول الخمسة» (ص٢٧٧).

(٤) المغني (١/ ٢٤١).

وذكر ابن حجر عن المعتزلة بأنهم: «عنوا بالتوحيد ما اعتقدوه من نفي الصفات الإلهية لاعتقادهم أن إثباتها يستلزم التشبيه ومن شبه الله بخلقه أشرك وهم في النفي موافقون للجهمية»[1].

وأخص وصف للإله عند المعتزلة هو القِدم ولهذا نفوا الصفات القديمة لأنها لو شاركته في القدم الذي هو أخص وصف لشاركته في الإلهية ولتعدد الإله، وهذا ينافي التوحيد عندهم[2] فصار التوحيد هو نفي الصفات والتجزء وانفراده بالقدم، ولا ذكر لتوحيد الألوهية والعبادة عندهم.

٢ـ تعريف التوحيد عند الأشاعرة:

والأشاعرة لهم تعريفات للتوحيد قد لا تختلف كثيراً عن المعتزلة في كون الواحد لا ينقسم ولا يتجزأ.

١ – فقال الشهرستاني[3]: «الواحد هو الشيء الذي لا يصح انقسامه إذ لا تقبل ذاته القسمة بوجه، ولا تقبل الشركة بوجه، فالباري -تعالى- واحداً في ذاته لا قسيم له وواحد في صفاته لا شبيه له وواحد في أفعاله لا شريك له»[4].

٢ – وكذلك تعريف الجويني[5] للواحد فقال: «الباري -سبحانه وتعالى- واحد والواحد في اصطلاح الأصوليين الشيء الذي لا ينقسم. والرب -سبحانه وتعالى- موجود فرد متقدس عن قبول التبعيض والانقسام»[6].

---

(١) «فتح الباري» (١٣/ ٣٤٤).

(٢) «الملل والنحل» للشهرستاني (ص٣٩).

(٣) **الشهرستاني**: هو محمد بن عبد الكريم بن أحمد متكلم أشعري ولد سنة (٤٦٧هـ)، وتوفي سنة (٥٤٨هـ)، ومن مؤلفاته «نهاية الإقدام في علم الكلام»، و«الملل والنحل». انظر: «الشذرات» (٤/ ٣١٩).

(٤) «نهاية الإقدام» (ص٥٦).

(٥) **الجويني**: هو أبو المعالي المعروف بإمام الحرمين عبد الملك بن عبد الله بن يوسف أشعري له: «الشامل في أصول الدين»، و«الإرشاد»، و«لمع الأدلة» ولد سنة (٤١٩هـ) وتوفي سنة (٤٧٨هـ) انظر: «الشذرات» (٤/ ٥٦).

(٦) «الإرشاد» (ص٥٢).

فهو عندهم ثلاثة أقسام:

١ - واحد في ذاته لا قسيم له.

٢ - وواحد في صفاته لا شبيه له.

٣- وواحد في أفعاله لا شريك له.

فصار التوحيد للذات والصفات وتوحيد الربوبية الذي هو توحيد أفعاله -تعالى- ولا نرى لتوحيد الألوهية ذكر في تقريرهم لمعنى التوحيد، لأنهم يرون أن معنى الرب والإله واحد ففسروا الإله بأنه القادر على الاختراع، ولهذا قال الشهرستاني عند كلامه عن التوحيد ودلالة التمانع: «وعن هذا صار أبو الحسن الأشعري -رحمه الله- إلى أن أخص وصف الإله هو القدرة على الاختراع فلا يشاركه فيه غيره ومن أثبت فيه شركة فقد أثبت إلهين»[1].

ولهذا فهم يرون توحيد الألوهية هو توحيد الربوبية.

وتفسير المتكلمين لمعنى الواحد الذي لا ينقسم ولا يتجزأ ولا يتبعض، لا يعرف في لغة العرب، والقرآن نزل بلغتهم ولم يروا استخدام الواحد في القرآن والسنة إلا فيما سماه هؤلاء منقسماً وإذا اعترُض عليهم بهذا قالوا إطلاقه على ما ينقسم مجاز.

وقال القشيري[2]: «الواحد هو الذي لا قسيم له، ولا يستثنى منه، وهذا حقيقة عند أهل التحقيق، فإذا قيل للجملة الكاملة إنها واحدة فعلى المجاز كما يُقال: دار واحدة، ودرهم واحد، لأنه يصح أن يستثنى منه البعض واسم الواحد له مجاز»[3].

---

(١) «نهاية الإقدام» (ص٥٦).

(٢) **القشيري**: هو أبو القاسم عبد الكريم بن هوازن النيسابوري الصوفي الزاهد الخراساني أشعري العقيدة شافعي المذهب، وُلد سنة (٣٧٦هـ)، وتوفي سنة (٤٦٥هـ) من مصنفاته «الرسالة»، «التفسير الكبير» وغيرها، انظر «الشذرات» (٤/ ٧).

(٣) انظر حقيقة التوحيد بين أهل السنة والمتكلمين نقلاً عن المصدر الأصلي (ص١١٨) لعبد الرحيم بن صمايل السلمي.

المبحث الثاني
تعريف التوحيد عند البيضاوي -رحمه الله-

موقف البيضاوي -رحمه الله- من التوحيد يتضح من خلال نصوصه الآتية:

١- قال في تفسيره للآية: ﴿قُلِ ٱدْعُوا۟ ٱللَّهَ أَوِ ٱدْعُوا۟ ٱلرَّحْمَٰنَ ۖ أَيًّا مَّا تَدْعُوا۟ فَلَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ﴾ [الإسراء:١١٠].

بعد بيان لأسباب النزول قال: «.... والتوحيد إنما هو للذات الذي هو المعبود المطلق»[١].

٢- قال في تفسيره للآية: ﴿وَمَا مِنْ إِلَٰهٍ إِلَّا ٱللَّهُ ٱلْوَٰحِدُ ٱلْقَهَّارُ﴾ [ص:٦٥].

قال: «الذي لا يقبل الشركة والكثرة في ذاته»[٢].

٣- قال في تفسيره للآية: ﴿وَمِن كُلِّ شَىْءٍ خَلَقْنَا زَوْجَيْنِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾ [الذاريات:٤٩].

فقال: «...فتعلمون أن التعدد من خواص الممكنات وأن الواجب بالذات لا يقبل التعدد والانقسام»[٣].

٤- قال -تعالى-: ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾ [الإخلاص:١].

قال -رحمه الله-: «إن الواحد الحقيقي ما يكون منزه الذات عن أنحاء التركيب والتعدد وما يستلزم أحدهما كالجسمية، والتحيز، والمشاركة في الحقيقة وخواصها كوجوب الوجود والقدرة الذاتية والحكمة التامة المقتضية للألوهية[٤].

الرد:

من نصوص البيضاوي نرى أن التوحيد عنده هو نفي الإنقسام والكثرة والتعدد

(١) أنوار التنزيل (٢/ ١١٧٨).

(٢) المرجع السابق (٢/ ٩٠٤).

(٣) المرجع السابق (٢/ ١٠١٤).

(٤) المرجع السابق (٢/ ١١٧٨).

والتركيب ونفي الجسمية والحيز فهذا هو توحيد المتكلمين . وهو مخالف لمنهج أهل السنة والجماعة.

١- لأن هذه الألفاظ إبتدعها المتكلمون ولم تأت في الكتاب والسنة ولم يستعملها السلف إثباتا ولا نفياً ولم يعرف معنى الواحد في لغة العرب بهذه المعاني بل كل ما أطلق الله عليه لفظ الواحد في اللغة والشرع فإنه يقبل الإنقسام و التجزئ وهو متعدد الصفات . بل لا يعرف في لغة العرب ولا غيرهم من الأمم إستعمال الواحد والأحد والوحيد إلا فيما يسمونه هم جسماً منقسماً . والقرآن الذي نزل بلغة العرب يشهد أن معنى التوحيد يعني إثبات الصفات . وأن إسم الواحد لا يطلق إلا على قائم بنفسه مشار إليه موصوف بصفات متعددة.

كقوله تعالى:﴿ ذَرۡنِي وَمَنۡ خَلَقۡتُ وَحِيدٗا ﴿١١﴾ ﴾ [المدثر:١١].

وقوله تعالى:﴿ وَإِن كَانَتۡ وَٰحِدَةٗ فَلَهَا ٱلنِّصۡفُۚ ﴾ [النساء :١١].

وقول الرسول صلى الله عليه وسلم :(لايصلي أحدكم في الثوب الواحد ليس على عاتقيه شيء) [1].

وقوله صلى الله عليه وسلم :(السفر قطعة من العذاب يمنع أحدكم نومه وطعامه وشرابه . فإذا قضيى أحدكم نهمتهفليُعجّل إلى أهله) [2].

وغيرها من النصوص التي تدل على إطلاق لفظ واحد و أحد على ذي الصفات وعلى الأجسام .لاكما يدعيه هؤلاء أن الواحد والأحد لايكون جسماً ولا تكون له صفة وبذلك نفوا الصفات بهذه المعاني وأعتبروا كل ما أُطلق عليه لفظ الواحد في اللغة والشرع على المجاز كما مر في تعريفهم للتوحيد ولهذا قال المصنف الواحد الحقيقي تمييزاً له عن الواحد بالمجاز وهذا الذي قالوه لادليل لهم عليه.

(١) أخرجه البخاري ك الصلاة باب إذا صلى في الثوب الواحد الفتح (٢/ ٧٠).

(٢) أخرجه البخاري ك العمرة باب السفر قطعة من العذاب الفتح (٥/ ٤٥).

٢- ليس مرادهم بأنه لاينقسم ولا يتبعض ولا يتعدد ولا يتركب معناها المعروف في اللغة بل لهم معاني أختصوا هم بالكلام فيها نفياً وإثباتاً .

فليس المراد بنفي التجزئ والإنقسام وجود الإنقسام بإنفصال بعضه عن بعض ولا إمكان ذلك ، وليس المقصود أن يتفرق أو يتجزأ أو يكون قد ركب من أجزاء . فإن هذه الأمور مما اتفق على نفيه المسلمين .

" وإنما مراد أئمة هذا القول من الجهمية والفلاسفة والمعتزلةومن إتبعهم من الصفاتية[1] بنفي ذلك ماينفونه عن الجسم المطلق وهو أنه لا يشار الى شي منه دون شيء ولا يتميز منه شيء دون شيء بحيث لايكون له قدر وحد وجوانب ونهاية ولا عين قائمه بنفسها يمكن أن يشار إليها أو يشار الى شيء منها دون شيء ولا يمكن أيضاً عندالتحقيق أن يرى منه شيء دون شيء وهذا عندهم نفي الكم والمساحه وأما غير الصفاتية فيريدون أنه لا صفه له إذ وجود الصفات يستلزم التجسيم والتجزئة والتركيب "[2].

فالمقصود بنفي هذه المعاني عند الصفاتية هو نفي صفاته الخبريه كالوجه والعين واليد وغيرها وصفاته الفعلية كالنزول والإستواء والفوقية والمجئ وغيرها ويعبرون عن ذلك بنفي الجسمية والحيز والجهة .

وأما غير الصفاتية من الجهمية والمعتزلة والفلاسفة فيقصدون بذلك نفي الصفات كلها إذ يرون الله واحداً من كل وجه فتوحيدهم هو توحيد الذات من صفاتها .فيثبتون ذاتاً بلا صفات وهذه لا تكون إلا في الأذهان وليس في الخارج ذاتا بدون صفات.

٣- نفي التعدد:

تستدل به الجهمية والمعتزلة النافين للصفات لأنهم يرون إثباتها لله يثبت تعدد القدماء

---

(١) الصفاتية :هم كل من يثبت الصفات ومقصود إبن تيمية بالصفاتية هنا الأشاعرة .

(٢) بيان تلبيس الجهمية ص (١/ ٤٧٥).

ولا يجعل القديم واحداً .

ولهذا أنكر الإمام أحمد على الجهمية في نفيهم للصفات وزعمهم أن من قال الله ونوره والله وقدرته والله وعظمته فقد قال بقول النصارى .

فأوضح لهم الإمام أحمد أنّا لا نقول: إن الله لم يزل ونوره ولم يزل وقدرته ، بل نقول لم يزل بقدرته ونوره ، لا متى قدر ولا كيف قدر فقالوا : لاتكونوا موحدين حتى تقولوا : كان الله ولا شيء .

فبين لهم أن الله بجميع صفاته إلهاً واحداً وضرب لهم مثلاً بالنخلة التي لهاجذع وكرب وليف وسعف وخوص وجمار وإسمها إسم شي واحد وسميت نخلة بجميع صفاتها فكذلك الله وله المثل الأعلى بجميع صفاته إله واحد وسمى الله رجلا كافرا اسمه الوليد ابن المغيرة المخزومي فقال ﴿ ذَرْنِي وَمَنْ خَلَقْتُ وَحِيدًا ﴿١١﴾ ﴾ [المدثر: ١١] . وقد كان هذا الذي سماه" وحيدا" له عينان وأذنان ولسان وشفتان ويدان ورجلان وجوارح كثيرة فقد سماه الله وحيدا بجميع صفاته فكذلك الله وله المثل الأعلى هو بجميع صفاته إله واحد. [(١)]

وعلق ابن تيمية على رد الإمام أحمد بقوله " وهذا القول الذي ذكره الإمام أحمد عنهم لأنهم قالوا : لا تكونوا موحدين أبدا حتى تقولوا قد كان الله ولا شيء ، هو كلام مجمل ولكن مقصودهم إنه لم يكن موجودا بشيء يقال إنه من صفاته فإن ثبوت الصفات يستلزم عندهم التركيب والتجزئة إما تركيب المقدار كالتركيب الذي يزعمونه في تأليف الجسم من أجزآئه وإما التركيب الذي يزعمونه في الحدود وهو التركيب من الصفات كما يقولون : النوع مركب من الجنس والفصل ويستلزم أيضا التشبيه والتوحيد عندهم نفي التشبيه والتجسيم ويقولون إن الأول يعنون به عدم النظير والثاني يعنون به إنه لا ينقسم "[(٢)].

هذا هو توحيد الجهمية الذين نفوا صفات الله بحجة التعدد والتركيب وكذلك الحال عند

---

(١) انظر الرد على الجهمية والزنادقة ص (١٤٠) بتصرف يسير.

(٢) بيان تلبيس الجهمية(١/ ٤٦٤).

المعتزلة باعتبار أن القديم واحد ليس معه في القدم غيره ولو قامت به الصفات لكان معه غيره، وانه ليس بجسم لأن الجسم مركب مؤلف منقسم وهذا تعدد ينافي التوحيد أو يقولون لأن ثبوت الصفات لله تعالى يقتضي الكثرة والعدد في ذاته وذلك يخالف التوحيد عندهم .

٤- نفي التركيب :

هي شبهه فلسفية معتزلية كما ذكرها ابن تيمية[١] يقول بها الجهمية والفلاسفة والمعتزلة وتبعهم على ذلك الأشاعرة وأصحاب هذه الحجة من المتفلسفة والمعتزلة قد بنوه على نفي الجسمية عن الله تعالى وكونه مركب يدل على جسمية لذا كان تعطيله تعالى عن صفاته هو عين التنزيه عندهم ، فالفلاسفة أخص وصف عندهم للإله وجوب وجوده وإمكان ما سواه وخصائص الممكن قبوله للتركيب والتأليف والتبعض والتكثر ً والله واجب الوجود وليس ممكن الوجود فهو ليس مركبا لأن التركيب من علامات الأجسام وخصائص الممكنات ، والواحد عندهم واحد من كل وجه فلا صفه له ولا قدر .

وكذلك الحال عند المعتزلة أخص وصف عندهم لله هو القدم وإثبات الصفات يتعدد القديم فيكون مركبا والتركيب من خصائص المحدثات .

قال ابن تيمية " فقال نفاة الصفات من الجهمية والمعتزلة و الفلاسفة و نحوهم الواحد" هو الذي لاصفة له ولا قدره ويعبرون عن هذا المعنى بعبارات فيقول من يريد هذا المعنى من الفلاسفة كآبن سينا وأمثاله إن واجب والوجود واحد من كل وجه ليس فيه أجزاء حد ولا أجزاء كم أو يقال ليس فيه كثرة حد ولا كثرة كم ويقال ليس فيه تركيب المحدود من الجنس والفصل ولا تركيب الأجسام ، ومقصود هذه العبارات أنه ليس لله صفه ولا له قدرة .

وكذلك تقول الجهمية من المعتزلة وغيرهم : إن القديم واحد ليس معه في القدم غيره،

(١) مجموع الفتاوي(٦/ ٣٤٤).

ولو قامت به الصفات لكان معه غيره وإنه ليس بجسم إذ الجسم مركب مؤلف منقسم وهذا تعدد ينافي التوحيد أو يقولون : أيضا إن ثبوت الصفات يقتضي كثرة وعددا في ذاته وذلك خلاف التوحيد ويسمون أنفسهم الموحدين وهذا عندهم أول الأصول الخمسة "[1].

فهؤلاء نفوا صفات الله بألفاظ مجملة لم ترد في الكتاب والسنة ولا في اللغة فهذا التركيب الذي نفوا به الصفات ليس من جنس التركيب الذي يعقله بني آدم كتركيب الإنسان من أعضائه وأخلاطه وتركيب الثوب من أجزائه وكذلك الشراب فهذا يسمى مركبا ولكن قيام الصفات بذاته تعالى ليس من التركيب الحقيقي الذي يدركه العقل وهم إنما يعنون بالتركيب إنه مركب من الذات والصفات ونفوا عنه صفاته واثبتوا ذاتا بلا صفات فأصبحت هذه الذات كالمعدوم لا توجد إلا في أذهانهم ولا يوجد في الخارج ذات منفكة هن صفاتها وأما التوحيد الذي دعت اليه الرسل فهو متضمن للتوحيد القولي الخبري والتوحيد العملي وهو توحيد الله بالعبادة وكونه المستحق للعبادة بما اتصف به من الصفات التي تستلزم أن يكون هو المحبوب غاية الحب المخضوع له غاية الخضوع فمن عبد الله وحده وأخلص في عبادته فقد وحده .

(١) بيان تلبيس الجهمية (١/ ٤٦٥)

الفصل الثاني
معرفة وجود الله بالفطرة أم بالاستدلال

المبحث الأول: الفطرة عند أهل السنة.

المبحث الثاني: النظر والاستدلال.

المبحث الثالث: تقرير البيضاوي في معرفة وجود الله.

المبحث الأول
الفطرة عند أهل السنة

وجود الله -سبحانه- والإقرار بربوبيته هل هو فطرة في النفس البشرية؟ أم أنه نظري يحتاج إلى نظر واستدلال كما هو الحال عند المتكلمين، وقبل أن نبحث في النظر والاستدلال على وجوده تعالى نورد مذهب السلف في وجود الله -تعالى-.

فأهل السنة والجماعة يرون أن وجود الله والإقرار بربوبيته أمر فطري، فإنه مركوز في الفطر، والشرك طارئ عليه فإن فطرة الإنسان قوة تقتضي اعتقاد الحق وإرادة الخير بوجود الخالق ومحبته.ومادامت الفطرة سليمة لاتحتاج إلى دليل إلافي حال فسادهايؤخذبالدليل.

«والفطرة ليست التمكن من المعرفة والقدرة عليها، وإنما الفطرة هي القدرة على المعرفة مع إرادتها؛ فالقدرة الكاملة مع الإرادة التامة تستلزم وجود المقدور فدل ّ على أنهم فطروا على القدرة على المعرفة وإرادتها وذلك مستلزم للإيمان»[1].

ولكن هل معنى ذلك أن المولود حين الولادة يكون معتقداً للإسلام؟ والله -تعالى- يقول: ﴿وَٱللَّهُ أَخْرَجَكُم مِّنۢ بُطُونِ أُمَّهَٰتِكُمْ لَا تَعْلَمُونَ شَيْـًٔا﴾ [النحل:٧٨].

«فليس المراد أنه حين خرج من بطن أمه يعلم هذا الدين ويريده... ولكن فطرته مقتضية موجبة لدين الإسلام لمعرفته ومحبته، فنفس الفطرة تستلزم الإقرار بخالقه ومحبته وإخلاص الدين له وموجبات الفطرة ومقتضاها تحصل شيئاً بعد شيء بحسب كمال الفطرة إذا سلمت عن المعارض»[2].

وأما معرفة الإسلام وأحكامه وآدابه على التفصيل فتحصل ببعثة الرسل وكذلك فإن في الفطرة الإقرار بالكمال المطلق للخالق وتنزيهه عن النقائص ولكن معرفة ذلك على التفصيل مما يتوقف على الرسل[3].

---

(١) «درء التعارض» (٨/ ٣٨٥).

(٢) نفس المصدر (٨/ ٣٨٣).

(٣) انظر «شفاء العليل» (٢/ ٨٢١).

ولو ترك الإنسان من غير مؤثر خارجي ينحرف به عن فطرته لما كان إلاّ مسلماً.

الأدلة على فطرية المعرفة:

نذكر بعض الأدلة على فطرية المعرفة من القرآن والسنة:

من القرآن:

١- قال -تعالى-: ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنۢ بَنِىٓ ءَادَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ ۖ قَالُوا۟ بَلَىٰ ۛ شَهِدْنَآ ۛ أَن تَقُولُوا۟ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَـٰذَا غَـٰفِلِينَ﴾ [الأعراف:١٧٢].

والآية في تفسيرها قولين:

١- أن المراد بالأخذ والإشهاد أن الله أخرج ذرية من ظهرهم ثم أشهدهم على أنفسهم بربوبيته وأقروا له بذلك فقالوا: (بلى شهدنا)، واستدلوا على ذلك بالأحاديث المروية عن عمر وابن عباس وأنس.

٢- القول الثاني: أن المراد بالأخذ والإشهاد هو خلقهم على التوحيد، وهذا الأخذ المشهود... هو أخذ المني من أصلاب الآباء ونزوله في أرحام الأمهات فالأخذ يتضمن خلقهم والإشهاد يتضمن هداه لهم إلى هذا الإقرار. ولهذا جميع بني آدم مقرون بهذا شاهدون به على أنفسهم وهذا أمر ضروري لا ينفك عنه مخلوق[1].

وهذا الميثاق دليل على فطرية المعرفة بالخالق سواء كان الإخراج والإشهاد حالاً أو مقالاً فكلّها دليل على أن الفطرة التي فطروا عليها هي الإقرار له بالربوبية والألوهية.

٢- قال -تعالى-: ﴿فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا ۚ فِطْرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِى فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيْهَا ۚ لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ وَلَـٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [الروم:٣٠].

قال -تعالى-: (فطرة الله) وأضاف الله الفطرة إليه فعلم أنها فطرة محمودة لا مذمومة كدين الله وبيته وناقته.

---

(١) انظر «الدرء» (٨/ ٤٨٢-٤٨٨) باختصار.

فقال ابن تيمية: «(فأقم وجهك للدين حنيفاً فطرة الله...) هذا نصب على المصدر الذي دل عليه الفعل عند سيبويه وأصحابه فدلّ على أن إقامة الوجه لله حنيفاً هو فطرة الله التي فطر الناس عليها»[1].

فالمراد بالفطرة الإسلام وذكروا عن عكرمة ومجاهد والحسن وإبراهيم والضحاك وقتادة في قوله -تعالى-: (فطرة الله التي فطر الناس عليها) قالوا: فطرة الله: دين الله الإسلام.

(لا تبديل لخلق الله) قالوا: دين الله.

وروي عن ابن زيد قال: «(فطرة الله التي فطر الناس عليها) قال: الإسلام منذ خلقهم الله من آدم جميعاً يقرون بذلك[2].

ومن هذه النصوص يتبيّن أن المراد بالفطرة الإسلام وأن لا تبديل ولا تغيير لدين الله أي: لا يصلح ذلك ولا ينبغي أن يفعل.

الأدلة من السنة:

الأدلة على فطرية المعرفة من السنة كثيرة نقتصر على ذكر بعضها:

١ - ما رواه البخاري عن أبي هريرة -رضي الله عنه- قال: قال رسول الله ﷺ: «**كل مولود يُولد على الفطرة فأبواه يهوّدانِه أو ينصّرانِه أو يُمجّسانِه، كما تنتج البهيمة بهيمة جمعاء هل تحسون فيها من جدعاء حتى تكونوا أنتم تجدعونها** -ثم قرأ أبو هريرة: (فطرة الله التي فطر الناس عليها)-»[3]. **في هذاالحديث شبه الولادة على الفطرة بالبهيمة المكتملة الخلقة بدون جدع فدل على أن الفطرة هي الإسلام لأنه كامل والتشبيه يدل على كمال الفطرة. قال ابن تيمية:"فإنه شبه ذلك بالبهيمة التي تولدمجتمعة الخلق لانقص فيه ثم تجدع بعدذلك فعلم أن التغييرواردعلى الفطرة السليمة التي ولدالعبدعليها. وأيضا فإن الحديث مطابق للقرآن لقوله تعالى"فطرة الله التي فطرالناس**

(١) «الدرء» (٨/ ٣٦٧-٣٧٣).

(٢) انظر «شفاء العليل» (٢/ ٧٨٤).

(٣) «الفتح» (٣/ ٢١٨) (كتاب الجنائز) (باب ما قيل في أولاد المشركين)، (كتاب التفسير). «الفتح» (٨/ ٥١٢٠) (كتاب القدر). ومسلم (كتاب القدر). ص (٦ / ٢١٠)

عليها"وهذايعم جميع الناس فعلم أن فطرالناس كلهم على فطرته المذكورة،وفطرة الله اضافها إليه إضافة مدح لاإضافة ذم فعلم أنها فطرة محمودة لامذمومة"[1]

٢ - وفي «الصحيح» من رواية الأعمش: «**ما من مولود يُولد إلا وهوعلى الملة**»[٢].

وفي رواية أبي معاوية عنه: «**إلا على هذه الملة**»[٣].

وهذه الروايات للحديثدلّت ألفاظها على معنى الفطرة.

مثل قوله: «**على الملة**»، و«**على هذه الملة**»يدلُّ على أن المراد بالفطرة الإسلام.

٣- حديث عياض بن حمار المجاشعي -رضي الله عنه- رواه مسلم: «**... وإني خلقت عبادي حنفاء كلهم وأنهم أتتهم الشياطين فاجتالتهم عن دينهم وحرمت عليهم ما أحللت لهم، وأمرتهم بأن يشركوا بي ما لم أنزل به سلطاناً**»[٤].

فظاهر هذا الحديث يدل على أن الله خلق الناس على الفطرة والتوحيد وأن الشرك طارئ عليها.

وقال ابن عبد البر[٥]: «الحنيف في كلام العرب المستقيم المخلص، ولا استقامة أكثر من الإسلام... وقال: وهذا كله يدلك على أن الحنيفية الإسلام... وقال: أكثر العلماء: الحنيف المخلص وقال الله: ﴿ مَا كَانَ إِبْرَاهِيمُ يَهُودِيًّا وَلَا نَصْرَانِيًّا وَلَٰكِن كَانَ حَنِيفًا مُّسْلِمًا [٦]﴾ [آل عمران:٦٧].

---

(١) الدرء(٨/ ٣٧٢).

(٢) «صحيح مسلم بشرح النووي» (كتاب القدر) (١٦/ ٢١٠).

(٣) نفس المرجع السابق.

(٤) صحيح مسلم بشرح النووي ،كتاب الصفات التي يعرف بها في الدنيا أهل الجنة وأهل النار ص (٦/ ١٩٧).

(٥) **ابن عبد البر**: هو أبو عمر يوسف بن عبد الله بن محمد بن عبد البر بن عاصم النمري القرطبي أحد أعلام المغرب، له مصنفات في «الموطأ» منها: «التمهيد لما في الموطأ من الأسانيد»، و«الاستيعاب»، و«جامع بيان العلم وفضله»، وغيرها.

توفي سنة (٤٦٣هـ). انظر «الشذرات» (٣/ ٥٠١).

(٦) «درء التعارض» نقلاً عن ابن عبد البر (٨/ ٣٧٠).

٤ -حديث الرسول ﷺ حين سمع رجلايؤذن،فحين قال:الله أكبر،الله أكبرقال الرسول ﷺ "على الفطرة"[١].

٥- حديث الرسول ﷺ قال: "إذا أتيت مضجعك فتوضأوضوءك للصلاة،ثم اضطجع على شقك الأيمن ثم قل:اللهم أسلمت وجهي إليك، وفوضت أمري إليك، وألجأت ظهري إليك رغبة ورهبة إليك،لاملجأولامنجامنك إلاإليك،آمنت بكتابك الذي أنزلت وبنبيك الذي أرسلت،فإن مت من ليلتك فأنت على الفطرة" [٢].

وظاهرالحديثين يدل على أن المراد بالفطرة الإسلام يقول ابن القيم:"الفطرة حيث جاءت مطلقة معرفة باللام لايرادبها إلافطرة التوحيدو الإسلام وهي الفطرة الممدوحة" [٣].

ومن هذه الأدلة نعلم أن معرفة الله والإقرار به فطرة لا تحتاج إلى دليل ولم يكلف الناس بالتعرف على الربوبية بل أول ما يدعو الرسل أقوامهم إلى إفراد الله بالعبادة وحده لا شريك له وهذا هو التوحيد الذي حصلت فيه المخاصمة مع الرسل وأقوامهم وما آيات الربوبية إلا أدلة على توحيد الألوهية وأن الناس كانوا يعرفون ربهم، ولكنهم يتخذون آلهة معه للعبادة.

ولهذا كان أول لما يكلف به العبد أو أول واجب على العبد هو شهادة أن لا إله إلا الله والعمل بمقتضاها وتحقيقها.

بخلاف ما يوجبه أهل الكلام من أن أول واجب هو النظر والسلف لا تنكر النظر وإنما أُمروا بالنظر بعد الإيمان ليزداد إيمانهم ويقينهم وليس مقصود النظر التعرف أن لهم ربًّا خالقاً رازقاً فإنهم كانوا يعرفون هذا ومع هذا فهم مشركون.

ولكن يكون النظر واجباً في حال فساد الفطرة.

*****

(١) أخرجه مسلم ك الصلاة برقم(٣٨٢).

(٢) أخرجه البخاري ك الوضوء برقم(٢٤٧).

(٣) تهذيب السنن لابن القيم ص(٧/ ٨٢).الناشردارالمعرفة-بيروت.

المبحث الثاني
النظر والاستدلال على وجود الله

أوجبه كثير من المتكلمين من معتزلة وأشاعرة وماتريدية والنظر هو الفكر الذي يطلب به علم أو غلبة ظن ويقسم إلى نظر صحيح يفيد العلم ونظر فاسد والذين أوجبوا النظر والاستدلال على وجود الله -سبحانه وتعالى- لأنهم حصروا معرفة الله في النظر وحده ولم يعترفوا بالفطرة والضرورة الإنسانية الشاهدة على وجود الخالق -سبحانه-.

الأصل في إيجاب النظر:

أما الأصل في إيجاب النظر كان من قِبل المعتزلة وأخذ به الأشاعرة موافقة لهم كما حكى ذلك ابن تيمية عن أبي جعفر السمناني وهو من أئمة الأشاعرة فقال: «والقول بإيجاب النظر بقيت في المذهب من أقوال المعتزلة»[1].

وهؤلاء الموجبون للنظر لأنهم لا يرون معرفة الله ضرورة ولا فطرية، وإنما تنال بالنظر والاستدلال فحصروها في هذا قال ابن تيمية: «وهؤلاء الموجبون للنظر يبنون ذلك على أنه لا يمكن حصول المعرفة الواجبة إلاّ بالنظر لا سيما القدرية منهم فإنهم يمنعون أن يثاب العباد على ما يخلق فيهم من العلوم الضرورية»[2].

ونجد الأشاعرة سلكوا مسلكهم في إيجاب النظر، وإن كانوا يخالفونهم في نفيهم للقدر، لأن الأشاعرة مثبتين له.

قال القاضي عبد الجبار في إيجاب النظر:

«... لأنه -تعالى- لا يعرف ضرورة ولا مشاهدة فيجب أن نعرفه بالتفكر والنظر»[3].

(١) «درء التعارض» (٧/ ٤٠٧-٤٦٠).

(٢) نفس المصدر (٧/ ٤٠٧).

(٣) «شرح الأصول الخمسة» (ص٣٩، ٥٣، ٦٤).

وكذلك ذكر أبو الحسين البصري وهؤلاء من المعتزلة.

أما الباقلاني[1] وهو من كبار الأشعرية فقد قال:

«أول ما فرض الله -عز وجل- على العباد النظر في آياته والاعتبار بمقدوراته والاستدلال عليه بآثار قدرته وشواهد ربوبيته لأنه -سبحانه- غير معلوم باضطرار ولا مشاهدة بالحواس وإنما يعلم وجوده وكونه على ما تقتضيه أفعاله بالأدلة القاهرة والبراهين الباهرة»[2].

نجد أن حجة المتكلمين واحدة في أنه -تعالى- لا يُعرف ضرورة ولا بالمشاهدة فوجب أن يُعرف بالنظر والاستدلال، وأنكروا المعرفة الفطرية على وجود الخالق -سبحانه-.

الموجب للنظر ووقت وجوبه:

اختلف أهل الكلام في الموجب للنظر، عند المعتزلة أن الموجب للنظر هو العقل، وعند الأشاعرة أن لا واجب إلا بالشرع واستدلوا بعموم آيات التفكر والتدبر في ملكوت السماوات والأرض والأنفس والآفاق.

وقد وضح ذلك الجويني بقوله:

«النظر الموصل إلى المعارف واجب ومدرك وجوبه الشرع... وذهبت المعتزلة إلى أن العقل يتوصل به إلى درك واجبات ومن جملتها النظر فيعلم وجوبه عندهم عقلاً»[3].

أما وقت وجوبه:

فعند المعتزلة أن النظر واجب على المكلف إذا وصل إلى سن التمييز الذي يستطيع به أن يميز بين الحسن والقبيح.

---

(١) **الباقلاني**: القاضي أبو بكر محمد بن الطيب بن محمد البصري، أشعري، مالكي المذهب، له «التمهيد»، و«الإنصاف»، وتوفي سنة (٤٠٣هـ).

انظر «الشذرات» (٣/ ٣١٠).

(٢) «الإنصاف» (٣٣).

(٣) «الإرشاد» (٨).

وأما الأشاعرة فأوجبوا هذاا لنظر بعد البلوغ وقال الجويني: «أول واجب على العاقل البالغ باستكمال سن البلوغ أو الحلم شرعاً القصد إلى النظر الصحيح المفضي إلى العلم بحدوث العالم»[1].

ولكن مع وجوب النظر سواء كان في سن التمييز كما عند المعتزلة أو بعد البلوغ كما هو عند الأشاعرة فهل النظر واجب في حق العامة؟ وما حكم تاركه؟

تنازع الناس في هذه المسألة على ثلاثة أقوال:

١ – طائفة قالت أنه يجب على كل أحد.

٢ – وطائفة قالت لا يجب على أحد.

٣ – وطائفة وهو قول الجمهور قالت: إنه يجب على بعض الناس دون البعض الآخر ومن لم تحصل له المعرفة ولا الإيمان إلا به وجب عليه[2].

فأما من أوجبه على كل أحد فهذا القول هو في الأصل معروف عمن قاله من القدرية المعتزلة، وهو أن معرفة الله واجبة فإذا لم تحصل فضدها النكرة والنكرة كفر والبعض يرى أن العامة يعرفون الله وأنهم حشو الجنة والأدلة في طي عقولهم ونشر نفوسهم إلا أن عباراتهم غير مفصحة بالألفاظ المصطلح عليها وهذا ما حكاه أبو الحسن[3] الطبري في جوابه عن عوام الناس الذين لا ينظرون أهم مؤمنون أم كافرون[4]؟وأما قول الجمهور حكاه ابن تيمية وابن حزم وهو قول أهل السنة والجماعة والمعترفين بالفطرة من المتكلمين الذين لا يوجبون النظر[5].

(١) نفس المصدر والصفحة.

(٢) انظر «درء التعارض» (٧/ ٤٠٥).

(٣) **أبو الحسن الطبري**: المعروف بالكيا الهراسي، هو علي بن محمد بن علي الطبرستاني الأشعري شافعي المذهب درس بالنظامية ببغداد له «شفاء المسترشدين»، و«نقض مفردات الإمام أحمد»، ولد سنة (٤٥٠هـ) وتوفي سنة (٥٠٤هـ). انظر «الشذرات» (٤/ ١٤١).

(٤) انظر «الدرء» (٧/ ٣٥٧-٣٥٨).

(٥) انظر الدرء(٧/ ٣٩٥).والفصل.لابن حزم(٢/ ٣٣٥).

أول واجب على المكلف:

بعد إيجاب النظر لدى المتكلمين، اختلفوا في أول واجب على المكلف هل هو النظر؟ أو القصد إلى النظر، أو المعرفة؟ وذلك يبنى على أن المعرفة لا تحصل إلا بالنظر وبين ابن تيمية أن هذا نزاع لفظي.

ومنهم من قال أول واجب هو الشك وأخذ به الغزالي في كتابه «ميزان العمل»[١] إلاّ أن ابن تيمية قد وضح أن هذا القول «من أقوال المعتزلة قال به أبو هاشم وطائفة معه وجعلوه أول الواجبات»[٢].

هل المتكلمون كلهم يوجبون النظر والاستدلال؟

والحق أن ليس كل المتكلمين يوجبون النظر، والذين أوجبوا النظر على العامة من الناس هم الذين حصروا معرفة الله بالنظر وحده، وأما بعض المتكلمين الذين يعترفون بأن معرفة الله غير محصورة في النظر فهم يجوزون أن تحصل المعرفة ضرورة أو فطرة فلا يوجبون النظر على العامة إلا من لم يحصل له المعرفة إلا بها فهي واجبة، وهذا ما أشار إليه البعض منهم كالرازي والآمدي والإيجي وكذلك الشهرستاني.

قال الرازي:في كتابه"نهاية العقول" «العقائد الحاصلة عند التصفية إما أن تكون ضرورية وإما أن لا تكون فإن كانت ضرورية فلا كلام لنا فيها، فإنا نسلم أن النظريات يمكن أن تصير ضرورية»[٣].

وقال الآمدي[٤]:في "أبكارالأبكار" «إنا لا نسلم أن لا طريق إلى معرفة الله إلا النظر والاستدلال... -إلى أن قال:- قولهم لا نسلم توقف المعرفة على النظر قلنا نحن إنما نقول

---

(١) ميزان العمل .ص(١٧٥)ت.أبوالعلا.

(٢) نقلاً عن «الدرء» (٧/ ٣٥٥).

(٣) «الدرء» (٧/ ٣٥٥).

(٤) **الآمدي**هو علي بن محمد سيف الدين الحنبلي ثم الشافعي، وُلد سنة (٥٥١هـ)، وتوفي سنة (٦٣١هـ)، له: «إبكار الأفكار»، و«غاية المرام» وغيرها. انظر «الشذرات» (٥/ ٢٥١).

بوجوب النظر في حق من لم يحصل له العلم بالله بغير النظر، وإلا فمن حصلت له المعرفة بـالله بغير النظر فالنظر في حقه غير واجب»[1].

وقال الإيجي: «... إذ من عرف الله بغيره لم يجب عليه»[2].

والشهرستاني قد شهد بالفطرة الإنسانية فقال: «فـإن الفطـرة السـليمة الإنسـانية شـهدت بضرورة فطرتها وبديهة فكرتها على صانع حكيم عالم قدير... إلى أن قال: «وأنا أقول ما شهد به الحدوث أو دل عليه الإمكان...دون ما شهدت بـه الفطـرة الإنسـانية مـن إحتيـاج في ذاتـه إلى مدبر»[3].

❊ ❊ ❊ ❊ ❊

(١) نقلاً عن «درء التعارض» (٧/ ٣٥٦).

(٢) «المواقف» (ص٣٠).

(٣) «نهاية الإقدام» (٧٤-٧٥).

المبحث الثالث
موقف البيضاوي من الاستدلال على وجود الله

يتضح رأي البيضاوي بعد إيراده نصوص في المعرفة:

١- قال -رحمه الله- عند تفسيره للآية: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱعۡبُدُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُمۡ﴾ [البقرة:٢١].

قال: «فالمطلوب من الكفار هو الشروع فيها -يعني الصلاة- والإتيان بما يجب تقديمه من المعرفة والإقرار بالصانع فإن من لوازم وجوب الشيء وجوب ما لا يتم الواجب إلا به».

ثم قال: والآية تدل على أن الطريق إلى معرفة الله والعلم بوحدانيته واستحقاقه للعبادة، النظر في صنعه والاستدلال بأفعاله»[1].

٢- عند تفسيره للآية: ﴿خَلَقَ ٱلۡإِنسَٰنَ مِنۡ عَلَقٍ﴾ [العلق:٢].

قال: «... ولما كان أول الواجبات معرفة الله -سبحانه وتعالى- نزل أولاً ما يدل على وجوده وفرط قدرته وكمال حكمته»[2].

٣- ذكر في «الطوالع»: «أن النظر في معرفة الله واجب أما عندنا فلقوله -تعالى-: ﴿قُلِ ٱنظُرُواْ مَاذَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ﴾ [يونس:١٠١] ونحوه وأما عند المعتزلة فلأن المعرفة واجبة عقلاً وهي لا تحصل إلا بالنظر وما لا يتم الواجب إلا به فهو واجب»[3].

الرد:

يتبين من كلام المصنف -رحمه الله تعالى- وجوب النظر عنده وهو موافق فيه للمتكلمين من الأشاعرة الذين يوجبون النظر شرعاً خلافاً للمعتزلة الذين يوجبونه عقلاً، وبهذا خالف

---

(١) «أنوار التنزيل» (١/ ٤٢).

(٢) المرجع السابق (٢/ ١١٦٣).

(٣) «طوالع الأنوار» (٦٨).

أهل السنة والجماعة في أن أول واجب على العبد هو التوحيد، والرد على هذا في عدة نقاط:

١ - إيجاب النظر والاستدلال على وجود الله مخالف للكتاب والسنة لأن الله -سبحانه وتعالى- حين أرسل الرسل إلى أقوامهم لم يكلفهم بالنظر والاستدلال على وجوده وربوبيته لأن ذلك فطرة مركوزة في نفوس البشر وتقدمت الأدلة على ذلك، وإنما كلفهم بالدعوة إلى توحيده وعبادته -تعالى-، فكان جميع الرسل يدعون أقوامهم مباشرة إلى عبادة الله وحده وعدم الشرك به.

فقال -تعالى-: ﴿ وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ ﴾ [النحل:٣٦].

وقوله -تعالى-: ﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِ فَقَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ﴾ [الأعراف:٥٩].

وقوله -تعالى-: ﴿وَإِلَىٰ عَادٍ أَخَاهُمْ هُودًا ۗ قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُ ۚ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴾ [الأعراف:٦٥].

وقوله -تعالى-: ﴿وَإِلَىٰ ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَالِحًا ۗ قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُ﴾ [الأعراف:٧٣].

وغيرها من الآيات في هذا المعنى، فدل على أن أول واجب على العبد هو إفراد الله بالعبادة.

والشهرستاني وهو من كبار المتكلمين قد اعترف بأن الله لم يكلف أحد بمعرفته وإنما كلفهم بتوحيده فقال: «فإن الفطرة السليمة الإنسانية شهدت بضرورة فطرتها وبديهة فكرتها على صانع حكيم عالم قدير... -إلى أن قال:- ولهذا لم يرد التكليف بمعرفة وجود الصانع وإنما ورد بمعرفة التوحيد ونفي الشريك... ولهذا جعل محل النزاع بين الرسل وبين الخلق في

التوحيد»[١].

٢- في أحاديث الرسول ﷺ ما يبين أن أول الواجبات على العباد هو التوحيد ومن هذه الأحاديث:

١- أنه ﷺ لما بعث معاذاً إلى اليمن قال له: «**إنك تقدم على قوم من أهل الكتاب فليكن أول ما تدعوهم إلى أن يوحدوا الله -تعالى- فإذا عرفوا ذلك فأخبرهم أن الله فرض عليهم خمس صلوات في يومهم وليلتهم فإذا صلوا فأخبرهم أن الله افترض عليهم زكاة أموالهم تؤخذ من غنيهم فترد على فقيرهم فإذا أقروا بذلك فخُذ منهم وتوق كرائم أموال الناس**»[٢].

وفي رواية: «**فادعُهم إلى شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله فإن هم أطاعوا: لك بذلك**»[٣].

فالحديث صرح بأن أول ما تدعوهم إليه أن يوحدوا الله، وفي الرواية الأخرى فادعُهم إلى الشهادتين وهو الإقرار بالتوحيد لله -تعالى-.

٢- حديث ابن عمر -رضي الله عنه-: أن رسول الله ﷺ قال: «**أُمرت أن أقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله ويقيموا الصلاة ويؤتوا الزكاة فإذا فعلوا ذلك عصموا مني دماءهم وأموالهم إلا بحق الإسلام، وحسابهم على الله** »[٤].

والحديث علّق عصمة الدم والمال على الشهادتين وإقامة شرائع الإسلام وهذا دليل على أن أول واجب على العبد هو الشهادتين وهو إفراد الله بالعبادة.

٣- بدعية القول بأن أول الواجبات هو النظر وإجماع السلف في أن أول الواجبات هو

(١) «نهاية الإقدام» (٧٤-٧٥).

(٢) البخاري (كتاب الزكاة) (باب لا تؤخذ كرائم أموال الناس في الصدقة) (ح١٤٥٨)، ومسلم (كتاب الإيمان) (ح١٩).

(٣) نفس المصدر ورقم الحديث.

(٤) البخاري (كتاب الإيمان) رقم الحديث (١٣٩٩)، ومسلم (كتاب الإيمان) رقم الحديث (٢٠).

الشهادتين وهو التوحيد الخالص لله.

«وأن أول الواجبات المعرفة أو النظر أو القصد إلى النظر بدعة لم يعرف عن الرسول ﷺ ولا عن أصحابه ولا التابعين ولا عن علماء الدين والرسول -عليه السلام- لم يدع أحداً من الخلق إلى النظر ابتداءً، ولا إلى مجرد إثبات الصانع بل أول ما دعاهم إليه الشهادتين وبذلك أقر أصحابه...

وهذا مما اتفق عليه أئمة الدين وعلماء المسلمين فإنهم مجمعون على ما علم بالاضطرار من دين الرسول أن كل كافر فإنه يدعى إلى الشهادتين سواءً كان معطلاً أو مشركاً أو كتابيًّا وبذلك يصير الكافر مسلماً ولا يصير مسلماً بدون ذلك»[1].

٤ - كذلك رد ابن حزم[2] على بدعية القول بوجوب النظر واستحالة إغفال النبي ﷺ أن لا يبين للناس ما لا يصح الإيمان إلا به.

فقال: «والرسول -عليه السلام- مذ بعث لم يزل يدعو الناس الجماء الغفير إلى الإيمان بالله -تعالى- وبما أتى به ويقاتل من أهل الأرض من يقاتله ممن عنده ويستحل سفك دمائهم وسبي نسائهم وأولادهم وأخذ أموالهم متقرِّباً إلى الله بذلك... ويقبل ممن آمن به ويحرم ماله ودمه وأهله، وولده ويحكم له بحكم الإسلام وفيهم المرأة البدوية والراعي والراعية والغلام الصحراوي الوحشي، والزنجي المسبي والزنجية المجلوبة والرومي والرومية والأغتر الجاهل والضعيف في فهمه فما منهم أحد ولا من غيرهم قال له -عليه السلام- إني لا أقبل إسلامك ولا يصح لك دين إلا حين تستدل على صحة ما أدعوك إليه... -إلى أن قال:- ومن المحال الممتنع عند أهل الإسلام أن يكون -عليه السلام- يغفل عن أن يبين للناس ما لا يصح لأحد

---

(١) «درء التعارض» (٨/ ٧).

(٢) **ابن حزم الظاهري** هو علي بن أحمد بن سعيد بن حزم بن غالب أو محمد الأندلسي، وُلد بقرطبة سنة (٣٨٤هـ)، وتوفي مشرداً عن بلده سنة (٤٥٦هـ)، وله عدة مصنفات منها: «المحلى»، و«الدرة»، و«إظهار تبديل اليهود والنصارى التوراة والإنجيل وبيان ناقض ما بأيديهم من ذلك مما لا يحتمل التأويل» وغيرها.

انظر «سير أعلام النبلاء» (١٨/ ١٨٤)، و«الشذرات» (٣/ ٤٨١).

الإسلام إلا به ثم تتفق على إغفال ذلك أو تعمد عدم ذكره جميع أهل الإسلام وتنبه لـه هـؤلاء الأشقياء»[١].

٥ - أما استدلال المتكلمين بآيات التفكر والنظر في ملكوت السماوات والأرض فأهـل السنة لا ينكرون النظر والتفكر والتدبر لأن هذا النظر مع الإيمان لزيادة الإيمان واليقين وبه تحصل العبادات القلبية التي تورث محبة الله -سبحانه- ولكنهم ينكرون النظر الذي يريده أهل الكلام فنظرهم يكون قبل الإيمان وبأدلة وطرق ومقدمات بدعية وذلك للتعرف على الخالق وألزموا الناس في أن من لم ينظر ويستدل لا إيمان له وأن إيمان المقلد غير صحيح وغيرها من الإلزامات الباطلة.

وغاية ما يثبتونه من هذا النظر هو المعرفة المجردة بوجود الله وربوبيته وهذه المعرفة ثابتة بالفطرة، وكان المشركون مقرين بهذا ولم يخرجهم من الكفر، والشهرستاني يشهد بأن طريقة المتكلمين في إثبات الصانع والاستدلال بالحدوث والإمكان أقل مما شهدت به الفطرة الإنسانية[٢].

٦ - ثم القول بأن أول واجب هو النظر لمعرفة الله وأن الموجب لهذا هو الشرع عند المصنف على مذهبه الأشعري هذا تناقض بين ّ .

فإذا كان واجباً بالشرع فلا يكون هذا النظر إلا بعد العلم بوجود الله وهذا تحصيل حاصل.

وسبب هذا التناقض في أدلتهم التوفيق بين أصولهم العقلية ونصوص الشرع فإيجاب النظر تابعوا فيه المعتزلة، ونصوص الشرع واضحة في أن لا عقاب إلا بعد إرسال الرسل، قال ابن تيمية: «وعامة هؤلاء يقولون الأقوال المتناقضة ويقولون القول ولا يلتزمون لوازمه ومن أسباب ذلك أنهم يقولون القول المأثور عن الصحابة والسلف الموافق للكتاب والسنة

(الفا «صـَـل» (٢/ ٣٣٥-٣٣٦).

(٢) انظر «نهاية الإقدام» (٧٥).

ولصريح المعقول ويسلكون في الرد على بعض الكفار أو بعض أهل البدع مسلكاً سلكته المعتزلة ونحوهم وذلك المسلك لا يوافق أصول أهل السنة فيحتاجون إلى التزام، لوازم ذلك المسلك المعتزلي وإلى القول بموجب نصوص الكتاب والسنة والمعقول الموافق لذلك فيحصل التعارض والتناقض»[1].

❊ ❊ ❊ ❊ ❊

(١) «درء التعارض» (٧/ ٤٦٢).

الفصل الثالث
توحيد الربوبية

المبحث الأول: تعريفه.

المبحث الثاني: تقرير البيضاوي لتوحيد الربوبية.

المبحث الأول
تعريف الربوبية

١ـ تعريف توحيد الربوبية لغةً وشرعاً:

«**الرب**»: كلمة الرب لها عدة معاني في اللغة:

١ - تأتي بمعنى مالك الشيء وصاحبه مثل رب الدار.

٢ - تأتي بمعنى السيد المطاع. قال ابن منظور: «ربيت القوم سستهم».

٣- تأتي بمعنى المصلح للشيء والمدبر له القائم على تربيته[١].

تعريف توحيد الربوبية شرعاً:

وتوحيد الربوبية هو ما يتعلق بذات الرب وأنه الخالق الرازق المحيي المميت، المنعم على خلقه وهو القادر على كل شيء.

قال ابن القيم في تعريف الرب: «فاسم الرب له الجمع الجامع لجميع المخلوقات فهو رب كل شيء وخالقه والقادر عليه لا يخرج شيء عن ربوبيته، وكل من في السماوات والأرض عبد له في قبضته وتحت قهره، فاجتمعوا بصفة الربوبية وافترقوا بصفة الإلهية...»[٢].

٢ - وعرفه ابن تيمية بقوله: «فتوحيد الربوبية: أنه لا خالق إلا الله فلا يستقل شيء سواه بإحداث أمر من الأمور بل ما شاء كان وما لم يشأ لم يكن»[٣].

٣- وعرفه ابن عثيمين بقوله: «هو إفراد الله بالخلق والرزق والتدبير»[٤].

فتوحيد الربوبية هو الإقرار والاعتقاد بأنه رب كل شيء وخالقه وهو النافع الضار المحيي

(١) انظر «لسان العرب» (٥/ ٩٤)، و«معجم مقاييس اللغة» لابن فارس(٢/ ٣٨١).

(٢) «مدارج السالكين» (١/ ٩٢).

(٣) «مجموع الفتاوى» (١٠/ ٣٣١).

(٤) «القول المفيد»ص١٢.

والمميت والمدبر للخلق والرازق لهم، والقادر على كل شيء وبعبارة أخرى هو إفراد الله بأفعاله.

الأدلة على توحيد الربوبية:

الأدلة على هذا النوع من التوحيد كثيرة لا حصر لها منها:

١ - قوله -تعالى-: ﴿أَلَا لَهُ ٱلْخَلْقُ وَٱلْأَمْرُ﴾ [الأعراف:٥٤].

٢ - قوله -تعالى-: ﴿هَلْ مِنْ خَٰلِقٍ غَيْرُ ٱللَّهِ يَرْزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ﴾ [فاطر:٣].

٣- قوله -تعالى-: ﴿وَلِلَّهِ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ [آل عمران:١٨٩].

٤- قوله -تعالى-: ﴿قُلْ مَن يَرْزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ أَمَّن يَمْلِكُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَٰرَ وَمَن يُخْرِجُ ٱلْحَىَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ ٱلْمَيِّتَ مِنَ ٱلْحَىِّ وَمَن يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ ۚ فَسَيَقُولُونَ ٱللَّهُ ۚ فَقُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ﴾ [يونس:٣١].

وغيرها من الآيات الكثيرة وهي تبين أن الله مختص بالملك والأمر والتدبير.

وهذا التوحيد لم ينكره أحد من بني آدم بل القلوب مفطورة على الإقرار به ومن أنكره كفرعون فهو كان مستيقناً به في الباطن فهو أنكره مكابرةً وهو يعلم أن الرب غيره بدليل قوله -تعالى-: ﴿وَجَحَدُوا۟ بِهَا وَٱسْتَيْقَنَتْهَآ أَنفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا﴾ [النمل:١٤].

ولم يعلم عن أحد أنه قال للعالم صانعان إلا المجوس فإن الثنوية من المجوس القائلون بالأصلين (النور والظلمة) وأن العالم صدر عنهما ومع هذا لم يثبتوا ربين متماثلين، لأنهم يقولون النور خير من الظلمة[1].

---

(١) انظر «شرح الطحاوية» (٦/ ٢٧)

- المجوس : أثبتوا أصلين .. إلا أنهم زعموا أن الأصلين لا يكونا قديمين أزليين بل النور أزلي والظلمه محدثة ثم لهم اختلاف في سبب حدوثها ، وأما الثنويه فهم يزعمون أزلية النور والظلمة وتساويهما في القدم واختلافهما في الجوهر والطبع والفعل والحيز والمكان والأجناس والأبدان والأرواح . انظر الملل والنحل للشهرستاني ص (١٩٧) وص (١٠٩)

وإلاّ فالمشركون والكافرون كانوا مقرين بهذا التوحيد وإنما كان النزاع مع الرسل في توحيد الألوهية،وقد أخبر القرآن عنهم إذا سُئلوا من خلق السماوات والأرض فيقولون: الله معترفين بهذا التوحيد ولكن لا ينفعهم دون توحيد العبادة ولهذا قال -تعالى-: ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ﴾ [لقمان:٢٥].

وقوله -تعالى-: ﴿قُل لِّمَنِ ٱلْأَرْضُ وَمَن فِيهَآ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ . سَيَقُولُونَ لِلَّهِ ۚ قُلْ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ﴾[المؤمنون:٨٤-٨٥].

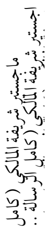
فهم معترفون بأن الخلق والملك والتدبير لله رب العالمين، ومع هذا فهم مشركون وكانوا يعبدون الأصنام وغيرها مع أنهم لا يعتقدون أنها مشاركة لله بل أخذوها على أنها تقربهم إلى الله زلفى، وأنها شفعاء عند الله.

وقال -تعالى-: ﴿وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنفَعُهُمْ وَيَقُولُونَ هَٰٓؤُلَآءِ شُفَعَٰٓؤُنَا عِندَ ٱللَّهِ﴾[يونس:١٨].

والخلاصه :

أن توحيد الربوبية جميع الخلق مقرون به وليس في الطوائف من يثبت للعالم خالقين أو صانعين متماثلين مع أن كثير من أهل الكلام والنظر والفلسفة تعبوا في إثبات هذا المطلوب وإقراره.

*****



المبحث الثاني
تقرير البيضاوي لتوحيد الربوبية

تعريفه للربوبية:

قال -تعالى-: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾ [الفاتحة:٢].

قال: «الرب: في الأصل مصدر بمعنى التربية وهي تبليغ الشيء إلى كماله شيئاً فشيئاً، ثم وصف به للمبالغة... وقيل: هو نعت من ربه يربه فهو رب كقولك نم ينم ثم سمي به المالك لأنه يحفظ ما يملكه ويربيه ولا يطلق على غيره إلاّ مقيداً كقوله: «ارجع إلى ربك».

و(العالم) اسم لما يعلم به كالخاتم والقالب غلب فيما يعلم به الصانع -تعالى-، وهو كل ما سواه من الجواهر والأعراض فإنها لإمكانها وافتقارها إلى مؤثر واجب لذاته تدل على وجوده، وإنما جمعه ليشمل ما تحته من الأجناس المختلفة... وفيه دليل على أن الممكنات كما هي مفتقرة إلى المحدث حال حدوثها فهي مفتقرة إلى المبقي حال بقائها»[١].

الخلاصه :

هذا التعريف لمعنى الرب صحيح وهو التعريف اللغوي الذي يأتي بعده معانٍ كما ذكرنا ذلك فهي تأتي بمعنى مالك الشيء وصاحبه وكذلك كلمة (الرب) مشتقة من التّربية لأن الله -سبحانه- مدبر الخلق ومربيهم[٢] وقوله: (رب العالمين) أي: مالكهم.

قال ابن كثير: «والرب هو المالك المتصرف ويطلق في اللغة على السيد وعلى المتصرف للإصلاح وكل ذلك صحيح في حق الله ولا يستعمل الرب لغير الله بل بالإضافة تقول رب الدار»[٣].

(١) «أنوار التنزيل» (١/ ١٤).

(٢) انظر «معجم مقاييس اللغة» لابن فارس (٢/ ٣٨١).

(٣) «تفسير ابن كثير» (١/ ٣٦).

وأما تعريفـه للعـالم بأنـه كـل مـا سـوى الله مـن الجـواهر والأعـراض فهـو تـابع في هـذا للمتكلمين الذين يجعلون العالم من الجواهر والأعراض وحدوثها وإمكانها أدلة على وجود الله -سبحانه وتعالى- وقد أشار البيضاوي إلى دليل الحدوث والإمكان الـذي يعتمـده المتكلمـون لإثبات الصانع كما يزعمون ذلـك، إلاّ أنـه لم يتطـرق إلى شرحـه أو الكـلام عنـه لأن تفسـيره مختصر. ومحل هذه الشروح هي الكتب الكلامية.

❊ ❊ ❊ ❊ ❊

أقواله في بعض الآيات الدالة على الربوبية

الخلق: والرزق والإحياء والإماتة والتدبير والملك.

١ - قال -تعالى-: ﴿ٱلَّذِى خَلَقَكُمْ﴾ [البقرة:٢١].

والخلق: «إيجاد الشيء على تقدير واستواء وأصله التقدير يُقال: خلق النمل إذا قدرها وسواها بالمقياس»[١].

٢ - وفي قوله -تعالى-: ﴿أَلَا لَهُ ٱلْخَلْقُ وَٱلْأَمْرُ﴾ [الأعراف:٥٤].

قال: «إن الكفرة كانوا متخذين أرباباً فبين لهم أن المستحق للربوبية واحد وهو الله -سبحانه- لأنه الذي له الخلق والأمر فإنه -سبحانه وتعالى- خلق العالم على ترتيب قويم وتدبير حكيم فأبدع الأفلاك ثم زينها بالكواكب»[٢].

٣- قال -تعالى-: ﴿خَٰلِقُ كُلِّ شَىْءٍ﴾ [الرعد:١٦].

قال: «أي لا خالق غيره فيشاركه في العبادة جعل الخلق موجباً للعبادة»[٣].

٤- في قوله -تعالى-: ﴿فَمَن رَّبُّكُمَا يَٰمُوسَىٰ . قَالَ رَبُّنَا ٱلَّذِىٓ أَعْطَىٰ كُلَّ شَىْءٍ خَلْقَهُۥ ثُمَّ هَدَىٰ﴾ [طه:٤٩-٥٠].

قال -رحمه الله-: «وهو جواب في غاية البلاغة لاختصاره وإعرابه عن الموجودات بأسرها على مراتبها ودلالة على أن الغني القادر بالذات المنعم على الإطلاق هو الله وأن جميع ما عداه مفتقر إليه منعم عليه في حد ذاته وصفاته وأفعاله»[٤].

٥- في قوله -تعالى-: ﴿ قُلْ مَن يَرْزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ أَمَّن يَمْلِكُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَٰرَ وَمَن يُخْرِجُ

(١) «أنوار التنزيل» (١/ ٤٣).

(٢) المرجع السابق (١/ ٣٤٢).

(٣) المرجع السابق (١/ ٥٠٧).

(٤) المرجع السابق (٢/ ٦٤٢).

ٱلْحَىَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ ٱلْمَيِّتَ مِنَ ٱلْحَىِّ وَمَن يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ ۚ فَسَيَقُولُونَ ٱللَّهُ ۚ فَقُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ . فَذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمُ ٱلْحَقُّ ۖ فَمَاذَا بَعْدَ ٱلْحَقِّ إِلَّا ٱلضَّلَـٰلُ ۖ فَأَنَّىٰ تُصْرَفُونَ ﴾ [يونس:٣١-٣٢].

قال بعد تفسيرها: «أي المتولي لهذه الأمور المستحق للعبادة هو ربكم الثابت ربوبيته لأنه الذي أنشأكم وأحياكم ورزقكم ودبّر أموركم ﴿فَمَاذَا بَعْدَ ٱلْحَقِّ إِلَّا ٱلضَّلَـٰلُ﴾.

استفهام إنكار أي ليس بعد الحق إلا الضلال فمن تخطّى الحق الذي هو عبادة الله وقع في الضلال ﴿فَأَنَّىٰ تُصْرَفُونَ﴾ عن الحق إلى الضلال...»(١).

٦- قوله -تعالى-: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ يُحْىِۦ وَيُمِيتُ ۚ وَمَا لَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ مِن وَلِىٍّ وَلَا نَصِيرٍ﴾ [التوبة:١١٦].

قيل: ّ« لهم أن الله مالك كل موجود ومتولي ِّ أمره والغالب عليه ولا يتأتّى لهم ولاية ولا نصرة إلا منه»(٢).

٧- قوله -تعالى-: ﴿قَالَ فِرْعَوْنُ وَمَا رَبُّ ٱلْعَـٰلَمِينَ . قَالَ رَبُّ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَآ ۖ إِن كُنتُم مُّوقِنِينَ . قَالَ لِمَنْ حَوْلَهُۥٓ أَلَا تَسْتَمِعُونَ . قَالَ رَبُّكُمْ وَرَبُّ ءَابَآئِكُمُ ٱلْأَوَّلِينَ . قَالَ إِنَّ رَسُولَكُمُ ٱلَّذِىٓ أُرْسِلَ إِلَيْكُمْ لَمَجْنُونٌ . قَالَ رَبُّ ٱلْمَشْرِقِ وَٱلْمَغْرِبِ وَمَا بَيْنَهُمَآ ۖ إِن كُنتُمْ تَعْقِلُونَ﴾ [الشعراء:٢٣-٢٨].

قال -رحمه الله-: «﴿قَالَ فِرْعَوْنُ وَمَا رَبُّ ٱلْعَـٰلَمِينَ﴾ لما سمع مطعن به فيه ورأى أنه لم يرعو بذلك شر ع في الاعتراض على دعواه فبدأ بالاستفسار عن حقيقة المرسل ﴿قَالَ رَبُّ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَآ﴾ عرفه بأظهر خواصه وآثاره لما امتنع تعريف الإفراد إلا بذكر الخواص والأفعال وإليه أشار بقوله: ﴿إِن كُنتُم مُّوقِنِينَ﴾ أي: إن كنتم موقنين الأشياء محققين لها علمتم أن هذه الأجرام المحسوسة ممكنة لتركبها وتعددها وتغير أحوالها فلها مبدئ واجب لذاته وذلك المبدئ لا بد وأن يكون مبدئ لسائر الممكنات ما يمكن أن يحس بها وما لا يمكن وإلا لزم

(١) «أنوار التنزيل» (١/ ٤٣٥).

(٢) المرجع السابق (٢/ ٤٢٤).

تعدد الواجب، أو استغناء بعض الممكنات عنه وكلاهما محال ثم ذلك الواجب لا يمكن تعريفه إلا بلوازمه الخارجية لامتناع التعريف بنفسه وبما هو داخل فيه لاستحالة التركيب في ذاته ﴿ قَالَ لِمَنْ حَوْلَهُۥٓ أَلَا تَسْتَمِعُونَ ﴾ جوابه سألته عن حقيقة وهو يذكر أفعاله»[1].

الخلاصه :

من تفسيرات البيضاوي -رحمه الله- للآيات الدالة على توحيد الربوبية نراه موافق فيها للسلف فهو يثبت أن الله -تعالى- هو الخالق والرازق والمحيي والمميت والمدبر لكل شيء والمتصرف والمالك لكل شيء حسب ما نطقت به نصوص الكتاب والسنة.

فكل شيء يدل على وجود الله -سبحانه وتعالى- إذ ما من شيء إلاّ وهو أثر من آثار قدرته -سبحانه- وقد نبّه القرآن الكريم إلى دلالة كل شيء على الله -تعالى- فقال -سبحانه-: ﴿قُلْ أَغَيْرَ ٱللَّهِ أَبْغِى رَبًّا وَهُوَ رَبُّ كُلِّ شَىْءٍ ﴾ [الأنعام:١٦٤].

وقوله -تعالى-: ﴿أَلَا لَهُ ٱلْخَلْقُ وَٱلْأَمْرُ تَبَارَكَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾ [الأعراف:٥٤].

فكل ما في العالم شاهد ودليل على وجود الله -تعالى-، فأدلة وجوده وربوبيته لا تعد ولا تحصى ففي كل شيء آية ودليل على ربوبيته وكذلك استدل الأنبياء -عليهم السلام- في دعوتهم لأقوامهم بتوحيد الله -سبحانه وتعالى- وأن المستحق للعبادة هو ربهم الذي بيده كل شيء والخالق والمالك والمدبر لهم وهو المحيي والمميت فقال إبراهيم -عليه السلام- للنمرود في محاجته له: ﴿رَبِّىَ ٱلَّذِى يُحْىِۦ وَيُمِيتُ ﴾ فلما كابر وجحد قال: ﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ يَأْتِى بِٱلشَّمْسِ مِنَ ٱلْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ ٱلْمَغْرِبِ فَبُهِتَ ٱلَّذِى كَفَرَ ﴾ [البقرة:٢٥٨].

فالله -سبحانه وتعالى- لم يكلف البشر بالنظر والاستدلال في مخلوقاته ليتعرفوا على ربوبيته وإنما جعل الربوبية دليلاً لتوحيد الألوهية الذي هو إخلاص العبادة له -تعالى- والربوبية تشهد بها الفطرة الإنسانية، ولهذا جعل النزاع بين الرسل وأقوامهم في توحيد

(١) المرجع السابق (٢/ ٧٤٨).

الألوهية، وليس في البشر من ينكر الصانع إلا من أنكره كفرعون والنمرود إنما أنكروا ذلك جحداً ومكابرةً وعناداً وإلاّ فهم في قرارة أنفسهم يعلمون أنهم مربوبين، بدليل قوله -تعالى-: ﴿وَجَحَدُواْ بِهَا وَٱسْتَيْقَنَتْهَآ أَنفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا﴾ [النمل:١٤].

٢- أما قوله وتفسيره للآية الأخيرة وهي سؤال فرعون لموسى -عليه السلام- عن رب العالمين فهو رحمه الله في هذه الآية مشى على منهج المتكلمين وتفسيراتهم، فهو جعل سؤال فرعون في هذه الآية ﴿قَالَ فِرْعَوْنُ وَمَا رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ سؤال عن الحقيقة والماهية.

واستعمل فيها ألفاظ المتكلمين من واجب الوجود، الممكنات، والتعدد والتركيب وبهذا خالف في هذه الآية تفسير السلف لها.

إذ أن مقصود الاستفهام عند السلف في الآية هو استفهام إنكار، لا استفهام عن الماهية، لأن فرعون كان منكراً للصانع، والسؤال عن ماهية الشيء الثابتة في الخارج يكون بعد الاعتراف بوجوده.

ولهذا قل ابن تيمية ردًّا على من يرى الإستفهام عن الماهية بقوله: «وقد ظن بعض الناس أن سؤال فرعون ﴿وَمَا رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [الشعراء:٢٣] هو سؤال عن ماهية الرب، كالذي يسأل عن حدود الأشياء فيقول ما الإنسان ؟ ما الملك ؟.. ونحو ذلك قالوا: ولما لم يكن للمسؤول عنه ماهية عدل موسى عن الجواب إلى بيان ما يعرف به وهو قوله: ﴿رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ [الشعراء:٢٤] وهذا قول قاله بعض المتأخرين وهو باطل، فإن فرعون استفهم استفهام إنكار وجحد لم يسأل عن ماهية رب أقر بثبوته، بل كانمنكراً له جاحداً ولهذا قال في تمام الكلام: ﴿لَئِنِ ٱتَّخَذْتَ إِلَٰهًا غَيْرِى لَأَجْعَلَنَّكَ مِنَ ٱلْمَسْجُونِينَ﴾ [الشعراء:٢٩] وقال: ﴿وَإِنِّى لَأَظُنُّهُۥ كَٰذِبًا﴾ [غافر:٣٧]فاستفهامه كان إنكاراً وجحداً ... فبين موسى أنه معروف عنده وعند الحاضرين، وأن آياته ظاهرة بينة لا يمكن معها جحده، وأنكم إنما تجحدون بألسنتكم ما تعرفونه بقلوبكم، كما قال موسى في موضع آخر لفرعون: ﴿لَقَدْ عَلِمْتَ مَآ أَنزَلَ هَٰٓؤُلَآءِ إِلَّا رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ بَصَآئِرَ﴾ [الإسراء:١٠٢] وقال -تعالى-: ﴿وَجَحَدُواْ بِهَا وَٱسْتَيْقَنَتْهَآ أَنفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا ۚ فَٱنظُرْ

كَيْفَ كَانَ عَـٰقِبَةُ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴾[1] [النمل:١٤].

وقال ابن كثير في تفسير هذه الآية: «يقول -تعالى- مخبراً عن كفر فرعون وتمرده وطغيانه وجحوده في قوله: ﴿وَمَا رَبُّ ٱلْعَـٰلَمِينَ﴾ [الشعراء:٢٣] وذلك أنه كان يقول لقومه: ﴿مَا عَلِمْتُ لَكُم مِّنْ إِلَـٰهٍ غَيْرِى﴾ [القصص:٣٨] ﴿فَٱسْتَخَفَّ قَوْمَهُۥ فَأَطَاعُوهُ﴾ [الزخرف:٥٤] وكانوا يجحدون الصانع -جل وعلا-، ويعتقدون أنه لا رب لهم سوى فرعون فلما قال له موسى: ﴿إِنِّى رَسُولُ رَبِّ ٱلْعَـٰلَمِينَ﴾ [الزخرف:٤٦] قال له فرعون: ومن هذا الذي تزعم أنه رب العالمين غيري؟ هكذا فسره السلف وأئمة الخلف، حتى قال السدي: هذه الآية كقوله -تعالى-: ﴿قَالَ فَمَن رَّبُّكُمَا يَـٰمُوسَىٰ . قَالَ رَبُّنَا ٱلَّذِىٓ أَعْطَىٰ كُلَّ شَىْءٍ خَلْقَهُۥ ثُمَّ هَدَىٰ﴾ [طه:٥٠] ومن زعم من أهل المنطق وغيرهم أن هذا سؤال عن الماهية فقد غلط فإنه لم يكن مقراً بالصانع حتى يسأل عن الماهية بل كان جاحداً له بالكلية فيما يظهر وإن كانت الحجج والبراهين قد قامت عليه»[2].

وهكذا فسره السلف بأن سؤاله إنكار وجحد للصانع مع أنه في قرارة نفسه يعلم أنه مربوب، وأن العلم به -تعالى- مستقر في الفطر مغروز في القلوب واستقرار ذلك في فطر الناس أمر لا يمكن إنكاره إلا عناداً واستكباراً.

أقواله في أدلة التمانع:

وهذه الأدلة هي بعض الأدلة العقلية الواردة في القرآن الكريم، والمتكلمون يربطون دلالتها بدليل التمانع ويقصرون دلالتها على توحيد الربوبية.

ودليل التمانع دليل عقلي فرضه المتكلمون وهو وإن كان برهان تام على مقصودهم وهو امتناع صدور العالم عن اثنين، وإن كان صحيحاً في نفسه لكن لا يلزم منه أن يكون هو المراد من الآيات التي استدلوا بها وسموها أدلة التمانع؛ لأن إثبات ربين للعالم لم يذهب إليه أحد من بني آدم ولا أحد أثبت إلهين متماثلين أو متساويين في الصفات أو الأفعال، وأما الثنوية من

(١) «مجموع الفتاوى» (١٦/ ٣٣٤)، وانظر «درء التعارض» (١٠/ ٢٧٢)، و«منهاج السنة» (٢/ ٢٧١).

(٢) «تفسير القرآن العظيم» (٣/ ٤٤٠).

المجوس القائلين بالنور والظلمة فهم أثبتوا قديمين لم يجعلوهما متماثلين فهـم يـرون إلـه النـور خير من إله الظلمة، والشرك الواقع في العالم هو الشرك في الإلهية بعبـادة بعـض مخلوقـات الله -سبحانه وتعـالى- ودعائهـا والتقـرب إليهـا كعبـاد الشـمس والقمـر والكواكـب والأنبيـاء وغيرهم[1].

ونورد هذه الآيات فنرى أقوال البيضاوي فيها ومدى اتفاقه مع السلف أو مخالفته لهم:

١- قال -تعالى-: ﴿مَا ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ مِن وَلَدٍ وَمَا كَانَ مَعَهُۥ مِنْ إِلَٰهٍ ۚ إِذًا لَّذَهَبَ كُلُّ إِلَٰهٍۭ بِمَا خَلَقَ وَلَعَلَا بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ ۚ سُبْحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يَصِفُونَ﴾ [المؤمنون:٩١].

قال -رحمه الله-: «... أي: لو كان معه آلهة كما تقولون لذهب كل منهم بما خلقه واستبد به وامتاز ملكه عن ملك الآخرين وظهر بينهم التحارب والتغالب كما هو حال ملوك الـدنيا فلـم يكن بيده وحده ملكوت كل شيء والـلازم باطـل بالإجمـاع والاسـتقراء وقيـام البرهـان عـلى استناد جميع الممكنات إلى واجب واحد»[2].

الخلاصة :

كما نرى أن تفسير البيضاوي -رحمه الله- لهذه الآية تفسير صحيح موافق لتفسـير السـلف لأن المقصود من الإله في الآية هو الرب والآية واضحة لا اختلاف فيها بين المفسرين.

وقال ابن كثير في الآية: «أي لو قدر تعدد الآلهة لانفرد كل منهم بما خلـق فـما كـان ينـتظم الوجود والمشاهد أن الوجود منتظم متسق كل من العالم العلوي والسفلي مرتبط بعضه بـبعض في غاية الكمال: ﴿مَّا تَرَىٰ فِى خَلْقِ ٱلرَّحْمَٰنِ مِن تَفَٰوُتٍ﴾ [المُلك:٣] ثم لكـان كـل مـنهم يطلـب قهـر الآخر وخلافه فيعلو بعضهم على بعض»[3].

وابن كثير -رحمه الله- قد فسر امتناع تعـدد الأربـاب بانتظـام الوجـود واتسـاقه وجعلهـا

---

(١) انظر «درء التعارض» (٩/ ٣٤٦-٣٥٤) باختصار وتصرف.

(٢) «أنوار التنزيل» (٢/ ٧٠٨).

(٣) «تفسير القرآن العظيم» (٣/ ٣٣٧).

مفسراً لآية الأنبياء في عدم فساد العالم، وكذلك لحرص كل واحد منهم على الممانعة والمغالبة والعلو.

وقال السعدي -رحمه الله- في تفسيره للآية: «ولهذا نبه -تعالى- على الدليل العقلي على امتناع إلهين فقال: ﴿إِذًا﴾ أي: لو كان معه آلهة كما يقولون ﴿لَّذَهَبَ كُلُّ إِلَٰهٍ بِمَا خَلَقَ﴾ أي: لانفرد كل واحد من الإلهين بمخلوقاته واستقل بها، ولحرص على ممانعة الآخر ومغالبته ﴿وَلَعَلَا بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ﴾ [المؤمنون:٩١] فالغالب يكون هو الإله وإلا فمع التمانع لا يمكن وجود العالم، ولا يتصور أن ينتظم هذا الانتظام المدهش للعقول واعتبر ذلك بالشمس والقمر والكواكب الثابتة والسيارة فإنها منذ خلقت تجري على نظام واحد وترتيب واحد كلها مسخرة بالقدرة مدبرة بالحكمة لمصالح الخلق كلهم... فهل يتصور أن يكون ذلك تقدير إلهين ربين»[١].

وهكذا قد فسرها بدليل التمانع وانتظام العالم على ترتيب قويم دليل على أن خالقها ومدبرها واحد لا شريك له افتقرت إليه جميع المخلوقات في ربوبيته لها وفي إلهيته.

٢- قال -تعالى-: ﴿قُل لَّوْ كَانَ مَعَهُۥٓ ءَالِهَةٌ كَمَا يَقُولُونَ إِذًا لَّٱبْتَغَوْا۟ إِلَىٰ ذِى ٱلْعَرْشِ سَبِيلًا﴾ [الإسراء:٤٢].

﴿إِذًا لَّٱبْتَغَوْا۟ إِلَىٰ ذِى ٱلْعَرْشِ سَبِيلًا﴾ [الإسراء:٤٢].

قال -رحمه الله-: «جواب عن قولهم وجزاء لـ(لو)، والمعنى: لطلبوا من هو مالك الملك سبيلاً بالمعازّة كما يفعل الملوك بعضهم مع بعض، أو بالتقرب إليه والطاعة لعلمهم بقدرته وعجزهم كقوله -تعالى-: ﴿أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمُ ٱلْوَسِيلَةَ﴾ [الإسراء:٥٧]»[٢].

(١) «تيسير الكريم الرحمن» (٥٥٨).

(٢) «أنوار التنزيل» (١/ ٥٧٥).

الرد:

نرى البيضاوي -رحمه الله- في هذه الآية قد فسرها بتفسيرين هما: أنهم طلبوا من مالك الملك سبيلاً بالمعزّة والمغالبة كما يفعل ملوك الدنيا.

٢- والمعنى الثاني أنهم طلبوا التقرب إليه بالطاعة واستدل على ذلك بالآية وهذا التفسير صحيح وهو لم يرجح أحد القولين وإنما جعل الآية محتملة للتفسيرين معاً وهذا هو الحق وأنه في هذا موافق فيه للسلف لأن لهم في الآية قولين، فمنهم من رجح القول الأول وهو المعزّة والمغالبة ومنهم من رجح القول الثاني كابن جرير الطبري وابن كثير وابن تيمية[1].

ومنهم من جعل الآية محتملة للقولين وذكر أدلة على ذلك كالشنقيطي والسعدي[2].

فقال الشنقيطي في تفسيره للآية: «وفي معنى هذه الآية الكريمة وجهان من التفسير كلاهما حق ويشهد له قرآن:

الأول من الوجهين المذكورين: أن معنى الآية الكريمة: لو كان مع الله آلهة أخرى كما يزعم الكفار لابتغوا -أي: الآلهة المزعومة- أي: لطلبوا إلى ذي العرش سبيلاً، أي إلى مغالبته وإزالة ملكه، لأنهم إذاً يكونون شركاءه كما يفعل الملوك بعضهم مع بعض -سبحانه- وتعالى عن ذلك علوّاً كبيراً، وهذا القول في معنى الآية هو الظاهر عندي، وهو المتبادر من معنى الآية الكريمة.

ومن الآيات الشاهدة لهذا المعنى قوله -تعالى-: ﴿مَا ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ مِن وَلَدٍ وَمَا كَانَ مَعَهُۥ مِنْ إِلَٰهٍ ۚ إِذًا لَّذَهَبَ كُلُّ إِلَٰهٍۭ بِمَا خَلَقَ وَلَعَلَا بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ ۚ سُبْحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يَصِفُونَ . عَٰلِمِ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ فَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ [المؤمنون:٩٢].

وقوله: ﴿لَوْ كَانَ فِيهِمَآ ءَالِهَةٌ إِلَّا ٱللَّهُ لَفَسَدَتَا ۚ فَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ رَبِّ ٱلْعَرْشِ عَمَّا يَصِفُونَ﴾ [الأنبياء:٢٢] وهذا

(١) انظر «جامع البيان» للطبري (١٥/ ٩١)، و«تفسير القرآن العظيم» لابن كثير (٣/ ٥٩)، و«درء التعارض» (٩/ ٣٥).

(٢) «تفسير السعدي» (٤٥٨).

المعنى في الآية مروي عن ابن عباس وسعيد بن جبير وأبي علي الفارسي، والنقاش، وأبي منصور وغيره من المتكلمين.

٢- والوجه الثاني في معنى الآية الكريمة: أن المعنى: ﴿لَّٱبْتَغَوْاْ إِلَىٰ ذِى ٱلْعَرْشِ سَبِيلًا ﴾ [الإسراء:٤٢] أي:طريقاً ووسيلةً تقربهم إليه لاعترافهم بفضله ويدل لهذا المعنى قوله -تعالى-: ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمُ ٱلْوَسِيلَةَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ وَيَرْجُونَ رَحْمَتَهُۥ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُۥٓ ﴾ [الإسراء:٥٧].

ويروى هذا القول عن قتادة واقتصر عليه ابن كثير في تفسيره، ولا شك أن المعنى الظاهر المتبادر من الآية بحسب اللغة العربية هو القول الأول، لأن في الآية فرض المحال والمحال المفروض الذي هو وجود آلهة مع الله مشاركة له لا يظهر معه أنها تتقرب إليه، بل تنازعه لو كانت موجودة ولكنها معدومة مستحيلة الوجود والعلم عند الله -تعالى-»[1].

فالشنقيطي -رحمه الله- مع أنه جعل الآية تحتمل القولين وأن كلاً منهما حق إلاّ أنه رجح القول الأول.

وأما السعدي فجعل الآية تحتمل القولين وذكر أدلة على كل قول دون ترجيح لأحد القولين[2].

٣- قوله -تعالى-: ﴿لَوْ كَانَ فِيهِمَآ ءَالِهَةٌ إِلَّا ٱللَّهُ لَفَسَدَتَا ۚ فَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ رَبِّ ٱلْعَرْشِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴾ [الأنبياء:٢٢].

قال في تفسيرها: «﴿ لَوْ كَانَ فِيهِمَآ ءَالِهَةٌ إِلَّا ٱللَّهُ ﴾ غير الله وصف بإلا لتعذّر الاستثناء لعدم شمول ما قبلها لما بعدها ودلالته على ملازمة الفساد لكون الآلهة فيهما دونه.

﴿لَفَسَدَتَا﴾ لبطلتا لما يكون بينهما من الاختلاف والتمانع فإنها إله توافقت في المراد تطاردت

(١) «أضواء البيان» (ص٥٨٦).

(٢) انظر «تفسير السعدي» (٤٥٨).

في القدر وإن تخالفت فيه تعاوقت عنه»[1].

الخلاصة :

نرى البيضاوي -رحمه الله- قد فسر الآية بدليل التمانع بقوله لما يكون (بينهما) أي: بين الإلهين من الإختلاف والإتفاق في الإرادة.

فقال: «إن توافقت في المراد تطاردت في القدر» أي: إن توافقا في المراد بأن يريد أن لكل منهما الفعل كحركة زيد مثلاً إرادة مستقلة تطاردت عليه القدر أي لزم أن تطرد قدرة كل منهما قدرة الآخر لامتناع اجتماع مؤثرين على أثر واحد وإن لم يحصل لزم عجز الجميع وإن حصل مراد أحدهما فالثاني عاجز لا يكون إلهاً.

وقوله: «وإن تخالفت فيه تعاوقت عنه» أي:إن تخالفت في المراد بأن أراد أحدهما شيئاً والآخر ضده فإن حصل مرادهما لزم اجتماع الضدين وهو محال وإن لم يحصل عاقت قدرة كل منهما قدرة الآخر وإن حصل مراد أحدهما فالثاني عاجز ليس بإله.

وبهذا قد قصر دلالة الآية على توحيد الربوبية شأنه في ذلك شأن المتكلمين الذين يفسرون دليل التمانع بهذه الآية، ويقصرونها على نفي الشرك في الربوبية.

إلا أن بعض أهل السنة والجماعة قد قبل هذا التفسير وأخذ به كابن كثير والسعدي في أحد قوليه في معنى فساد السماوات والأرض، وأما القول الآخر لأهل السنة أن الآية تدل على توحيد الألوهية والعبادة ويمكن أن نقول أن في تفسير هذه الآية أكثر من قول بحسب تفسير المراد بفساد السماوات والأرض وهذه الأقوال هي:

١ - أنه فساد أهل السماوات والأرض الناشئ عن عبادة غير الله وهو فساد معنوي قال بهذا ابن جرير الطبري وابن تيمية وابن القيم.

٢ - أنه فساد نظام العالم واختلاله وخرابه وقال بهذا أكثر المفسرين ومنهم ابن كثير

(١) «أنوار التنزيل» (٢/ ٦٦٣).

والسعدي وغيرهم، والمتكلمين بعامتهم يفسرونها بهذا المعنى.

٣- أنه فساد السماوات والأرض في ذاتهما واختلال نظامهما وفساد أهل السماوات والأرض وهذا قول السعدي.

فالذين فسروا الفساد بفساد عبادة غير الله -سبحانه وتعالى- جعلوا الآية تدل على توحيد الألوهية والعبادة.

١ - قال ابن جرير الطبري: «لو كان في السماوات والأرض آلهة تصلح للعبادة سوى الله الذي هو خالق كل الأشياء وله العبادة والألوهية التي لا تصلح إلا له ﴿لَفَسَدَتَا﴾ يقول: لفسد أهل السماوات والأرض»[1].

٢ - وكذلك فسرها ابن تيمية أن المقصود منها توحيد الإلهية الذي هو المقصود والغاية التي فيها صلاح البشر فقال -رحمه الله-: ﴿لَوْكَانَ فِيهِمَآ ءَالِهَةٌ إِلَّا ٱللَّهُ لَفَسَدَتَا﴾ فلم يقل: لو كان فيهما إلهان، بل المقدر آلهة غير الإله المعلوم أنه إله فإنه لم ينازع أحد في أن الله إله حق وإنما نازعوا هل يتخذ غيره إلهاً مع كونه مملوكاً له»[2].

ثم بين -رحمه الله- أن صلاح الآدميين هو طاعة الله ورسوله وهو فعل ما ينفعهم وترك ما يضرهم والفساد بالعكس، فعبادة الله هي غاية الغايات ونهاية النهايات.

٣- ويرى ابن القيم -رحمه الله- أن معنى الآية هو نفي آلهة تعبد غير الله، فقال: «أي لو كان في السماوات والأرض آلهة تعبد غير الله لفسدتا وبطلتا ولم يقل أرباب بل قال آلهة، والإله: المعبود المألوه وهذا يدل على أنه الممتنع المستحيل عقلاً أن يشرع الله عبادة غيره أبداً وأنه لو كان معه معبود سواه لفسدت السماوات والأرض... إلى أن يقول فصلاح العالم في أن يكون الله وحده هو المعبود وفساده وهلاكه في أن يُعبد معه غيره ومحال أن يشرع لعباده ما فيه فساد

(١) «جامع البيان» (١٧/ ١٣).

(٢) «درء التعارض» (٩/ ٣٧٠).

العالم وهلاكه بل هو المنزه عن ذلك»[1].

٤- ومن جعل الفساد هو اختلال نظام العالم وخرابه جعل دلالة الآية على توحيد الربوبية، وهم أكثر المفسرين ومنهم ابن كثير.

فقال -رحمه الله- عن معنى الآية: «... ثم أخبر -تعالى- أنه لو كان في الوجود آلهة غيره لفسدت السماوات والأرض فقال: «﴿لَوْ كَانَ فِيهِمَآ ءَالِهَةٌ﴾ أي: في السماوات والأرض ﴿لَفَسَدَتَا﴾ كقوله -تعالى-: ﴿مَا ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ مِن وَلَدٍ وَمَا كَانَ مَعَهُۥ مِنْ إِلَٰهٍ ۚ إِذًا لَّذَهَبَ كُلُّ إِلَٰهٍۭ بِمَا خَلَقَ وَلَعَلَا بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ ۚ سُبْحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يَصِفُونَ﴾ [المؤمنون:٩١][2].

فنرى ابن كثير هنا قد فسر الفساد بآية المؤمنين المتضمنة فساد العالم بوجود آلهة غير الله فقال: «أي: لو قدر تعدد الآلهة لانفرد كل منهم بما خلق فما كان ينتظم الوجود والمشاهد أن الوجود منتظم ومتسق كل من العالم العلوي والسفلي مرتبط بعضه ببعض في غاية الكمال»[3].

فدل على أن معنى الفساد عنده عدم انتظام الوجود والمشاهد انتظامه فدل على أن الخالق له واحد -سبحانه وتعالى-.

٥- وأما السعدي -رحمه الله- فقد فسر الفساد بفساد السماوات والأرض واختلال نظامها وكذلك فساد لمن فيها من المخلوقات فقال -رحمه الله-: ﴿لَوْ كَانَ فِيهِمَآ ءَالِهَةٌ﴾ أي: في السماوات والأرض ﴿ءَالِهَةٌ إِلَّا ٱللَّهُ لَفَسَدَتَا﴾ في ذاتها، وفسد من فيهما من المخلوقات وبيان ذلك: أن العالم العلوي والسفلي على ما يرى في أكمل ما يكون من الصلاح والانتظام الذي ما فيه خلل ولا عيب ولا ممانعة ولا معارضة فدل ذلك على أن مدبره واحد وربه واحد فإلهه واحد فلو كان له ربان أو أكثر من ذلك لاختل نظامه وتقوضت أركانه فإنهما يتمانعان ويتعارضان وإذا أراد أحدهما تدبير شيء وأراد الآخر عدمه فإنه محال وجود مرادهما معاً

---

(١) «مفتاح دار السعادة» (٢/ ١١).

(٢)«تفسير القرآن العظيم» (٣/ ٢٣٥).

(٣) نفس المصدر (٣/ ٣٣٧).

ووجود مراد أحدهما دون الآخر يدل على عجز الآخر وعدم قدرته، واتفاقهما، على مراد واحد في جميع الأمور غير ممكن فإذاً يتعين أن القاهر الذي يوجد مراده وحده من غير ممانع ولا مدافع هو الله الواحد القهار.

ولهذا ذكر دليل التمانع في قوله -تعالى-: ﴿مَا ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ مِن وَلَدٍ وَمَا كَانَ مَعَهُۥ مِنْ إِلَٰهٍ ۚ إِذًا لَّذَهَبَ كُلُّ إِلَٰهٍۭ بِمَا خَلَقَ وَلَعَلَا بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ ۚ سُبْحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يَصِفُونَ﴾ [المؤمنون:٩١].

ومنه على أحد التأويلين قوله -تعالى-: ﴿قُل لَّوْ كَانَ مَعَهُۥٓ ءَالِهَةٌ كَمَا يَقُولُونَ إِذًا لَّٱبْتَغَوْا۟ إِلَىٰ ذِى ٱلْعَرْشِ سَبِيلًا . سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يَقُولُونَ عُلُوًّا كَبِيرًا﴾ [الإسراء:٤٢-٤٣][1].

وعلى تفسير السعدي -رحمه الله- جعل الآية محتملة للمعنيين حيث فسر فساد السماوات والأرض وعدم انتظامها وبهذا فسرها بدليل التمانع وذكر الدليل من القرآن فتكون دلالة الآية على توحيد الربوبية.

وفسر الفساد بفساد من في السماوات والأرض من المخلوقات وهو فساد عبادة غير الله وذكر الدليل على ذلك أيضاً من القرآن فتكون دلالة الآية على توحيد الألوهية.

* * * * *

(١) «تيسير الكريم الرحمن» (٥٢١).

الفصل الرابع
توحيد الألوهية

المبحث الأول: تعريفه.

المبحث الثاني: تقريره لتوحيد الألوهية.

المبحث الأول
تعريفه

١ـ معنى الإله لغةً:

١ - الإله في اللغة جاء بعدة معاني منها إله بمعنى معبود، والتأليه التعبيد والتأله التنسك والتعبد والإله كما قال ابن عباس: «هو الذي يأله كل شيء ويعبده كل خلق والله ذو الألوهية والمعبودية على خلقه أجمعين»[١].

قال الراغب الأصفهاني: «و(الله) قيل أصله (إله) فحذفت همزته وأدخل عليها الألف واللام فخص بالباري -تعالى- و(إله)جعلوه اسماً لكل معبود لهم وكذا اللات، وسموا الشمس إلاهة لاتخاذهم إياها معبوداً»[٢].

وقال ابن منظور: «(الإله) الله -عز وجل-وكل ما اتخذ من دون الله معبوداً (إله) عند متخذه والجمع (آلهة)»[٣].

٢ - ويأتي بمعنى تحير وجزع وفزع وأجار وآمن:

فقال الفيرز آبادي: «أَلِهَ (هَ) كفرح: تحير، وعلى فلان: اشتد جزعه عليه وإليه فزع ولاذ، وألهه: أجاره، وآمنه»[٤].

٣- وقيل: اشتقاقه من (إله) الفصيل أولع بأمه والمعنى أن العباد مألوهون مولعون بالتضرع إليه في كل الأحوال وقيل: مشتق من: أله الرجل يأله إذا فزع من أمر نزل به فألهه أي: أجاره فالمجير لجميع الخلائق من كل المضار هو الله -سبحانه- لقوله -تعالى-: ﴿وَهُوَ يُجِيرُ

---

(١) «جامع البيان» للطبري (٥٤٨).

(٢) «المفردات» (ص٨٢).

(٣) «لسان العرب» (١/ ١٨٨-١٩١).

(٤) «القاموس» (١٦٠٣) مادة (أله).

﴿وَلَا يُجَارُ عَلَيْهِ﴾ [المؤمنون:٨٨][1].

٤ - وقيل: أنه مشتق من ألهت إلى فلان أي سكنت إليه فالعقول لا تسكن إلا بذكره والأرواح لا تفرح إلا بمعرفته لأنه الكامل على الإطلاق دون غيره[2].

٥ - وقيل: من: لاه يلوه إذا احتجب[3].

وكل هذه المعاني من التعبد والوله والتحير والجزع والفزع والإجارة والأمان فكلها ترجع إلى معنى العبادة له وحده -سبحانه وتعالى-.

وليس من معاني الإله في اللغة أنه القادر على الاختراع كما يقوله المتكلمون.

فمعنى (الإله) هو المعبود سواء بحق أو باطل.

٢ـ معنى الإله شرعاً:

لا يختلف المعنى اللغوي للإله عن المعنى الشرعي في الكتاب والسنة لأن معناه المعبود سواء بحق أو باطل لأن الله -سبحانه وتعالى- قد سمى معبودات المشركين (إله) و(آلهة) والعرب تسمي معبوداتهم آلهة مع اعتقادهم بأن ليس لها شيء من أمر الخلق والتدبير والملك، وقد أبطل الله أن تكون هذه المعبودات آلهة حقًّا حيث قال -تعالى-: ﴿وَاتَّخَذُوا مِن دُونِهِۦٓ ءَالِهَةً لَّا يَخْلُقُونَ شَيْـًٔا وَهُمْ يُخْلَقُونَ وَلَا يَمْلِكُونَ لِأَنفُسِهِمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا وَلَا يَمْلِكُونَ مَوْتًا وَلَا حَيَوٰةً وَلَا نُشُورًا﴾ [الفرقان:٣].

وغيرها من الآيات التي تذم اتخاذ المشركين معبودات لهم من دون الله الخالق الرازق الذي له الأمر والملك وهو النافع والضار.

لأن الشرك واقع في الألوهية بعبادة غير الله وليس هناك من يشرك في الربوبية لأن المشركين معترفون به ولم ينكروا أن الله الخالق المحيي والمميت والرازق والمنعم والمالك لكل

(١) «تفسير القرآن العظيم» (١/ ٣١).

(٢) نفس المصدر السابق والصفحة.

(٣) نفس المصدر السابق والصفحة.

شيء وإنما اتخذوا هذه الآلهة لتقربهم إلى الله زلفى، ولهذا تعددت معبوداتهم فكانوا يعرفون معنى (لا إله إلا الله) ولهذا لم يطيعوا الرسول ﷺ في نطقها والإيمان بها بل تعجبوا حين دعاهم إلى توحيد الله بقولهم كما حكاه عنهم القرآن: ﴿ أَجَعَلَ ٱلْآلِهَةَ إِلَٰهًا وَٰحِدًا ۖ إِنَّ هَٰذَا لَشَىْءٌ عُجَابٌ ﴾ [ص:٥].

لأنهم كانوا يعرفون أن معنى (لا إله إلا الله) هو إفراد الله بالعبادة وحده وهذا فهم الصحابة والسلف -رضي الله عنهم- للإله ولهذا قال ابن عباس: «الله ذو الألوهية والعبودية على خلقه أجمعين»[1].

وقرأ: (ويذرك وإلاهتك) قال: عبادتك أي:أنه كان يُعبد ولا يعبد، وكذا قال مجاهد وغيره[2].

وقال ابن القيم -رحمه الله-:«واسم الله دال على كونه مألوهاً معبوداً تألهه الخلائق محبةً وتعظيماً وخضوعاً وفزعاً إليه في الحوائج والنوائب وذلك مستلزم لكمال ربوبيته ورحمانيته المتضمنة لكمال الملك والحمد وإلهيته وربوبيته ورحمانيته وملكه مستلزم لجميع صفات كماله»[3].

والخلاصه :

أن توحيد الألوهية هو توحيد الله بأفعال العباد ولهذا يسمى توحيد العبادة باعتبار إضافته إلى الخلق، أو التوحيد العملي لأنه متعلق بأعمال العباد وعبادتهم لله ويسمى توحيد الألوهية باعتبار إضافته إلى الله، لأن الله أمر العباد بإخلاص العبادة له -تعالى- لقوله: ﴿وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعْبُدُواْ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ﴾ [البيِّنة:٥].

وأن الغاية من الخلق هو عبادته -تعالى-: ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ [الذاريات:٥٦].

---

(١) رواه ابن جرير في «تفسيره» (١/ ٤١).

(٢) «تفسير ابن كثير» (١/ ٣١).

(٣) «مدارج السالكين» (١/ ٩٠).

لأنه الرب الخالق الرازق المنعم بجميع النعم على عباده فهو المستحق أن يفرد بالعبادة ولا يشرك معه أحد وأن ما يدعون من دونه هو الباطل.

قال -تعالى-: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلۡحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدۡعُونَ مِن دُونِهِ ٱلۡبَٰطِلُ﴾ [لقمان: ٣٠].

٤ـ أهمية توحيد الألوهية:

إن توحيد الألوهية هو دعوة الرسل جميعهم من نوح -عليه السلام- إلى نبينا محمد ﷺ.

فأرسل الله الرسل إلى أقوامهم يدعونهم إلى عبادة الله وحده لا شريك له وهذا التوحيد هو الذي حصل فيه النزاع بين الرسل وأقوامهم بخلاف توحيد الربوبية الذي كانوا مقرين به، ولهذا لم يكلف الله أحداً من البشر بمعرفته لأن معرفة ربهم فطرية بل إنه -تعالى- قد احتج عليهم بتوحيد الربوبية لاعترافهم به فطرة.

ولهذا كان الشرك في الألوهية وهي العبادة لغير الله وتنوعت وتعددت هذه المعبودات من دون الله فمنهم من عبد الكواكب والأجرام السماوية كعبادة قوم إبراهيم -عليه السلام- ومنهم من يعبد الأصنام والأوثان المصنوعة من الأحجار أو غيرها ومنهم من يعبد الشيطان وذلك بالاستعانة به ومنهم من يعبد الأولياء والصالحين وهذا كان أساس الشرك في قوم نوح حينما بنوا على قبور الصالحين أصناماً لتذكرهم بهم فلما طال عليهم الأمد اعتقد الذين أتوا بعدهم عبادتهم لها فعبدوها، ثم صارت هذه الأصنام بعينها إلى قبائل العرب كما روي عن ابن عباس في «الصحيح»[(١)].

فكان التوحيدموجوداً منذ آدم ثم وقع الشرك في زمن قوم نوح -عليه السلام- بسبب تعظيمهم للصالحين.

والمشركون حين عبدوا هذه الأصنام من دون الله لم يكونوا يعتقدون فيها أنها مشاركة لله في الخلق والتدبير والملك بل كانوا يتخذون هذه المعبودات شفعاء لهم عند الله فقوله -تعالى-: ﴿وَٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ مِن دُونِهِۦٓ أَوۡلِيَآءَ مَا نَعۡبُدُهُمۡ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى ٱللَّهِ زُلۡفَىٰٓ﴾ [الزمر: ٣].

---

(١) انظر «صحيح البخاري» (كتاب التفسير) (باب وداً وسواع ويغوث ويعوق) رقمه (٤٩٢٠).



وقوله -تعالى-: ﴿ وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنفَعُهُمْ وَيَقُولُونَ هَٰٓؤُلَآءِ شُفَعَٰٓؤُنَا عِندَ ٱللَّهِ ﴾ [يونس:١٨].

ولهذا كانت دعوة الرسل جميعهم هي الدعوة إلى توحيد العبادة لله الواحد القهار ونبذ كل ما يعبد من دون الله من الطواغيت، وبهذا أمر الله رسله فقال -تعالى-: ﴿ وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِى كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَٱجْتَنِبُوا۟ ٱلطَّٰغُوتَ ﴾ [النحل:٣٦].

والطاغوت هو كل ما عبد من دون الله [ورضي أن يُعبد].

وقوله -تعالى-: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِىٓ إِلَيْهِ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعْبُدُونِ ﴾ [الأنبياء:٢٥].

وقوله -تعالى-: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِۦ فَقَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥٓ ﴾ [المؤمنون:٢٣].

والآيات في هذا كثيرة.

وهي تبين أن المستحق أن يعبد وحده هو الإله الحق ولهذا قال -تعالى-: ﴿ ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِن دُونِهِ ٱلْبَٰطِلُ ﴾ [لقمان:٣٠].

وقد أبطل الله وذم ما عبد من دونه وأن هذه المعبودات التي يسمونها الآلهة لا تنفع ولا تضر وقد ذمها الله في آيات عديدة وبين نقصها وعجزها ومن هذه الآيات:

﴿ وَٱلَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ لَا يَخْلُقُونَ شَيْـًٔا وَهُمْ يُخْلَقُونَ . أَمْوَٰتٌ غَيْرُ أَحْيَآءٍ وَمَا يَشْعُرُونَ أَيَّانَ يُبْعَثُونَ ﴾ [النحل:٢٠-٢١].

وقوله -تعالى-: ﴿ قُلِ ٱدْعُوا۟ ٱلَّذِينَ زَعَمْتُم مِّن دُونِهِۦ فَلَا يَمْلِكُونَ كَشْفَ ٱلضُّرِّ عَنكُمْ وَلَا تَحْوِيلًا ﴾ [الإسراء:٥٦].

وغيرها كثير من الآيات في هذا المعنى.

وهذا التوحيد هو الذي ينجِّي صاحبه من النار ومن العذاب في الدنيا والآخرة وهو الذي يحقق له السعادة في الدارين وبشهادة التوحيد لا إله إلاّ الله يدخل الإنسان ضمن المسلمين وبها ينال الكرامة ويعصم دمه وماله إلاّ بحقّها ولأجلها قوتِل من لم يقبلها.

فقال الرسول -عليه السلام-: «**أُمرت أن أقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله**»[1].

وفي رواية: «ويقيموا الصلاة ويؤتوا الزكاة فإذا فعلوا ذلك عصموا مني دماءهم إلا بحق الإسلام وحسابهم على الله»[2].

وبهذا كان أول واجب على المكلّف شهادة أن لا إله إلاّ الله لا النظر ولا القصد إلى النظر ولا الشك كما يدعيه علماء الكلام.

فالتوحيد هو أول ما يدخل به في الإسلام وآخر ما يخرج به من الدنيا كما قال النبي ﷺ: «**مَن كان آخر كلامه لا إله إلا الله؛ دخل الجنة**»[3].

فهو أول واجب وآخر واجب.

وهذا التوحيد هو الغاية من خلق الجن والإنس لقوله -تعالى-: ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ [الذاريات:٥٦].

والعبادة: تجمع أصلين غاية الحب بغاية الذل والخضوع والعرب تقول طريق معبد أي مذلل والتعبد: التذلل والخضوع.

شرعاً: تطلق على معنيين: ١- التعبد ٢- المتعبد به.

مثل الصلاة فعلها عبادة وهو التعبد ونفس الصلاة عبادة وهو المتعبد به فأما التعبد فهو

(١) سبق تخريجه في المبحث الثالث من الفصل الثاني ص(٨٨).

(٢) سبق تخريجه في المبحث الثالث من الفصل الثاني ص(٨٨).

(٣) أخرجه البيهقي في «الأسماء والصفات» (١/ ١٧١).

التذلل لله -عز وجل- بفعل أوامره واجتناب نواهيه محبةً وتعظيماً وأما المتعبد به فهو اسم جامع لكل ما يحبه الله ويرضاه من الأقوال والأعمال الظاهرة والباطنة»[1].

وبين ابن القيم أن العبودية تبنى على أربع قواعد:

١ - قول القلب وهو اعتقاد ما أخبر الله به عن نفسه وعن أسمائه وصفاته وأفعاله وملائكته ولقائه على لسان رسله.

٢ - **قول اللسان**: الإخبار عنه بذلك والدعوة إليه والذب عنه وتبيين بطلان البدع المخالفة له والقيام بذكره وتبليغ أوامره.

٣ - **عمل القلب**: كالمحبة له والتوكل عليه والإنابة إليه والخوف منه والرجاء له وإخلاص الدين له والصبر له على أوامره وعن نواهيه، وعلى أقداره والرضى به وعنه والموالاة فيه، والمعادات فيه والذل له والخضوع والإخبات إليه والطمأنينة به وغير ذلك من أعمال القلوب التي فرضها أفرض من أعمال الجوارح ومستحبّها أحب إلى الله من مستحبها، وعمل الجوارح بدونها إما عديم المنفعة أو قليل المنفعة.

٤ - **وأعمال الجوارح**: كالصلاة والجهاد ونقل الأقدام إلى الجمعة والجماعات ومساعدة العاجز والإحسان إلى الخلق ونحو ذلك[2].

وكل هذه العبادات بأنواعها يجب أن تصرف لله الواحد الأحد المستحق للعبادة وصرفها لغيره هو الشرك الذي نهى عنه -سبحانه وتعالى-.

وأنواع التوحيد الثلاثة الربوبية والألوهية والأسماء والصفات تمثل جانب الإيمان بالله -تعالى- وهي متلازمة فلا ينفع توحيد الربوبية بدون توحيد الألوهية وكذلك لا يصح توحيد الألوهية بدون توحيد الربوبية، وكذلك توحيد الله في ربوبيته وألوهيته لا يستقيم بدون توحيد الله في أسمائه وصفاته.

---

(١) «القول المفيد» (ص١٦).

(٢) انظر «مدارج السالكين» (١/ ٢٠٦).

والانحراف في أي نوع منها خلل في التوحيد كله، فتوحيد الربوبية مستلزم لتوحيد الألوهية وتوحيد الألوهية متضمن لتوحيد الربوبية[1] وتوحيد الأسماء والصفات شامل للنوعين معاً.

❋ ❋ ❋ ❋ ❋

(١) انظر «شرح الطحاوية» (١/ ٤٠).

المبحث الثاني
تقرير البيضاوي لتوحيد الألوهية

١ـ تعريف البيضاوي للإله:

- قال -رحمه الله-: و(الله) أصله (إله) فحذفت الهمزة وعوض عنها الألف واللام ولذلك قيل يا ألله بالقطع إلا أنه مختص بالمعبود بالحق.

- **والإله**: في الأصل لكل معبود ثم غلب على المعبود الحق.

- واشتقاقه من أله ألهة وألوهة وألوهية بمعنى عبد، ومنه تأله واستأله.

- وقيل: من أله إذا تحير لأن العقول تتحير في معرفته.

- أو من ألهت إلى فلان أي سكنت إليه لأن القلوب تطمئن بذكره والأرواح تسكن إلى معرفته.

- أو من أله إذا فرغ من أمر نزل عليه.

- وآلهه غيره أجاره إذ العائذ يفزع إليه وهو يجيره حقيقة أو بزعمه.

- أو من أله الفصيل إذا ولع بأمه، إذ العباد يولعون بالتضرع إليه في الشدائد.

- أو من وله إذا تحير وتخبَّط.

-وقيل أصله لاه مصدر ليهاً ولاهاً إذا احتجب وارتفع لأنه -تعالى- محجوب عن إدراك الأبصار مرتفع على كل شيء وعما لا يليق به.

- وقيل: علم لذاته المخصوصة لأنه يوصف ولا يوصف به ولأنه لا بد له من اسم تجري عليه صفاته ولا يصلح مما يطلق عليه سواه[1].

الخلاصه :

---

(١) «أنوار التنزيل» (١/ ١٢).

في تعريفه للإله نرى أنه موافق للتعريفات اللغوية فهو بين أن معنى الإله هو المعبود بحق أو باطل ثم غلب على المعبود بحق ولم نر في هذه التعريفات التي ذكرها أنه القادر على الاختراع كما يدعيه بعض المتكلمين.

وقد مر بنا تعريف الإله لغةً وأنه يطلق بعدة معاني منها المعبود لأن التأله التعبد والتنسك كما قال ابن عباس ومنها التحير لأن الألباب تتحير في حقائق صفاته ومعرفته ومنها إله مأخوذ من إله إلى كذا أي لجأ إليه لأن الخلق تلجأ إليه -تعالى- ويتضرعون إليه في حوائجهم لأنه المجير لجميع الخلائق من المضار ومنها لاه يلوه إذا احتجب لقوله -تعالى-: ﴿لَّا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَـٰرُ وَهُوَ يُدْرِكُ ٱلْأَبْصَـٰرَ﴾ [الأنعام:١٠٣].

ومنه إلهت إلى فلان إذا سكنت إليه لأن القلوب لا تسكن إلا بذكره.

ومنه أن إله مشتق من الارتفاع تقول للشمس لاهت إذا طلعت ولفظ الجلالة متضمن العلو والارتفاع.

وكل هذه المعاني ذكرت في معنى الإله لغةً بما نستغني عن إعادته.

قال ابن عباس: «الله: ذو الألوهية والمعبودية على خلقه أجمعين»[١].

وقال الطبري: «فالإله: هو المعبود وهو الله -سبحانه- وهو على وزن فعال بمعنى مفعول مثل كتاب بمعنى مكتوب وبساط بمعنى مبسوط فالإله إذاً على معنى ما روي عن ابن عباس: هو الذي يألهه كل شيء ويعبده كل خلقه»[٢].

وقال ابن كثير: «فآلهه أي أجاره فالمجير لجميع الخلائق من كل المضار هو الله -سبحانه وتعالى-»[٣].

وقد ذكر الفيروز آبادي عدة معاني للإله فقال: «أله كفرح تحير وعلى فلان اشتد جزعه

(١) ذكره الطبري في «جامع البيان» (١/ ٤١).

(٢) المصدر نفسه (١/ ٤٢).

(٣) «تفسير القرآن العظيم» (١/ ٣١).

عليه وإليه فزع ولاذ، وآلهه أجاره وآمنه»[1].

٢ـ بعض الآيات الدالة على الألوهية وأقواله فيها:

١- قال -تعالى-: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱعۡبُدُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُمۡ وَٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ﴾ [البقرة:٢١].

قال -رحمه الله-: «... ﴿رَبَّكُمُ﴾تنبيهاً على أن الموجب للعبادة هي الربوبية.

﴿لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ﴾ حال من الضمير ﴿ٱعۡبُدُواْ﴾ كأنه قال: اعبدوا ربكم راجين أن تنخرطوا في سلك المتقين الفائزين بالهدى والفلاح المستوجبين جوار الله»[2].

٢- قال -تعالى-: ﴿وَإِلَٰهُكُمۡ إِلَٰهٞ وَٰحِدٞ﴾ [البقرة:١٦٣].

«خطاب عام أي: المستحق منكم العبادة واحد لا شريك له يصح أن يعبد أو يسمى إلهاً»[3].

٣- قوله -تعالى-: ﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ﴾ [البقرة:٢٥٥].

«المعنى أنه المستحق للعبادة لا غيره»[4].

٤- قوله -تعالى-: ﴿وَمَا مِنۡ إِلَٰهٍ إِلَّا ٱللَّهُ﴾ [آل عمران:٦٢].

صرح فيه بـ(من)المزيدة للاستغراق تأكيداً للرد على النصارى في تثليثهم».

٥- قوله -تعالى-: ﴿وَهُوَ ٱللَّهُ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَفِي ٱلۡأَرۡضِ﴾ [الأنعام:٣].

«والمعنى هو المستحق للعبادة فيهما لا غير كقوله: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِي فِي ٱلسَّمَآءِ إِلَٰهٞ وَفِي ٱلۡأَرۡضِ إِلَٰهٞ﴾

(١) «القاموس المحيط» (مادة أله) (ص١٦٠٣).

(٢) «أنوار التنزيل» (١/ ٤١).

(٣) المرجع السابق (١/ ١٠٢).

(٤) المرجع السابق (١/ ١٣٩).

الزُّخرُف:٨٤]»[1].

الخلاصه :

هذه بعض أقواله في الإله وأنه المستحق للعبادة لا غيره لأنه الرب فهو وضح أن الموجب للعبادة هي الربوبية لأن الله -سبحانه وتعالى- قد احتج على الكافرين بربوبيته وتوحيد الربوبية من الأدلة التي ساقها الله لتوحيد الألوهية، وأوضح -رحمه الله- أن الله إله في السماء وإله في الأرض أي أنه المستحق لأن يعبد في السماء والأرض وذكر لذلك أدلة، وهو في هذا موافق للسلف.

٣ـ أقواله في العبادة والشرك والطاغوت:

الألوهية تقوم على العبادة وإخلاصها لله وحده وعدم الشرك به، ووجوب الاتباع بما أقر الله به ورسوله من العبادة والإخلاص وتجنب الشرك بكل أنواعه.

١- وقد عرف البيضاوي العبادة عند تفسيره لقوله -تعالى-: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾[الفاتحة:٥].

قال: «والعبادة أقصى غاية الخضوع والتذلل ومنه طريق معبد أي مذلل وثوب ذو عبده إذا كان في غاية الصفاقة ولذلك لا تستعمل إلا في الخضوع لله -تعالى-»[2].

٢- وعرف الجبت والطاغوت عند تفسيره لقوله -تعالى-: ﴿يُؤْمِنُونَ بِٱلْجِبْتِ وَٱلطَّـٰغُوتِ﴾ [النساء:٥١].

قال: «الجبت في الأصل: اسم لصنم فاستعمل في كل ما عبد من دون الله، وقيل: أصله الجبس وهو الذي لا خير فيه فقلب سينه تاء.

(١) «أنوار التنزيل» (١/ ١٦٨).

(٢) المرجع السابق (١/ ١٥).



والطاغوت: يطلق لكل باطل من معبود أو غيره»[1].

٣- قوله -تعالى-: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ﴾ [الفاتحة:٥].

قال: «قدم المفعول للتعظيم والاهتمام به والدلالة على الحصر ولذلك قال ابن عباس -رضي الله عنه-: «معناه نعبدك ولا نعبد غيرك».

وتقديم ما هو مقدم في الوجود والتنبيه على أن العابد ينبغي أن يكون نظره إلى المعبود أولاً وبالذات ومنه إلى العبادة لا من حيث أنها عبادة صدرت عنه بل من حيث أنها نسبة شريفة إليه ووصلة سنية بينه وبين الحق»[2].

٤- في قوله -تعالى-: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ [البقرة:٢١].

قال: «﴿لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ حال من ﴿اعْبُدُوا﴾ كأنه قال: اعبدوا ربكم راجين أن تنخرطوا في سلك المتقين الفائزين بالهدى والفلاح المستوجبين جوار الله نبه به على أن التقوى منتهى درجات السالكين وهو التبري من كل شيء سوى الله إلى الله وأن العابد ينبغي أن لا يغتر بعبادته ويكون ذا خوف ورجاء.

قال -تعالى-: ﴿يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا﴾[السجدة:١٦] ﴿وَيَرْجُونَ رَحْمَتَهُ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُ﴾ [الإسراء:٥٧]»[3].

٥- في قوله -تعالى-: ﴿وَاسْأَلْ مَنْ أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رُسُلِنَا أَجَعَلْنَا مِنْ دُونِ الرَّحْمَنِ آلِهَةً يُعْبَدُونَ﴾[الزُّخرُف:٤٥].

قال: «أي اسأل أممهم وعلماء دينهم هل حكمنا بعبادة الأوثان وهل جاءت في ملة من

(١) المرجع السابق (١/ ٢٢٥).

(٢) المرجع السابق (١/ ٤١).

(٣) المرجع السابق، نفس الصفحة.

مللهم والمراد به الاستشهاد بإجماع الأنبياء على التوحيد والدلالة على أن ليس بدع ابتدعه فيكذّب ويعادي له»[1].

٦- في قوله -تعالى-: ﴿فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَندَادًا وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ [البقرة:٢٢].

قال: «مضمون الآية الأمر بعبادة الله والنهي عن الإشراك به -تعالى-»[2].

٧- قوله -تعالى-: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ﴾ [النساء:٤٨].

قال: «﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِ﴾ لأنه بت الحكم على خلود عذابه وأن ذنبه لا ينمحي عنه أثره فلا يستعد للعفو بخلاف غيره و﴿وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ﴾ أي: ما دون الشرك صغيراً أو كبيراً»[3].

٨- في قوله -تعالى-: ﴿فَمَن يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِن بِاللَّهِ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَىٰ﴾ [البقرة:٢٥٦].

قال: «﴿فَمَن يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ﴾ قال: بالشيطان والأصنام أو كل ما عبد من دون الله أو صد عن عبادة الله ﴿وَيُؤْمِن بِاللَّهِ﴾ يؤمن بالله بالتوحيد وتصديق الرسل»[4].

٩- في قوله -تعالى-: ﴿اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ﴾ [النحل:٣٦].

قال: «يأمر بعبادة الله واجتناب الطاغوت»[5].

الخلاصه :

من أقواله في العبادة والطاغوت نرى أنه موافق في هذه الآيات للسلف -رحمهم الله- فهو

---

(١) المرجع السابق (٢/ ٩٦٠).

(٢) المرجع السابق (١/ ٤٣).

(٣) المرجع السابق (١/ ٢٢٢).

(٤) المرجع السابق (١/ ١٤٠).

(٥) المرجع السابق (١/ ٥٤٧).

بين أن العبادة لا تصرف إلا لله وحده وعدم الشرك بـه وتعريفـه للعبـادة وللطـاغوت موافـق للسلف.

فقال ابن القيم: «والعبادة تجمع أصلين: غاية الحب بغاية الذل والخضوع والعرب تقـول: طريق معبد أي مذلل، والتعبد التذلل والخضوع، فمن أحببته ولم تكن خاضعاً له لم تكن عابـداً له، ومن خضعت له بلا محبة لم تكن عابداً له حتى تكون محبًّا خاضعاً»[1].

وكذلك تفسيره للطاغوت بأنه الشيطان أو الأصنام أو هو كل مـا عُبـد مـن دون الله فهـذا حق، وكذلك الجبت.

قال ابن كثير في تفسير الجبت والطاغوت: «قال: عمر -رضي الله عنه-: إن الجبت السحر والطاغوت الشيطان.... قال وهكذا رواه ابن جرير وابن أبي حاتم من حديث الثوري عـن أبي إسحاق عن حسان بن قائد العبسي عن عمر فذكره ومعنى قولـه في الطـاغوت: إنـه الشـيطان قوي جدًّا فإنه يشمل كل شر كـان عليـه أهـل الجاهليـة مـن عبـادة الأوثـان والتحـاكم إليهـا والاستنصار بها»[2].

وقال -أيضاً- في قوله: ﴿يُؤۡمِنُونَ بِٱلۡجِبۡتِ وَٱلطَّٰغُوتِ﴾[النساء:٥١]:

«أما الجبت فقال محمـد بـن إسـحاق عـن عمـر بـن الخطـاب أنـه قـال: الجبـت السـحر، والطاغوت الشيطان وهكذا روي عن عبد الله بن عباس وأبي العالية ومجاهد وعطـاء وعكرمـة وسعيد بن جبير والشعبي والحسن وعطية: الجبت الشيطان...وعن ابـن عبـاس أيضـاً الجبـت الشرك، وعنه الجبت الأصنام وعن الشعبي الجبت الكاهن... وقال الإمـام مالـك: الطـاغوت هو كل ما عُبد من دون الله»[3].

وتبين من ذلك أن الجبت والطاغوت هو الإيمان بكل عبـادة لغـير الله أو حكـم بغـير شرع

---

(١) «مدارج السالكين» (١/ ١٦٠).

(٢) «تفسير القرآن الكريم» (١/ ٤٠٧).

(٣) المصدر نفسه (١/ ٦٧٠).

الله فيدخل في ذلك السحر والكهانـة وعبـادة غـير الله وطاعـة الشـيطان... وكـل ذلـك اتبـاع لطريقة الكافرين بالله[1].

والبيضاوي فسر ˝ هذه الآيات الآمـرة بالعبـادة والناهيـة عـن الشرـك بـما يوافـق السـلف، وهكذا في جميع أنواع العبادات سواء العبادات القلبية من الخوف والخشية والرهبة والاستعانة والإخلاص والتوكل وغيرها من العبادات القولية كالذكر والدعاء والعبادات البدنيـة والماليـة وغيرها فهو فيها موافق للسلف -رحمه الله-.

❋ ❋ ❋ ❋ ❋

(١) انظر «تفسير السعدي» (١٨٢).

الفصل الخامس
توحيد الأسماء والصفات

المبحث الأول: تعريفات عامة، التأويل، التفويض، المجاز، المحكم والمتشابه.

المبحث الثاني: تعريف توحيد الأسماء والصفات.

المبحث الثالث: تقرير البيضاوي لتوحيد الأسماء والصفات.

المبحث الأول
تعريفات عامة
التأويل، المجاز، المحكم والمتشابه، التفويض

في هذا المبحث نعرف بهذه الموضوعات إجمالاً، وليس المقصود تناولها من جميع جوانبها لأن كل موضوع منها يحتاج إلى بحث مستقل.

وإنما نورد لها تعريفات عامة لتعلقها بالصفات وإن كانت لا تقتصر على الصفات بل شملت كثير من نصوص الشرع كالوعد والوعيد وأمور الغيب وتسبيح الكائنات لله وغيرها، واتخذها المتكلمون مطية لهم في نفي الكثير من النصوص باعتبار أن ظاهرها غير مراد أو أن العقل لا يجيز ذلك فليست هذه النصوص على الحقيقة بل هي مجاز إما أن تؤوّل إن أمكن وإلا يفوض علمها إلى الله لأنها من المتشابه الذي لا يعلمه إلا الله.

وبهذه الحجة أصبح مذهب المتأولين تحريفاً لأنه بلا دليل شرعي، وأصبح مذهب المفوضين تجهيلاً لأن مذهبهم يقتضي الجهل بمعاني هذه النصوص والكل يدعي أن هذا مذهب السلف أهل السنة والجماعة.

والحقيقة هو مذهب سلفهم الذين هم على طريقتهم، وإلا فمذهب أهل السنة إثبات النصوص كما جاءت على الحقيقة وتفويض الكيفية لهذه النصوص لأن الله لم يطلعهم على ذلك، وإلا معانيها معروفة لديهم في لغة العرب.

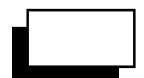
١ـ التأويل:

معنى التأويل لغةً:

١ - قال الراغب في «المفردات»: «التأويل من الأول، أي: الرجوع إلى الأصل ومنه: الموئل للموضع الذي يرجع إليه ، وذلك هو رد الشيء إلى الغاية المرادة منه علماً كان أو فعلاً»[1].

---

(١)(ص٩٩).



٢- وقال الفيروز آبادي في «القاموس المحيط»: «آل إليه أولاً ومئالاً رجع وعنه ارتد... وأوله إليه رجعه... وأول الكلام تأويلاً وتأوله: دبره وقدره وفسره»[١].

٣- وقال ابن جرير في «تفسيره»: «وأما معنى التأويل في كلام العرب فإنه التفسير والمرجع والمصير»[٢].

فنرى من هذه التعاريف أن التأويل في اللغة يرجع إلى معنيين هما: المرجع والمصير أو العاقبة والتفسير والبيان.

معنى التأويل عند السلف وفي نصوص الشرع:

لا يختلف التأويل عند السلف عن معناه اللغوي فهو يأتي:

١- بمعنى التفسير والبيان ومنه قوله -تعالى-: ﴿نَبِّئْنَا بِتَأْوِيلِهِ﴾ [يوسف:٣٦] أي: بتفسيره[٣]. ومنه قوله النبي ﷺ لابن عباس: «**اللهم فقهه في الدين وعلمه التأويل**»[٤]. أي: التفسير. ومنه قول ابن جرير في تفسيره القول في تأويل كذا وكذا ثم يذكر تفسير الآية.

٢-حقيقة ما يؤول إليه الكلام من العاقبة والمصير ومنه قوله -تعالى-: ﴿هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّا تَأْوِيلَهُ يَوْمَ يَأْتِي تَأْوِيلُهُ يَقُولُ الَّذِينَ نَسُوهُ مِن قَبْلُ قَدْ جَاءَتْ رُسُلُ رَبِّنَا بِالْحَقِّ﴾ [الأعراف:٥٣].

فسر بما وعدوا به من العذاب والجنة والنار، وفُسر بالثواب والعاقبة والحقيقة[٥].

فالتأويل في كلام الله ورسوله المراد منه حقيقة المعنى الذي يؤول إليه اللفظ وهي الحقيقة الموجودة في الخارج فإن الكلام نوعان: خبر وطلب فتأويل الخبر هو الحقيقة وتأويل الوعد والوعيد هو نفس الموعود والمتوعد به.

وتأويل ما أخبر الله به من الصفات العُلى، وتأويل الأمر هو نفس الأفعال المأمور بها.

---

(١) (ص٦٩ -مادة أول).

(٢) «جامع بيان العلم» (٣/ ١٨٤).

(٣) انظر «تفسير ابن كثير» (١/ ٤٥٤).

(٤) أخرجه ابن ماجة (١/ ٥٨)وأخرجه البخاري بلفظ "اللهم فقهه في الدين" برقم(١٤٣).

(٣) انظر «تفسير ابن كثير» (٢/ ٢٩٥).

فالعاقبة تُسـَمّى تأويلاً لأن الأمر يصير إليها، وحقيقة الشيء المخبر بـه تسـمّى تـأويلاً لأن الأمر ينتهي إليه.

وكذلك تعبير الرؤيا تأويلها بالاعتبارين فإنه تفسير لها وهو عاقبتها وما تؤول إليه، والعلـة الغائيه والحكمة المطلوبة بالفعل تسمى تأويلاً لأنها بيان لمقصود الفاعل، وغرضه مـن الفعـل، كقول الخضر لموسى بعد أن ذكر له الحكمة المقصودة بها فعله من خرق السـفينة وقتـل الغـلام وإقامة الجدار بلا عوض[١] فهذا معنى تأويل العاقبة والمآل وحقيقة الشيـء أو التفسـير والبيـان في اللغة وفي كلام الله ورسوله وفي أقوال السلف.

معنى التأويل عند المتأخرين:

عرفه الغزالي بقوله:"التأويل عبارة عن إحتمال يعضده دليل يصيربه أغلب على الظـن مـن المعنى الذي يدل عليه الظاهر"[٢].

وعرفـه الآمـدي بقولـه:"هوحمـل اللفـظ عـلى غيرمدلولـه الظاهرمنـه مـع إحتمالـه له"[٣].والتعريف المشهورلهم:

هو «صرف اللفظ عن المعنى الراجح إلى المعنى المرجوح لدليل يقترن به»[٤].

فهذا التعريف عند المتأخرين من المتكلمين يختلـف عـن معنـاه اللغـوي وعـن معنـاه عنـد السلف وفي نصوص الشرع.

وتسمية هذا تأويلاً لم يكن في عُرف السلف وإنما سُمِّي هـذا تـأويلاً طائفـة مـن المتـأخرين الخائضين في الفقه وأصوله والكلام فإن أكثر هذا التأويل من باب تحريف الكلم عن مواضـعه وهذا الذي اتفق سلف الأمة على ذمه.

(١) انظر «مختصر الصواعق المرسلة» (ل٤٠) بتصرف.

(٢) المستصفى(١/ ٣٨٧).ط١ ببولاق مصر.

(٣) الإحكام(١/ ٥٣).ط١ مؤسسة النور.

(٤) «مجموع الفتاوى» (١٣/ ٢٨٨) وانظر «مختصر الصواعق المرسلة» (ص٤١).

وقال ابن القيم «حكى غير واحد إجماع السلف على عدم القول به »[1].

وأما أسباب التأويل لدى المتأولين أهمها عندهم أن ظواهر النصوص وخاصة الصفات غير مرادة لأنها تدل على التشبيه والتجسيم فيجب تأويلها تنزيهاً لله عن صفات المخلوقين، ولو لم يكن لديهم نوع تشبيه لصفات الخالق بصفات المخلوق لم يؤولوا هذه النصوص، ولأثبتوها كما جاءت في الكتاب والسنة على الحقيقة مع فهم معناها وتفويض كيفيتها.

وكذلك تقديمهم للعقل على نصوص الشرع، وكذلك التوفيق بين النصوص المتعارضة بالتأويل الباطل. والحقيقة أن كل طائفة من الطوائف تتأول ما يخالف مذهبها وأصولها وقواعدها التي مشت عليها.

يقول ابن القيم:

«وحقيقة الأمر أن كل طائفة تتأول ما يخالف نحلتها ومذهبها، فالعيار على ما يتأول وما لا يتأول هو المذهب الذي ذهبت إليه والقواعد التي أصلتها، فما وافقها أقروه ولم يتأولوه، وما خالفها فإن أمكنهم دفعه وإلا تأولوه.

ولهذا لما أصلت الرافضة عداوة الصحابة ردوا كل ما جاء في فضائلهم، ولما أصلت الجهمية أن الله لا يتكلم ولا يكلم أحداً ولا يرى بالأبصار ولا هو فوق عرشه مباين لخلقه ولا له صفة تقوم به أولوا كل ما خالف ما أصلوه..... »[2] وهكذا معيار التأويل عند الفرق كلها.

٢ـ المجاز:

تقسيم الكلام إلى حقيقة ومجاز عند علماء البيان:

الحقيقة لغة:

فالحقيقة من الحق وأصل الحق المطابقة والموافقة... والحقيقة تستعمل تارة في الشيء الذي

---

(١) «مختصر الصواعق المرسلة» (٤١).

(٢) «الصواعق المرسلة» (١٠ / ٢٣٠).



له ثبوت ووجود وتارة في الإعتقاد وتارة في القول والعمل [1].

والمجاز لغة:

«اسم لما أريد به غير ما وضع له لمناسبة بينهما... وهو مفعل بمعنى فاعل من جاز إذا تعدى كالمولى بمعنى: الوالي سمي به لأنه متعد عن محل الحقيقة إلى محل المجاز»[2].

«فالمجاز مصدر من جاز الشيء إذا تعداه ويمكن أن يكون بمعنى اسم المكان من قولهم جاز الطريق مجازاً أي سلكه. والحقيقة في اللغة الشيء الثابت والمجاز تعدي الشيء»[3].

المجاز اصطلاحاً:

قال الجرجاني في التعريفات «المجاز اسم لما أريد به غير ما وضع له لمناسبة بينهما كتسمية الشجاع أسداً ... »[4].

فالمجاز قسيم الحقيقة عند من يثبتونه فالحقيقة هي اللفظ المستعمل فيما وضع له أولاً والمجاز هو اللفظ المستعمل فيما وضع له ثانياً. لعلاقة أو قرينة تمنع من إرادة المعنى الحقيقي.

ومن هذه التعاريف نلحظ التشابه بين المجاز والتأويل فالقائلين بالمجاز اشترطوا وجود قرينة تمنع إيراد المعنى الحقيقي وكذلك التأويل هو صرف اللفظ عن ظاهره لدليل يقترن به فالمجاز مبني على التأويل أو التأويل هو المجاز فكل تأويل هو صرف اللفظ عن الحقيقة إلى المجاز كما قال الغزالي في المستصفى [5].

فما الضابط الذي يعرف به أن هذه اللفظة وضعت أولاً للحقيقة واستعملت فيها بعد للمجاز؟

---

(١) «المفردات» للأصفهاني ص (٢٤٦).

(٢) «تعريفات» الجرجاني ص (١٦٢).

(٣) «البلاغة فنونها وأفنانها» د. فضل حسن عباس ص (١٣٤).

(٤) ص (١٦٢).

(٥) (١ / ٣٨٧).

لا يعرف ذلك إلا بالتنصيص بقول الواضع هذا حقيقة وهذا مجاز ولا تنصيص على ذلك وقد ذكروا عدة فروق قد أبطلها العلماء [١].

وقد يجيبون بأن المعنى الحقيقي لا يحتاج إلى قرينة وليس فيه شيء جديد بينما المعنى المجازي يضيف شيئاً جديداً مع احتياجه للقرينة مثل الشمس وضعت للجرم المضيء فليس فيها أي جديد وإذا استعملت في المرأة تدل على حسنها ووضاءتها [٢].

فكان النافون للمجاز لا يرون هذا صحيحاً لأن تلك دعوى بلا علم وهو حرام في حق المخلوق فكيف في كلام الله ورسوله ﷺ فمن يمكنه من بني آدم أن يثبت ذلك وهذا لو أمكن العلم به لم يكن له طريق إلا الوحي وخبر الصادق المعلوم بالضرورة صدقه »[٣].

متى نشأ القول بالمجاز؟

تقسيم الكلام إلى حقيقة ومجاز لم يكن معروفاً عند العرب وإنما هو اصطلاح حادث بعد القرون الثلاثة الأولى ابتدعه أهل الكلام.

- قال ابن تيمية «فهذا التقسيم هو اصطلاح حادث بعد إنقضاء القرون الثلاثة، لم يتكلم به أحد من الصحابة والتابعين لهم بإحسان ولا أحد من الأئمة المشهورين في العلم.... ولا تكلم به أئمة اللغة والنحو »[٤].

- وقال ابن القيم: أن هذا التقسيم ليس تقسيماً شرعياً ولا عقلياً ولا لغوياً بل هو اصطلاح محض حدث بعد القرون الثلاثة وكان منشأه من جهة المعتزلة والجهمية ومن سلك طريقهم من المتكلمين »[٥].

---

(١) انظر «الإيمان» لابن تيمية ص (٨٣)، و«مختصر الصواعق» ص (٣٨٤).

(٢) انظر «البلاغة فنونها وأفنانها» د. فضل حسن عباس ص (١٣٨).

(٣) «مختصر الصواعق» (٣٨٤).

(٤) «مجموع الفتاوى» (٧ / ٨٨)، وانظر ج (٢٠١ / ٤٥١) و (١٢ / ٢٧٧) من «المجموع».

(٥) «مختصر الصواعق» (٣٨٤).

فلم يعرف المجاز في كلام العرب إلا بعد القرون الثلاثة من قبل علماء الكلام.

- وأول من تكلم بالمجاز أبو عبيدة معمر بن المتنبي التميمي المتوفي سنة (٢٠٩ هـ أو ٢١٠ هـ) في كتابه «مجاز القرآن »ولكنه لم يعن بالمجاز ما هو قسيم الحقيقة وإنما عني بمجاز الآية ما يعبر به عن الآية.

- وكذلك قول الإمام أحمد بن حنبل في رده على الجهمية في كتابه «الرد على الزنادقة والجهمية »هذا من مجاز اللغة ومعنى كلامه أنه مما يجوز في اللغة أن يقول الواحد العظيم الذي له أعوان نحن فعلنا كذا ونفعل كذا ولم يرد أحمد أن اللفظ استخدم في غير ما وضع له. [(١)].

أثر القول بالمجاز:

كان للقول بالمجاز أثره السيء على نصوص الشرع وتحريفها بحجة أن ظاهرها ليس على الحقيقة بل هو مجاز. ولإجماع القائلين بالمجاز على أن كل مجاز يجوز نفيه ويكون نافيه صادقاً في نفس الأمر فنقول لمن قال رأيت أسداً يرمي ليس هو بأسد إنما هو رجل شجاع فيلزم على القول أن في القرآن مجازاً أن في القرآن ما يجوز نفيه، ولا شك أنه لا يجوز نفي شيء من القرآن.

«وعن طريق القول بالمجاز توصل المعطلون لنفي صفاته فقالوا: لا يد ولا استواء ولا نزول ونحو ذلك في كثير من آيات الصفات لأن هذه الصفات لم ترد حقائقها بل هي عندهم مجازات، فاليد مستعملة عندهم في النعمة أو القدرة والاستواء في الاستيلاء والنزول في نزول أمره ونحو ذلك »[(٢)].

ولم يقتصر القول بالمجاز على الصفات فقط بل شمل الكثير من نصوص القرآن كنصوص الجنة والنار وعرض الأمانة على السموات والأرض وتسبيح الكائنات لله سبحانه وتعالى وغيرها من النصوص.

---

(١) انظر «مجموع الفتاوى» (١٢ / ٢٧٧) (٧ / ٨٩)، و«مختصر الصواعق» (٢٨٣).

(٢) «منع جواز المجاز في المنزل للتعبد والإعجاز» للشنقيطي مطبوع بآخر «تفسير أضواء البيان» ص (٢١٥٣).

مع أن الحق هو مذهب السلف أهل السنة والجماعة الذين يثبتون كل ما أثبته الله ورسوله ﷺ من الأسماء والصفات ومن إثبات ما أثبته الله ورسوله من تكلم الكائنات وتسبيحها ونطق الجمادات وإرادتها وإثبات ذلك على الحقيقة دون تأويلها. لأن ذلك تحريف لها. فيجب الإيمان بها والتسليم وإثبات معانيها وتفويض كيفياتها لله تعالى.

المحكم والمتشابه:

- لغة:

المحكم لغة: من الإحكام وهو المنع «وحكم أصله منع منعاً لإصلاح ومنه سميت اللجام حكمة الدابة فقيل حكمته وحكمت الدابة منعتها بالحكمة وأحكمتها جعلت لها حكمة »[١].

«وأحكمه أتقنه فاستحكم ومنعه عن الفساد»[٢].

فمعنى الحكم هو المنع والإتقان والشيء محكم أي متقن.

المتشابه لغة:

«من الشبه وتشابها واشتبها أشبه كل منهما الآخر حتى التبسا وشبَّه عليه الأمر تشبيهاً: لُبِّسَ عليه »[٣].

«والشبهة هي التي لا يتميز أحد الشيئين من الآخر لما بينهما من التشابه عيناً كان أو معنى»[٤].

الإحكام والتشابه في القرآن:

ورد في القرآن وصفه بأنه كله محكم ووصفه بأنه كله متشابه ووصفه بأن منه ما هو محكم

(١) «مفردات الراغب الأصفهاني» (٢٥٠).

(٢) «معجم القاموس المحيط» ص (٣٠٩) حكم.

(٣) نفس المصدر ص (٥٦٥) مادة شبو.

(٤) «المفردات» ص (٤٤٣).

ومنه ما هو متشابه.

١ – أن القرآن كله محكم لقوله تعالى: ﴿كِتَٰبٌ أُحۡكِمَتۡ ءَايَٰتُهُۥ﴾ [هود:١].

ومعناه أنه محكم في النظم والرصف وأنه حق من عند الله «فإحكام الكلام إتقانه بتميز الصدق من الكذب في إخباره وتتميز الرشد من الغي في أوامره والقرآن كله محكم بمعنى الإتقان»[١].

٢ –أن القرآن كله متشابهاً لقوله تعالى: ﴿ٱللَّهُ نَزَّلَ أَحۡسَنَ ٱلۡحَدِيثِ كِتَٰبٗا مُّتَشَٰبِهٗا﴾ [الزمر:٢٣].

ومعناه أي:يشبه بعضه بعضاً ويصدق بعضه بعضاً [٢].

٣– أن في القرآن ما هو محكم وما هو متشابه لقوله تعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِيٓ أَنزَلَ عَلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ مِنۡهُ ءَايَٰتٞ مُّحۡكَمَٰتٌ هُنَّ أُمُّ ٱلۡكِتَٰبِ وَأُخَرُ مُتَشَٰبِهَٰتٞ﴾ [آل عمران:٧].

وقال ابن تيمية: «التشابه العام لا ينافي الإحكام العام بل هو مصدق له فإن الكلام المحكم المتقن يصدق بعضه بعضاً لا يناقض بعضه بعضاً»[٣].

فهذا الإحكام العام والتشابه العام لم يختلف فيه فالقرآن محكم بمعنى الإتقان والفصاحة ولا يتطرق إليه خلل لفظي ولا معنوي.

وكونه متشابه كله بمعنى أنه يشبه بعضه بعضاً في إحكامه وحسنه وإعجازه في ألفاظه ومعانيه.

وأما الإحكام الخاص والتشابه الخاص فهو المختلف فيه في آية آل عمران.

الأقوال في المحكم والمتشابه:

ذكر العلماء عدة أقوال في تعريف المحكم والمتشابه فبعضهم جمعها سبعة أقوال

(١) «مجموع الفتاوى» (٣/ ٦٠).

(٢) انظر «مجموع الفتاوى» (٣/ ٦٢).

(٣) «مجموع الفتاوى» (٣/ ٦١).

كالزرقاني[١] وأضاف لها أقوال أخرى ضعفها وذكر ابن حجر أنه وقف على عشرة أقوال [٢] وذكر بعضها وإن كانت هذه الأقوال مجملها ليست متناقضة بل قد تتداخل فيما بينها وقد روى ابن كثير عبارات السلف في المحكم والمتشابه وكل واحد قد ذكر مثالاً عن المتشابه أو المحكم، ونذكر بعض هذه الأقوال اختصاراً:

١ - أن المحكم هو الواضح الدلالة والمتشابه لا يدرك معناه وهو ما استأثر الله بعلمه كقيام الساعة والحروف المقطعة في أوائل السور.

٢ - أن المحكم ما لا يحتمل وجهاً واحداً والمتشابه ما احتمل أكثر من وجه.

٣ - أن المحكم ما كانت دلالته راجحة وهو النص والظاهر والمتشابه ما كانت دلالته غير راجحة وهو المجمل والمؤول والمشكل.

٤ - قيل المحكمات ناسخه وحلاله وحرامه وأحكامه وحدوده وفرائضه وما يؤمر به ويعمل به وهو ما روي عن ابن عباس والمتشابهات المنسوخة والمقدم والمؤخر والأمثال وما يؤمر به ولا يعمل به وقيل الحروف المقطعة وغيرها من الأقوال [٣].

٥ - وهوالراجح من هذه الأقوال في تفسير المحكم والمتشابه أن المحكم هو الواضح الدلالة الذي لايحتاج إلى بيان والمتشابه ما لم يظهر معناه أي أنه يحتاج إلى بيان وهذا ما رجحه ابن كثير فقال:

«يخبر تعالى أن في القرآن آيات محكمات هن أم الكتاب أي بينات واضحات الدلالة لا التباس فيها على أحد ومنه آيات أخر فيها اشتباه في الدلالة على كثير من الناس أو بعضهم فمن رد ما اشتبه إلى الواضح منه وحكم محكمه على متشابهه عنده فقد اهتدى ومن عكس انعكس ولهذا قال تعالى: ﴿هُنَّ أُمُّ ٱلْكِتَٰبِ﴾ أي: أصله الذي يرجع إليه عند الاشتباه ﴿وَأُخَرُ مُتَشَٰبِهَٰتٌ﴾

(١) انظر «مناهل العرفان» (٢ / ٢٩).

(٢) انظر «الفتح» (٩ / ٧١٤).

(٣) انظر «البرهان في علوم القرآن» للزركشي (٢ / ٨٨)، و«مناهل العرفان» للزرقاني (٢ / ٢٩١)، و«فتح الباري» (٩ / ٧١٧)، و«تفسير ابن كثير» (١ / ٤٥٣).

[آل عمران:٧] أي تحتمل دلالتها موافقة المحكم وقد تحتمل شيئاً آخر من حيث اللفظ والتركيب لا من حيث المراد »[١].

فالتشابه أمر نسبي فقد يشتبه على واحد من الناس ما لا يشتبه على الآخر فإذا علمه صار محكماً. وهذا ما فسره الإمام أحمد من الآيات التي شك فيها الزنادقة أو رأوا أنها متعارضة وصنف الإمام أحمد كتابه المسمى «الرد على الزنادقة والجهمية فيما شكوا فيه من متشابه القرآن وتأولوه على غير تأويله».

مثاله ذكر بعض الآيات التي ظنوا فيها التعارض كقوله تعالى: ﴿رَبُّ ٱلْمَشْرِقِ وَٱلْمَغْرِبِ﴾ [الشعراء:٢٨].

وقوله تعالى: ﴿رَبُّ ٱلْمَشْرِقَيْنِ وَرَبُّ ٱلْمَغْرِبَيْنِ﴾ [الرحمن:١٧].

وقوله تعالى: ﴿بِرَبِّ ٱلْمَشَٰرِقِ وَٱلْمَغَٰرِبِ﴾ [المعارج:٤٠].

فقال رحمه الله: «فشكوا في القرآن» وقالوا: كيف يكون هذا من الكلام المحكم؟ فأجابهم -رضي الله عنه- بقوله: «أما قوله تعالى: ﴿رَبُّ ٱلْمَشْرِقِ وَٱلْمَغْرِبِ﴾ فهذا اليوم الذي يستوي فيه الليل والنهار أقسم بمشرقه ومغربه وأما قوله ﴿رَبُّ ٱلْمَشْرِقَيْنِ وَرَبُّ ٱلْمَغْرِبَيْنِ﴾ فهذا أطول يوم في السنة وأقصر يوم في السنة أقسم الله بمشرقهما ومغربهما وأما قوله ﴿بِرَبِّ ٱلْمَشَٰرِقِ وَٱلْمَغَٰرِبِ﴾ فهو مشارق السنة ومغاربها فهذا ما شكت فيه الزنادقة»[٢].

ولهذا فالتشابه أمر نسبي «فقد يتشابه عند هذا ما لا يتشابه عند غيره ولكن ثم آيات محكمات لا تشابه فيها على أحد، وتلك المتشابهات إذا عرف معناها صارت غير متشابهة بل القول كله محكم»[٣].

فهذا التشابه هو الذي يتعلق به أهل الزيغ فيتعلقون بما قد يحتمله اللفظ من معاني باطلة

(١) «تفسير القرآن العظيم» (١ / ٤٥٣).

(٢) «الرد على الجهمية» (ص٦٩).

(٣) «مجموع الفتاوى» (١٣/ ١٤٤).

ولا يردونه إلى المحكم.

هل الصفات من المحكم أم المتشابه؟

القول بأن آيات الصفات وأحاديثها من المتشابه قد صرح به كثير من أهل الكلام فانقسموا إلى قسمين:

١ - من جعل المتشابه الذي لا يعلم تأويله إلا الله فوض العلم بمعاني هذه الصفات إلى الله فيكون معناها مجهولاً وقال بأن ذلك مذهب السلف أهل السنة والجماعة.

٢ - ومن جعل المتشابه يعلم تأويله الله والراسخون في العلم جعل ظاهرها غير مراد وتأولها بتأويلات بعيدة عن الحق.

والحق أنه لا يعرف عن أحد من الصحابة والتابعين وأئمة الدين من أهل السنة والجماعة.

أنه جعل الصفات من المتشابه الذي لا يعلمه إلا الله فيفوض أمرها وذلك يقتضي الجهل بمعاني هذه الصفات أو تؤول إلى معاني باطلة لم يردها الله ورسوله.

قال ابن تيمية:

«وأما إدخال أسماء الله وصفاته أو بعض ذلك في المتشابه الذي لا يعلم تأويله إلا الله أو اعتقاد أن ذلك هو المتشابه الذي استأثر الله بعلم تأويله كما يقول كل واحد من القولين طوائف من أصحابنا وغيرهم... فالكلام على هذا من وجهين:

١ - من قال أن هذا من المتشابه وأنه لا يفهم معناه فنقول أما الدليل على بطلان ذلك فإني ما أعلم أحداً من سلف الأمة ولا من الأئمة لا أحمد بن حنبل ولا غيره أنه جعل ذلك من المتشابه... وجعلوا أسماء الله وصفاته بمنزلة الكلام الأعجمي الذي لا يفهم، ولا قالوا: إن الله ينزل كلاماً لا يفهم أحد معناه وإنما قالوا كلمات لها معاني صحيحة قالوا في أحاديث الصفات: تمر كما جاءت ونهوا عن تأويلات الجهمية وردوها وأبطلوها التي مضمونها تعطيل النصوص....

ونصوص أحمد والأئمة قبله بيّنة في أنهم كانوا يبطلون تأويلات الجهمية ويقرون النصوص على ما دلت عليه من معناها.

٢ – أنه إذا قيل هذه من المتشابه أو كان فيها ما هو من المتشابه كما نقل عن بعض الأئمة أنه سمي ما استدل به الجهمية متشابهاً فيقال: الذي في القرآن أنه لا يعلم تأويله إلا الله إما المتشابه وإما الكتاب كله كما تقدم، ونفى علم تأويله ليس نفي علم معناه... وهذا الوجه قوي إن ثبت حديث ابن إسحاق في وفد نجران أنهم احتجوا على النبي ﷺ بقوله (إنا) و (نحن) ونحو ذلك ويؤيده أيضاً أنه قد ثبت أن في لقرآن متشابهاً وهو ما يحتمل معنيين، وفي مسائل الصفات ما هو من هذا الباب كما أن ذلك في مسائل المعاد وأولى، فإن نفي المشابهة بين الله وبين خلقه أعظم من نفي المشابهة بين موجود الجنة وموجود الدنيا»[1].

وفي هذا النص بين ابن تيمية رحمه الله أن السلف لم يثبت عنهم القول بأن أسماء الله وصفاته من المتشابه الذي لا يعلمه إلا الله بل الثابت عنهم هو إثباتهم لمعاني هذه الصفات.

٣–أن التشابه الذي سماه بعض السلف تشابهاً هو تشابه المعاني ولا يختص بباب الصفات. والمنفي عند السلف هو علم تأويله أي حقائقه وكيفياتها وكنهها فلا يعلمها إلا الله وأما معناها فهم يثبتونه سواء في آيات الصفات أو غيرها.

إذاً فالقول أن أسماء الله وصفاته من المتشابه أو هي المتشابه باطل.

لأن معناها معلوم في اللغة العربية، ولكن كيفية اتصافه بها غير معلومة.

والسلف فسروا آيات الصفات وغيرها ولم ينقل عنهم أنها من المتشابه الذي لا يعلم معناه.

التفويض:

لغة:

– قال الجوهري: «فوض إليه الأمر: أي رده إليه، والتفويض في النكاح التزويج بلا مهر»[2].

---

(١) «مجموع الفتاوى» (١٣ / ١٤٤).

(٢) «الصحاح» (٣/ ١٠٩٩).

- قال الراغب في «المفردات»: «﴿وَأُفَوِّضُ أَمۡرِيٓ إِلَى ٱللَّهِۚ﴾ [غافر: ٤٤] أرده إليه»[1].

فمعنى التفويض هو الرد إلى الله -سبحانه وتعالى-.

التفويض في نصوص الصفات عند المتكلمين:

التفويض والتأويل عند المتكلمين قد شمل كثير من النصوص الشرعية إلا أنه اشتهر في باب الصفات أكثر من غيرها.

والمفوضه: هم الذين يفوضون علم معاني نصوص الصفات ويدعون أن هذا مذهب السلف.

المؤول والمفوض: كلاهما متفقان على أن ظواهر النصوص غير مراد فاشتغل المؤولين في صرفها عن ظاهرها إلى معاني أخرى باعتبار أن المتشابه هو الذي يعلمه الله والراسخون في العلم لترجيحهم لقراءة الوصل في آية آل عمران بينما المفوضة نفوا ظاهرها لكن لم يثبتوا لها معاني أخرى بل قالوا لها تأويل لكن لا يعلمه إلا الله فجعلوها من المتشابه الذي لا يعلم معناه إلا الله وبذلك عطلوا هذه النصوص عن معانيها.

فاشتهر كلا المذهبين على أنه مذهب أهل السنة والجماعة.

نذكر قول أحد العلماء في ذلك وهو السيوطي في تكلمه عن الصفات فقال:

«وجمهور أهل السنة منهم السلف وأهل الحديث على الإيمان بها وتفويض معناها المراد منها إلى الله ولا نفسرها مع تنزيهنا له عن حقيقتها... وذهبت طائفة من أهل السنة إلى أننا نؤولها على ما يليق بجلاله تعالى وهذا مذهب الخلف»[2].

فجعل المذهبين لأهل السنة وكثير من علماء الكلام ذكروا ذلك في كتبهم ومذهب أهل السنة والجماعة ليس التأويل الباطل ولا التفويض للمعاني بل أهل السنة تواترت الأقوال

---

(١) (ص٦٤٨).

(٢) «الإتقان في علوم القرآن» (٢/ ٦).

عنهم بإثبات المعاني لهذه النصوص إجمالاً أحياناً وتفصيلاً أحياناً، وتفويضهم الكيفية الى علم الله -عز وجل-.

أصول التفويض:

اعتمد المفوضة في مذهبهم على أصلين:

١ - أن نصوص الصفات من المتشابه.

٢ - أن للمتشابه تأويلاً لا يعلمه إلا الله ونتج من ذلك استجهال السابقين من الصحابة والتابعين وأئمة العلم بأنهم يقرؤون هذه الصفات ولا يعلمون معناها [(١)]. وذلك لأن المفوضه حملوا معنى التأويل في آية آل عمران على المعنى الاصطلاحي عند المتكلمين وعلى معنى التفسير فكان هذا منشأ الغلط قال ابن تيمية:

«قال المفوضة: إن تأويل هذه الصفات المتشابهات لا يعلمه إلا الله وزعموا أن التأويل الذي لا يعلمه إلا الله هو معنى اللفظ وتفسيره أو هو التأويل الاصطلاحي الذي يجري في كلام كثير من متأخري أهل الفقه والأصول وهو صرف اللفظ عن الاحتمال الراجح إلى الاحتمال المرجوح لدليل يقترن به.

ولما سمعوا قول الله تعالى ﴿وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُۥٓ إِلَّا ٱللَّهُ﴾ [آل عمران:٧] ظنوا أن لفظ التأويل في القرآن معناه هو معنى لفظ التأويل في كلام هؤلاء فلزم من ذلك أنه لا يعلم أحد معنى هذه النصوص إلا الله لا جبريل ولا محمد ولا غيرهما بل كل من الرسولين على قولهم يتلوا أشرف معاني القرآن من الأخبار عن الله بأسمائه وصفاته وهو لا يعلم معنى ذلك أصلاً»[(٢)].

فهذا منشأ الخطأ حين فسروا الأية بالمعنى الإصطلاحي أو بمعنى التفسير بعد هذه القراءة. لأن للسلف في الآية ومعنى التأويل قراءتين:

---

(١) انظر «مختصر الصواعق» (ص١١٢).

(٢) «مجموع الفتاوى» (١٧/ ٣٥٩).

١ - قراءة الجمهور الوقف على ﴿إِلَّا ٱللَّهُ﴾ فهذا متشابه في نفسه استأثر الله بعلمه فيكون المراد بالتأويل الحقيقة التي يؤول إليها الكلام فتأويل الأمر والنهي هو فعله وتأويل ما أخبر به الله من أمور الغيب هو وقوعها فإدراك ذات الله وكيفية صفاته وكنه المغيبات لا يعلمها إلا الله وحده.

٢ - وقراءة الوقف على ﴿وَٱلرَّٰسِخُونَ فِي ٱلْعِلْمِ﴾ وهو المتشابه الإضافي فيكون المراد بالتأويل هنا التفسير والبيان للمعنى ودلالته اللغوية فهذا يعلمه الله والراسخون في العلم[١].

والسلف والصحابة والتابعين قد تكلموا في جميع نصوص القرآن آيات الصفات وغيرها بما يوافق دلالتها ورووا عن النبي أحاديث كثيرة توافق القرآن ولم يمتنع السلف من إثبات معاني هذه الصفات[٢].

بعض اللوازم الباطلة للتفويض:

من أهم اللوازم الباطلة لمذهب التفويض هو تجهيل السابقين وتعطيل نصوص الصفات عن معانيها.والله تعالى قد أنزل هذا الكتاب بياناً وهدى ورحمة للعالمين وأرسل رسوله صلى الله عليه وسلم، وأمره بتبليغه وبيانه للناس ودعوى المفوضة أن في القرآن نصوص لا يعلمها إلا الله لأنها من المتشابه مجهول المعنى عندهم. فهذه مصادمة لنصوص القرآن التي أمر الله بها نبيه من البيان والتدبر والتعقل والتفسير، وذم من لا يفهمونه.

قال ابن تيمية: «فعلى قول هؤلاء يكون الأنبياء والمرسلون لا يعلمون معاني ما أنزل الله عليهم من هذه النصوص ولا الملائكة ولا السابقون الأولون وحينئذ فيكون ما وصف الله به نفسه في القرآن أو كثير مما وصف الله به نفسه لا يعلم الأنبياء معناه بل يقولون كلاماً لا يعقلون معناه وكذلك نصوص المثبتين للقدر عند طائفة والنصوص المثبتة للأمر والنهي والوعد والوعيد عند طائفة والنصوص المثبتة للمعاد عند طائفة ومعلوم أن هذا قدح في

---

(١) «مجموع الفتاوى» (١٧ / ٣٥٩).

(٢) انظر «مجموع الفتاوى» (١٧ / ٣٩٠).

القرآن والأنبياء إذا كان الله أنزل القرآن وأخبر أنه جعل هدى وبياناً للناس وأمر الرسول أن يبلغ البلاغ المبين وأن يبين للناس ما نزل إليهم أمر بتدبر القرآن وعقله ومع هذا فأشرف ما فيه وهو ما أخبر به الرب عن صفاته أو عن كونه خالقاً لكل شيء وهو بكل شيء عليم. أو عن كونه أمر ونهي ووعد وتوعد أو عما أخبر به عن اليوم الآخر لا يعلم أحد معناه فلا يعقل ولا يتدبر ولا يكون الرسول بين للناس ما نزل إليهم ولا بلغ البلاغ المبين... إلى أن يقول فتبين أن قول أهل التفويض الذين يزعمون أنهم متبعون للسنة والسلف من شر أقوال أهل البدع والإلحاد »[1].

التعطيل للنصوص:

ومن اللوازم الباطلة للتفويض تعطيل النصوص عن حقائقها ومعانيها، والله أنزل هذا القرآن وأمر بتلاوته وفهمه وتدبره ويسره للناس فقال تعالى: ﴿كِتَٰبٌ أَنزَلۡنَٰهُ إِلَيۡكَ مُبَٰرَكٞ لِّيَدَّبَّرُوٓاْ ءَايَٰتِهِۦ وَلِيَتَذَكَّرَ أُوْلُواْ ٱلۡأَلۡبَٰبِ﴾[ص:٢٩].

والتدبر لا يكون إلا فيما يمكن الوصول إلى فهمه ليتذكر الإنسان لما فهمه منه وجعل القرآن عربيًّا ليعقله من يفهم العربية فيدل على أن معناه معلوم وبيان النبي ﷺ لهذا القرآن شامل لبيان لفظه ومعناه.

ومن المحال أن ينزل الله كتابه و يبين رسوله ﷺ هذا الكتاب هداية للخلق ويبقى في أعظم الأمور وأشدها ضرورة مجهول المعنى لأن هذا سفه تأباه حكمة الله تعالى[2].

*****

(١) انظر «درء التعارض» (١/ ٢٠٤-٢٠٥).

(٢) انظر «المجلي في شرح القواعد المثلى» لمحمد بن عثيمين ص (٢٢٥) بتصرف.

المبحث الثاني
تعريف توحيد الأسماء والصفات

التمهيد:

أسماء الله وصفاته هي أحد أجزاء التوحيد الذي هو توحيد الله في ربوبيته وإلهيته وأسمائه وصفاته.

وباب الأسماء والصفات من أكثر الأبواب في علم العقيدة خاض فيه العلماء بين مثبت وناف أو مثبت للبعض ونافياً للبعض الآخر وكل يدعي أن الحق معه ويستدل على ما يثبت أو ينفي. فأما المعطلة والمتكلمين فاستدلوا بأدلة واهية فاسدة لأنهم حكموا عقولهم في أمور غيبية لا تدركها العقول، وخلطوا عقيدتهم بعلم الفلسفة والمنطق وتركوا نصوص الكتاب والسنة بحجة تنزيههم لله عما يرونه نقصاً فضلوا وتناقضوا في أقوالهم ولم يسلم لهم منهجهم في ذلك إلا ما كان موافقاً للكتاب والسنة.

أما أهل السنة والجماعة فقد ثبت لهم منهجهم لأنهم وقفوا عقيدتهم على ما جاء به الكتاب والسنة فهم لا يثبتون لله إلا ما أثبته الله لنفسه من الأسماء والصفات وما أثبته له رسله عليهم الصلاة والسلام ولا ينفون عنه شيئاً منها إلا ما نفاه الله عن نفسه أو نفوه رسله الكرام. فباب الأسماء والصفات عند أهل السنة توقيفي لا مجال للعقل فيه.

أقوال الطوائف في الأسماء والصفات

تعددت أقوال أهل العلم في أسماء الله وصفاته ونذكر أهم هذه الأقوال إجمالاً :

١ـ الفلاسفة:

الفلاسفة ينكرون ماهية الرب الزائدة عن وجوده، وينفون الأسماء والصفات عنه وحكى عنهم الشهرستاني فقال:

«أما تعطيل الباري سبحانه عن الصفات الذاتية والمعنوية وعن الأسماء والأحكام فذلك مذهب الإلهية من الفلاسفة فإنهم قالوا: واجب الوجود لذاته واحد من كل وجه »[(١)].

فهم ينكرون صفات الله ويجعلون إلههم مجرد من كل صفة، والذات التي لا صفات لها ليس لها وجود إلا في الأذهان. فليس له صفة ثبوتية عندهم لأن ذلك يقتضي كثرة وتعدد فهم لا يصفونه إلا بالسلوب والإضافة أو مؤلفة من الإضافة والسلب باعتبار أن هذه الأوصاف لا توجب تعدداً أو كثرة في ذات الله.

وغلاة الفلاسفة والباطنية سلبوا النقيضين فلا يثبتون له صفة ولا ينفونها فلا يصفونه بالموجود ولا بالمعدوم لهذا قال عنهم ابن تيمية:

«غلاة الفلاسفة يسلبون عنه النقيضين فيقولون: لا موجود ولا معدوم ولا حي ولا ميت ولا عالم ولا جاهل لأنهم يزعمون أنهم إذا وصفوه بالإثبات شبهوه بالموجودات وإذا وصفوه بالنفي شبهوه بالمعدومات فسلبوا النقيضين»[(٢)].

فأصبح الإله عندهم ليس له وجود سوى الوجود المطلق الذي لا تعين فيه. والوجود المطلق ليس له حقيقة في الأعيان بل هو وجود في الأذهان.

وأما السالبون عنه النقيضين فقد شبهوه بالممتنع الوجود.

---

(١) «نهاية الإقدام في علم الكلام» (٧٦).

(٢) «مجموع الفتاوى» (٣ / ٧)، وانظر «الصفدية» (ص٢٩٧).

2ـ الجهمية:

أصحاب الجهم بن صفوان (ت ١٢٨ هـ) وهم ينفون عن الله سبحانه وتعالى أسمائه وصفاته قال الشهرستاني عن الجهمية أنهم يقولون «لا يجوز أن يوصف الباري تعالى بصفة يوصف بها خلقه، لأن ذلك يقتضي تشبهاً، فنفواكونه حياً عالماً، وأثبتواكونه قادراً، فاعلاً خالقاً، لأنه لا يوصف شيء من خلقه بالقدرة والفعل والخلق»[١].

فالجهمية أول الفرق التي اتصف مذهبها بالنفي لأسماء الله وصفاته وكثير من الفرق بعدها أخذت منهجها في النفي وفي بعض العقائد غير الأسماء والصفات كالقدر والجنة والنار القائلين بفنائها. فالجهمية أصل البدع بنفيهم الكثير من نصوص الشرع بلا دليل.

قال ابن تيمية «كان الجهم ينكر أسماء الله تعالى فلا يسميه شيئاً ولا حياً ولا غير ذلك إلا على سبيل المجاز قال: لأنه إذا سمى باسم تسمى به المخلوق كان تشبيهاً »[٢].

وقال أيضاً عنه «أول من حفظ عنه أنه قال هذه المقالة »أعنى أن الله ليس على العرش حقيقة وأن معنى استوى بمعنى استولى ونحو ذلك هو الجعد بن درهم وأخذها عنه الجهم بن صفوان فنسبت مقالة الجهمية إليه »[٣].

فالجهمية كانت مغالية في نفي الأسماء والصفات والقول بالجبر قال ابن تيمية «إن جهماً اشتهر عنه نوعان من البدعة. أحدهما: نفي الصفات والثاني: الغلو في القدر والإرجاء. فجعل الإيمان مجرد معرفة القلب. وجعل العباد لا فعل لهم ولا قدرة. »[٤]

فكانت آراء الجهمية في كثير من العقائد مرجعاً لكثير من الفرق التي تبعتها على بدعتها. وإنحرافها عن الكتاب والسنة.

---

(١) «الملل والنحل» ص (٦٨).

(٢) «مجموع الفتاوى» (١٢ / ٤٦٠).

(٣) نفس المصدر (٥ / ٢٠).

(٤) نفس المصدر (١٤ / ٣٥٢).

3ـ المعتزلة:

المعتزلة بجميع فرقهم متفقون على أصولهم الخمسة وهي التوحيد والمنزلة بين المنزلتين والوعد والوعيد والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

فالمعتزلة التوحيد عندهم هو وحدة الذات الإلهية بلا صفات. فهم يثبتون له الأسماء ولكنهم عطلوها وجعلوها أعلاماً محضة لا تدل على معاني وصفات. فهم أثبتوا الأسماء ونفوا الصفات بحجة أن إثباتها يؤدي إلى تعدد القدماء وهذا ينافي التوحيد عندهم. قال واصل بن عطاء «من أثبت معنى صفة قديمة فقد أثبت إلهين»[1].

وذلك لأن أخص وصف للإله عندهم هو القدم فلو كانت للذات صفات قديمة معها يلزم من ذلك تعدد الإله وهذا ينافي التوحيد.

وقد حكى الأشعري مذهبهم في التوحيد فقال:

«أجمعت المعتزلة على أن الله ليس كمثله شيء وهو السميع البصير وليس بجسم ولا شبح ولا جثة ولا صورة ولا لحم ولا دم ولا شخص ولا جوهر ولا عرض ولا بذي لون ولا طعم ولا رائحة ولا مجسة ولا بذي حرارة ولا برودة ولا رطوبة ولا يبوسة ولا طول ولا عرض ولا عمق ولا اجتماع ولا افتراق ولا يتحرك ولا يسكن ولا يتبعّض وليس بذي أبعاض وأجزاء وجوارح أعضاء وليس بذي جهات ولا بذي يمين ولا شمال وأمام وخلف وفوق وتحت ولا يحيط به مكان ولا يجي عليه زمان ولا تجوز عليه المماسّة ولا العزلة.... الخ»[2].

وقال في موضع آخر عنهم «وقالوا: أن الله جل ثناؤه وتقدست أسماؤه لا صفات له» وأنه لا علم له ولا قدرة ولا حياة له ولا سمع ولا بصر له ولا عز له ولا جلال ولا عظمة له ولا كبرياء وكذلك قالوا في سائر صفات الله عز وجل التي يوصف بها نفسه وهذا قول أخذوه عن

(١) «الملل والنحل» للشهرستاني (٤١).

(٢) «مقالات الإسلاميين» (٩٩).

إخوانهم من المتفلسفة...»[1].

وهكذا نفى المعتزلة جميع صفات الله. وبهذا النفي المعتمد على عقولهم وعلى ما أخذوه من أسلافهم الفلاسفة خالفوا به نصوص الكتاب والسنة وخالفوا به الفعل لأنهم قد يقولون عالم بذاته بصير بذاته لا بعلم ولا بصر وبذلك خالفوا العقول والعقل لا يعقل وجود ذات عالم بغير علم أو قادر بغير قدرة. فجعلوا هذه الصفات أعراض والعرض لا يقوم إلا بجوهر متحيز وكل متحيز جسم مركب وقال ابن تيمية: «كقول الجهمية المعتزلة:

من قال أن لله علماً وقدرة فقد زعم انه جسم مركب وأنه مشبه لأن هذه الصفات أعراض والعرض لا يقوم إلا بجوهر متحيز وكل متحيز جسم مركب أو جوهر فرد ومن قال ذلك فهو مشبه لأن الأجسام متماثلة »[2].

٢- وأما الأسماء فهم يثبتونها فيقولون عالم بلا علم وقادر بلا قدرة فهم وإن اثبتوها إلا أنهم عطلوها وجعلوها أعلاماً محضة لا تدل على معاني وصفات.

ويرون أن أسماء الله غير الله وماكان غير الله فهو مخلوق فأسماء الله هي فرع عن صفة الكلام وهو عندهم مخلوق ولهذا قالوا الاسم غير المسمى.

كما أنهم يرون أن تسمية الله بغير ما سمى به نفسه جائز عندهم. فقال عبد الجبار المعتزلي: «اعلم أن جميع ما ذكرناه في الدلالة على حسن إجراء الأسماء على المسميات من غير أن يدل على حسن إجرائها على القديم تعالى ذكره من غير إذن لأنا علمنا بالفعل وعلمنا ما يستحق من الأوصاف وعلمناه فاعلاً لما أحدثه لم يمتنع أن تجري عليه من الأسماء ما يفيد ما هو عليه في ذاته وما أوجده من فعله »[3].

(١) نفس المصدر ص (٢٦٦).

(٢) «مجموع الفتاوى» (٥ / ١١٢).

(٣) «المغني» (٥ / ١٧٩).

٤ـ الأشاعرة:

١ – الأشاعرة يثبتون لله سبحانه وتعالى أسمائه الحسنى ولهذا أكثر علماؤهم من التأليف في شرح هذه الأسماء.

كما أن أسماء الله عندهم أعلاماً وأوصافاً لهذا قاموا بشرحها وبينوا معانيها وما تدل عليه من الصفاتٍ لكن عندما تدل على بعض الصفات التي لا يثبتونها أو يؤولونها فهم يفسرونها حسب معتقدهم في تلك الصفات.

مثل اسم «العلي» فكل من فسره منهم نفى دلالة الاسم على العلو وفسره بعلو المكانة والشرف.

٢ – أن أسماء الله عندهم توقيفية فلا يسمون الله إلا بما سمى به نفسه أو سماه به رسله عليهم الصلاة والسلام فهم في هذا متفقون مع أهل السنة والجماعة وكذلك هم يرون أن أسماء الله تعالى غير محصورةبالتسعة والتسعين اسماً بل لله تعالى أسماء قد استأثر الله بعلمها.

٣– وأما موقفهم من الصفات فَهُم يثبتون لله تعالى سبع صفات وهي التي يسمونها الصفات العقلية وهي: العلم والقدرة والإرادة والحياة والكلام والسمع والبصر.

وأما الصفات الفعلية كالإستواء والعلو والنزول والمجيء فإنهم يؤولونها إن أمكن التأويل أو يفوضونها إلى الله. وكذلك الصفات الخبرية كالوجه والعين واليد فإنهم يؤولونها أو يفوضونها، وأما الصفات الأخرى كالحب والبغض والموالاة وغيرها فإنهم يردونها إلى الإرادة، قال الباقلاني «فإن قيل: قد أثبتم أنه حي عالم قادر بصير متكلم أفتقولون إنه يغضب ويرضى ويحب ويبغض ويوالي ويعادي وأنه موصوف بذلك؟ قيل لهم: أجل ومعنى وصفه بذلك أن غضبه على من غضب عليه ورضاه عمن رضي عنه وحبه لمن أحب وبغضه لمن أبغض وموالاته لمن والى وعداوته لمن عادى أن المراد بجميع ذلك: إرادته إثابة من رضي عنه وأحبه وتولاه وعقوبة من غضب عليه وأبغضه وعاداه لا غير »[1].

(١) «الإنصاف» ص (٦١).

مذهب السلف في أسماء الله وصفاته

١ـ أسماء الله الحسنى:

أهل السنة والجماعة يثبتون لله كل ما أثبته لنفسه من الأسماء الحسنى وما أثبته له رسله عليهم الصلاة والسلام.

فهم يثبتونها على الحقيقة كما تليق بجلاله سبحانه وتعالى لأن الله أخبرنا بأسمائه وصفاته وأمرنا بالدعاء بها قال تعالى﴿ وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ فَٱدْعُوهُ بِهَا ﴾ [الاعراف :١٨٠].

معنى الأسماء الحسنى:

الاسم لغة:

ما يعرف به ذات الشيء، وهو اللفظ الدال على المسمى وهو عند البصريين مشتق من السمو والإرتفاع والعلو ومنه سموت وسميت: مثل علوت وعليت وسلوت وسليت وهوعند الكوفيين مشتق من السمة وهي العلامة فأصل اسم (وسم) ثم حذفت منه فاء الكلمة وهي الواو وعوض عنها بهمزة الوصل.

«قول البصريين أصح لأنه يقال أسميته ولو كان من السمة لقيل سمته، ولأنه يقال في تصغير الإسم سمي وفي جمعه جمع تكسير أسماء والجمع والتصغير يردان الأشياء إلى أصولها فلو كان أصله (وسم) لقيل في تصغيره وسيم وفي جمعه أوسام»[١].

الحسنى:

تأنيث الأحسن والحسن عبارة عن كل مبهج مرغوب فيه والمعنى أن أسماء الله أحسن الأسماء وأكملها.

---

(١) انظر «مختار الصحاح» للرازي مادة (سما)، و«مفردات الراغب» ص (٢٤٨)، و«تعريفات الجرجاني» ص (٢٧)، و«القاموس المحيط» للفيروز آبادي مادة (سما) أو (سموا).



وأسماء الله الحسنى:

هي التي أثبتها الله سبحانه وتعالى لنفسه في كتابه الكريم وأثبتها له عبده ورسوله محمد ﷺ وآمن بها جميع المؤمنين، ولهذا فقد عرفها ابن تيمية بتعريف دقيق فقال:

«الأسماء الحسنى المعروفة: هي التي يدع الله بها وهي التي جاءت في الكتاب والسنة وهي التي تقتضي المدح والثناء بنفسها»[1].

وهذا موافق للآية في قوله تعالى: ﴿وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ فَٱدْعُوهُ بِهَا﴾ [الأعراف:١٨٠].

وهذا التعريف حقق ثلاثة شروط هي:

١ - أن الأسماء الحسنى هي ما وردت في الكتاب والسنة أي أنها توقيفية لا مجال للعقل فيها ولا يسمى الله باسم لم يسم به نفسه ولا سماه به رسوله.

٢ - أن تقتضي هذه الأسماء المدح بنفسها أي ما كان جنسه منقسم إلى محمود ومذموم أو إلى كمال ونقص لم يدخل في أسمائه الحسنى.

٣- الدعاء والتعبد لله بهذه الأسماء الحسنى لأنها بالغة في الحسن غايته.

١ـ أن أسماء الله كلها حسنى:

بالغة في الحسن وقد ذكرها الله في عدة آيات فقال تعالى:

- ﴿وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ فَٱدْعُوهُ بِهَا﴾ [الأعراف:١٨٠].

- ﴿قُلِ ٱدْعُوا۟ ٱللَّهَ أَوِ ٱدْعُوا۟ ٱلرَّحْمَٰنَ ۖ أَيًّا مَّا تَدْعُوا۟ فَلَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ﴾ [الإسراء:١١٠].

- قوله تعالى: ﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ لَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ﴾ [طه:٨].

- قوله تعالى: ﴿هُوَ ٱللَّهُ ٱلْخَٰلِقُ ٱلْبَارِئُ ٱلْمُصَوِّرُ ۖ لَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ﴾ [الحشر:٢٤].

فأسماء الله كلها في غاية الحسن والكمال لأنها متضمنة لصفات كاملة لا نقص فيها ودالة

(١) شرح الاصفهانيه ص(٢٤).

على أقدس مسمى وهو الله.

وفي ثبوت الكمال لله عز وجل قال ابن تيمية:

«أن الكمال ثابت لله بل الثابت له هو أقصى ما يمكن من الأكملية بحيث لا يكون وجود كمال لا نقص فيه إلا وهو ثابت للرب تعالى يستحقه بنفسه المقدسه »[1].

فأسمائه كلها حسنى ولا يوجد في أسمائه إسم يحتمل معنيين معنى حسن ومعنى غير حسن وما كان هذا وصفه فلا يدخل في أسمائه الحسنى.

وقال ابن القيم في «مدارج السالكين»:

«ما كان مسماه منقسماً لم يدخل اسمه في الأسماء الحسنى كالشيء والمعلوم، ولذلك لم يسم بالمريد ولا بالمتكلم وإن كان له الإرادة والكلام لانقسام مسمى المريد والمتكلم »[2].

٢ـ أسماء الله توقيفية:

والوقف لغة: الحبس [3].

والمعنى هو الوقوف بأسماء الله على نصوص الكتاب والسنة فلا يجوز لنا أن نسمي الله بأسماء أو نصفه بصفات لم ترد في القرآن والسنة، فلا يجوز لنا القياس ولا الاشتقاق اللغوي في هذا الباب لأن العقل لا يمكنه إدراك ما يستحقه الله من الأسماء فوجب الوقوف في ذلك على ما ورد به النص حتى لا نقول على الله بغير علم، وتسميته أو وصفه بما لم يسم به نفسه قول عليه بلا علم والله نهانا عن ذلك بقوله تعالى: ﴿وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ﴾ [الإسراء:٣٦] وهذا هو المذهب الحق عند أهل السنة والجماعة بخلاف من أجاز تسميته بما لم يرد به النص كالمعتزلة.

وذكر ابن القيم «أن ما يطلق على الله في باب الأسماء والصفات توقيفي، وما يطلق عليه

(١) انظر «مجموع الفتاوى» (٦/ ٧١).

(٢) (٤/ ٣٨٦).

(٣) «التعريفات» للجرجاني (ص٢٠٢).

من الأخبار لا يجب أن يكون توقيفياً كالقديم، والشيء والموجود والقائم بنفسه فهذا فصل الخطاب في مسألة أسمائه هل هي توقيفية أو يجوز أن يطلق عليه منها بعض ما لم يرد به الشرع»[1].

٣ـ أسماء الله أعلام وأوصاف:

فأسماء الله ليست جامدة بل هي أعلام باعتبار دلالتها على الذات وأوصاف باعتبار ما دلت عليه من المعاني.

وهي بالاعتبار الأول مترادفة لدلالتها على مسمى واحد وهو الله عز وجل وبالاعتبار الثاني متباينة لدلالة كل واحد منها على معناه الخاص.

فالحي، العليم، القدير، السميع، البصير، الرحمن، الرحيم، العزيز، الحكيم كلها أسماء لمسمى واحد هو الله.

لكن معنى الحي غير معنى العليم غير معنى القدير وهكذا[2].

فأسماء الله كلها اتفقت دلالتها على ذات الله مع تنوع معانيها فهي متفقة من حيث الذات ومتباينة من حيث الصفات بخلاف من يسلبها معانيها ويجعلها أعلاماً محضة لا تدل على شيء وهو قول المعتزلة وابن حزم الظاهري إذ لو كانت ألفاظاً لا معاني لها لم تكن حسنى.

٤ـ إحصاء الأسماء الحسنى وهل هي محصورة في هذا العدد؟

ورد خبر الرسول ﷺ في الصحيحين: **«إن لله تسعة وتسعون اسماً مائة إلا واحداً من أحصاها دخل الجنة»**[3].

ومعنى الإحصاء:

لغة: التحصيل بالعد يقال قد أحصيت كذا وذلك من لفظ الحصا، واستعمال ذلك فيه من

---

(١) «بدائع الفوائد» (ص٢١٣).

(٢) انظر «المجلي في القواعد المثلى» لابن عثيمين (٦٢)

(٣) «فتح الباري» (كتاب التوحيد) (باب) (١٧ / ٣٣٨)، و(الدعوات) (باب ٦٨)، و«مسلم بشرح النووي» (كتاب الذكر والدعاء) (باب في أسماء الله).

حيث أنهم كانوا يعتمدونه بالعد كاعتمادنا فيه على الأصابع [1].

وفي «مختار الصحاح»: «وأحصى الشيء عده»[2].

هذا من حيث اللغة وأما معنى الإحصاء فقد اختلف فيه العلماء نذكر بعض أقوالهم في ذلك:

- ذكر النووي في «صحيح مسلم» عن البخاري وغيره من المحققين: أن معنى «أحصاها حفظها وهذا هو الأظهر لأنه جاء مفسراً في الرواية الأخرى.

- قول الخطابي:

١ - أن المراد بالإحصاء هو أن يعدها حتى يستوفيها.

٢ - أن المراد بالإحصاء الإطاقة كقوله (علم أن لن تحصوه) المزمل: ٢٠

والمعنى أن من أطاق القيام بحق هذه الأسماء والعمل بمقتضاها وهو أن يعتبر معانيها فيلزم نفسه بواجبها فإذا قال الرزاق وثق بالرزق وكذا سائر الأسماء.

٣ - أن المراد بالإحصاء الإحاطة بمعانيها من قول العرب فلان ذو حصاه أي ذو عقل ومعرفة.

- قول ابن عطية: «معنى أحصاها »أي عدها وحفظها ويتضمن ذلك الإيمان بها والتعظيم لها والرغبة فيها والاعتبار بمعانيها[3].

- قول ابن القيم مراتب الاحصاء ثلاثة[4]:

١ - إحصاء ألفاظها وعدها.

٢ - فهم معانيها ومدلولها.

٣ - دعاؤه بها.

(١) انظر «المفردات» (٢٤).

(٢) «مختار الصحاح» للرازي.

(٣) تُنظر هذه الأقوال في «فتح الباري» (كتاب الدعوات) (باب٦٨)ص(١٤/ ٤٧٥).

(٤) «بدائع الفوائد»(٢١٥).

وبهذا يتضح أن معنى الإحصاء هو الحفظ والفهم والعمل بها.

ما المراد في الحديث هل هو حصر الأسماء في هذا العدد فقط أم لله أسماء أخرى؟

اختلف العلماء على قولين:

١ - أن أسماء الله محصورة بعدد معين وهو المذكور في الحديث وحكى ابن حجر في «شرحه لصحيح البخاري»: «أن ابن حزم ممن ذهب إلى الحصر في العدد المذكور لأنه احتج بالتأكيد في قوله ﷺ «**مائة إلا واحداً** » قال: لأنه لو كان له اسم زائد على العدد المذكور لزم أن يكون له مائة اسم فيبطل قوله مائة إلا واحداً وهذا الذي قاله ليس بحجة لأن الحصر المذكور عندهم باعتبار الوعد الحاصل لمن أحصاها فمن ادعى أن الوعد وقع لمن أحصى زائداً على ذلك أخطأ.

- ومنهم من حصرها في مائة اسم وبذلك جزم السهيلي.

- وحكى ابن حجر عن ابن العربي عن بعضهم أن لله ألف اسم.

- ونقل عن الفخر الرازي عن بعضهم أن لله أربعة آلاف اسم استأثر الله بعلم ألف منها واعلم الملائكة بألفين والأنبياء بألفين منها وسائر الناس بألف، وهذا الحصر من البعض في ألف أو أكثر لم يرد به دليل لا من كتاب ولا سنة ولهذا علق بن حجر على ذلك بقوله «وهذه دعوى تحتاج إلى دليل »[(١)].

- القول الثاني للجمهور:

وهو أن أسماء الله ليست محصورة بعدد معين وحكى النووي في شرحه لصحيح مسلم إتفاق العلماء على ذلك. إذ المراد من الحديث ليس حصر أسمائه سبحانه وتعالى فليس معناه أنه ليس له أسماء غير هذه التسعة والتسعين وإنما مقصود الحديث هو أن هذه التسعة والتسعين من أحصاها دخل الجنة فالمراد الإخبار عن دخول الجنة بإحصائها لا الإخبار بحصر الأسماء. واستدل بحديث ابن مسعود الذي أخرجه أحمد وصححه ابن حبان «أسألك بكل اسم هو لك سميت به نفسك أو أنزلته في كتابك أو علمته أحداً من خلقك أو استأثرت به في علم الغيب عندك »[(٢)].

---

(١) ينظر هذه الأقوال وغيرها في «فتح الباري» (كتاب الدعوات) (باب ٦٨٨٤).

(٢) صحيح مسلم بشرح النووي(١٧/ ٥)

- وكذلك استدل به ابن القيم في بدائع الفوائد:

بأن أسماء الله لا تدخل تحت الحصر ولا تحدد بعدد فإن لله أسماء وصفات استأثر الله بها في علم الغيب عنده كما في الحديث الصحيح.

فجعل أسماءه تعالى ثلاثة أقسام:

١ - قسم سمى به نفسه فأظهره لمن شاء من الملائكة أو غيرهم ولم ينزل به كتابه.

٢ - وقسم أنزل به كتابه وتعرف به إلى عباده.

٣ - وقسم استأثر به في علم الغيب عنده فلم يطلع عليه أحد من خلقه ولهذا قال «**استأثرت به**[١]» أي انفردت بعلمه وليس المراد بانفراده بالتسمي به لأن هذا الانفراد ثابت في الأسماء التي أنزل بها كتابه ومن هذا قول النبي ﷺ في الشفاعة: «**فيفتح علي من محامده بما لا أحسنه الآن**»[٢] وتلك المحامد هي تفي بأسمائه وصفاته... »[٣].

٥ـ الإلحاد في أسماء الله:

والإلحاد لغة: هو الميل والعدول. قال في مختار الصحاح: «ألحد في دين الله: أي حاد عنه وعدل ولحد من باب قطع لغة فيه »[٤].

والإلحاد في أسماء الله هو الميل والعدول بها وبحقائقها ومعانيها عن الحق الثابت لها.

وهذا الإلحاد أنواع:

١ - أن ينكر شيء منها أو مما دلت عليه من الصفات والأحكام كما فعل أهل التعطيل من الجهمية وكان ذلك إلحاداً لوجوب الإيمان بها وبما دلت عليه من الأحكام والصفات اللائقة بالله تعالى وإنكار شيء من ذلك ميل بها عما يجب فيها.

(١) هذابعض من حديث ابن مسعود-رضي الله عنه رواه الإمام أحمدفي المسند برقم(٣٧١٢)وصححه أحمدشاكرفي شرحه للمسند.

(٢) حديث الشفاعة أخرجه البخاري ك التوحيد برقم(٧٥١٠).

(٣)بدائع الفوايد ص(٢١٩)

(٤)مختارالصحاح للرازي مادة لحد

٢ -تسميته بما لا يليق به كتسمية النصارى له أباً والفلاسفة موجباً بالذات أو علـه فاعلـه بالطبع.

٣- وصفه تعالى بما يتنزه عنه من الأوصاف كقول اليهود: الله فقير، وقولهم يد الله مغلولـة أو أنه استراح بعد أن خلق خلقه.

٤ - أن يسمي بعض مخلوقاته بأسمائه كتسـمية المشرـكين لأصـنامهم بـاللات مـن الإلهيـة والعزى من العزيز وهذا إلحاد حقيقة فإنهم عدلوا بأسمائه إلى أوثانهم.

٥ - تشبيه صفاته بصفات خلقه تعالى الله عن ذلك[1].

(١) انظر «بدائع الفوائد» (٢٢٢)، «المدخل لدراسة العقيدة» للبراك (٣٩)، «القواعد المثلى» (١٤٦).

موقف السلف من صفات الله

مذهب السلف الصالح في صفات الله تعالى هو اثباتها كما جاءت في الكتاب والسنة من غير تعطيل ولا تحريف ولا تمثيل ولا تكييف.

- لقوله تعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ [الشورى:١١].

ونصوص الشرع قد جاءت بالإثبات المفصل والنفي المجمل والله قد بين أن الحق في آيات الصفات مركب من أمرين:

١- تنزيه الله عز وجل عن مشابهة المخلوقات.

٢- الإيمان بكل ما وصف الله به نفسه في كتابه الكريم أو وصفه به رسوله ﷺ لأنه لا يصف الله أعلم بالله من الله لقوله تعالى: ﴿ءَأَنتُمْ أَعْلَمُ أَمِ اللَّهُ﴾ [البقرة:١٤٠]، ولا يصف الله أعلم بالله من رسوله ﷺ الذي قال عنه: ﴿وَمَا يَنطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ. إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ﴾ [النجم:٣-٤].

ولا يلزم من إثبات الصفات تشبيه الله بخلقه تعالى الله عن ذلك لأن صفات الخالق تخصه وتليق به وصفات المخلوقين تليق بهم وتخصهم ولا تشابه بين الصفتين كما أن لا تشابه بين ذات الخالق سبحانه وذات المخلوق.

فأهل السنة يؤمنون بأن جميع ما جاءت به النصوص الشرعية من صفات الله أنها صفات حقيقية تليق بجلال الله تعالى وأنها لا تماثل صفات المخلوقين. فيثبتون ألفاظ الصفات ومعانيها فليست الصفات من المتشابه الذي يفوض معناه لأن اعتبار نصوص الصفات مما لا يفهم معناه يجعلها من الكلام الأعجمي الذي لا يفهم والله قد أمرنا بتدبر القرآن كله وحضنا على تعقله وتفهمه، ويسره للذكر.

فمعاني صفات الله معلومة لنا من جهة اللغة ويجب اعتقادها، وأما كيفيتها فهي مجهولة لنا لا يعلمها إلا الله ولهذا قال الإمام مالك ابن أنس رحمه الله - لما سئل عن قوله تعالى: ﴿الرَّحْمَٰنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَىٰ﴾ [طه:٥].

كيف استوى؟ قال: الاستواء معلوم والكيف مجهول والإيمان به واجب والسؤال عنه بدعة.



وما قاله الإمام مالك هو قاعدة في جميع الصفات وهو قول أهل السنة والجماعة قاطبة فليس من مذهب السلف التفويض لمعاني الأسماء والصفات ومن نسب ذلك إليهم فقد كذب عليهم. وإنما يفوضون الكيفية إلى علم الله عز وجل. ويؤمنون بأن جميع صفات الله عز وجل الثابتة في الكتاب والسنة صفات حقيقة لا مجازية كمايدّعيه النافون لهذه الصفات. وقد نقل ابن عبد البر في التمهيد الإجماع على ذلك فقال: «أهل السنة مجمعون على الإقرار بالصفات الواردة كلها في القرآن والسنة والإيمان بها وحملها على الحقيقة لا على المجاز إلا أنهم لا يكيفون شيئاً من ذلك ولا يحدون فيه صفة محصورة وأما أهل البدع والجهمية والمعتزلة كلها والخوارج فكلهم ينكرها ولا يحمل شيئاً منها على الحقيقة ويزعمون أن من أقر بها مشبه وهم عند من أثبتها نافون للمعبود والحق فيما قاله القائلون بما نطق به كتاب الله وسنة رسوله وهم أئمة الجماعة ولله الحمد [1].

وأما إثبات السلف للصفات على ظاهرها ونفي الكيفية عنها فلأن الكلام في الصفات فرع عن الكلام في الذات وإثبات الذات إثبات وجود لا إثبات كيفية فكذلك الصفات.

وأهل السنة والجماعة لم يتنازعوا في الصفات ولا اختلفوا في ذلك قال ابن القيم:

«تنازع الناس في كثير من الأحكام ولم يتنازعوا في آيات الصفات وأخبارها في موضع واحد بل اتفق الصحابة والتابعون على إقرارها وإمرارها مع فهم معانيها وإثبات حقائقها وهذا يدل على أنها أعظم النوعين بياناً وأن العناية ببيانها أهم من تمام تحقيق الشهادتين وإثباتها من لوازم التوحيد فبينها الله سبحانه وتعالى ورسوله بياناً شافياً لا يقع فيه لبس يوقع الراسخين في العلم.

وآيات الأحكام لا يكاد يفهم معانيها إلا الخاصة من الناس، وأما آيات الصفات فيشترك في فهم معناها الخاص والعام أعني فهم أصل المعنى لا فهم الكنه والكيفية »[2].

وذلك لأن فهم كيفية الصفة فرع عن تصور الذات وإثبات الذات إثبات وجود لا إثبات كيفية فكذلك الصفات.

---

(١) «التمهيد» (٧/ ١٤٥).

(٢) «مختصر الصواعق» (٤٩).

لأن صفات الله من الغيب الذي لا يعرفه الإنسان على وجه التفصيل إلا بطريق السمع لأن البشر لا يحيطون به علماً كما قال تعالى: ﴿وَلَا يُحِيطُونَ بِهِۦ عِلْمًا﴾ [طه:١١٠].

فلا يمكن للعقل البشري أن يستقل بمعرفة الأسماء والصفات لله على وجه التفصيل إثباتاً ونفياً وإن كان العقل والفطرة تثبت الكمال المطلق لله سبحانه وتعالى على وجه الإجمال وأما على وجه التفصيل فلا يكون إلا بطريق الوحي والوحي قد أثبت الصفات إثباتاً مفصلاً على وجه أزال به الشبهة وكشف الغطاء وحصل العلم اليقيني ورفع الشك والريب فثلجت به الصدور واطمأنت به القلوب واستقر به الإيمان في نصابه [1].

وصفات الله كلها صفات كمال لا نقص فيها بوجه من الوجوه والفطر السليمة تثبت الكمال لله -عز وجل-، قال شارح الطحاوية:

«أودع الله في الفطرة الإنسانية التي لم تنجس بالجحود والتعطيل ولا بالتشبيه والتمثيل أنه سبحانه الكامل في أسمائه وصفاته وأنه الموصوف بما وصف به نفسه ووصف به رسوله وما خفي عن الخلق من كماله أعظم وأعظم مما يعرفونه الخلق»[2].

٢ - وأما نفيهم لصفات النقص فهم لا ينفون إلا ما نفاه الله في كتابه ونفاه عنه رسوله ﷺ مع اعتقادهم بثبوت كمال ضد الصفة المنفية عنه وكل ما نفاه الله عن نفسه فهي صفات نقص تنافي كماله الواجب فجميع صفات النقص ممتنعة على الله لوجوب كماله وما نفاه المراد به نفي تلك الصفة وإثبات ضدها وذلك النفي لا يدل على الكمال إلا إذا تضمن صفة ثبوتية يحمد عليها. وكل نفي في صفات الله فإنه يتضمن إثبات الكمال وليس نفياً محضاً لأن النفي المحض ليس فيه مدح لأنه عدم محض والعدم ليس بشيء.

ومن الأمثلة على النفي المتضمن لإثبات الكمال:

- قوله تعالى: ﴿وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا﴾ [الكهف:٤٩] أي: لكمال عدله سبحانه وتعالى.

- وقوله تعالى: ﴿وَلَا يَـُٔودُهُۥ حِفْظُهُمَا﴾ [البقرة:٢٥٥] أي: لكمال قدرته وقوته.

---

(١) انظر «مدارج السالكين» (٤/ ٢٨٤).

(٢) انظر «شرح الطحاوية» (١/ ٧١).

- وقوله تعالى: ﴿لَا تَأْخُذُهُۥ سِنَةٌ وَلَا نَوْمٌ﴾ [البقرة:٢٥٥] أي: لكمال حياته وقيوميته.

- وقوله تعالى: ﴿لَا يَعْزُبُ عَنْهُ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِى ٱلْأَرْضِ﴾ [سبأ:٣] لكمال علمه وغيرها من الآيات.

والنفي في كتابه يأتي مجملاً والإثبات مفصلاً عكس طريقة أهل الكلام المذموم فإنهم يأتون بالنفي المفصل والإثبات المجمل فيقولون: ليس بجسم. ولا شبح ولا جثة ولا صورة ولا لحم ولا دم ولا شخص و لا جوهر ولا عرض.... إلى آخر ما حكاه عنهم الأشعري في مقالاته [1].

(١) نفس المرجع السابق، نفس الصفحة.

أنواع الصفات عند أهل السنة

يقسم أهل السنة الصفات إلى قسمين:

١ - صفات ثبوتية وهي ذاتية وفعلية.   ٢ - صفات سلبية.

الصفات الثبوتية:

هي كل ما أثبته الله لنفسه في كتابه أو أثبتها له رسوله ﷺ وكلها صفات كمال لا نقص فيها بوجه من الوجوه والصفات الثبوتية نوعان:

١ -صفات ذاتية هي التي لم يزل ولا يزال متصفاً بها وسميت ذاتية لأنها ملازمة للذات لا تنفك عنها وهي نوعان أيضاً:

١ - **معنوية**: كالعلم، والحياة، والقدرة، والحكمة.

٢ - **خبرية**: كاليدين، الوجه، العين.

٢ - **الصفات الفعلية**: وهي المتعلقة بالمشيئة والإرادة فمتى شاء الله فعلها ومتى شاء تركها كالاستواء، الضحك، والعجب، والنزول إلى سماء الدنيا كل ليلة والمجيء يوم القيامة.

وهي قديمة النوع بمعنى أن الباري لم يزل متصفاً بها أزلاً: أي في الزمن الماضي، ولا يزال متصفاً بها أبداً في المستقبل.

حادثة الآحاد:بمعنى أن فعل أفرادها شيئاً فشيئاً حسب ما تقتضيه مشيئته.

ومن الصفات الفعلية ما لا يطلق على الله إلا في سياق خاص. أي أنها صفات كمال بقيد وصفة الكمال بقيد لا يوصف الله بها على الإطلاق إلا مقيداً مثل المكر، والخداع،و الإستهزاء فهذه صفات كمال بقيد إذا كانت في مقابل من يفعلون ذلك ولهذا لا يصح وصفه تعالى بالماكر، ولا المستهزئ، بل نقيد ونقول ماكر بالماكرين، أو المنافقين - كائد للمنافقين، أو خادع للمنافقين وذلك لأنها لم تأت في الكتاب إلا مقيدة.

٢ـ القسم الثاني الصفات السلبية:

وهي ما نفاه الله عن نفسه في كتابه أو على لسان رسوله ﷺ فيجب نفيها عن الله مع إثبات ضدها وهي مثل نفي السنة والنوم يراد به إثبات ضده من الكمال وهو حياته وقيوميته وكذلك الجهل والعجز والتعب [1].

---

(١) انظر في الصفات وتقسيماتها: «شرح العقيدة الواسطية» لابن عثيمين (١/ ٧٨-١٤٢)، و«المدخل للعقيدة» للبراك (١٠٧)، و«المجلى في شرح القواعد المثلى» (١٨٦).

موقف البيضاوي من أسماءالله وصفاته.

موقف البيضاوي من أسماءالله تعالى:

١ - عندتفسيره لقوله تعالى: ﴿وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ فَٱدْعُوهُ بِهَا ۖ وَذَرُوا۟ ٱلَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِىٓ أَسْمَـٰٓئِهِۦ ۚ﴾ [الأعراف: ١٨٠].

"لله الأسماءالحسنى"قال:لأنهادالة على معان هي أحسن المعاني .

"فادعوه بها"قال:سموه بتلك الأسماءواتركواتسمية الزائغين فيها الذين يسمونه بما لاتوقيف فيه،إذربما يوهم معنى فاسدا كقولهم،يا أبا المكارم،ياأبيض الوجه"[١].

٢ - عندتفسيره لقوله تعالى:﴿ ٱللَّهُ لَآ إِلَـٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ لَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ ۝٨ ﴾ [طه:٨] قال:الحسنى تأنيث الأحسن وفضل أسماءالله على سائرالأسماءفي الحسن لدلالتها على معان هي أشرف المعاني وأفضلها"[٢].

٣ - عند تفسيره لقوله تعالى ﴿ ٱلرَّحْمَـٰنِ ٱلرَّحِيمِ ۝١ ﴾ [الفاتحة:١].قال:إسمان بنيا للمبالغة من رحم،كالغضبان من غضب ،والعليم من علم،والرحمة في الله:رقة القلب،وإنعطاف يقتضي التفضل،والإحسان،ومنه الرحم لإنعطافها على مافيها وأسماءالله تعالى إنما تؤخذبإعتبارالغايات التي هي أفعال دون المبادي التي تكون إنفعالات" [٣].

الخلاصة:

نرى من نصوص البيضاوي أنه يثبت أسماءالله الحسنى،وأنها دالة على معان هي أحسن المعاني وأفضلها.وأن الله لايسمى إلابما وردت به النصوص لأن أسماءالله توقيفية وأنهابالغة الحسن فلايسمى بما يوهم معنى فاسدا لأن ذلك ميل بها وإلحادعن معانيها الحسنى،وهوفي هذا موافق للسلف أهل السنة والجماعة.

بل للبيضاوي مؤلف في شرح الأسماءالحسنى إسمه"منتهى المنى" ذكره في تفسيره، في آخر سورة الحشر وأحال عليه لمن أرادالإستزادة من شرح هذه الأسماء[٤].

إلاأن الأسماءإذا دلت على صفات لله هو لايثبتها يتأولها أويردها إلى معنى الإراده شأنه في

(١) أنوارالتنزيل(١/ ١٣٩).

(٢) أنوارالتنزيل(٢/ ٦٣٩).

(٣) انوارالتنزيل(١/ ١٣).

(٤) انوارالتنزيل(٢/ ١٠٦١).

ذلك شأن الأشاعرة.

وهذامعنى قوله:أن أسماءالله تؤخذ باعتبارالغايات التي هي أفعال دون االمبادي التي تكون إنفعالات،لأن الأعراض النفسانية كالرحمة والغضب وغيرها لها بدايات وهي ثوران النفس ،ولها غايات وهي إرادة الإنتقام هذا ما يزعمونه .ومعنى ذلك أن ينفي دلالة الأسم على الصفة ويردصفة الرحمة إلى إرادة الإحسان.

موقف البيضاوي من صفات الله:

البيضاوي رحمه الله في تفسيره أثبت بعض الصفات وتأول بعضها ونحن في هذا المبحث نقسمه إلى قسمين:

١- **الصفات ا لتي أثبتها:** كالقدرة – العلم – الحياة – الإرادة – السمع والبصر والكلام والرؤية والأول والآخر.

٢- **والصفات التي نفاها أوتأولها:**

الصفات التي أثبتها:

أثبت البيضاوي:

١ـ القدرة:

١ – عند تفسيره لقوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ﴾ [البقرة:٢٠].

قال: «القدرة: هو التمكن من إيجاد الشيء، وقيل صفة تقتضي التمكن... وقدرة الله عبارة عن نفي العجز عنه والقادر هو الذي إن شاء فعل وإن لم يشأ لم يفعل.

والقدير: الفعال لما يشاء على ما يشاء ولذلك قلما يوصف به غير الباري تعالى »[1].

٢ – عند تفسيره لقوله تعالى: ﴿أَوْ تَعْفُواْ عَن سُوٓءٍ فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَفُوًّا قَدِيرًا﴾ [النساء:١٤٩].

قال: «أي يكثر العفو عن العصاة مع كمال قدرته على الانتقام فأنتم أولى بذلك »[2].

٣ – عند قوله تعالى: ﴿وَأَنَّهُۥ يُحْىِ ٱلْمَوْتَىٰ وَأَنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ﴾ [الحج:٦].

قال: «لأن قدرته لذاته الذي نسبته إلى الكل على سواء فلما دلت المشاهدة على قدرته على

(١) «أنوار التنزيل » (١/ ٣٩).

(٢) «أنوار التنزيل» (١/ ٢٤٩).

إحياء بعض الأموات لزم اقتداره على إحياء كلها »[1].

الخلاصه :

من نصوصه -رحمه الله- نرى أنه قد أثبت القدرة له سبحانه وتعالى وهذا قد وافق فيه السلف.

والقدرة من الصفات الذاتية الفعلية. والقدير ذو القدرة وهي صفة يتمكن بها الفاعل من الفعل بدون عجز [2]. وهو الذي له مطلق القدرة سبحانه وكمالها وتمامها الذي ما كان يعجزه شيء في الأرض ولا في السماء الذي ما خلق الخلق ولا بعثهم في كمال قدرته إلا كنفس واحدة الذي أمره إذا أراد شيء أن يقول له كن فيكون.

فالقدرة صفة كمال فإذا كان المخلوق قادراً قوياً فالله أولى أن يكون قادراً قوياً ومن الممنوع أن يعطي القادر قدرة لمخلوقاته ويكون غير قادر على الفعل فكل مخلوقات الله العلوية والسفلية تدل على كمال قدرته الشاملة فالله على كل شيء قدير وهذا الأصل هو الإيمان بربوبيته تعالى العامة فإنه لا يؤمن بأنه رب كل شيء إلا من آمن بأنه قادر على كل شيء.

والأدلة على ذلك أن الفطرة السليمة والعقل يقران بأن لله الكمال المطلق.

فالخالق لهذه المخلوقات بهذا الإحكام والإتقان وعدم الاضطراب دليل على قدرته الشاملة الكاملة قال تعالى في بيان قدرته.

- ﴿إِن تُبْدُواْ خَيْرًا أَوْ تُخْفُوهُ أَوْ تَعْفُواْ عَن سُوٓءٍ فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَفُوًّا قَدِيرًا﴾ [النساء:١٤٩].

- وقوله تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَسِيرُواْ فِى ٱلْأَرْضِ فَيَنظُرُواْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَكَانُوٓاْ أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً ۚ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُعْجِزَهُۥ مِن شَىْءٍ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِى ٱلْأَرْضِ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ عَلِيمًا قَدِيرًا﴾ [فاطر:٤٤] وغيرها من الآيات الكثيرة.

وأما الأحاديث:

فمنها حديث الرسول ﷺ الذي رواه البخاري في حديث الاستخارة «**اللهم استخيرك**

(١) «أنوار التنزيل» (٢/ ٦٨٠)، وانظر (٢/ ٩٨٣) و(٢/ ٨٦٤) و(٢/ ٨٧٦).

(٢) «أنوار التنزيل» (١ / ١٤٠)، وانظر (١ / ١٦٠).

بعلمك وأستقدرك بقدرتك وأسألك من فضلك العظيم فإنك تقدر ولا أقدر وتعلم ولا أعلم.... »[1].

فقدرة الله شاملة لكل شيء سبحانه وتعالى.

٢ـ العلم:

١- عند تفسيره لقوله تعالى: ﴿وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ [البقرة:٢٩].

قال: «كأنه قال ولكونه عالماً بكنه الأشياء كلها خلق ما خلق على هذا النمط الأكمل والوجه الأنفع واستدلال بأن من كان فعله على هذا النسق العجيب والترتيب الأنيق كان عليماً فإن إتقان الأفعال وإحكامها وتخصيصها بالوجه الأحسن الأنفع لا يتصور إلا من عالم حكيم رحيم... إلى أن قال ونظيره قوله تعالى ﴿وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾»[2].

٢- وفي قوله تعالى: ﴿يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِّنْ عِلْمِهِ إِلَّا بِمَا شَاءَ﴾ [البقرة:٢٥٥].

قال: «يعلم ما قبلهم وما بعدهم أو بالعكس لأنك مستقبل المستقبل ومستدبر الماضي أو أمور الدنيا وأمور الآخرة أو عكسه ما يحسونه وما يعقلونه أو ما يدركونه وما لا يدركونه... إلى قوله لأن مجموعهما يدل على تفرده بالعلم التام الدال على وحدانيته أي أنه عالم الأشياء كلها جليها وخفيها كليها وجزئيها »[3].

الخلاصه :

ومن هذه النصوص نرى البيضاوي رحمه الله يثبت صفة العلم لله سبحانه وتعالى وأن علمه تعالى شامل لكل شيء عالم بخلقه وبكنه الأشياء وما هذا الخلق العجيب والترتيب الأنيق إلا دليل علمه الشامل فهو عالم بالكليات والجزئيات وهو بهذا يرد على من ينفي علمه بالجزئيات من الفلاسفة وغيرهم وهو موافق في إثباته للعلم لأهل السنة.

---

(١) «فتح الباري» (كتاب التوحيد) (باب٣) (١٧/ ٣٣٥).

(٢) «أنوار التنزيل» (١/ ٥٢).

(٣) «أنوار التنزيل» (١/ ١٤٠)، وانظر (١/ ١٦٠).

والعلم صفة ذاتية أثبتها الله لنفسه وأثبتها له رسوله ﷺ وأنه عالم وعلمه محيط بكل شيء وصفة العلم سمعيه وعقلية أثبتتها النصوص والعقل يدل على أن خالق هذا الكون بهذا النظام العجيب المتقن يدل على علمه الشامل والأدلة على صفة العلم كثيرة منها.

- قوله تعالى: ﴿وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ يَعۡلَمُ مَا فِيٓ أَنفُسِكُمۡ فَٱحۡذَرُوهُۚ وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ حَلِيمٌ﴾ [البقرة:٢٣٥].

- وقوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَخۡفَىٰ عَلَيۡهِ شَيۡءٌ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَلَا فِي ٱلسَّمَآءِ﴾ [آل عمران:٥].

- وهو تعالى المختص بعلم الغيب والساعة والروح فقال تعالى: ﴿وَعِندَهُۥ مَفَاتِحُ ٱلۡغَيۡبِ لَا يَعۡلَمُهَآ إِلَّا هُوَۚ وَيَعۡلَمُ مَا فِي ٱلۡبَرِّ وَٱلۡبَحۡرِۚ وَمَا تَسۡقُطُ مِن وَرَقَةٍ إِلَّا يَعۡلَمُهَا وَلَا حَبَّةٍ فِي ظُلُمَٰتِ ٱلۡأَرۡضِ وَلَا رَطۡبٍ وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِي كِتَٰبٍ مُّبِينٍ﴾ [الأنعام:٥٩].

- **وأما من السنة:**

ففي «الصحيحين» عن جابر رضي الله عنه قال: كان رسول الله ﷺ يعلم أصحابه الاستخارة في الأمور كلها كما يعلم السورة من القرآن يقول: «**إذا هم أحدكم بالأمر فليركع ركعتين من غير الفريضة ثم ليقل: (اللهم إني أستخيرك بعلمك وأستقدرك بقدرتك وأسألك من فضلك العظيم فإنك تقدر ولا أقدر وتعلم ولا أعلم وأنت علام الغيوب اللهم إن كنت تعلم هذا الأمر** -ثم يسميه بعينه- **خيراً لي في عاجل أمري وآجله** -أو قال في ديني ومعاشي وعاقبة أمري- **فاقدره لي ويسره ثم بارك لي فيه. اللهم وإن كنت تعلم أنه شر لي في ديني ومعاشي وعاقبة أمري** -أو قال عاجل أمري وآجله- **فاصرفني عنه واقدر لي الخير حيث كان ثم أرضني به**»[1].

- وكذلك حديث أبي موسى الأشعري «**اللهم اغفر لي خطيئتي وجهلي وإسرافي في أمري وما أنت أعلم به مني**»[2] وغيرها من الأحاديث الدالة على علمه تعالى.

(١) سبق تخريجه ص(١٦٨).

(٢) «فتح الباري» (كتاب الدعوات) (باب٦) (١٤/ ٤٣٨)، و«مسلم بشرح النووي» في (الأدعية) (٦/ ٤٠).



٣- الحياة:

١- عند تفسيره لقوله تعالى: ﴿كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَكُنتُمْ أَمْوَاتًا فَأَحْيَاكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ﴾[البقرة:٢٨]

فقال: «إذا وصف بها الباري أريد بها صحة اتصافه بالعلم والقدرة اللازمة لهذه القوة فينا أو معنى قائم بذاته يقتضي ذلك على الاستعارة»[(١)].

٢- وفي قوله تعالى: ﴿اللَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ﴾[البقرة:٢٥٥].

قال: «الحي الذي يصح أن يعلم ويقدر وكل ما يصح له فهو واجب لا يزول لامتناعه عن القوة والإمكان»[(٢)].

٣- وقوله تعالى: ﴿هُوَ الْحَيُّ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ﴾[غافر:٦٥].

قال: «المتفرد بالحياة الذاتية»[(٣)].

الخلاصه :

من نصوص البيضاوي -رحمه الله- نرى أنه مثبت لصفة الحياة لله سبحانه وتعالى.

والحياة صفة توجب للموصوف بها أن يعلم ويقدر [(٤)].

وهي صفة لله فهو حي بمعنى لا يصح عليه الموت أي أنه الحي الذي لم تسبق حياته بالعدم ولم تعقب بالفناء وهو الأول فليس قبله شيء والآخر فليس بعده شيء»[(٥)].

والحياة صفة ذاتية لله من صفات الكمال وكل كمال لا نقص فيه ثبت للمخلوق فالخالق أولى به، وكذلك هي صفة عقلية لأن العقل يثبت ضرورة اتصافه تعالى بالحياة فإن الحياة مستلزمة لجميع صفات الكمال ولا يتخلف صفة منها إلا لضعف الحياة فإذا كانت حياته تعالى

---

(١) انوار التنزيل(١/ ٥٢).

(٢) نفس المصدر (١/ ١٣٩).

(٣) «أنوار التنزيل» (٢/ ٩٣٢).

(٤) تعريفات الجرجاني (٨١).

(٥) مفردات الراغب(٣٦٩).

أكمل حياة وأتمها استلزم إثباتها إثبات كل كمال يضاد نفيه كمال الحياة »[1].

والأدلة على ذلك من القرآن منها:

- قوله تعالى: ﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْحَىُّ ٱلْقَيُّومُ . نَزَّلَ عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ﴾ [آل عمران:٢-٣].

- وقوله تعالى: ﴿وَعَنَتِ ٱلْوُجُوهُ لِلْحَىِّ ٱلْقَيُّومِ﴾ [طه:١١١].

- وقوله تعالى: ﴿وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱلْحَىِّ ٱلَّذِى لَا يَمُوتُ﴾ [الفرقان:٥٨] وغيرها من الآيات الكثيرة فصفة الحياة الباقية مختصة به تعالى دون خلقه فإنهم يموتون.

وأما من السنة فمنها:

- ما روي عن ابن عباس أن النبي ﷺ كان يقول: «**اللهم إني أعوذ بعزتك الذي لا إله إلا أنت أن تضلني أنت الحي الذي لا يموت والجن والإنس يموتون** »[2].

فالله تعالى له الحياة الباقية الدائمة بخلاف حياة مخلوقاته الزائلة.

٤ـ الإرادة:

١ - في قوله تعالى: ﴿مَاذَآ أَرَادَ ٱللَّهُ بِهَٰذَا مَثَلًا﴾ [البقرة:٢٦].

قال في تعريف الإرادة: «والإرادة نزوع النفس وميلها إلى الفعل بحيث يحملها عليه وتقال للقوة التي هي مبدأ النزوع والأول مع الفعل والثاني قبله، وكلا المعنيين غير متصور اتصاف الباري تعالى به، ولذلك اختلف في معنى إرادته فقيل إرادته لأفعاله أنه غير ساه ولا مكره ولأفعال غيره أمره بها فعلى هذا لم تكن المعاصي بإرادته، وقيل علمه باشتمال الأمر على النظام الأكمل، والوجه الأصلح فإنه يدعو القادر على تحصيله، والحق: أنه ترجيح أحد مقدوريه على الآخر وتخصيصه بوجه دون وجه، أو معنى يوجب هذا الترجيح وهي أعم من الاختيار فإنه ميل مع تفضيل وفي هذا استحقار واسترذال»[3].

---

(١) «شرح الطحاوية» (١/ ٩١).

(٢) «فتح الباري لشرح صحيح البخاري» (كتاب التوحيد) (باب٧) (١٧/ ٣٢٣)، و«مسلم بشرح النووي» في (الدعاء) (٦/ ٣٩).

(٣) «أنوار التنزيل» (١ / ٥٠).

٢ – في قوله تعالى: ﴿وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَفۡعَلُ مَا يُرِيدُ﴾ [البقرة:٢٥٣].

قال: «يوفق من يشاء فضلاً ويخذل من يشاء عدلاً ... إلى أن قال: وإن الحوادث بيد الله سبحانه وتعالى تابعة لمشيئته خيراً كان أو شراً إيماناً أو كفراً »[1]

٣– في قوله تعالى: ﴿فَمَن يُرِدِ ٱللَّهُ أَن يَهۡدِيَهُۥ يَشۡرَحۡ صَدۡرَهُۥ لِلۡإِسۡلَٰمِۖ وَمَن يُرِدۡ أَن يُضِلَّهُۥ يَجۡعَلۡ صَدۡرَهُۥ ضَيِّقًا حَرَجٗا كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ فِي ٱلسَّمَآءِۚ كَذَٰلِكَ يَجۡعَلُ ٱللَّهُ ٱلرِّجۡسَ عَلَى ٱلَّذِينَ لَا يُؤۡمِنُونَ . وَهَٰذَا صِرَٰطُ رَبِّكَ مُسۡتَقِيمٗاۗ قَدۡ فَصَّلۡنَا ٱلۡأٓيَٰتِ لِقَوۡمٖ يَذَّكَّرُونَ﴾ [الأنعام:١٢٦].

قال: «فيعلمون أن القادر هو الله سبحانه وتعالى وأن كل ما يحدث من خير أو شر فهو بقضائه وخلقه وأنه عالم بأحوال العباد حكيم عادل فيما يفعل بهم »[2].

الخلاصه :

ومن هذه النصوص نرى البيضاوي –رحمه الله– قد أثبت الإرادة لله –سبحانه– وأنها صفة لله مخصصة لبعض المقدورات بالحدوث دون بعض وبوقت معين دون غيره وبهذا هو موافق للسلف دون بعض .

وإرادة الله صفة ذاتية فهي مثبتة بالسمع والعقل لأن العقل يثبت له الإرادة التي تليق بجلاله تعالى لآيات منها:

– قوله تعالى: ﴿وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَفۡعَلُ مَا يُرِيدُ﴾ [البقرة:٢٥٣].

– قوله تعالى: ﴿وَمَن يُرِدِ ٱللَّهُ فِتۡنَتَهُۥ فَلَن تَمۡلِكَ لَهُۥ مِنَ ٱللَّهِ شَيۡـًٔا﴾ [المائدة:٤١].

– قوله تعالى: ﴿فَعَّالٞ لِّمَا يُرِيدُ﴾ [البروج:١٦].

وغيرها من الآيات الكثيرة التي تبين إرادة الله ومشيئته وأما في السنة فمن أحاديث الرسول ﷺ:

– إن النبي ﷺ قال: «**ومن يرد الله به خيراً يفقهه في الدين** »[3].

(١) نفس المرجع السابق،(١/ ١٣٨).

(٢) «أنوار التنزيل» نفس المرجع (١/ ٣٢١). انظر(٢/ ٧٩٠) (٢/ ٦٠٦) (١/ ١٧٠).

(٣) «الفتح» (كتاب العلم) (١ / ٢٨٩)، و«مسلم بشرح النووي» (النهي عن المسألة) (٣ / ١٢٨).

- ومنه قول النبي ﷺ: «**من يرد الله به خيراً يصب منه** »[1].

- وقوله ﷺ: «**إن الله عز وجل إذا أراد رحمة أمة من عبادة قبض نبيها قبلها فجعله لها فرطاً وسلفاً بين يديها وإذا أراد هلكة أمة عذ ّبها ونبيها حي فأهلكها وهو ينظر فأقر عينه بهلكتها حين كذبوه وعصوا أمره**»[2].

وغيرها من الأحاديث التي تثبت الإرادة والمشيئة لله -سبحانه وتعالى- كما أن أهل السنة والجماعة قالوا إن الإرادة في الكتاب والسنة نوعان:

١ - إرادة قدرية كونية خلقية:

هي المشيئة الشاملة لجميع الحوادث وهي الإرادة المذكورة في قول المسلمين ما شاء الله كان وما لم يشأ لم يكن، وهذه الإرادة كقوله -تعالى-: ﴿فَمَن يُرِدِ ٱللَّهُ أَن يَهۡدِيَهُۥ يَشۡرَحۡ صَدۡرَهُۥ لِلۡإِسۡلَٰمِۖ وَمَن يُرِدۡ أَن يُضِلَّهُۥ يَجۡعَلۡ صَدۡرَهُۥ ضَيِّقًا حَرَجٗا كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ فِي ٱلسَّمَآءِ﴾ [الأنعام:١٢٥].

- وكقوله -تعالى-: ﴿وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَفۡعَلُ مَا يُرِيدُ﴾ [البقرة:٢٥٣].

٢- إرادة دينية أمرية شرعية:

فهي المتضمنة للمحبة والرضا فهي كقوله -تعالى-: ﴿يُرِيدُ ٱللَّهُ بِكُمُ ٱلۡيُسۡرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ ٱلۡعُسۡرَ﴾ [البقرة:١٨٥].

- وقوله: ﴿يُرِيدُ ٱللَّهُ أَن يُخَفِّفَ عَنكُمۡۚ وَخُلِقَ ٱلۡإِنسَٰنُ ضَعِيفٗا﴾ [النساء:٢٨].

فإرادة الله الكونية هي المشيئة النافذة فيما يحبه وما لا يحبه فهي تستلزم وقوع المراد ولا تستلزم محبته والرضا به.

وأما إرادته الشرعية فلا تستلزم وقوع المراد وتستلزم محبته والرضا به[3]، أي: أن الشرعية تختص فيما يحبه الله، والكونية عامة فيما يحبه وما لا يحبه.

(١) «الفتح» (كتاب المرضى) (١٣ / ٥).

(٢) «مسلم بشرح النووي» (باب إذا أراد الله رحمة أمة قبض نبيها قبلها) (٥/ ٥٢).

(٣) انظر «شرح الطحاوية» (١/ ٧٩-٨٠)، و«شفاء العليل» (١/ ١٨٩)، و«شرح الواسطية» لابن عثيمين (١/ ٢٢٢).



٥ ـ٦ السمع والبصر:

١ - في قوله تعالى: ﴿لَّقَدْ سَمِعَ ٱللَّهُ قَوْلَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ فَقِيرٌ﴾ [آل عمران:١٨١].

بعد ذكره لسبب النزول قال: «والمعنى أنه لم يخف عليه وأنه أعد لهم العقاب عليه»[١].

٢ - في قوله تعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾ [الشورى:١١].

﴿وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾ لكل ما يسمع ويبصر[٢].

٣- في قوله تعالى: ﴿قَدْ سَمِعَ ٱللَّهُ قَوْلَ ٱلَّتِى تُجَٰدِلُكَ فِى زَوْجِهَا وَتَشْتَكِىٓ إِلَى ٱللَّهِ وَٱللَّهُ يَسْمَعُ تَحَاوُرَكُمَآ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌۢ بَصِيرٌ﴾ [المجادلة:١].

فقال بعد ذكره لسبب النزول: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌۢ بَصِيرٌ﴾ للأقوال والأحوال[٣].

الخلاصه :

فالبيضاوي رحمه الله في هذه النصوص قد أثبت صفة السمع والبصر- لله رب العالمين وفي النص الأول قد فسر السمع بالعلم وهو صحيح: وفي النصين الآخرين أثبت أن الله سميع للأقوال وبصير بالأحوال. وصفتا السمع والبصر صفتا كمال لا نقص فيه. والمخلوق متصف بأنه يسمع ويبصر ويمتنع اتصاف المخلوق بصفات الكمال دون الخالق سبحانه وتعالى.

والسمع له معنيان:

أحدهما: السميع بمعنى المجيب كقوله تعالى: (إن ربي لسميع الدعاء) إبراهيم: ٣٩ أي مجيب الدعاء.

الثاني: بمعنى السامع للصوت أي إدراك الصوت فله عدة أقسام:

١ - سمع يراد به بيان عموم إدراك سمع الله عز وجل وأنه ما من صوت إلا ويسمعه كقوله تعالى: ﴿قَدْ سَمِعَ ٱللَّهُ قَوْلَ ٱلَّتِى تُجَٰدِلُكَ فِى زَوْجِهَا وَتَشْتَكِىٓ إِلَى ٱللَّهِ﴾ [المجادلة:١].

وفيه بيان إحاطة الله بكل مسموع لهذا قالت عائشة –رضي الله عنها–: «الحمد لله الذي

(١) «أنوار التنزيل» (١ / ١٩٨).

(٢) «أنوار التنزيل» (٢ / ٩٤٦).

(٣) «أنوار التنزيل» (٢ / ١٠٥).

وسع سمعه الأصوات كلها والله إني لفي الحجرة وإن حديثها ليخفى علي بعضه»[1].

٢ - سمع يراد به النصر والتأييد كقوله تعالى لموسى: ﴿إِنَّنِي مَعَكُمَا أَسْمَعُ وَأَرَىٰ﴾ [طه:٤٦].

٣- سمع يراد به الوعيد والتهديد كقوله تعالى: ﴿أَمْ يَحْسَبُونَ أَنَّا لَا نَسْمَعُ سِرَّهُمْ وَنَجْوَاهُمْ بَلَىٰ وَرُسُلُنَا لَدَيْهِمْ يَكْتُبُونَ﴾[الزُّخرُف:٨٠].

والسمع بمعنى إدراك المسموع من الصفات الذاتية وإن كان المسموع قد يكون حادثاً.

والسمع بمعنى النصر والتأييد من الصفات الفعلية لأنه مقرون بسبب. والسمع بمعنى الإحاطة من الصفات الفعلية أيضاً.

البصير يطلق:

١- بمعنى العليم فالله سبحانه وتعالى عليم بأفعال عبادة لقوله تعالى: ﴿وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾[الحُجُرات:١٨].

٢ - البصير بمعنى المدرك لجميع المبصرات فهو تعالى بصير يرى كل شيء وإن خفي[2].

٧ـ صفة الكلام:

ومسألة كلام الله من أكثر المسائل التي حصل فيها النقاش والجدل بين الطوائف إلى عدة أقوال نذكرها أولاً قبل ذكر موقف البيضاوي من صفة الكلام لنرى مدى إتفاقه أو اختلافه مع هذه الأقوال أو مع قول السلف:

١ - **قول الفلاسفه المتأخرين**[3]: أتباع أرسطو والصابئة[4] إن كلام الله إنما هو ما يفيض على النفوس إما من العقل الفعَّال أو من غيره، وهم يقولون إنما كلم الله موسى من سماء عقله أي

---

(١) «الفتح» (كتاب التوحيد) (باب «وكان الله سميعاً بصيرا») (١٧/ ٣٢٩).

(٢) انظر «شرح الواسطية» لابن عثيمين بتصرف (١ / ٢٠٦ - ٢٠٨).

(٣) الفلاسفة المتأخرين:هم فلاسفة الإسلام الذين إتبعوا ارسطو اليوناني مثل الكندي والفارابي وابن سيناءوغيرهم انظر"الملل والنحل" للشهرستاني ص(٢/ ١٥٠).

(٤) الصابئة:منهم المشركون أصحاب الكواكب ومنهم الحنفاء.انظرالملل والنحل(٢/ ٥).

بكلام في نفسه لم يسمعه من الخارج وهذا من أفسد الأقوال وأبعدها عن الإسلام.

٢ - **قول الإتحادية** القائلون بوحدة الوجود أن كل كلام في الوجود كلامه تعالى حقه وباطله، وشعره ونثره، وسحره وكفره، والسب والشتم والفحش كل عين كلام الله القائم به كما قال عارفهم:

وكل كلام في الوجود كلامه ... سواء علينا نثره ونظامه

وهذا مبني على أصلهم القائل أن الله عين هذا الوجود.

٣ - **قول الجهمية والمعتزلة**: أن كلام الله مخلوق ومن بعض مخلوقاته وذكر الأشعري أن المعتزله أختلفت في كلام الله إلى ست فرق إلاّ أن جميع هذه الفرق متفقة على أنه مخلوق منفصلاً عنه خلقه في غيره.

٤ - **قول الكلابية والأشعرية**: أن كلام الله قائم بذاتالله أزلاً وأبداً لا يتعلق بالمشيئة والقدرة ثم قالوا: أن ذلك الكلام معنى واحد وهو مع وحدته أمر ونهي وخبر واستخبار ووعد ووعيد وهذه ليست اقساماً للكلام بل هي صفات وخصائص[1] وأن كلامه لا يتبعض وليس له أجزاء وليس بحرف ولا صوت وأن هذا المعنى إن عبر عنه بالعربية فهو القرآن وإن عبر عنه بالعبرية كان توراة وإن عبر عنه بالسريانيه كان إنجيلاً. والمعنى واحد وهذه الألفاظ عبارة عنه وهي خلق من المخلوقات بل صرح البعض منهم[2] أن لا فرق بينهم وبين المعتزله في أن القرآن العربي مخلوق (أي الكلام اللفظي) وإنما الخلاف بينهم في الكلام النفسي- الذي ينكره المعتزله ويثبته الأشاعره.

٥ - **قول الكرامية**: إن كلام الله حادث قائم بذات الله وهو حروف وأصوات مسموعه وهو حادث بعد أن لم يكن فهو متكلم بقدرته ومشيئته فجعلوا الله في الأزل غير قادر على الكلام بمشيئته ولا على الفعل. فهم وافقواأهل السنة أن اللة متكلم بقدرتة ومشيئتة إلآأن باطلهم قولهم أن الكلام حادث وجعلواالله غيرقادرعلى الكلام بمشيئة ولاعلى الفعل.

٦ - **قول السالمية**: ومن وافقها من أتباع الأئمة الأربعه وأهل الحديث أنه صفه قائمة بذات

---

(١) انظر «نهاية الإقدام» للشهرستاني (١٦٤-١٦٥).

(٢) انظر «الإرشاد» للجويني، (ص ١١٦)، و«شرح المواقف» للجرجاني (٨/ ١٠٦)ز

الله لم يزل ولا يزال لا يتعلق بالمشيئة والقدرة ومع ذلك هو حروف وأصوات[1].وحروفه وكلماته لايسبق بعضهابعضا بل هي مقترنة الباءمع السين مع الميم في آن واحد،لم تكن معدومة في وقت من الأوقات ولاتعدم بل لم تزل قائمة بذاتة سبحانه. وجمهور العقلاء قالوا: تصور هذا المذهب كاف في الجزم ببطلانه.

مذهبه في كلام الله:

١- عند تفسيره لقوله تعالى: ﴿تِلْكَ ٱلرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ مِّنْهُم مَّن كَلَّمَ ٱللَّهُ وَرَفَعَ بَعْضَهُمْ دَرَجَٰتٍ﴾[البقرة:٢٥٣].

﴿مِّنْهُم مَّن كَلَّمَ ٱللَّهُ﴾ قال: تفضيل له وهو موسى عليه الصلاة والسلام وقيل موسى ومحمد عليهما الصلاة والسلام كلم الله موسى ليلة الخيرة وفي الطور ومحمداً ﷺ ليلة المعراج[2].[3]

٢- عند تفسيره لقوله تعالى: ﴿وَلَمَّا جَآءَ مُوسَىٰ لِمِيقَٰتِنَا وَكَلَّمَهُۥ رَبُّهُۥ قَالَ رَبِّ أَرِنِىٓ أَنظُرْ إِلَيْكَ﴾ [الأعراف:١٤٣].

قال: ﴿وَكَلَّمَهُۥ رَبُّهُۥ﴾ من غير وسيط كما يكلم الملائكة وفيما روي أن موسى عليه الصلاة والسلام كان يسمع ذلك الكلام من كل جهة تنبه على أن سماع كلامه القديم ليس من جنس كلام المحدثين[4].

٣- عند تفسيره لقوله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُكَلِّمَهُ ٱللَّهُ إِلَّا وَحْيًا أَوْ مِن وَرَآئِ حِجَابٍ أَوْ يُرْسِلَ رَسُولًا فَيُوحِىَ بِإِذْنِهِۦ مَا يَشَآءُ إِنَّهُۥ عَلِىٌّ حَكِيمٌ﴾[الشورى:٥١].

قال ... ﴿أَن يُكَلِّمَهُ ٱللَّهُ إِلَّا وَحْيًا﴾كلاماً خفياً يدرك لأنه بسرعة تمثيل ليس في ذاته مركباً

(١) انظر هذه الأقوال في «الفتاوى» (١٢/ ٤٢-٥٢-١٦٢-١٧٤)، و«مختصر الصواعق» (٦٤٢-٦٤٨)، و«شرح الطحاوية» لابن أبي العز (١/ ٧١-٧٤)، و«منهاج السنة» لابن تيمية (١/ ٥٢).

(٢) «أنوار التنزيل» (١/ ٢٥).

(٣) حديث المعراج:أخرجه البخاري ك مناقب الأنصارباب المعراج برقم(٣٨٨٧) وك بدء الخلق باب ذكرالملائكة برقم(٣٢٠٧). ورواه مسلم ك الإيمان باب الإسراءبرسول الله صلى الله عليه وسلم برقم(١٦٤).

(٤) «أنوار التنزيل» (١/ ٣٦٠).

من حروف مقطعة تتوقف على تموجات متعاقبة... »[1]

٤- عند قوله تعالى: ﴿فَلَمَّآ أَتَىٰهَا نُودِيَ يَٰمُوسَىٰٓ . إِنِّيٓ أَنَا۠ رَبُّكَ فَٱخۡلَعۡ نَعۡلَيۡكَ إِنَّكَ بِٱلۡوَادِ ٱلۡمُقَدَّسِ طُوٗى . وَأَنَا ٱخۡتَرۡتُكَ فَٱسۡتَمِعۡ لِمَا يُوحَىٰٓ . إِنَّنِيٓ أَنَا ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعۡبُدۡنِي وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ لِذِكۡرِيٓ﴾ [طه:١٤].

قال: «.... قيل إنه لما نودي قال من المتكلم قال: إني أنا الله، فوسوس إليه إبليس لعلك تسمع كلام شيطان فقال: أنا عرفت أنه كلام الله بأني أسمعه من جميع الجهات وبجميع الأعضاء، وهو إشارة على أنه عليه الصلاة والسلام تلقى من ربه كلامه تلقياً روحانياً ثم تمثل ذلك الكلام لبدنه وانتقل إلى الحس المشترك فانتقش به من غير اختصاص بعضو وجهه[2]»

هذه نصوص من خلال تفسيره وأما في الطوالع فقال:

٥ - «تواتر إجماع الأنبياء عليهم الصلاة والسلام وإتفاقهم أنه سبحانه وتعالى متكلم .. فيجب الإقرار به وكلامه ليس بحرف ولا صوت يقومان بذاته تعالى خلافاً للحنابلة والكرامية أو بغيره خلافاً للمعتزله بل هو المعنى القائم بالنفس المعبر عنه بالعبارات المختلفة المتغيرة المغاير للعلم والإرادة ...» [3]

التعليق:

من أقوال البيضاوي في معنى الكلام يتضح الأتي:

١ - أنه أثبت أن الله متكلم وأنه كلم موسى بلا واسطه وأن كلامه القديم ليس من جنس كلام المحدثين.

٢ - في النص الثالث والرابع أوضح أن كلامه تعالى ليس بحرف ولا صوت.

وأما قوله بأن موسى سمع كلام الله بجميع الأعضاء ومن جميع الجهات فهذه وإن رواها بصيغة التمريض بقوله: (قيل لما نودي).

(١) «أنوار التنزيل» (١/ ٩٥٢).

(٢) «أنوار التنزيل» (٢/ ٦٤٠).

(٣) «طوالع الأنوار» (١٨٩).

إلا أنه أوضح أن ذلك اشارة بأن موسى لقى كلام الله تلقياً روحانياً أي معنوياً وتلقاه بطريق التمثل وهذه الكيفية لا دليل عليها من الكتاب ولا السنه وإنما المقصود من هذه الكيفية أن يبين أن موسى لم يسمع كلام الله المكون من المحروف والأصوات وإنما سمع كلامه القائم بذاته عن طريق التمثل وهو «تمثل صورة الكلام في جميع أعضاء من أوحي إليه لا يختص إدراكه بعضو دون عضو ولا بجهة دون جهة بل يدرك بجميع الأعضاء ومن جميع الجهات لا بسبب تموج الهواء المتكيف بكيفية الحروف المقطعة الخارجة من مخارجها الموصل لتلك الكيفيات إلى الصماخ متعاقبة حرفاً بعد حرف حتى يحتاج إدراك بعضها إلى انقضاء بعض وإنصرامه على التعاقب الموجب لبطء الإدراك فإذا كان إدراكه بطريق التمثل يكون بسرعة وإن كان كلاماً طويلاً»[1].

وأما في النص الرابع: بين أن كلام الله ليس بحرف ولا صوت بل هو الكلام النفسي فهذا النص في كتاب الطوالع قد وافق نصوصه في التفسير رغم أنه متقدم في تأليفه عن التفسير إلا أنه بقي على إعتقاده في كلام الله.

وأما قوله بأن كلام الله ليس بحرف ولا صوت:

والصواب الذي عليه سلف الأمة أن القرآن الكريم كلام الله جميعه حروفه ومعانيه وكذلك سائر الكلام ليس الحروف فقط ولا المعاني بل مجموعهما.

والقول بأنه ليس بحرف ولا صوت بدعة لم يثبت عن السلف لأن الكلام لغة لا يثبت إلاّ بحرف وصوت.

قال أبو نصر السجزي «الكلام لا يكون إلاّ حرفاً وصوتاً ذا تأليف واتساق وإن اختلفت بهم اللغات»[2].

وإثبات الحرف والصوت في كلام الله كثير وأن الله متكلم إذا شاء بما شاء وأن كلامه يسمع وأن القرآن العزيز الذي هو سور وآيات وحروف وكلمات عين كلامه حقاً لا تأليف ملك ولا بشر وأنه سبحانه قال بنفسه ﴿ألمص، وحم، عس، وكهيعص﴾ أول الأعراف وأول

---

(١) «حاشية القونوي مع حاشية ابن التمجيد» (١٧/ ٢٦٦).

(٢) «رسالة السجزي إلى أهل زبيد» (٨١).

الشورى وأول مريم، وأن القرآن جميعه حروفه ومعانيه نفس كلامه الذي تكلم به وليس بمخلوق ولا بعضه قديماً وهو المعنى وبعضه مخلوق وهو الكلمات والحروف.

والله سبحانه أخبر عن القرآن أنه سور وآيات وكلمات وحروف فقال تعالى ﴿تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱلْكِتَٰبِ ٱلْمُبِينِ﴾ [يوسف:١].

ومنه قول الرسول ﷺ عن الحرف ما روي عن ابن عباس قال: بينما جبريل قاعد عند النبي ﷺسمع نقيضاً من فوق فرفع رأسه فقال: **«هذا باب من السماء فتح اليوم لم يفتح قط إلاّ اليوم فنزل منه ملك فقال :هذا ملك نزل إلى الأرض لم ينزل قط إلاّ اليوم فسلم وقال: أبشر بنورين أوتيتهما لم يؤتهما نبي قبلك : فاتحة الكتاب وخواتيم سورة البقرة لن تقرأ بحرف منهما إلاّ أعطيته»**[1].

ومنه قوله ﷺ: **«من قرأ حرفاً من كتاب الله فله به حسنة والحسنة بعشر أمثالها لا أقول (ألم) حرف ولكن ألف حرف ولام حرف وميم حرف»**[2].

فأثبت النبي ﷺ الحرف .. وأما الصوت فقد تعددت الأدلة عليه من الكتاب والسنه.

١- فمن الكتاب التصريح بالنداء والتكليم والقول والأنباء وغيرها قال تعالى: ﴿وَإِذْ نَادَىٰ رَبُّكَ مُوسَىٰٓ أَنِ ٱئْتِ ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [الشعراء:١٠].

٢- وقوله تعالى: ﴿وَنَٰدَيْنَٰهُ مِن جَانِبِ ٱلطُّورِ ٱلْأَيْمَنِ وَقَرَّبْنَٰهُ نَجِيًّا﴾ [مريم:٥٢].

والنداء لا يكون إلا بصوت فقال أبو نصر السجزي «والنداء عند العرب صوت لا غير ولم يرد عن الله ولا عن رسوله ﷺ أنه من الله غير صوت»[3].

٣- وقال ابن تيمية «أن ما أخبر الله به في كتابه من تكليم موسى وسمع موسى لكلام الله يدل على أنه كلمه بصوت فإنه لا يسمع إلا الصوت وذلك أن الله قال في كتابه عن موسى ﴿فَٱسْتَمِعْ لِمَا يُوحَىٰٓ﴾ [طه:١٣].

(١) أخرجه مسلم في (صلاة المسافرين) برقم (٨٠٦).

(٢) أخرجه الترمذي (٥/ ١٧٥) في «فضائل القرآن» برقم (٢٩١٠).

(٣) «رسالة السجزي إلى أهل زبيد» ص(٨١).

... وقوله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُكَلِّمَهُ ٱللَّهُ إِلَّا وَحْيًا أَوْ مِن وَرَآيِ حِجَابٍ﴾ [الشورى:٥١]. ففرق بين الإيحاء والتكليم من وراء حجاب فلو كان تكليمه لموسى إلهاماً ألهمه موسى من غير أن يسمع صوتاً لم يكن فرق بين الإيحاء إلى غيره والتكليم له فلما فرق القرآن بين هذا وهذا، وعلم بإجماع الأمة ما استفاضت به السنن عن النبي ﷺ من تخصيص موسى بتكليم الله إياه دل ذلك على أن الذي حصل له ليس من جنس الإلهامات وما يدرك بالقلوب إنما هو كلام مسموع بالآذان ولا يسمع بها إلا ما هو صوت»[١].

٤ - ومن السنة ما رواه عبدالله بن أنس عن الرسول ﷺ قال سمعت رسول الله يقول «**يحشر الله العباد فيناديهم بصوت يسمعه من بعد كما يسمعه من قرب: أنا الملك الديان أنا الديان**»[٢].

قال البخاري: «وأن الله عز وجل ينادي بصوت يسمعه من بعد كما يسمعه من قرب فليس هذا لغير الله جل ذكره».

٢ - حديث الرسول ﷺ قال «**يقول: الله عز وجل يوم القيامه يا آدم فيقول لبيك ربنا وسعديك فينادي بصوت إن الله يأمرك أن تخرج من ذريتك بعثاً إلى النار**»[٣].

وغيرها من الأحاديث والآيات التي تثبت أن الله يتكلم بحرف وصوت وعن عبدالله بن حنبل قال: «قلت لأبي إن هاهنا من يقول: «إن الله لا يتكلم بصوت» فقال: «يا بني هؤلاء جهمية زنادقة إنما يدورون على التعطيل»[٤].

وذكر ابن تيمية الإجماع عن النبي والصحابة والتابعين ومن بعدهم من أئمة السنة أنه سبحانه وتعالى ينادي بصوت نادى موسى وينادي عباده يوم القيامه بصوت ويتكلم بالوحي بصوت ولم ينقل عن أحد من السلف أن قال: «إن الله يتكلم بلا صوت أو بلا حرف»[٥].

---

(١) «مجموع الفتاوى» (٦/ ٥٣١-٥٣٢).

(٢) رواه البخاري في «خلق أفعال العباد» (٢/ ٢٤١).

(٣) أخرجه البخاري في «خلق أفعال العباد» (٢/ ٢٤٢).

(٤) «مجموع الفتاوى» (١٢/ ٣٦٨).

(٥) انظر «مجموع الفتاوى» (١٢/ ٣٠٤).

وأما قوله بأن كلام الله هو المعنى القائم بالنفس:

فهذه بدعة لم تعرف إلاّ عن ابن كلاب[1] ولهذا رد العلماء على هذا القول فقال السجزي «اعلموا أرشدنا الله وإياكم أنه لم يكن خلاف بين الخلق على اختلاف نحلهم من أول الزمان إلى الوقت الذي ظهر فيه ابن كلاب والقلانسي[2] والصالحي[3] والأشعري[4] في أن الكلام لا يكون الا حرفاً وصوتاً ذا تأليف واتساق وإن اختلفت اللغات ... فلما نبغ ابن كلاب واضرابه حاولوا الرد على المعتزلة من طريق مجرد العقل وهم لا يخبرون أصول السنة ولا ما كان عليه السلف .. فالتزموا ما قالته المعتزلة وركبوا مكابرة العيان وخرقوا الإجماع المنعقد بين المسلم والكافر وقالوا للمعتزلةالذي ذكرتموه ليس بحقيقة الكلام وإنما يسمى ذلك كلاماً في المجاز لكونه حكاية أو عبارة عنه وحقيقة الكلام معنى قائم بذات المتكلم...» [5].

(١) ابن كلاب:هوابومحمدعبدالله بن سعيد بن كلاب القطان .رأس المتكلمين بالبصرة في زمانه تنسب إليه فرقة الكلابية .له كتاب "الصفات"وكتاب"خلق الأفعال"وكتاب"الردعلى المعتزلة" ووفاته قال الذهبي:أنه لم يقع عليها ولكنه كان باقيا قبل الأربعين ومئتين .انظرالسير(١١/ ١٧٥).مؤسسة الرسالة.ط١١.

(٢) القلانسي:هوأبوالعباس أحمد بن عبدالرحمن بن خالدالقلانسي الرازي،من معاصري أبي الحسن –رحمه الله –لامن تلامذته كماقال الأهوازي ،وهومن جملة العلماءالكبار الأثبات،وإعتقاده موافق لإعتقاده في الإثبات"انظرتبيين كذب المفتري لابن عساكر(٣٩٨).ط دارالكتاب العربي بيروت ١٣٩٩/ ١٩٧٩م.

(٣) الصالحي:هوصالح بن عمرالصالحي تنسب إليه فرقة الصالحية من المرجئة.لم أجدله ترجمه وافية تبين تاريخ ميلاده ووفاته إلاأن الشهرستاني والبغدادي قدذكروه من ضمن فرق المرجئة القدرية الذين جمعوابين القدروالإرجاء .من إعتقاداته ان الإيمان هوالمعرفة بالله تعالى على الإطلاق ،والكفرهوالجهل به وغيرها .انظرالملل والنحل للشهرستاني ص(١١٥).الفرق بين الفرق للبغدادي ص (٢٠٧).

(٤) الأشعري:هوالشيخ أبوالحسن علي بن إسماعيل بن أبي بشر.ينتهي نسبه إلى الصحابي أبي موسى الأشعري صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم.وهوإمام المتكلمين في البصرة .ولدبالبصرةعام(٢٦٠هـ)وقيل (٢٦٦هـ)وقيل(٢٧٠هـ) كان على الإعتزال أربعين سنة ثم تحول إلى مذهب ابن كلاب ،وفي آخرعمره أخذبمذهب الإمام أحمدابن حنبل .ومؤلفاته كثيره منها"مقالات الإسلاميين واختلاف المصلين"و"اللمع في الردعلى أهل الزيغ والبدع"و"رسالته إلى أهل الثغر"و"الإبانه عن أصول الديانه"وغيرها .وكانت وفاته سنة(٣٣٠هـ). رجحهاابن عساكر وقيل سنة(٣٢٠هـ).انظرتبيين كذب المفتري لابن عساكرص(١٤٦).وطبقات الشافعية الكبرى للسبكي ص(٢/ ٢٤٥).

٥) «رسالة السجزي إلى أهل زبيد» (٨٠-٨٤).

بين السجزي أن أصل هذا القول لابن كلاب ثم تبعه على ذلك الأشعري نتيجة لردهم على المعتزلة الذين يرون الكلام في الحرف والصوت وبالتالي قالوا بأن القرآن مخلوق فرد عليهم الكلابيه والأشاعرة بأن حقيقة الكلام ما كان قائم بالنفس فهذا غير مخلوق وما كان بالحرف والصوت فهو مخلوق وهم في هذا متفقون مع المعتزلة وإنما ينكر المعتزلة عليهم القول بالكلام النفسي.

لأن هذا الكلام لم يعرفوه بشيء مفهوم لهذا قال ابن تيميه «الكلام القديم النفساني الذي اثبتموه لم تثبتوا ما هو بل ولا تصورتموه واثبات الشيء فرع عن تصوره فمن لم يتصور ما يثبته كيف يجوز أن يثبته ولهذا كان أبو سعيد بن كلاب رأس هذه الطائفه وإمامها في هذه المسأله لا يذكر في بيانها شيئاً يعقل ...» [1].

-فهؤلاء زعموا أن مسمى الكلام ليس إلاّ المعنى وذلك المعنى ليس هو العلم ولا الإرادة فهو شيء واحد وهو حقائق مختلفة وهو لا يتجزأ ولايتبعَّض وليس له أول ولا آخر فهذا مخالف لبدائة العقول ولنصوص الشرع.

فإن الكلام القائم بالذات الذي زعمواأنه كلام وخالفوافي إثباته جميع فرق الإسلام. يرى البعض أنه معنى واحد ويرى البعض الآخر أنه خمسه معاني أمر ونهي وخبر واستخبار ونداء وتصور هذا يوجب العلم بفساده اذ ليس الأمر هو النهي وليس الأمر بالسبت هو الأمر بالصبح ولا الخبر عن الله هو الخبر عن الشيطان»[2].

فجعلوا الحقائق أمراً واحداً فيلزمهم على هذا أن يردوا الصفات إلى معنى واحد فيكون العلم والقدرة والسمع والبصر صفة واحدة وهذا لازم لمذهبهم ليس عنه محيد[3].

وإذا كان الكلام واحداً فاختلافه بالتعبير إن عبر عنه بالعربيه فهو قرآن وان عبر بالعبريه فهو توراة ويلزم من هذا اتحاد القرآن والتوراة والانجيل في المعنى وكذلك اتحاده في الكتاب الواحد كالقرآن وهذا معلوم بطلانه ويلزم على أصلهم هذا كما قال ابن القيم:

---

(١) مجموع الفتاوى ص(٦/ ٢٩٦).

(٢) انظر «التسعينية» (٢/ ٧٠٤).

(٣) «مجموع الفتاوى» (١٢/ ١٢٢-١٢٣-٢٦٨).

١ - ان كلام الله لا يتكلم به غيره فإنه عين القائم بنفسه ومحال قيامه بغيره فلم يتل أحد قط كلام الله ولا قرأه.

٢ - ومنه أن هذا الذي جاء به النبي ﷺ ليس كلام الله إلاّ على سبيل المجاز.

٣ - ومنها أنه لا يقال إن الله تكلم ولا يتكلم ولا قال ولا يقول، ولا خاطب ولا يخاطب فإن هذه أفعال إرادية تكون بالمشيئة وذلك المعنى صفة أزلية لا يتعلق بالمشيئة.

٤ - أنهم قالوا لا يجوز أن ينزل بالقرآن إلى الأرض فألفاظ النزول والتنزيل لا حقيقه لها عندهم.

٥ - ومنها أن القرآن القديم لا نصف له ولا ربع ولا جزء ولا خمس.

٦ - ومنها أن الأمر هو معنى النهي ومعنى الخبر والاستخبار وكل ذلك معنى واحد بالعين.

٧ - منها أن نفس التوراة هي نفس القرآن ونفس الإنجيل والزبور والإختلاف في التأويلات فقط.

٨ - ومنها أن القرآن العربي تأليف جبرائيل أو محمد أو مخلوق خلقه الله في اللوح المحفوظ فنزل به جبريل.

٩ - ومنها أن ذلك العين القديم يجوز أن تتعلق به الإدراكات الخمس فيسمع ويرى ويشم ويذاق ويلمس إلى غير ذلك.

وقد دل القرآن والسنة والمعقول وكلام السلف على أن الله يتكلم بمشيئته وأن كلامه صفة قائمة بذاته وهي صفة ذات وفعل[1].

---

(١) انظر «مختصر الصواعق» بتصرف يسير (٦٤٩-٦٥٠).



٨ـ إثبات الرؤية:

١- في قوله تعالى: ﴿ وَإِذْ قُلْتُمْ يَٰمُوسَىٰ لَن نُّؤْمِنَ لَكَ حَتَّىٰ نَرَى ٱللَّهَ جَهْرَةً فَأَخَذَتْكُمُ ٱلصَّٰعِقَةُ وَأَنتُمْ تَنظُرُونَ ﴾ [البقرة: ٥٥].

قال: «﴿فَأَخَذَتْكُمُ ٱلصَّٰعِقَةُ ﴾ لفرط العناد والتعنت وطلب المستحيل فإنهم ظنوا أنه تعالى يشبه الأجسام فطلبوا رؤيته رؤية الأجسام في الجهات[1] والأحياز[2] المقابله للرائي وهي محال بل الممكن أن يرى رؤية منزهه عن الكيفيه وذلك للمؤمنين في الآخرة ولأفراد من الأنبياء في بعض الأحوال في الدنيا»[3].

٢- في قوله تعالى: ﴿ وَلَمَّا جَآءَ مُوسَىٰ لِمِيقَٰتِنَا وَكَلَّمَهُۥ رَبُّهُۥ قَالَ رَبِّ أَرِنِىٓ أَنظُرْ إِلَيْكَ ۚ قَالَ لَن تَرَىٰنِى وَلَٰكِنِ ٱنظُرْ إِلَى ٱلْجَبَلِ فَإِنِ ٱسْتَقَرَّ مَكَانَهُۥ فَسَوْفَ تَرَىٰنِى ۚ فَلَمَّا تَجَلَّىٰ رَبُّهُۥ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُۥ دَكًّا وَخَرَّ مُوسَىٰ صَعِقًا ﴾ [الأعراف: ١٤٣].

قال: «﴿قَالَ رَبِّ أَرِنِىٓ أَنظُرْ إِلَيْكَ ﴾ أرني نفسك بأن تمكنني من رؤيتك أو تتجلى لي فأنظر إليك وأراك وهو دليل على أن رؤيته تعالى جائزة في الجمله لأن طلب المستحيل من الأنبياء محال وخصوصاً ما يقتضي الجهل بالله ولذلك رده بقوله «لن تراني» دون لن أرى ولن أريك أو لن تنظر إلي تنبيهاً على أنه قاصر عن رؤيته لتوقفها على معد في الرائي لم يوجد بعد وجعل

(١) لفظ الجهة:قد يراد به شيء موجودغيرالله فيكون مخلوقاً كما إذاأريدبالجهة نفس العرش أونفس السموات،وقد يرادبه ماليس بموجودغيرالله تعالى كما إذاأريدبالجهه ما فوق العالم. ولاريب أن الله فوق العالم بائن من المخلوقات .وليس في النصوص إثبات لفظ الجهة،وإنما جاءت النصوص بإثبات "العلو" و"الإستواء" و"الفوقية". انظر "التدمرية" لابن تيمية ص(٦٦).

(٢) لفظ الحيزأوالمتحيز:إن أراد به أن الله تحوزه المخلوقات فالله أعظم وأكبربل قدوسع كرسية السموات والأرض ،وإن أراد به أنه منحازعن المخلوقات ،أي مباين لها،منفصل عنها،ليس حالاًفيها.فهوسبحانه كما قال أئمة السنة :فوق سمواته على عرشه بائن من خلقه. انظر"التدمرية"ص(٦٨).

(٣) «أنوار التنزيل» (١/ ٦٨).

السؤال لتبكيت قومه الذين قالوا ﴿فَقَالُوٓاْ أَرِنَا ٱللَّهَ جَهۡرَةٗ﴾ [النساء:١٥٣] خطأ إذ لو كانت الرؤية ممتنعة لوجب أن يجهلهم ويزيح شبهتهم.

كما فعل بهم حين قالوا ﴿ٱجۡعَل لَّنَآ إِلَٰهٗا﴾ [الأعراف:١٣٨] ولا يتبع سبيلهم كما قال لأخيه ﴿وَلَا تَتَّبِعۡ سَبِيلَ ٱلۡمُفۡسِدِينَ﴾ [الأعراف:١٤٢] والإستدلال بالجواب على استحالتها أشد خطأ إذ لو يدل الإخبار عن عدم رؤيته إياه على أن لا يراه أبداً وأن لا يراه غيره أصلاً فضلاً عن أن يدل على استحالتها ودعوى الضرورة فيه مكابرة أو جهالة بحقيقة الرؤية»[1].

٣- في قوله تعالى: ﴿كَلَّآ إِنَّهُمۡ عَن رَّبِّهِمۡ يَوۡمَئِذٖ لَّمَحۡجُوبُونَ﴾ [المطففين:١٥].

قال: «فلا يرونه بخلاف المؤمنين ومن أنكر الرؤية جعله تمثيلاً لإهانتهم بإهانة من يمنع عن الدخول على الملوك أو قدر مضاف مثل رحمة ربهم أو قرب ربهم»[2].

الرد:

من نصوصه نرى أن البيضاوي قد أثبت الرؤية للمؤمنين يوم القيامه بخلاف الكافرين الذين حجبوا عنه تعالى. فلو كانت مستحيلة لما طلبها الأنبياء ورد على من يراها مستحيلة الاّ أنه مع إثباته لرؤية الله لكنه يثبت رؤية منزهة عن الكيفية ليس في الجهات والأحياز المقابلة للرائي فهو في اثباته للرؤية يوم القيامه موافق للسلف.

وفي إثبات رؤية بلا كيفيه وافق فيه سلفه الأشاعرة وهذا قول متناقض في نفسه إذ كيف يرى بلا جهة ولا كيفية لهذه الرؤية.

والنصوص خلاف ذلك.

قال ابن تيمية في الرد على الأشاعرة في هذا:

(١) «أنوار التنزيل» (١/ ٣٦٠).

(٢) نفس المصدر (٢/ ١١٤٠).

«قول هؤلاء: «إن الله يرى من غير معاينه ومواجهه» قول انفردوا به دون سائر طوائف الأمه، وجمهور العقلاء على أن فساد هذا معلوم بالضرورة. والأخبار المتواترة عن النبي ﷺ ترد عليهم كقوله في الأحاديث الصحيحة: «**إنكم سترون ربكم كما ترون الشمس والقمر لا تضارون في رؤيته**»[1].وقوله لما سأله الناس: هل نرى ربنا يوم القيامه؟ قال: «**هل ترون الشمس صحواً ليس دونها سحاب؟**» قالوا: نعم، «**وهل ترون القمر صحواً ليس دونه سحاب؟**» قالوا: نعم قال: «**فإنكم ترون ربكم كما ترون الشمس والقمر**»[2].

فشبه الرؤية بالرؤية ولم يشبه المرئي بالمرئي فإن الكاف حرف التشبيه دخل على الرؤيه. وفي لفظ البخاري «**يرونه عياناً**» ومعلوم أنا نرى الشمس والقمر عياناً مواجهة فيجب أن نراه كذلك، وأما رؤية مالا نعاين ولا نواجهه فهذه غير متصورة في العقل فضلاً عن أن تكون كرؤية الشمس والقمر»[3].

فرؤية المؤمنين لربهم يوم القيامه ثابته بالكتاب والسنه وأقوال السلف والأمة تلقت ذلك بالقبول ولم ينكر ذلك إلاّ المعتزلة وبعض الخوارج والمرجئه.

قال ابن بطال: «ذهب أهل السنة وجمهور الأمة إلى جواز رؤية الله في الآخرة ومنع الخوارج والمعتزله وبعض المرجئه»[4].

وحجتهم في المنع أن الرؤية توجب كون المرئي محدثاً وحالاً في مكان، وهذه العلل التي نفوا بها رؤية الله ليست مأخوذة من الكتاب والسنه والله سبحانه وتعالى قد أخبر في الآيات أنه

---

(١) «فتح الباري» (كتاب مواقيت الصلاة) (باب ١٦) (٢/ ٣٢٢)، و«مسلم بشرح النووي» (فضل صلاتي الصبح والمحافظة عليها) (٢/ ١٣٤/ ٦٣٣).

(٢) «الفتح» (كتاب التوحيد) (باب ٢٤) (١٧/ ٤٢٣/ ٧٤٣٩)، «مسلم بشرح النووي» (إثبات رؤية المؤمنين لربهم) (١/ ١٧/ ١٨٢)، وكذلك «شرح أصول أهل السنة والجماعة» للالكائي (٢/ ٥٢١).

(٣) «مجموع الفتاوى» (١٦/ ٨٤).

(٤) «الفتح» (كتاب التوحيد) (باب ٢٤) (١٧/ ٤٣).

يرى وأن الكافرين محجوبون عن رؤيته.

فقال تعالى: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ. إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ﴾ [القيامة: ٢٢-٢٣].

فأثبت تعالى أنها تنظر إلى ربها نظراً حقيقياً ليس بينها وبينه حجاب.

وقال تعالى: ﴿كَلَّا إِنَّهُمْ عَن رَّبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّمَحْجُوبُونَ﴾ [المطففين: ١٥] فلا يرونه بخلاف المؤمنين.

وقال تعالى: ﴿لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ﴾ [يونس: ٢٦].

فالحسنى الجنة والزيادة النظر إلى وجه الله تعالى كما روي ذلك عن كثير من الصحابة والتابعين[1].

والنظر إلى الرب في الجنه من أعظم النعم كما ثبت ذلك فروى صهيب عن النبي ﷺ قال **«إذا دخل أهل الجنة الجنة قال: يقول الله تبارك وتعالى تريدون شيئاً أزيدكم فيقولون ألم تبيض وجوهنا ألم تدخلنا الجنة وتنجينا من النار فيكشف الحجاب فما أعطوا شيئاً أحب إليهم من النظر إلى ربهم عز وجل»**[2].

قال النووي: «وقد تظاهرت أدلة الكتاب والسنه وإجماع الصحابه فمن بعدهم من سلف الأمه على إثبات رؤية الله تعالى في الآخرة للمؤمنين ورواها نحو من عشرين صحابياً عن رسول الله ﷺ وآيات القرآن فيها مشهورة»[3].

هل رأى النبي محمد ﷺ ربه في الدنيا؟

هذه المسأله اختلف فيها الصحابه ومن بعدهم. فمنهم من أثبتها ومنهم من نفى أن يكون الرسول ﷺ رآه بعينه.

---

(١) انظر «اعتقاد أهل السنة» للالكائي ص (٢/ ٥٠٤).

(٢) «مسلم بشرح النووي» (ثبات رؤية المؤمنين لربهم) (١/ ١٧/ ١٨١).

(٣) نفس المصدر (١/ ١٥).

قال شارح الطحاوية:

«واتفقت الأمة على أن لا يراه أحد في الدنيا بعينيه ولم يتنازعوا في ذلك إلا في نبينا ﷺ خاصه منهم من نفى رؤيته بالعين ومنهم من أثبتها له ﷺ وحكى القاضي عياض في كتابه «الشفا» إختلاف الصحابه رضي الله عنهم ومن بعدهم في رؤيته ﷺ وإنكار عائشه رضي الله عنها أن يكون ﷺ رأى ربه بعين رأسه وأنها قالت لمسروق حين سألها: هل رأى محمد ربه؟ فقالتلقد قفّ شعري مما قلت ثم قالت :من حدثك أن محمداً رأى ربه فقد كذب[1].

ثم قال: وقال جماعة بقول عائشة رضي الله عنها وهو المشهور عن ابن مسعود وابي هريرة رضي الله عنهما واختلف عنه وقال بإنكار هذا وامتناع رؤيته في الدنيا جماعة من المحدثين والفقهاء والمتكلمين.

وعن ابن عباس رضي الله عنهما أنه ﷺ رأى ربه بعينه وروى عطاء عنه: رآه بقلبه ثم ذكر أقوالاً وفوائد ثم قال: وأما وجوبه لنبينا ﷺ والقول بأنه رآه بعينه فليس فيه قاطع ولا نص والمعوّل فيه على أيه النجم والتنازع فيها مأثور والإحتمال لها ممكن.

وهذا القول الذي قاله القاضي عياض رحمه الله هو الحق فإن الرؤية في الدنيا ممكنة إذ لو لم تكن ممكنة لما سألها موسى عليه السلام لكن لم يرد نص بأنه ﷺ رأى ربه بعين رأسه بل ورد ما يدل على نفي الرؤية وهو ما رواه مسلم في «صحيحه» عن أبي ذر رضي الله عنه قال: سألت رسول الله ﷺ هل رأيت ربك؟ فقال: «**نور أني أراه**»[2] وفي رواية «**رأيت نوراً**»... إلى أن قال: «**أي فكيف أراه والنور حجاب بيني وبينه يمنعني من رؤيته**»، فهذا صريح في نفي الرؤية والله أعلم»[3].

---

(١) «الفتح» (كتاب التوحيد) (باب ٤) (١٧/ ٣١١/ ٧٣٨٠) و«مسلم بشرح النووي» (إثبات رؤية الله) (١/ ٨/ ١٧٧).

(٢) «مسلم بشرح النووي» (إثبات رؤية الله) (١/ ١٢/ ١٧٨)

(٣) «شرح الطحاوية» لابن ابي العز (١/ ٢٢٣-٢٢٤) وانظر «مجموع الفتاوى» (٣/ ٣٨٦).

٩ـ الأول والآخر والظاهر والباطن:

١ - في قوله تعالى: ﴿هُوَ ٱلۡأَوَّلُ وَٱلۡأٓخِرُ وَٱلظَّٰهِرُ وَٱلۡبَاطِنُۖ وَهُوَ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمٌ﴾ [الحديد:٣].

قال هو «الأول» السابق على سائر الموجودات من حيث أنه موجدها ومحدثها و«الآخر» الباقي بعد فنائها ولو بالنظر إلى ذاته مع قطع النظر عن غيرها أو هو «الأول» الذي تبتدئ منه الأشباب وتنتهي إليه المسببات أو «الأول» خارجاً و«الآخر» ذهناً «والظاهر والباطن» الظاهر وجوده لكثرة دلائله والباطن حقيقة ذاته فلا تكتنفهها العقول أو الغالب على كل شيء والعالم بباطنه والواو الأولى والأخيرة للجمع بين الوصفين والمتوسطة للجمع بين المجموعين»[1].

الرد:

أثبت البيضاوي صفة الأول الذي هو السابق على سائر الموجودات والآخر الباقي بعد فناؤها وكذلك الظاهر وجوده لكثرة دلائله وإن كلنرفُ ِّّ َ ـ الظاهر بالعالي أو بالعلو لحديث الرسول ﷺ.

فقال ابن جرير الطبري:

«هو (الأول) قبل كل شيء بغير حد (والآخر) يقول: بعد كل شيء بغير نهاية وإنما قيل ذلك كذلك لأنه كان ولا شيء موجود سواه وهو كائن بعد فناء الأشياء كلها كما قال تعالى ﴿كُلُّ شَيۡءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجۡهَهُۥ﴾ [القصص:٨٨] وقوله (والظاهر) يقول: وهو الظاهر على كل شيء دونه، وهو العالي فوق كل شيء فلا شيء أعلى منه (والباطن) يقول: وهو الباطن جميع الأشياء فلا شيء أقرب إلى شيء منه كما قال ﴿وَنَحۡنُ أَقۡرَبُ إِلَيۡهِ مِنۡ حَبۡلِ ٱلۡوَرِيدِ﴾ [ق:١٦][2].

والبيضاوي فسر الظاهر بكثرة الدلائل وهو وإن كان صحيح إلاّ أنه يتضمن العلو ولكن لأنه لا يثبت صفة العلو. فلم يفسره بالعلو كما جاء في حديث الرسول ﷺ.

---

(١) «أنوار التنزيل» (٢/ ١٠٤٥).

(٢) «جامع البيان» (٢٧/ ٢١٥-٢١٦).

قال ابن تيمية:

«فقد ثبت في الحديث الصحيح الذي رواه مسلم وغيره عن النبي ﷺ أنه كان يقول: «**اللهم أنت الأول فليس قبلك شيء وأنت الآخر فليس بعدك شيء وأنت الظاهر فليس فوقك شيء وأنت الباطن فليس دونك شيء**»[1]. وهذا نص في أن الله ليس فوقه شيء وكونه الظاهر صفة لازمة له مثل كونه الأول والآخر وكذلك الباطن فلا يزال ظاهراً ليس فوقه شيء ولا يزال باطناً ليس دونه شيء»[2].

فالعلو مقارن للظهور فهو سبحانه العالي علواً حقيقياً من كل وجه.

٢- الصفات التي تأولها:

١- الإستواء:

١- في قوله تعالى: ﴿إِنَّ رَبَّكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ﴾ [الأعراف:٥٤].

قال: «﴿ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ﴾ استوى أمره أو استولى، وعند أصحابنا أن الإستواء على العرش صفة لله بلا كيف والمعنى أن له تعالى استواء على العرش على الوجه الذي عناه منزهاً عن الإستقرار والتمكن»[3].

٢- في قوله تعالى: ﴿ٱلَّذِى رَفَعَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ﴾ [الرعد:٢].

قال: «﴿ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ﴾ بالحفظ والتدبير»[4].

(١) «مسلم بشرح النووي» (ما يقول عند النوم) (٦/ ٣٦/ ٢٧١٣).

(٢) «مجموع الفتاوى» (٥/ ٥٨١).

(٣) «أنوار التنزيل» (١/ ٣٤٢).

(٤) «أنوار التنزيل» (١/ ٥٠٢).

الرد:

١ – من هذه النصوص نرى البيضاوي قد فسر الإستواء بما يخالف مذهب السلف حيث فسر الإستواء باستواء أمره تعالى أو بالإستيلاء أو بالحفظ والتدبير وكلها تأويلات مخالفه للسلف وهو في هذا موافق للمتكلمين من معتزلة وأشاعرة .

٢ – أن استواء الله على عرشه قد ذكره الله في كتابه في سبع آيات ومن هذه الآيات:

١ – قوله تعالى: ﴿إِنَّ رَبَّكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ ۖ يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ﴾ [يونس:٣].

٢ – ومنها قوله تعالى: ﴿ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ﴾ [طه:٥].

٣– ومنها قوله تعالى: ﴿ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ ۚ ٱلرَّحْمَٰنُ﴾ [الفرقان:٥٩].

٤– قوله تعالى: ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ ۖ مَا لَكُم مِّن دُونِهِۦ مِن وَلِىٍّ﴾ [السجدة:٤].

٥ – قوله تعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ﴾ [الحديد:٤].

وكل هذه الآيات صريحه في أن الله استوى على العرش على الحقيقة لا على المجاز قال ابن القيم عن الإستواء:

«في سبع آيات من القرآن حقيقة عند جميع فرق الأمة إلا الجهمية ومن وافقهم فإنهم قالوا هو مجاز ثم اختلفوا في مجازه والمشهور عنهم ما حكاه الأشعري عنهم وبدعهم وضللهم فيه بمعنى استولى: أي ملك وقهر، فقالت فرقة منهم بل معنى قصد وأقبل على خلق العرش، وقالت فرقة أخرى بل هو مجمل في مجازاته يحتمل خمسة عشر وجهاً كلها لا يعلم أيها المراد إلا

أنّا نعلم إنتفاء الحقيقة عنه بالعقل وهذا الذي قالوه باطل»[1].

وقد أبطله ابن القيم من إثنين وأربعين وجهاً.

٣- أن الإجماع منعقد على أن الله سبحانه وتعالى مستوي على عرشه حقيقه لا مجازاً. حكاه ابن القيم عن الإمام ابوعمر الطلمنكي أحد أئمة المالكيه.

لأن أهل السنة والجماعة متفقون كلهم على ما جاءت به الآيات والأحاديث من صفات الرب سبحانه وتعالى والإستواء كبقية الصفات لله وهي أمر غيبي لا يدركه العقل البشري بل نثبت ما أثبته الله لنفسه وننفى عنه ما نفاه عن نفسه ونفاه عنه رسوله ﷺ والإستواء معلوم معناه ومجهولة كيفيته كبقية صفاته تعالى وذاته. فلا يجوز نفي ما ثبت عن الله ورسوله ﷺ بمجرد التوهم فيظن المتوهم أنه إذا وصف الله بالإستواء على العرش أو بالنزول أو بغيرها من الصفات الإختيارية التي ينفونها عنه بحجة التنزيه فيتوهم أنه كإستواء البشر أو نزولهم ومجيئهم ولكن الله ليس كمثله شيء فأهل السنة يثبتون له صفاته على ما يليق به تعالى وينفون عنه كل ما نفاه عن نفسه.

وأقوال السلف في إثبات الإستواء كثيرة ولم يختلفوا في معناه.

نذكر بعض هذه الأقوال في معنى إستوائه على عرشه:

١- ما رواه البخاري في صحيحه عن أبي العاليه: استوى إلى السماء ارتفع وقال مجاهد استوى علا على العرش»[2].

وقال أيضاً في خلق أفعال العباد عن يزيد بن هارون عن الجهمية فقال «من زعم أن الرحمن على العرش استوى على خلاف ما تقرر في قلوب العامة فهو جهمي»[3].

(١) «مختصر الصواعق» (٤٨٨-٤٩٤).

(٢) «فتح الباري» (كتاب التوحيد) (باب ٢٢) (١٧/ ٣٩٠).

(٣) ص (٢/ ٣٧).

٢- وقال اسحاق بن راهوية «حدثنا عمر: سمعت غير واحد من المفسرين يقـول ﴿ٱلرَّحۡمَٰنُ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ ٱسۡتَوَىٰ﴾ [طه:٥] اي ارتفع»[1].

٣- قول أم سلمه في قوله تعالى: ﴿ٱلرَّحۡمَٰنُ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ ٱسۡتَوَىٰ﴾ قالـت: الكيـف غـير معقـول والإستواء غير مجهول والإقرار به إيمان والجحود به كفر»[2].

٤- وقول مالك عندما سئل عن الإستواء كيف استوى؟ فقـال: الكيـف غـير معقـول والإستواء منه غير مجهول والإيمان به واجب والسؤال عنه بدعه فـإني أخـاف أن تكـون ضـالاً وأمر به فأخرج»[3].

ومقصودهم أن كيفية الإستواء غير معروفة بالعقل ومعنى الإستواء غـير مجهـول بـل هـو معروف لهم وإنما البدعة في السؤال عن الكيفية.

فهذه النصوص بينت أن السلف لا اختلاف بينهم في إثبات الإستواء لله عـلى مـا يليـق بـه على الحقيقة وأن معناه عندهم ارتفع وعلا وليس من معاني الإستواء في اللغه أنه استولى.

قال ابن القيم:

«إن لفظ الإستواء في كلام العرب الذي خاطبنا الله تعالى بلغتهم وانزل بها كلامه نوعـان: مطلق ومقيد.

فالمطلق ما لم يوصل معنا: بحرف مثل قوله: ﴿وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُۥ وَٱسۡتَوَىٰٓ﴾ [القصص:١٤].

وهذا معناه كمل وتم يقال استوى النبات واستوى الطعام.

وأما المقيد فثلاثه اضراب:

(١) رواه اللالكـائي في «اعتقـاد أهـل السـنة والجماعـة» (٢/ ٤٤٠)، وكـذلك «درء التعـارض» لابـن تيميـه (٢/ ٢٠).

(٢) «اعتقاد أهل السنة» للالكائي (٢/ ٤٤١)

(٣) نفس المصدر.

أحدهما: مقيد بإلى كقوله: ﴿ثُمَّ ٱسْتَوَىٰٓ إِلَى ٱلسَّمَآءِ﴾ [البقرة:٢٩].

واستوى فلان إلى السطح وإلى الغرفه .... وهذا بمعنى العلو والإرتفاع بإجماع السلف...

والثاني: مقيد بعلى كقوله : ﴿ لِتَسْتَوُۥا۟ عَلَىٰ ظُهُورِهِۦ ﴾[الزُّخرُف:١٣].

وقوله: ﴿وَٱسْتَوَتْ عَلَى ٱلْجُودِىِّ﴾ [هود:٤٤]....وهذا أيضاً معناه العلو والارتفاع والإعتدال بإجماع أهل اللغه.

والثالث: المقرون بواو (مع) التي تعدى الفعل إلى المفعول معه نحو استوى الماء والخشبة بمعنى ساواها.

وهذه معاني الإستواء المعقولة في كلامهم وليس فيها معنى استولى ألبتّه، ولا نقله أحد من الأئمة الذين يعتمد قولهم، وإنما قاله متأخروا النحاة ممن سلك طريق المعتزلة والجهمية»[1].

فهذه معاني الإستواء لغة وأما ما يستدلون به من بيت الشعر المشهور لديهم:

قد استوى بشر على العراق ... من غير سيف أو دم مهراقِ

فهذا البيت لم يثبت نقل صحيح أنه شعر عربي بل أنكره غير واحد من أئمة اللغة وقالوا أنه بيت مصنوع لا يعرف في اللغة.

ثم أهل اللغة أنكروا أن يكون استوى بمعنى استولى الا فيما كان منازعاً مغالباً فإذا غلب أحدهما الأخر قيل: استولى والله سبحانه لم ينازعه أحد في العرش، ثم أن معنى الاستواء معلومٌ ظاهرٌ بين الصحابه والتابعين وتابعيهم وتفسيره بما يخالف قولهم باطل[2].

---

(١) «مختصر الصواعق» (٤٨٨).

(٢) انظر «مجموع الفتاوى» (٥/ ٤٦-٤٨).

٢ـ العلو:

١ – في قوله تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلْقَاهِرُ فَوْقَ﴾ [الأنعام:١٨].

قال: «تصوير لقهره وعلوه بالغلبه والقدرة»[١].

٢ – في قوله تعالى: ﴿يَخَافُونَ رَبَّهُم مِّن فَوْقِهِمْ﴾ [النحل:٥٠].

قال «يخافونه أن يرسل عذاباً من فوقهم أو يخافونه وهو فوقهم بالقهر كقوله تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِۦ﴾ [الأنعام:١٨][٢].

٣– في قوله تعالى: ﴿إِلَيْهِ يَصْعَدُ ٱلْكَلِمُ ٱلطَّيِّبُ وَٱلْعَمَلُ ٱلصَّٰلِحُ يَرْفَعُهُۥ﴾ [فاطر:١٠].

قال: «بيان لما يطلب به العزة وهو التوحيد والعمل الصالح وصعودهما إليه مجاز عن قبوله إياها أو صعود الكتبة بصحيفتهما...»[٣].

٤ – في قوله تعالى: ﴿تَعْرُجُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَٱلرُّوحُ إِلَيْهِ﴾ [المعارج:٤].

قال: «استئناف لبيان ارتفاع تلك المعارج وبعد مداها على التمثيل والتخييل والمعنى أنها بحيث لو قدر قطعها في زمان لكان زمان يقدر بخمسين ألف سنه من سني الدنيا، وقيل تعرج الملائكه والروح إلى عرشه ...»[٤].

٥ – في قوله تعالى: ﴿ءَأَمِنتُم مَّن فِى ٱلسَّمَآءِ أَن يَخْسِفَ بِكُمُ ٱلْأَرْضَ فَإِذَا هِىَ تَمُورُ﴾ [المُلك:١٦].

قال: «﴿ءَأَمِنتُم مَّن فِى ٱلسَّمَآءِ﴾ [المُلك:١٦] يعني: الملائكة الموكلين على تدبير هذا العالم أو الله على تأويل (من في السماء) أمره أو قضاؤه أو على زعم العرب فإنهم زعموا أنه تعالى في

(١) «أنوار التنزيل» (١/ ٢٩٧)

(٢) نفس المصدر (١/ ٥٤٩)

(٣) نفس المصدر (٢/ ٨٥٨)

(٤) نفس المصدر (٢/ ١٠٩٤)

السماء»[1].

الرد:

من نصوص البيضاوي نراه ينفي صفة العلو ويثبت علو القهر والغلبة فقط وينفي أن يصعد إليه شيء على الحقيقة بل هو مجاز عن قبول العمل أو هو صعود الكتبة بالصحائف وكذلك العروج يراه على التمثيل والتخييل أي أنه ليس عروجاً إليه تعالى على الحقيقة لأنه ينفي علو الله بذاته على عرشه كما أول من في السماء بأنهم الملائكة أو هو أمر الله وقضاؤه على التأويل كما تزعمه العرب أن الله في السماء. فهذا وافق فيه المتكلمين.

وهو مخالف للنصوص الشرعية ولمذهب السلف وللعقل والفطرة.

والأدلة على علو الله متنوعة وكثيرة قد ذكرها الله سبحانه في كتابه وذكرها رسوله ﷺ وذكرها الأئمة.

وعلو الله سبحانه وتعالى يقسم إلى قسمين:

١ - **علو معنوي** وهو ثابت بالإجماع عند أهل السنة وغيرهم فهذا الذي يثبته المتكلمين وغيرهم وهو علو القهر والغلبة والقدرة.

٢ - **علو الذات** وهذا يثبته أهل السنة والجماعة وينفيه غيرهم من الفرق[2].

وأهل السنة يستدلون على علو الله بالكتاب والسنة والإجماع والعقل والفطرة.

من القرآن:

تنوعت الدلالات من كتاب الله على علوه سبحانه وتعالى نذكر بعضها:

١ - ذكر العلو قال تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلْعَلِيُّ ٱلْعَظِيمُ﴾ [البقرة:٢٥٥].

و﴿سَبِّحِ ٱسْمَ رَبِّكَ ٱلْأَعْلَى﴾ [الأعلى:١].

(١) نفس المصدر (٢/ ١٠٨٢)

(٢) انظر «شرح الواسطية» لابن عثيمين (٢/ ٣٨٨)

٢ - التصريح بالفوقيه: ﴿وَهُوَ ٱلْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِۦ﴾ [الأنعام:١٨].

٣ - التصريح بالعروج إليه: ﴿تَعْرُجُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَٱلرُّوحُ إِلَيْهِ﴾ [المعارج:٤].

٤ - ذكر الصعود إليه: ﴿إِلَيْهِ يَصْعَدُ ٱلْكَلِمُ ٱلطَّيِّبُ وَٱلْعَمَلُ ٱلصَّٰلِحُ يَرْفَعُهُۥ﴾ [فاطر:١٠].

٥ - نزول الأشياء منه مثل قوله: ﴿تَنزِيلُ ٱلْكِتَٰبِ مِنَ ٱللَّهِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَكِيمِ﴾ [الزُّمَر:١] والنزول لا يكون إلاّ من علو.

٦ - التصريح بكونه في السماء لقوله تعالى: ﴿ءَأَمِنتُم مَّن فِى ٱلسَّمَآءِ أَن يَخْسِفَ بِكُمُ ٱلْأَرْضَ فَإِذَا هِىَ تَمُورُ﴾ [المُلك:١٦].

٧ - الآيات التي ذكرها الله في استوائه على العرش.

وغيرها من الأدلة الدالة على فوقيته على خلقه وهي فوقية الذات والقهر والغلبة.

ومن السنة:

١ - منها قوله ﷺ: «**سبحان ربي الأعلى**»[(١)].

٢ - منهاقوله ﷺ: «**ألا تأمنوني وأنا أمين من في السماء**»[(٢)].

٣ - ومنها قصة الجارية التي أقرها الرسول ﷺ حين سألها النبي ﷺ فقال «**أين الله؟**» قالت: في السماء. فقال: «**من أنا؟**» قالت: رسول الله قال: «**إعتقها فإنها مؤمنه**»[(٣)].

الإجماع:

والإجماع قد حكاه كثير من أهل السنه بأن الله فوق عرشه.

فقال عبدالله بن مسلم بن قتيبه الدينوري (٢٧٦ هـ):

---

(١) رواه مسلم برقم (٧٧٢).

(٢) «البخاري» برقم (٤٣٥١)، و«مسلم» برقم (١٠٦٤).

(٣) «مسلم» برقم (٥٣٧).

- «والأمم كلها عربيها وعجميها تقول: إن الله تعالى في السماء ما تركت على فطرها ولم تنقل عن ذلك بالتعليم»[١].

- كذلك قال عثمان بن سعيد الدارمي (٢٨٠ هـ):

«وقد إتفقت كلمة المسلمين أن الله تعالى فوق عرشه فوق سماواته»[٢].

فهذه أدله من الكتاب والسنه والإجماع وكذلك الفطرة فإن الناس مفطورين على معرفة ربهم وأنه في السماء فإذا انتابهم شيء رفعوا أيديهم إلى السماء يدعونه ويتضرعون إليه فهذا إلهام فطري لا يحتاج إلى دليل.

ولا يمكن المنازعه فيها ولا المكابرة.

كلام السلف في إثبات الفوقيه:

وكلام السلف في إثبات علو الله كثير جداً ضمن مؤلفاتهم التي رووها عن السلف نذكر بعض هذه الأقوال:

١ - ما روي عن ابن عباس قال: «إن الله عز وجل كان على عرشه قبل أن يخلق شيئاً فخلق الخلق...».

٢- ما روي عن مقاتل بن حيان في قوله تعالى: ﴿مَا يَكُونُ مِن نَّجْوَىٰ ثَلَٰثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ وَلَا خَمْسَةٍ إِلَّا هُوَ سَادِسُهُمْ﴾ [المجادلة:٧].

قال: هو على العرش ولن يخلو شيء من علمه.

٣- روي عن أحمد بن حنبل أنه سُئل: «الله عز وجل فوق السماء السابعه على عرشه بائن من خلقه وقدرته وعلمه في كل مكان؟

قال: نعم على العرش وعلمه لا يخلو منه مكان»[٣].

---

(١) نقلاً عن كتاب «الأشاعرة في ميزان أهل السنة»، فيصل بن قزار القاسم ص (٤٣٣).

(٢) نفس المصدر.

(٣) انظر هذه الأقوال «اعتقاد أهل السنة» للالكائي (٢/ ٤٣٩-٤٤٦).

٤ - وقيل لابن المبارك: «كيف نعرف ربنا؟ قال: فوق سماواته على عرشه»[1].

٥ - وقال سعيد بن عامر: «الجهمية شر قولاً من اليهود والنصارى قد اجتمعت اليهود والنصارى وأهل الأديان: أن الله تبارك وتعالى على العرش وقالوا: هم ليس على العرش شيء»[2].

وهكذا الكل يثبت أن الله سبحانه وتعالى فوق عرشه على سماواته وصفة العلو صفة كمال مطلق من كل وجه فله تعالى فوقية القهر وفوقية القدر وفوقية الذات ومن أثبت البعض ونفى البعض فقد تنقص وأما الذين انكروا علو الله بذاته فيحتجون بقولهم: أنه لو كان في العلو بذاته كان في جهة وإذا كان في جهة كان محدوداً وجسماً وهذا ممتنع.

والجواب عن ذلك أن نقول:

لا يجوز إبطال دلالة النصوص: بمثل هذه التعليلات. فإذا كان الله سبحانه وتعالى قد أثبت لنفسه العلو وأثبته له رسوله ﷺ وكذلك أثبته له السلف فلا يأتي أي شخص ويقول لا يكون له علو الذات لأنه يلزم من ذلك التشبيه أو التجسيم أو غيرها من العلل التي أثبتوها في كتبهم لنفي علو الله.

فماذا يريدون بالجهة هل هي جهة تحيط به تعالى؟ فهذا باطل وليس بلازم من إثبات علوه. أم يريدون جهة علو لا تحيط بالله؟ فهذا حق لا يصح نفيه عن الله تعالى.

فالقول بأن الله في السماء ليس المقصود منه أن السماء محيطة بالله لان هذا باطل وإذا كان الظاهر باطل فإننا نعلم يقيناً أنه ليس مراد لله لأنه لا يمكن أن يكون ظاهر الكتاب والسنه باطلاً. إذا فالمقصود هنا السماء بمعنى العلو وهذا وارد في اللغة ومنه قوله تعالى: ﴿أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَسَالَتْ أَوْدِيَةٌۢ بِقَدَرِهَا﴾ [الرعد:١٧].

---

(١) «خلق أفعال العباد» للبخاري (٢/ ١٥) .

(٢) نفس المصدر (٢/ ١٧)

والمراد بالسماء العلو لأن الماء ينزل من السحاب لا من السماء التي هي السقف المحفوظ والسحاب في العلو بين السماء والأرض لقوله تعالى: ﴿وَٱلسَّحَابِ ٱلْمُسَخَّرِ بَيْنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ﴾[البقرة:١٦٤]. فيكون معنى ﴿مَّن فِى ٱلسَّمَآءِ﴾ من في العلو.

أو نجعل (في) بمعنى (على) وهذا وارد في اللغه وفي القرآن.

فمن قوله: ﴿وَلَأُصَلِّبَنَّكُمْ فِى جُذُوعِ ٱلنَّخْلِ﴾ [طه:٧١]. أي على جذوع النخل فيكون: ﴿مَّن فِى ٱلسَّمَآءِ﴾ أي: من على السماء[1].

إذاً فليس في إثبات علوه تعالى التزام اللوازم الباطلة لنفاة العلو. بل علوه تعالى صفة كمال لا نقص فيه ولا يستلزم نقصاً ولا محذوراً ولا يخالف كتاباً ولا سنة ولا إجماعاً فنفي حقيقته يكون عين الباطل والمحال الذي لا تأتي به شريعة أصلاً فكيف إذا كان لا يمكن الإقرار بوجوده في تصديق رسله والإيمان بكتابه إلاّ بذلك؟ فكيف إذا انضم إلى ذلك شهادة العقول السليمة والفطر المستقيمة والنصوص الواردة المحكمة على علو الله على خلقه وكونه فوق عباده. [2]

---

(١) انظر «شرح الواسطية» لابن عثيمين (٢/ ٣٩٤)

(٢) انظر «شرح الطحاوية» (٢/ ٣٨)

٣ـ الكرسي:

١- عند قوله تعالى: ﴿وَسِعَ كُرْسِيُّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ ۖ وَلَا يَـُٔودُهُۥ حِفْظُهُمَا ۚ وَهُوَ ٱلْعَلِىُّ ٱلْعَظِيمُ﴾ [البقرة:٢٥٥].

قال: تصوير لعظمته وتمثيل مجرد كقوله تعالى: ﴿وَمَا قَدَرُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦ وَٱلْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَٱلسَّمَٰوَٰتُ مَطْوِيَّٰتٌۢ بِيَمِينِهِۦ﴾[الزمر:٦٧].

ولا كرسي في الحقيقة ولا قاعد، وقيل كرسيه مجاز عن علمه أو ملكه مأخوذ من كرسي العالم والملك، وقيل جسم بين يدي العرش وكذلك سمي كرسياً محيط بالسماوات السبع لقوله عليه الصلاة والسلام: «**ما السماوات السبع والأرضون مع الكرسي إلاّ كحلقة في فلاة وفضل العرش على الكرسي كفضل تلك الفلاة على تلك الحلقه**»(١)، ولعله الفلك المشهور بفلك البروج وهو في الأصل إسم لما يقعد عليه ولا يفضل على مقعد القاعد وكأنه المنسوب إلى الكرسي وهو الملبد»(٢).

الرد:

نرى البيضاوي رحمه الله قد نفي الكرسي أو أنه مجاز عن علمه أو ملكه.

أما أنه مجاز عن علمه فقد روى ذلك بعض السلف

وقال شارح الطحاوية:

«وقد قيل هو العرش والصحيح أنه غيره نقل ذلك عن ابن عباس رضي الله عنهما وغيره روى ابن أبي شيبه في كتاب «صفة العرش» والحاكم في «مستدركه» وقال: إنه على شرط الشيخين ولم يخرجاه عن سعيد بن جبير عن ابن عباس في قوله تعالى: ﴿وَسِعَ كُرْسِيُّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ

(١) الحديث:رواه ابن حبان في صحيحه ص(١/ ٢٨٧).وأبونعيم في الحلية ص(١/ ١٦٦) وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة ص(١/ ١٧٤)برقم(١٠٩).المكتب الإسلامي بيروت ط٤/ ١٤٠٥هـ.

(٢) «أنوار التنزيل» (١/ ١٤٠).

﴿وَٱلۡأَرۡضَ﴾ [البقرة:٢٥٥] أنه قال: الكرسي موضع القدمين والعرش لا يقدر قدره إلا الله وقد روي مرفوعاً والصواب أنه موقوف على ابن عباس، وقال السدي السماوات والأرض في جوف الكرسي والكرسي بين يدي العرش.

وقال ابن جرير: قال أبوذر رضي الله عنه: سمعت رسول الله يقول: «**ما الكرسي في العرش إلا كحلقة من حديد ألقيت بين ظهري فلاة من الأرض**(١)»(٢).

وقيل: كرسيه علمه وينسب إلى ابن عباس، والصحيح ما روي أولاً أنه موضع القدمين، وقد رجحه الطبري.

٥ـ المجيء والإتيان:

١- في قوله تعالى: ﴿هَلۡ يَنظُرُونَ إِلَّآ أَن يَأۡتِيَهُمُ ٱللَّهُ فِي ظُلَلٖ مِّنَ ٱلۡغَمَامِ وَٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ وَقُضِيَ ٱلۡأَمۡرُ﴾ [البقرة:٢١٠].

قال: «أي يأتيهم أمره أو بأسه كقوله: ﴿أَوۡ يَأۡتِيَ أَمۡرُ رَبِّكَ﴾ [النحل:٣٣] ﴿فَجَآءَهَا بَأۡسُنَا﴾ [الأعراف:٤]»(٣).

٢- في قوله تعالى: ﴿هَلۡ يَنظُرُونَ إِلَّآ أَن تَأۡتِيَهُمُ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ أَوۡ يَأۡتِيَ رَبُّكَ أَوۡ يَأۡتِيَ بَعۡضُ ءَايَٰتِ رَبِّكَ﴾ [الأنعام:١٥٨].

قال: «أي أمره بالعذاب أو كل آية يعني آيات القيامه والهلاك الكلي لقوله: ﴿أَوۡ يَأۡتِيَ بَعۡضُ ءَايَٰتِ رَبِّكَ﴾ [الأنعام:١٥٨]»(٤).

٣- في قوله تعالى: ﴿كَلَّآ إِذَا دُكَّتِ ٱلۡأَرۡضُ دَكّٗا دَكّٗا. وَجَآءَ رَبُّكَ وَٱلۡمَلَكُ صَفّٗا صَفّٗا﴾ [الفجر:٢١-

(١) سبق تخريجه في الصفحة السابقة.

(٢) «شرح الطحاوية» لابن ابي العز (٢/ ٣٧٠)

(٣) «أنوار التنزيل» (١/ ١٢٠)

(٤) نفس المصدر (١/ ٣٢٩)

٢٢].

قال«أي ظهرت آيات قدرته وآثار قهره مثل ذلك بما يظهر عند حضور السلطان من آثار هيبته وسياسته»[(١)].

الرد:

من نصوص البيضاوي نراه تأول المجيءو الإتيان بإتيان أمره أو بأسه أو آيات قدرته وآثار قهره وهذا مخالف للنصوص ولمذهب السلف.

فإن الله سبحانه قد أثبت الإتيان والمجيء فلماذا ننفيه فإتيانه ومجيئه تعالى ليس كإتيان البشر فليس كمثله شيء سبحانه لافي صفاته ولا ذاته.

قال ابن تيميه:

«أما الإتيان المنسوب إلى الله فلا يختلف قول أئمة السلف كمكحول والزهري والأوزاعي وابن المبارك وسفيان الثوري والليث بن سعد ومالك بن أنس والشافعي وأحمد وأتباعهم أنه يمر كما جاء وكذلك ما شاكل ذلك مما جاء في القرآن أو وردت به السنة كأحاديث النزول ونحوها وهي طريق السلامة ومنهج أهل السنة والجماعة يؤمنون بظاهرها ويكلون علمها إلى الله ويعتقدون أن الله منزه عن سمات الحدث على ذلك مضت الأئمة خلفاً بعد سلف»[(٢)].

فنحن نثبت لله المجيء والإتيان على ما يليق بجلاله تعالى ولا نؤل ذلك بمجئ أمره أو آياته أو قهره وقدرته فإن الله سبحانه قد فصل في الاية وقسم بما لا يدع مجالاً للتأويل.

قال ابن القيم:

«وقوله: ﴿وَجَآءَ رَبُّكَ وَٱلْمَلَكُ﴾ [الفجر:٢٢] فعطف مجيء الملك على مجيئه سبحانه يدل على تغاير المجيئينوأن مجيئهُ سبحانه حقيقة كما أن مجيء الملك حقيقه بل مجيء الرب سبحانه أولى

(١) نفس المصدر (٢/ ١٥٣)

(٢) «مجموع الفتاوى» (١٦/ ٤٠٩٩)

أن يكون حقيقة من مجيء الملك وكذلك قوله: ﴿هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّآ أَن تَأْتِيَهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ أَوْ يَأْتِىَ رَبُّكَ أَوْ يَأْتِىَ بَعْضُ ءَايَٰتِ رَبِّكَ﴾ [الأنعام:١٥٨] ففرق بين إتيان الملائكة الرب وإتيان بعض آيات ربك فقسم ونوع ومع هذا التقسيم يمتنع أن يكون القسمان واحداً فتأمله»[١].

وبهذا التقسيم يعلم فساد قول من تأوله بمجيئ الملائكة أو مجيئ أمره لأن الله قد ذكر مجيئه على الحقيقة فلا حاجة لنفيه وأمّا كيفيته فلا علم لنا بها.

٦ـ القرب والدنو:

١- في قوله تعالى: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِى عَنِّى فَإِنِّى قَرِيبٌ ۖ أُجِيبُ دَعْوَةَ ٱلدَّاعِ إِذَا دَعَانِ...﴾ [البقرة:١٨٦].

قال: «أي فقل لهم إني قريب وهو تمثيل لكمال علمه بأفعال العباد وأقوالهم وإطلاعه على أحوالهم بحال من قرب مكانه منهم ..»[٢].

٢- في قوله تعالى: ﴿وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ ٱلْوَرِيدِ﴾ [ق:١٦].

قال: «أي ونحن أعلم بحاله ممن كان أقرب إليه ﴿مِنْ حَبْلِ ٱلْوَرِيدِ﴾ تجوز بقرب الذات لقرب العلم لأنه موجبه و(حبل الوريد) مثل في القرب قال: والموت أدنى من الوريد و(الحبل) العرق وإضافته للبيان والوريدان عرقان مكتنفان بصفحتي العنق في مقدمها بالوتين يردان من الرأس إليه وقيل سمي وريداً لأن الروح ترده»[٣].

الرد:

نفهم من كلام البيضاوي إنه لا يرى القرب على حقيقته بل تأوّله بأنه تمثيل لكمال علمه تعالى بمخلوقاته.

(١) «مختصر الصواعق» (٤٦٩)

(٢) «أنوار التنزيل» (١/ ١١٢).

(٣) «أنوار التنزيل» (٢/ ١٠٠٥).

وكذلك في الآية الثانيةتأو ّ له بالعلم. مع أن المقصود من الآية ليس قرب الرب إنما المقصود قرب الملائكة من الإنسان.

قال ابن كثير في تفسيرها:

«ونحن أقرب إليه من حبل الوريد» يعني ملائكته تعالى أقرب إلى الإنسان من وريده إليه ومن تأ ّ له على العلم فإنما فر لئلا ّ يلزم حلول أو إتحاد وهما منفيان بالإجماع تعالى الله وتقدس، ولكن اللفظ لا يقتضيه فإنه لم يقل وأنا أقرب إليه من حبل الوريد وإنما قال ونحن أقرب إليه من حبل الوريد كما قال في المحتضر: ﴿وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنكُمْ وَلَكِن لَّا تُبْصِرُونَ﴾ [الواقعة:٨٥] يعني ملائكته...» [١].

وكذلك قال ابن القيم أن المراد بالقرب في هذه الآية قرب الملائكة وليس قرب الرب وأوضح أن للسلف في معناها قولين:

١ - نحن أقرب إليه بالعلم والقدرة والإحاطة وعلى هذا يكون المراد قربه سبحانه بنفسه: وهو نفوذ قدرته ومشيئته فيه وإحاطة علمه به.

٢ - أن المراد قرب ملائكته منه وأضاف ذلك إلى نفسه بصيغة الجمع على عادة العظماء في إضافة أفعال عبيدها إليها بأوامرهم ومراسمهم وهذا القول أصح لوجوه:

١) لأنه سبحانه قيد القرب في الآية بالظرف وهو قوله: ﴿إِذْ يَتَلَقَّى ٱلْمُتَلَقِّيَانِ﴾[ق:١٧] فلو كان المراد قربه تعالى لم يتقيد ذلك بوقت تلقي الملكين ولا كان لذكر التقييد به فائدة. فإن علمه وقدرته ومشيئته عامة.

٢) ولأن الآية تكون قد تضمنت علمه وكتابة ملائكته لعمل العبد.

٣)أن قرب الله تعالى من عبيده ورد خاصاً لا عاماً وهو نوعان:

١ - قربه من داعيه بالإجابة

(١) «تفسير ابن كثير» (٤/ ٢٨٣).

٢ - ومن مطيعه بالإثابة.

ولم يجيء القرب كما جاءت المعية خاصة وعامة فليس في القرآن ولا في السنة أن الله قريب من كل أحد وأنه قريب من الكافر والفاجر وإنما جاء خاصاً كقوله تعالى: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ﴾ [البقرة:١٨٦] فهذا قربه من داعيه وسائله [(١)].

فبين رحمه الله أن المقصود بالقرب في الآية هو قرب الملائكة لأن سياقها يقضي ذلك وقرب الله خاص بالمؤمنين وليس مثل المعيه خاصة وعامة.

كما أن قربه يثبت على الحقيقة وأنه قريب من عباده والآيات دلت على ذلك وكذلك الأحاديث منها قوله ﷺ حين رفع الصحابة أصواتهم بالدعاء والذكر فقال: «**أيها الناس ارفقوا على أنفسكم فإنكم لا تدعون أصم ولا غائباً إنما تدعون سميعاً بصيراً إن الذي تدعونه أقرب إلى أحدكم من عنق راحلته**»[(٢)].

فالله سبحانه وتعالى قريب من عباده المؤمنين وهو فوق سماواته على عرشه ولا منافاة بين القرب والعلو.

قال ابن تيميه:

«والذين يثبتون تقريبه العباد إلى ذاته هو القول المعروف للسلف والأئمة وهو قول الأشعري وغيره من الكلابية فإنهم يثبتون قرب العباد إلى ذاته وكذلك يثبتون استواءه على العرش بذاته...

وأما دنوه نفسه وتقربه من بعض عباده فهذا يثبته من يثبت قيام الأفعال الإختيارية بنفسه ومجيئه يوم القيامه ونزوله واستوائه على العرش وهذا مذهب أئمة السلف وأئمة الإسلام المشهورين وأهل الحديث والنقل عنهم بذلك متواتر[(٣)].

---

(١) انظر «مختصر الصواعق» ص(٦٢٣-٦٢٤) باختصار وتصرف.

(٢) «فتح الباري» (كتاب التوحيد) ص (١٧/ ٣٢٩)، وكذلك في (كتاب الدعوات) و«مسلم بشرح النووي» (١٦/ ٢٦).

(٣) «مجموع الفتاوى» (٥/ ٤٦٦).

٧ـ الإستهزاء والمكر والخداع:

١ – في قوله تعالى: ﴿ٱللَّهُ يَسۡتَهۡزِئُ بِهِمۡ وَيَمُدُّهُمۡ فِي طُغۡيَٰنِهِمۡ يَعۡمَهُونَ﴾ [البقرة: ١٥].

قال: «يجازيهم على استهزائهم سمي جزاء الإستهزاء بإسمه كما سمي جزاء السيئة سيئة إما لمقابلة اللفظ باللفظ أو لكونه مماثلاً له في القدر، أو يرجع وبال الإستهزاء عليهم فيكون كالمستهزئ بهم أو ينزل بهم الحقارة والهوان الذي هو لازم الإستهزاء أو الغرض منه أو يعاملهم معاملة المستهزئ أما في الدنيا فبإجراء أحكام المسلمين عليهم واستدراجهم بالإمهال والزيادة في النعمة على التمادي في الطغيان وأما في الآخرة فبأن يفتح لهم وهم في النار باباً إلى الجنه فيسرعون نحوه فإذا صاروا إليه سد عليهم الباب»[١].

٢ – في قوله تعالى: ﴿وَمَكَرُواْ وَمَكَرَ ٱللَّهُۖ وَٱللَّهُ خَيۡرُ ٱلۡمَٰكِرِينَ﴾ [آل عمران: ٥٤].

قال: (... والمكر من حيث أنه في الأصل حيلة يجلب بها غيره إلى مضرة لا يسند إلى الله إلا على سبيل المقابلة والإزدواج ﴿وَٱللَّهُ خَيۡرُ ٱلۡمَٰكِرِينَ﴾ أقواهم مكراً وأقدرهم على إيصال الضرر من حيث لا يحتسب»[٢].

٣- في قوله تعالى: ﴿أَفَأَمِنُواْ مَكۡرَ ٱللَّهِۚ فَلَا يَأۡمَنُ مَكۡرَ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلۡقَوۡمُ ٱلۡخَٰسِرُونَ﴾ [الأعراف: ٩٩].

«قال: ﴿أَفَأَمِنُواْ مَكۡرَ ٱللَّهِ﴾ تقرير لقوله أفأمن أهل القرى. ومكر الله استعارة لإستدراج العبد وأخذه من حيث لا يحتسب»[٣].

٤ – في قوله تعالى: ﴿يُخَٰدِعُونَ ٱللَّهَ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَمَا يَخۡدَعُونَ إِلَّآ أَنفُسَهُمۡ﴾ [البقرة: ٩].

قال: «والمخادعة تكون بين إثنين وخداعهم مع الله ليس على ظاهره لأنه لا يخفى عليه

(١) «أنوار التنزيل» (١/ ٣٤).

(٢) «أنوار التنزيل» (١/ ١٦٦).

(٣) «أنوار التنزيل» (١/ ٣٥٢).

خافية ولأنهم لم يقصدوا خديعته بل المراد إما مخادعة رسوله على حذف المضاف أو على أن معاملة الرسول معاملة الله من حيث أنه خليفته»[1].

الرد:

البيضاوي في هذه النصوص لا يثبت الإستهزاء لأنه يراه من مقابله اللفظ باللفظ وكذلك المكر والخداع فهو يراها استعارة وهذا مخالف للنصوص ولمذهب السلف.

لأن المكر والكيد والإستهزاء والخداع من صفات الله الفعلية التي لا يوصف بها على سيل الإطلاق لأنها تكون مدحاً في حال وذماً في حال.

فيوصف الله بها حين تكون مدحاً ولا يوصف بها حين تكون ذماً فيقال الله خير الماكرين، خير الكائدين أو يقال، الله ماكر بالماكرين خادع لمن يخادعه ومستهزئ بالمستهزئين ففي هذه الحال يكون مدحاً لأنه كمال

قال ابن القيم:

«وقد قيل إن تسمية ذلك مكراً وكيداً واستهزاءً وخداعاً من باب الإستعارة ومجاز المقابلة نحو: ﴿وَجَزَٰٓؤُاْ سَيِّئَةٖ سَيِّئَةٞ مِّثۡلُهَا﴾ [الشورى:٤٠] ونحو قوله: ﴿فَمَنِ ٱعۡتَدَىٰ عَلَيۡكُمۡ فَٱعۡتَدُواْ عَلَيۡهِ بِمِثۡلِ مَا ٱعۡتَدَىٰ عَلَيۡكُمۡ﴾ [البقرة:١٩٤] وقيل: هو أصوب بل تسمية ذلك حقيقة على بابه فإن المكر إيصال الشيء إلى الغير بطريق خفي وكذلك الكيد والمخادعة ولكنه نوعان:

قبيح وهو إيصال ذلك لمن لا يستحقه وحسن: وهو إيصاله إلى من يستحقه عقوبة له فالأول مذموم والثاني ممدوح والرب تعالى إنما يفعل من ذلك ما يحمد عليه عدلاً منه وحكمة وهو تعالى يأخذ الظالم والفاجر من حيث لا يحتسب لا كما يفعل الظلمة بعباده وأما السيئة فهي فعله مما يسوء ولا ريب أن العقوبه تسوء صاحبها فهي سيئة له حسنة من الحكم العدل»[2].

(١) «أنوار التنزيل» (١/ ٣١).

(٢) «إعلام الموقعين» (٣/ ٢١٧-٢١٨).

٨ـ الحياء:

١ - في قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَسۡتَحۡيِۦٓ أَن يَضۡرِبَ مَثَلٗا مَّا بَعُوضَةٗ فَمَا فَوۡقَهَا﴾ [البقرة:٢٦].

﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَسۡتَحۡيِۦٓ﴾ أي: لا يترك ضرب المثل بالبعوضة ترك من يستحيي أن يمثل بها.

والحياء: إنقباض النفس عن القبيح مخافة الذم وهو الوسط بين الوقاحة التي هي الجراءة على القبائح وعدم المبالاة بها والخجل: الذي هو انحصار النفس عن الفعل مطلقاً واشتقاقه من الحياة فإنه إنكسار يعتري القوة الحيوانية فيردها عن أفعالها فقيل حيي الرجل كما يقال نسي- وحشي إذا إعتلت نساه وحشاه وإذا وصف به الباري تعالى كما جاء في الحديث ... «**وإن الله حيي كريم يستحيي إذا رفع العبد يديه أن يردهما صفراً حتى يضع فيهما خيراً**»[1] فالمراد به الترك اللازم للانقباض كما أن المراد من رحمته وغضبه إصابة المعروف والمكروه.... وإنما عدل عن الترك لما فيه من التمثيل والمبالغة وتحتمل الآية أن يكون مجيئه على المقابلة لما وقع في كلام الكفرة»[2].

الرد:

١ - هذا تأويل سار فيه على نهج سلفه الأشاعرة، والصواب إثبات صفة الحياء لله كما جاءت بها النصوص. لا أن نأوله بالترك أو المنع أو من باب المقابلة فلا حاجة لهذا التأويل بل القول في الحياء كالقول في سائر صفاته سبحانه تثبت مع نفي المماثلة لمخلوقاته.

وقد ورد في «الصحيحين» عن أبي واقد الليثي أن رسول الله ﷺ كان جالساً في المسجد والناس معه إذ أقبل ثلاثة نفر فأقبل إثنان إلى رسول الله ﷺ فأما أحدهما فرأى فرجة في الحلقة فجلس فيها وأما الآخر فجلس خلفهم، وأما الثالث فأدبر ذاهباً. فلما فرغ رسول الله ﷺ قال: «**ألا أخبركم عن النفر الثلاثة أما أحدهم فأوى إلى الله فآواه الله وأما الآخر فاستحيا فاستحيا**

---

(١) رواه الترمذي برقم (٣٥٥٦).

(٢) «أنوار التنزيل» (١/ ٤٩).

الله منه وأما الآخر فأعرض فأعرض الله عنه»[1].

٩ـ صفة الرحمة:

١ - في قوله تعالى: ﴿ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾ [الفاتحة:٣].

«اسمان بنيا للمبالغه من رحم، كالغضبان من غضب والعليم من علم والرحمة في اللغة رقة القلب وانعطاف يقتضي التفضل والإحسان ومن الرحم لانعطافها على ما فيها. وأسماء الله تعالى إنما تؤخذ باعتبار الغايات التي هي أفعال دون المبادئ التي تكون إنفعالات»[2].

الرد:

فهذا تأويل من البيضاوي، بل لابد من إثبات رحمة الله سبحانه وتعالى، فهذا شأن المأولين الذين جعلوا حبه ورحمته عبارة عما يخلقه من النعمة وهذا باطل ومنهم من جعل حبه ورحمته هي إرادته ونفي أن تكون له صفات هي الحب والرضا والرحمة والغضب غير الإرادة. لأن اثباتها تشبيه لأن الرحمة رقة تلحق المخلوق والرب ينزه عن ذلك.

وأهل السنة والجماعة يثبتون لله صفاته كلها ومنها صفة الرحمة لأن الكتاب دل عليها وكذلك السنة والفطرة.

قال تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلۡغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ﴾ [يونس:١٠٧] هذا بالإسم وتارة بالصفة كقوله: ﴿وَرَبُّكَ ٱلۡغَفُورُ ذُو ٱلرَّحۡمَةِ﴾ [الكهف:٥٨]. وتارة بالفعل كقوله تعالى: ﴿يُعَذِّبُ مَن يَشَآءُ وَيَرۡحَمُ مَن يَشَآءُ﴾ [العنكبوت:٢١] وتارة باسم التفضيل كقوله: ﴿وَهُوَ أَرۡحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ﴾ [يوسف:٦٤].

وأما السنة فمنها:

ما رواه عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال قدم على النبي ﷺ سبي فإذا إمرأة من السبي

(١) «فتح الباري» (كتاب العلم) (١/ ٢٧٦) ومسلم بشرح النووي كتاب السلام باب الجلوس بالمجلس(٥/ ١٥٨).

(٢) «أنوار التنزيل» (١/ ١٣).

تحلب ثديها تسقي إذ وجدت صبياً في السبي أخذته فألصقته ببطنها وأرضعته فقال لنا النبي ﷺ «**أترون هذه طارحة ولدها في النار؟**» **قلنا** لا وهي تقدر على أن لا تطرحه فقال: «**لله أرحم بعباده من هذه بولدها**»[(١)].

فرحمة الله قد وسعت كل شيء، وفي هذا إثبات كمال الرحمة وأنها حقيقة لا مجاز.

فرحمة الله ليست كرحمة العباد لأن الله يقول: ﴿رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَىْءٍ رَّحْمَةً وَعِلْمًا﴾ [غافر:٧] هذا قول الملائكة.

فيدل هذا على أن كل شيء وصله علم الله فإن رحمته وصلت إليه لأن الله قرن بينهما في الحكم. وهذه هي الرحمة العامة لجميع المخلوقات لأن الله قرن الرحمة هذه مع العلم فكل ما بلغه العلم وعلم الله بالغ لكل شيء فقد بلغته رحمته فكما يعلم الكافر يرحم الكافر أيضاً لكن رحمتة رحمة جسديه بدنية دنيوية قاصره غاية القصور بالنسبة لرحمة المؤمن. فرحمة المؤمنين رحمه أخص لأنها رحمة إيمانية دينية دنيوية[(٢)].

١٠ـ الغضب:

١ – في قوله تعالى: ﴿غَيْرِ ٱلْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا ٱلضَّآلِّينَ﴾ [الفاتحة:٧].

قال: «الغضب ثوران النفس إرادة الإنتقام فإذا أسند إلى الله تعالى أريد به المنتهى والغاية على ما مر»[(٣)].

التعليق:

هذا تأويل من البيضاوي لصفة الغضب حيث قال إذا اسند إلى الله أريد به المنتهى والغاية ومعنى هذا إرادة الإنتقام. لأن الأعراض النفسانية كالرحمة والغضب والفرح والسرور

(١) «فتح الباري» (كتاب الأدب) (١٣/ ٥٣٤).

(٢) انظر «شرح الواسطية» لابن عثيمين (١/ ٢٤٩).

(٣) «أنوار التنزيل» (١/ ١٧).

والحياء والمكر والخداع والإستهزاء لها أوائل وغايات. فإذا وصف الله بشيء منها يكون محمولاً على الغايات لا على البدايات لأن البدايه هي ثوران النفس والغاية هي إرادة الإنتقام هذا كما يزعمه المتأولون.

وإلا فإن الغضب صفة ثابتة لله سبحانه وتعالى وهي صفة فعلية.

قال تعالى: ﴿ وَمَن يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُّتَعَمِّدًا فَجَزَآؤُهُۥ جَهَنَّمُ خَٰلِدًا فِيهَا وَغَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُۥ ﴾ [النساء:٩٣].

وقوله تعالى: ﴿ فَلَمَّآ ءَاسَفُونَا ٱنتَقَمْنَا مِنْهُمْ ﴾ [الزخرف:٥٥].

ومعنى آسفونا: أي أغضبونا وأسخطونا.

فالله تعالى قد فرق بين الغضب والإنتقام لأن الإنتقام نتيجة الغضب فالغضب والسخط والكره والمقت والأسف هي صفات لله على ما يليق به تعالى ولا يلزم منها ما يلزم في المخلوق فلا حاجة لنفيها أو تأويلها بالإرادة كما هو الشأن عند الأشاعرة.

وأما من السنة:

فمنها ما ورد في حديث الشفاعة يقول كل من أُولي العزم من الرسل مع آدم: «**إن ربي قد غضب اليوم غضباً لم يغضب مثله ولا يغضب بعده مثله**»[1].

- قال الشيخ الهراس في تفسيره لقوله تعالى: ﴿ وَمَن يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُّتَعَمِّدًا فَجَزَآؤُهُۥ جَهَنَّمُ خَٰلِدًا فِيهَا وَغَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُۥ ﴾ [النساء:٩٣] تضمنت هذه الآيات إثبات بعض صفات الفعل لله من الرضا والغضب واللعن والكره والسخط والمقت والأسف وهي عند أهل الحق صفات حقيقية لله عز وجل على ما يليق به ولا تشبه ما يتصف به المخلوق من ذلك..»[2].

---

(١) «مسلم بشرح النووي» كتاب الايمان باب الشفاعه (١/ ٦٧).

(٢) «شرح الواسطية» للهراس ص (٥٤) توزيع الجامعه الإسلاميه ط ٤.

١٢ـ المحبة:

١ – في قوله تعالى: ﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَندَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ ٱللَّهِ ﴾ [البقرة:١٦٥].

قال: «المحبة ميل القلب من الحب استعير لحبة القلب ثم اشتق منه الحب لأنه أصابها ورسخ فيها.

ومحبة العبد لله تعالى إرادة طاعته والإعتناء بتحصيل مراضيه.

ومحبة الله للعبد: إرادة إكرامه واستعماله في الطاعة وصونه عن المعاصي»[١].

٢ – في قوله تعالى: ﴿إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ ﴾ [آل عمران:٣١].

قال: «العبد إذا علم أن الكمال الحقيقي ليس إلاّ لله وأن كل ما يراه كمالاً من نفسه أو غيره فهو من الله وبالله وإلى الله لم يكن حبه إلاّ لله وذلك يقتضي إرادة طاعته والرغبة فيما يقربه إليه فلذلك فسرت المحبة بإرادة الطاعة وجعلت مستلزمة لاتباع الرسول في عبادته والحرص على مطاوعته ﴿يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ ﴾ أي: يرضى عنكم »[٢].

٣ – في قوله تعالى: ﴿فَسَوْفَ يَأْتِى ٱللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُۥٓ ﴾ [المائدة:٥٤].

قال: «ومحبة الله تعالى للعباد إرادة الهدى والتوفيق لهم في الدنيا وحسن الثواب في الآخرة ومحبة العباد له إرادة طاعته والتحرز عن معاصيه»[٣].

الرد:

يرى البيضاوي أن المحبة لله هي إرادة طاعته ومحبة الله لعبده هي إرادة الهدى والإحسان وهذا هو مذهب الأشاعره.

(١) «أنوار التنزيل» (١/ ١٠٤).

(٢) نفس المصدر (١/ ١٦١).

(٣) نفس المصدر (١/ ٢٧٤).

وأما المحبة فهي صفة ثابتة لله سبحانه وتعالى دلت عليها نصوص الكتاب والسنه والعقل والفطرة.

قال تعالى: ﴿وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلصَّٰبِرِينَ﴾ [آل عمران:١٤٦].

وقوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلتَّوَّٰبِينَ وَيُحِبُّ ٱلْمُتَطَهِّرِينَ﴾ [البقرة:٢٢٢].

وقوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ مَن كَانَ مُخْتَالًا فَخُورًا﴾ [النساء:٣٦].

وكذلك محبة العباد لربهم ثابته على الحقيقة وليست مجرد إرادة طاعته لان الطاعة دليل المحبه قال تعالى ﴿فَسَوْفَ يَأْتِى ٱللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُۥٓ﴾ [المائده : ٥٤].

وأما من السنة:

قوله ﷺ: «**ثلاث من كن فيه وجد بهن حلاوة الإيمان: أن يكون الله ورسوله أحب إليه مما سواهما وأن يحب المرء لا يحبه إلاّ لله وأن يكره أن يعود في الكفر - بعد إذ أنقذه الله منه - كما يكره أن يلقى في النار**»[1].

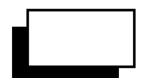
- وقوله ﷺ: «**إذا أحب الله العبد دعا جبريل فقال: إني أحب فلاناً فأحبه فيحبه جبريل ثم ينادي في السماء فيقول: إن الله يحب فلاناً فأحبوه فيحبه أهل السماء ثم يوضع له القبول في الأرض**»[2].

وغيرها من الأحاديث وأدعية الرسول ﷺ التي تبين حب الله لبعض عباده على الحقيقة وحب العبد لربه.

وليس في إثبات المحبة لله نقصاً أو تشبيه لأن صفات الخالق ليست كصفات المخلوق.

(١) «فتح الباري» (كتاب الإيمان) (باب حلاوة الإيمان) (١/ ١١٧)، و«مسلم بشرح النووي» في (خصال الإيمان) ص (١/ ١٣/ ٤٣).

(٢) «فتح الباري» (كتاب التوحيد) (باب كلام الرب مع جبريل ونداء الله الملائكه) (١٧/ ٤٩٦)، و«مسلم بشرح النووي» في (البر والصله) (باب إذا أحب الله عبداً أحببه إلى عباده) (٦/ ١٨٤).



وأهل السنة والجماعة يثبتون هذه المحبة على الحقيقة لا كما ينفيها المعطلة أو يؤلونها.

قال ابن القيم عن المحبة وإثباتها:

«والناس في إثبات ذلك ونفيه أربعة أقسام:

– فأهل: يحبهم ويحبونه على إثبات الطرفين وأن محبة العبد لربه فوق كل محبة تقدر ولا نسبة لسائر المحاب إليها وهي حقيقة «لا إله إلا الله» وكذلك عنده محبة الرب لأوليائه وأنبيائه ورسلة صفة زائدة على رحمته وإحسانه وعطائه.

– والجهمية كالمعطلة هؤلاء فإنه عندهم لا يُحِبّ ولا يُحَبّ ولم يمكنهم تكذيب النصوص فأولوا نصوص محبة العباد له على محبة طاعته وعبادته ... والثواب المنفصل عندهم هو المحبوب لذاته والرب تعالى محبوب لغيره حب الوسائل، وأولوا نصوص محبته لهم بإحسانه إليهم وإعطائهم الثواب... وربما أولوها بإرادته لذلك فتارة يؤلونها بالمفعول المنفصل وتارة يؤولونها بنفس الإرادة ....

– ومن جعل محبته للعبد ثناءه عليه ومدحه له ردها إلى صفة الكلام فهي عنده من صفات الذات لا من صفات الأفعال.

والفعل عنده نفس المفعول فلم يقم بذات الرب محبة لعبده ولا لأنبيائه ورسله ألبتة.

– ومن ردها إلى صفة «الإرادة» جعلها من صفات الذات باعتبار أصل الإرادة ومن صفات الأفعال باعتبار تعلقها.

ولما رأى هؤلاء أن المحبة إرادة وأن الإراده لا تتعلق إلاّ بالمحدث المقدور والقديم يستحيل أن يراد أنكروا محبة العباد والملائكه والأنبياء والرسل له ... فأنكروا خاصة الإلهية وخاصة العبودية واعتقدوا أن هذا من موجبات التوحيد والتنزيه .... وجميع طرق الأدله عقلاً ونقلاً وفطرة وقياساً واعتبار، وذوقاً ووجداً تدل على إثبات محبة العبد لربه والرب

لعبده»[1].

وقال ابن تيمية:

«وقد أجمع سلف الأمة وأئمتها على إثبات محبة الله تعالى لعباده المؤمنين ومحبتهم له وهذا أصل دين الخليل إمام الحنفاء عليه السلام»[2].

١٣ـ الوجه:

١- في قوله تعالى: ﴿وَلِلَّهِ ٱلْمَشْرِقُ وَٱلْمَغْرِبُ ۚ فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا۟ فَثَمَّ وَجْهُ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ﴾ [البقرة:١١٥].

قال: «﴿فَثَمَّ وَجْهُ ٱللَّهِ﴾ أي: جهته التي أمر بها فإن إمكان التولية ليس يختص بمسجد أو مكان أو (فثم) ذاته أي هو عالم مطلع بما يفعل فيه»[3].

٢- في قوله تعالى: ﴿وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ ذُو ٱلْجَلَٰلِ وَٱلْإِكْرَامِ﴾ [الرحمن:٢٧].

قال: «﴿وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ﴾ ذاته ولو استقريت جهات الموجودات وتفحصت وجوهها وجدتها بأسرها فانية في حد ذاتها إلاّ وجه الله..»[4].

٣- وقوله تعالى: ﴿كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُۥ﴾ [القصص:٨٨].

قال: «إلا ذاته فإن ما عداه ممكن هالك في حد ذاته معدوم»[5].

الرد:

تأول البيضاوي الوجه بالذات وهذا مذهب سلفه الأشاعرة. الذين ينفون الصفات

(١) «مدارج السالكين» (٣/ ٤٥٠-٤٥٢).

(٢) «مجموع الفتاوى» (٢/ ٣٥٤).

(٣) «أنوار التنزيل» (١/ ٨٨).

(٤) نفس المصدر (٢/ ١٠٣٤).

(٥) نفس المصدر (٢/ ٧٩٣).

الخبرية بحجة أن إثباتها لله يقتضي التجسيم لأنها أبعاض وأجزاء لا تكون إلاّ للأجسام والله ليس بجسم.

وأما أهل السنة والجماعة فهم يثبتون لله صفاته كما أثبتها الله فيؤمنون بأن لله وجهاً يليق بجلاله تعالى، والوجه معلوم معناه لكن كيفيته مجهولة لا نعلم كيف وجه الله كسائر صفاته إلاّ أنه موصوف بالجلال والإكرام والبهاء والعظمة والنور والوجه من الصفات الذاتية الخبرية.

وأثبته الله في أيات من كتابه الكريم ومن هذه الآيات:

- قوله تعالى: ﴿وَمَا لِأَحَدٍ عِندَهُۥ مِن نِّعْمَةٍ تُجْزَىٰٓ . إِلَّا ٱبْتِغَآءَ وَجْهِ رَبِّهِ ٱلْأَعْلَىٰ﴾ [الليل: ١٩-٢٠].

- وكذلك حديث الرسول ﷺ فقال: «**حجابه النور لو كشفه لأحرقت سبحات وجهه ما انتهى إليه بصره من خلقه**»[١].

قال ابن القيم في رده على من نفى الوجه أو تأوله:

«إنه لا يعرف في لغة من لغات الأمم وجه الشيء بمعنى ذاته ونفسه وغاية ما شبه به المعطل وجه الرب أن قال: وهو كقوله وجه الحائط ووجه الثوب ووجه النهار ووجه الأمر فيقال هذا المعطل المشبه: ليس الوجه في ذلك بمعنى الذات بل هذا مبطل لقولك. فإن وجه الحائط أحد جانبيه فهو مقابل لدبره ومثل هذا وجه الكعبة ودبرها فهو وجه حقيقة ولكنه بحسب المضاف إليه فلما كان المضاف إليه بناء كان وجهه من جنسه وكذلك وجه الثوب أحد جانبيه وهو من جنسه .... والوجه في اللغه مستقبل كل شيء لأنه أول ما يواجه منه ووجه الرأي والأمر ما يظهر أنه صوابه وهو في كل محل بحسب ما يضاف إليه فإن أضيف إلى زمن كان الوجه زمناً وإن أضيف إلى الحيوان كان بحسبه ... وإن أضيف إلى من ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ﴾ كان وجهه تعالى كذلك»[٢].

(١) «مسلم بشرح النووي» (ما جاء في رؤية الله -عز وجل-) (١/ ١٢/ ١٧٩).

(٢) «مختصر الصواعق» (٥٣٣).

ثم قال في الوجه السادس عشر:

«إن الصحابه والتابعين وجميع أهل السنة والحديث والأئمة الأربعة وأهل الإستقامة من أتباعهم متفقون على أن المؤمنين يرون وجه ربهم في الجنة وهي الزيادة التي فسر بها النبي ﷺ والصحابة ﴿لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا۟ ٱلْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ﴾ [يونس:٢٦] فروى مسلم في «صحيحه» بإسناده عن النبي ﷺ في قوله: ﴿لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا۟ ٱلْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ﴾ قال: «**النظر إلى وجه الله**»[(١)]. فمن أنكر حقيقة الوجه لم يكن للنظر عنده حقيقة ولا سيما إذا أنكر الوجه والعلو فيعود النظر عنده إلى خيال مجرد»[(٢)].

وهذا ما هو حاصل للمنكرين لهذه الصفة فمنهم من نفى الرؤية بالكلية كالمعتزلة ومنهم من أثبتها أي أنها جائزة ولكن على تأويل منهم بلا كيف ولا جهة كالاشاعرة. وما كان بلا كيف ولا جهة ولا شعاع ولا إتصال فلا يمكن أن يرى لأنه كالمعدوم.

١٤ـ اليد:

١ – في قوله تعالى: ﴿وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ يَدُ ٱللَّهِ مَغْلُولَةٌ ۚ غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ وَلُعِنُوا۟ بِمَا قَالُوا۟ ۘ بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ يُنفِقُ كَيْفَ يَشَآءُ﴾ [المائدة:٦٤].

قال: «أي هو ممسك يقتر بالرزق وغل اليد وبسطها مجاز عن البخل والجود ولا قصد فيه إلى إثبات يد وغل وبسط..»[(٣)].

٢ – في قوله تعالى: ﴿ قَالَ يَٰٓإِبْلِيسُ مَا مَنَعَكَ أَن تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَىَّ ﴾ [ص:٧٥].

قال: «خلقته بنفسي من غير توسط كأب وأم والتثنية لما في خلقه من مزيد القدرة واختلاف الفعل»[(٤)].

(١) «مسلم بشرح النووي» في (إثبات رؤية المؤمنين في الآخره لربهم -سبحانه-) (١/ ١٦/ ١٨١).

(٢) «مختصر الصواعق» (ص٥٣٧).

(٣) «أنوار التنزيل» (١/ ٢٧٧).

(٤) نفس المصدر (٢/ ٩٠٥).

٣- وفي قوله تعالى: ﴿وَمَا قَدَرُواْ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦ وَٱلْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَٱلسَّمَٰوَٰتُ مَطْوِيَّٰتُۢ بِيَمِينِهِۦۚ سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾[الزمر:٦٧].

قال: «﴿وَٱلْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَٱلسَّمَٰوَٰتُ مَطْوِيَّٰتُۢ بِيَمِينِهِۦ﴾ تنبيه على عظمته وحقارة الأفعال العظام التي تتحير فيها الأوهام بالإضافة إلى قدرته ودلالة على أن تخريب العالم أهون شيء على طريقة التمثيل والتخييل من غير اعتبار القبضه واليمين حقيقة ولا مجازاً كقولهم شابت لمة الليل»[1].

الرد:

نرى البيضاوي قد تأول هذه الصفة ففي الآية الأولى جعل الغل والبسط لليد مجاز وفي الثانية علل تثنية اليد مما في خلقه من مزيد القدرة وفي الآية الثالثه جعل طي السموات بيمنه تعالى مجرد تمثيل وتخييل لا حقيقة لها ولا قبضة ولا يمين فهذا مذهب أهل التأويل في إنكار صفات الله.

والحق أن اليدين صفة ذاتية لله سبحانه وتعالى على ما يليق بجلاله وهي ثابتة لله بالكتاب والسنة.

قال ﷺ: «**المقسطون عند الله على منابر من نور عن يمين الرحمن وكلتا يديه يمين**»[2].

والأدلة على ذلك كثيرة ولا يجوز حملها على المجاز أو القدرة أو النعمة.

قال ابن القيم:

«إن اطّراد لفظها في موارد الإستعمال وتنوع ذلك وتصريف استعماله يمنع المجاز ألا ترى إلى قوله تعالى: ﴿خَلَقْتُ بِيَدَيَّ﴾ [ص:٧٥] وقوله: ﴿بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ﴾ [المائدة:٦٤] وقوله: وَمَا قَدَرُواْ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦ وَٱلْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَٱلسَّمَٰوَٰتُ مَطْوِيَّٰتُۢ بِيَمِينِهِۦۚ سُبْحَٰنَهُۥ

(١) نفس المصدر (٢/ ٩١٩).

(٢) «مسلم بشرح النووي» (فضيلة الأمير العادل) ص (٤/ ٢١١/ ١٨٢٧).

وَتَعَالَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴾ [الزُّمَر:٦٧] فلو كان مجازاً في القدرة والنعمة لم يستعمل منه لفظ يمين وقوله في الحديث الصحيح: «**المقسطون عند الله على منابر من نور عن يمين الرحمن وكلتا يديه يمين**»[(١)].

فلا يقال هذا يد النعمة والقدرة.

وقوله: «**يقبض الله سمواته بيده والأرض باليد الأخرى ثم يهزهن ثم يقول أنا الملك**»[(٢)].

فهنا هز وقبض وذكر يدين ولما أخبرهم الرسول ﷺ جعل يقبض يديه ويبسطها تحقيقاً للصفة لا تشبيهاً لها»[(٣)].

ثم بين رحمه الله أن اقتران اللفظ بالطي والقبض والإمساك باليد يصيرها حقيقة بخلاف المجاز ثم إن المجاز لا يستعمل بلفظ التثنيةولا يستعمل الا منفرداً أو مجموعاً. كقولك له عندي يد وله عندي أياد ثم ليس المعهود أن يطلق الله على نفسه معنى القدرة والنعمة بلفظ التثنية بل بلفظ الإفراد الشامل لجميع الحقيقه، كقوله تعالى: ﴿أَنَّ ٱلْقُوَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا ﴾ [البقرة:١٦٥][(٤)].

إذاً فاليد صفة ثابتة لله بالكتاب والسنة على الحقيقةبل أثبتت السنه أيضاً الأصابع بقوله ﷺ: «**إن قلوب بني آدم كلها بين إصبعين من أصابع الرحمن كقلب واحد يصرفه حيث يشاء**»[(٥)].

---

(١) سبق تخريجه ص(٢٢٠).

(٢) «فتح الباري» (كتاب التوحيد) (باب ١٩) (١٧/ ٣٦٩)، و«مسلم بشرح النووي» (كتاب صفة القيامة) (٦/ ١٣١).

(٣) «مختصر الصواعق» ص (٥١٢).

(٤) انظر نفس المصدر ص (٥١٣-٥١٤) بتصرف واختصار.

(٥) «مسلم بشرح النووي» (تصريف الله القلوب كيف يشاء) (٦/ ٢٠٤).

١٥ـ صفة العين:

١ - في قوله تعالى: ﴿وَٱصۡنَعِ ٱلۡفُلۡكَ بِأَعۡيُنِنَا وَوَحۡيِنَا﴾ [هود:٣٧].

قال: «ملتبساً بأعيننا عبر بكثرة آلة الحس الذي يحفظ به الشيء ويراعي عن الإختلال والزيغ عن المبالغة في الحفظ والرعاية على طريق التمثيل»[١].

الرد:

هذا تأويل من البيضاوي حيث جعل الجمع في «بأعيننا» مجرد تمثيل للمبالغة عن الحفظ.

والصواب الذي عليه سلف الأمة هو إثبات صفة العين لله سبحانه وتعالى كما جاءت في الكتاب والسنة.

وهي صفة ذاتية خبرية تثبت له كما يليق بجلاله دون تمثيل أو تعطيل قال تعالى عن موسى: ﴿وَأَلۡقَيۡتُ عَلَيۡكَ مَحَبَّةً مِّنِّي وَلِتُصۡنَعَ عَلَىٰ عَيۡنِيٓ﴾ [طه:٣٩] وقال تعالى: ﴿وَٱصۡبِرۡ لِحُكۡمِ رَبِّكَ فَإِنَّكَ بِأَعۡيُنِنَا﴾ [الطور:٤٨].

وجاءت السنة بإثبات العين لله في حديث الرسول ﷺ في وصف الدجّال فقال: «**إن الله لا يخفى عليكم إن الله ليس باعور وأشار بيده إلى عينه وإن المسيح الدجال أعور عين اليمنى كأن عينه عنبة طافية**»[٢].

قال ابن عثيمين في شرحة للواسطية:

«وقد دل الحديث الصحيح عن رسول الله ﷺ أن لله عينين إثنتين فقط حين وصف الدجال وقال: «**إنه أعور وإن ربكم ليس بأعور وفي لفظ أعور العين اليمنى**» ... ولا يقال (أعور) باللغة العربية إلا لعور العين أما إذا قيل (عور) أو (عوار) فربما يراد به مطلق العيب.

(١) «أنوار التنزيل» (١/ ٤٥٨)

(٢) «الفتح» كتاب التوحيد باب ١٧ (١٧/ ٣٦٢) و«مسلم بشرح النووي» ذكر المسيح بن مريم والمسيح الدجال (١/ ٢٣٦).

وهذا الحديث يدل على أن لله عينين اثنتين فقط ووجه الدلالة أنه لو كان لله أكثر من اثنتين لكان البيان به أوضح من البيان بالعور لأنه لو كان أكثر من عينين لقال : إن ربكم له أعين لأنه لو كان له أعين أكثر من أثنتين صار وضوح أن الدجال ليس برب أبين....» [1].

وجاءت صفة العين بالافراد والجمع وبالتثنية في حديث الرسول ﷺ.

ولا تنافي بين ذلك لأن المفرد المضاف يعم فيشمل كل ما ثبت لله من عين وأما الجمع فيقال إن كان أقل الجمع اثنين فلا منافاة لأننا نقول هذا الجمع دال على اثنين وإن كان اقل الجمع ثلاثة فإن هذا الجمع لا يراد به الثلاثة وإنما يراد به التعظيم [2].

ومثل هذا يقال في اليد التي جاءت بالمفرد والتثنية والجمع.

فهي صفات ذاتية لله تثبت له كسائر صفاته وليس في إثباتها تشبيه لخلقه كما يدعيه النافون لهذه الصفات.

١٦ـ النور:

١ – في قوله تعالى: ﴿ٱللَّهُ نُورُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ مَثَلُ نُورِهِۦ كَمِشْكَوٰةٍ﴾ [النور:٣٥].

قال: ﴿ٱللَّهُ نُورُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ [النور:٣٥] النور في الأصل كيفية تدركها الباصرة أولاً وبواسطتها سائر المبصرات كالكيفية الفائضة من النيرين على الأجرام الكثيفة المحاذية لهما وهو بهذا المعنى لا يصح إطلاقه على الله تعالى إلا بتقدير مضاف كقولك: زيد كرم بمعنى ذو كرم، أو على تجوز إما بمعنى منور السموات والأرض وقد قرئ به فإنه تعالى نورهما بالكواكب وما يفيض عنها من الأنوار أو بالملائكة والأنبياء. أو مدبرهما من قولهم للرئيس الفائق في التدبير: نور القوم لأنهم يهتدون به في الأمور.

---

(١) ص (١/ ٣١٢).

(٢) انظر شرح الواسطيه لابن عثيمين (١/ ٣٢١).

أو موجدهما فإن النور ظاهر بذاته مظهر لغيره...»[1].

الرد:

نفهم من كلام البيضاوي انه لا يثبت أن النور صفة لله بل تأولها إما بمعنى منور السموات والأرض، أو مدبرهما، أو موجدهما.

والحق أن صفة النور ثابتة لله عز وجل كسائر صفاته، أثبتها الله لنفسه وأثبتها رسوله ﷺ.

فقال ابن القيم:

«في قوله تعالى: ﴿ٱللَّهُ نُورُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ [النور:٣٥] ومن أسمائه النور وقالت المعطله ذلك مجاز معناه منور السموات والأرض بالنور المخلوق، قالوا ويتعين المجاز لأن كل عاقل يعلم بالضرورة أن الله تعالى ليس هو هذا النور المنبسط على الجدران وهو النور الفائض من جرم الشمس والقمر والنار فإما أن يكون مجازه منور السموات والأرض، أو هادي أصلهما وبطلان هذا بوجوه:

١ - أن النور جاء في أسمائه تعالى، وهذا الإسم مما تلقته الأمة بالقبول وأثبتوه في أسمائه الحسنى وهو حديث أبي هريرة والذي رواه الوليد بن مسلم ومن طريقه رواه الترمذي والنسائي ولم ينكره أحد من السلف ولا أحد من أئمة أهل السنةومحال أن يسمي نفسه نوراً وليس له نور ولا صفة النور ثابتلة، كما أن من المستحيل أن يكون علياً قديراً سميعاً بصيراً ولا علم له ولا قدرة بل صحة هذه الأسماء عليه مستلزمة لثبوت معانيها له وانتفاء حقائقها عنه مستلزم لنفيها عنه والثاني باطل قطعاً فتعين الأول.

٢ - الوجه الثاني: أن النبي ﷺ لما سأله أبو ذر هل رأيت ربك؟ قال: «**نور أنى آراه**» رواه مسلم في صحيحه»[2].

(١) «أنوار التنزيل» (٢/ ٧٢٠).

(٢) سبق تخريجه ص(٢٢٤).

وفي الحديث قولان:

أحدهما: أن معناه ثم نور أي فهناك نور منعني رؤيته ويدل على هـذا المعنـى الـذي رآه هـو الذي حال بينه وبين رؤية الذات.

الثاني: قوله في حديث أبي موسى: «**إن الله لا ينـام ولا ينبغـي لـه أن ينـام يخفـض القسـط ويرفعه يرفع إليه عمل الليل قبل عمل النهار وعمل النهار قبل عمـل الليـل حجابـه النـور لـو كشفه لأحرقت سبحات وجهه ما إنتهى إليه بصره من خلقه**»[1].

دعاء الرسول ﷺ يوم آذاه أهل الطائف فقـال: «**أعـوذ بنـور وجهـك الـذي أشرقـت لـه الظلمات وصلح عليه أمر الدنيا والآخره أن يحـل بي غضـبك أو ينـزل بي سـخطك لـك العتبـى حتى ترضى ولا حول ولا قوة إلا بالله**»[2].

- وعن ابن مسعود قال: «إن ربكم ليس عنده ليل ولا نهار نور العرش من نور وجهه»[3].

فالقرآن والسنة وأقوال الصحابة رضي الله عنهم متطابقه وتصرح بالفرق بين النـور الـذي هو صفته والنور الذي هو خلق من خلقه.

****

---

(١) «مسلم بشرح النووي» (ما جاء في رؤية الله) (٢/ ١٣/ ١٧٩).

(٢) ذكره الحافظ الهيثمي في "المجمع"ص(٦/ ٣٥).وقال:فيه إسحاق وهومـدلس ثقـة وبقيـة رجالـه ثقـات. وضعفه الألباني في"ضعيف الجامع"برقم(١٢٨٠).

(٣) «تفسير ابن كثير» (٣/ ٣٨٤).

الفصل السادس

الايمان

المبحث الأول : تعريفه وذكر مسائله

المبحث الثاني: تقرير البيضاوي للإيمان و مسائله

المبحث الأول
تعريفه وذكر مسائله

(١) أقوال الطوائف في الإيمان:

اختلفت الطوائف في حقيقة الإيمان إلى عدة أقوال نذكرها إجمالاً:

١) قول أهل السنة والجماعة:

أن الإيمان اعتقاد بالقلب وقول باللسان وعمل بالجوارح يزيد بالطاعة وينقص بالمعصية وجوزوا الإستثناء في الإيمان.

وأما مرتكب الكبيرة فهو مؤمن بإيمانه وفاسق بكبيرته وفي الآخرة تحت المشيئة إن شاء عذبه، وإن شاء غفر له[1].

٢) قول الوعيدية من الخوارج والمعتزلة:

أن الإيمان اعتقاد بالقلب ونطق باللسان وعمل بالجوارح وافقوا أهل السنة في هذا واختلفوا عنهم بأن الإيمان عندهم لا يتجزأ ولا يتبعض فإذا ذهب بعضه ذهب كله فلا يزيد ولا ينقص، ولهذا حكموا بأن صاحب الكبيرة كافر عند الخوارج وفي منزلة بين المنزلتين عند المعتزلة هذا في الدنيا وفي الآخرة فهو مخلد في النار عند الطائفتين[2].

٣) أقوال المرجئة على اختلاف فرقهم:

١) قول الجهمية والأشعرية:

أن الإيمان هو المعرفة بالله فقط والكفر هو الجهل بالله فقط[3].

---

(١) «مقالات الاسلامين» لأبي الحسن الأشعري (١٧).

(٢) «الملل والنحل» للشهرستاني (٤٢-٤٣)، و«المقالات» (٧٣).

(٣) «مقالات الإسلاميين» (١٦٤)، و«الملل والنحل» للشهرستاني (٢١١)، و«الفتاوى» (٧/ ١٨٨).

أو يقولون: هو التصديق بالقلب فقط[1]

وتابعهم على ذلك ابو الحسن الأشعري وأصحابه وهو القول المشهور له قال البغدادي في أصول الدين «قال أبوالحسن الأشعري أن الإيمان هو التصديق لله ولرسوله عليهم الصلاة والسلام ... والكفر عنده التكذيب»[2].

وله قول آخر وافق فيه أهل السنة والجماعة كما حكاه عن نفسه في كتاب المقالات عندما حكى مذهب أهل السنة والحديث وقال أنه يقول بكل ما قالوه بقوله «وبكل ما ذكرنا من قولهم نقول وإليه نذهب»[3].

(٢) قول الكرامية:

أن الإيمان قول اللسان دون تصديق القلب مع قولهم أن مثل هذا يعذب في الأخرة ويخلد في النار[4].

(٣) قول الماتريدية:

أن الإيمان هو ما في القلب وأن القول الظاهر شرط لثبوت أحكام الدنيا[5].

(٤) قول مرجئة الفقهاء وابن كلاب:

أن الايمان هو تصديق القلب وقول اللسان قال ابن تيمية: «وهؤلاء المعروفون مثل حماد بن أبي سليمان وأبي حنيفة وغيرهما من فقهاء الكوفة كانوا يجعلون قول اللسان واعتقاد القلب من الإيمان، وهو قول أبي محمد بن كلاب وأمثاله لم يختلف قولهم في ذلك ولا نقل عنهم أنهم

---

(١) «الفتاوى» (١٣/ ٥٦).

(٢) أصول الدين ص(١/ ٢٤٨)ط١ ١٣٤٦هـ.

(٣) ص(١٧٣).

(٤) «شرح حديث جبريل» (٣٧٨-٣٨٢).

(٥) «نفس المصدر والصفحه».

قالوا الإيمان مجرد تصديق القلب»[1].

أصل ضلال الفرق في الايمان:

كما ذكره ابن تيمية -رحمه الله- يرجع إلى سببين:

١) أنهم يرون مسمى الإيمان شيئاً واحداً لا يتعبض ولا يتجزأ ولا يزيد ولا ينقص فقال رحمه الله: «وأصل نزاع هذه الفرق في الايمان من الخوارج والمرجئة والمعتزلة والجهمية وغيرهم أنهم جعلوا الإيمان شيئاً واحداً إذا زال بعضه زال جميعه، وإذا ثبت بعضه ثبت جميعه فلم يقولوا بذهاب بعضه وبقاء بعضه.

٢) الأمر الثاني هو قولهم أنه لا يجتمع في الانسان الواحد طاعة ومعصية فقال :« ومن العجب أن الأصل الذي أوقعهم في هذا إعتقادهم أنه لا يجتمع في الإنسان بعض الإيمان وبعض الكفر أو ما هو إيمان وما هو كفر واعتقدوا أن هذا متفق عليه بين المسلمين»[2].

---

(١) «الفتاوى» (٧/ ٥٠٨)، و«الإيمان» (١٧٦).

(٢) «الإيمان» (٣١٦)، وكذلك انظر «شرح حديث جبريل» (٣٨٥)، و«شرح الأصفهانية» (١٣٧)، «الفرقان بين الحق والباطل» ضمن «الفتاوى» (١٣/ ٤٨).

الإيمان عند أهل السنة والجماعة:

تعريف الإيمان لغة وشرعاً:

لغة:

آمن به إيماناً: صدقه.

«والإيمان: الثقة وإظهار الخضوع وقبول الشريعة»[(١)].

وقال الراغب الأصفهاني في المفردات «وآمن إنما يقال على وجهين:

١) **أحدهما**: متعدياً بنفسه، يقال أمنته أي جعلت له الأمن ومنه قيل لله مؤمن.

٢) **الثاني** غير متعد، ومعناه صار ذا أمن»[(٢)].

وقال ابن تيمية -رحمه الله- «فإن اشتقاقه من الأمن الذي هو القرار والطمأنينة وذلك إنما يحصل إذا استقر في القلب التصديق والإنقياد»[(٣)].

وقال ابن كثير -رحمه الله- «أما الإيمان في اللغة فيطلق على التصديق المحض وقد يستعمل في القرآن والمراد به ذلك كما في قوله -تعالى- ﴿يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَيُؤْمِنُ لِلْمُؤْمِنِينَ﴾[التوبة:٦١]. وكما قال إخوة يوسف لأبيهم ﴿وَمَآ أَنتَ بِمُؤْمِنٍ لَّنَا وَلَوْ كُنَّا صَـٰدِقِينَ﴾.

وكذلك إذا استعمل مقروناً مع الأعمال كقوله -تعالى- ﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ﴾[(٤)]. هذا المعنى اللغوي للإيمان وأما معناه الشرعي فليس معناه التصديق فقط بل هو تصديق وعمل.

قال ابن عثيمين:"الإيمان في اللغة :الإقرار بالشيء عن تصديق به بدليل أنك تقول آمنت بكذا،وأقررت بكذا،وصدقت فلاناً،ولاتقول آمنت فلاناً إذاً،فالإيمان يتضمن معنى زائداً على مجرد التصديق،وهو الإقرار والإعتراف المستلزم للقبول للأخبار والإذعان للأحكام"[(٥)].

---

(١) «القاموس المحيط» للفيروز آبادي (٦٢).

(٢) «مفردات القرآن» (٩٠).

(٣) «الصارم المسلول على شاتم الرسول» (٣/ ٩٦٧) ت. محمد الحارثي ومحمد شودري.

(٤) «تفسير القرآن العظيم» (١/ ٥٩).

(٥) شرح الواسطية لابن عثيمين ص(١/ ٥٤)ط٣ دارابن الجوزي.

الإيمان شرعاً:

قال الأصفهاني: الايمان يستعمل تارة إسماً للشريعة التي جاء بها محمد ﷺ .. ويوصف به كل من دخل شريعته مقراً بالله ونبوته ... وتارة يستعمل على سبيل المدح ويراد به إذعان النفس للحق على سبيل التصديق وذلك باجتماع ثلاثه أشياء تحقيق بالقلب وإقرار باللسان وعمل بحسب ذلك بالجوارح، وعلى هذا قوله -تعالى- ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦٓ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلصِّدِّيقُونَ﴾[الحديد، ١٩٠].

ويقال لكل واحد من الإعتقاد والقول الصدق والعمل الصالح إيمان قال -تعالى-: ﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَٰنَكُمْ﴾[البقرة، ١٤٣] أي صلاتكم. وجعل الحياء وإماطة الأذى من الإيمان»[١].

قال ابن تيمية:"إن الإيمان وإن كان يتضمن التصديق فليس هومجرد التصديق، وإنماهو الإقرار والطمأنينة وذلك لأن التصديق إنمايعرض للخبر فقط فأما الأمرفليس فيه تصديق من حيث هو أمر. وكلام الله خبر وأمر،فالخبريستوجب صدق المخبر،والأمريستوجب الإنقياد والإستسلام، وهوعمل في القلب جماعهُ الخضوع،والإنقيادللآمر،وإن لم يفعل المأموربه ، فإذا قوبل الخبر بالتصديق ، والأمربالإنقياد،فقدحصل أصل الإيمان في القلب وهوالطأنينة والإقرار، فإن إشتقاقه من الأمن الذي هوالإقراروالطأنينة،وذلك إنمايحصل إذا استقرفي القلب التصديق والإنقياد"[٢].

فالإيمان الشرعي لابد فيه من ثلاثة أركان هي التصديق بالقلب والإقرار باللسان والعمل بالجوارح، وقد أوضح أهل السنة والجماعة أنـه إذا اسـتعمل مقرونـاً بـالأعمال فهـو التصـديق والعمل ركنه الثاني وأما إذا استعمل مطلقاً فـالإيمان الشرـعي هـو الإعتقـاد بالقلـب والقـول باللسان والعمل بالجوارح قال بن كثير: «وأما إذا استعمل مطلقاً فالإيمان الشرعي المطلوب لا يكون إلا اعتقاداً وقولاً وعملاً هكذا ذهب إليه أكثر الأئمة بل قد حكـاه الشـافعي وأحمـد بـن حنبل وأبو عبيدة وغير واحد إجماعاً أن الإيمان قول وعمل يزيد وينقص»[٣]. والسلف الصـالح

(١) مفردات القران(٩٠)

(٢) الصارم المسلول على شاتم الرسول لابن تيمية ص(٣/ ٩٦٧).

(٣) «تفسير ابن كثير» (١/ ٥٩).

قد اتفقت كلمتهم أن الإيمان قول وعمل والقول يشمل قول القلب وقول اللسان وعمل القلب والجوارح.

وأما قول القلب فهو تصديقه وإقراره وإيمانه بالله -تعالى- وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر والقدر خيره وشره. وكل ما جاء به الرسول ﷺ.

وأما عمل القلب فهو الخشية من الله والإخلاص والانابة والتوبة والخوف والرجاء والتوكل وغيرها.

وقول اللسان: هو النطق بالشهادتين وعمل اللسان هو ما لا يؤدى إلا به كتلاوة القرآن، والذكر، والدعوة إلى الله وقراءة القرآن وكل العبادات القولية.

وعمل الجوارح: كالصلاة والصيام والحج والجهاد وغيرها.

الأدلة على الإيمان الشرعي:

وهو أن الإيمان قول وعمل، نذكر بعض من هذه الأدلة.

الأدلة من القرآن والسنة:

أولاً: قول القلب وهو تصديقه وإيقانه:

قال -تعالى-: ﴿ وَكَذَٰلِكَ نُرِىٓ إِبْرَٰهِيمَ مَلَكُوتَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَلِيَكُونَ مِنَ ٱلْمُوقِنِينَ ﴾ [الأنعام، ٧٥]

وقال -تعالى- ﴿ وَٱلَّذِى جَآءَ بِٱلصِّدْقِ وَصَدَّقَ بِهِۦٓ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُتَّقُونَ ﴾[الزمر، ٣٤].

وقال -تعالى- ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُواْ ﴾[الحجرات، ١٥]. أي صدقوا ثم لم يشكوا.

وقال -تعالى- عن المرتابين الشاكين ﴿يَقُولُونَ بِأَفْوَٰهِهِم مَّا لَيْسَ فِى قُلُوبِهِمْ ﴾ [آل عمران، ١٦٧].

وقال -تعالى- أيضاً عن المنافين ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ لَا يَحْزُنكَ ٱلَّذِينَ يُسَٰرِعُونَ فِى ٱلْكُفْرِ مِنَ



﴿ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ ءَامَنَّا بِأَفْوَٰهِهِمْ وَلَمْ تُؤْمِن قُلُوبُهُمْ﴾[المائده، ٤١].

وغيرها الكثير من الآيات.

وأما من السنة فقوله ﷺ

«**يخرج من النار من قال لا إله إلا الله وفي قلبه من الخير ما يزن شعيرة**»[١].

وقوله ﷺ «**أسعد الناس بشفاعتي يوم القيامة من قال : لا إله إلا الله خالصاً من قلبه أو نفسه**»[٢].

قوله ﷺ لأبي هريرة -رضي الله عنه-: «**من لقيت من وراء هذا الحائط يشهد أن لا إله إلا الله مستيقناً بها قلبه فبشره بالجنة**»[٣].

ثانياً: ان من الإيمان قول اللسان:

قوله -تعالى-: ﴿ قُولُوٓاْ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْنَا وَمَآ أُنزِلَ إِلَىٰٓ إِبْرَٰهِـۧمَ وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ وَٱلْأَسْبَاطِ وَمَآ أُوتِىَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَمَآ أُوتِىَ ٱلنَّبِيُّونَ مِن رَّبِّهِمْ ﴾ [البقرة، ١٣٦].

قوله -تعالى-: ﴿وَقُلْ ءَامَنتُ بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِن كِتَٰبٍ ﴾[الشورى، ١٥].

قوله -تعالى-: ﴿ وَلَا يَمْلِكُ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِهِ ٱلشَّفَٰعَةَ إِلَّا مَن شَهِدَ بِٱلْحَقِّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴾ [الزخرف، ٨٦].

وأما من السنة فقوله ﷺ «**أمرت أن أقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله وأني رسول الله**»[٤].

---

(١) أخرجه البخاري،كتاب الايمان باب زيادة الايمان ونقصانه الفتح(١/ ١٨٩)ومسلم بشرح النووي باب خروج عصاة المؤمنين من النار (١/ ٤٩).

(٢) أخرجه البخاري (كتاب العلم) (باب الحرص على الحديث) الفتح(١/ ٣٣٩).

(٣) رواه مسلم (كتاب الايمان)باب من شهد ان لااله الا الله مستيقن بها قلبه دخل الجنه شرح النووي (١/ ٢٣٧).

(٤) «سبق تخريجه »في مبحث التوحيد ص(٨٨).

وقوله ﷺ: "من قال أشهد ان لا اله الا الله وحده لا شريك له وأن محمد عبده ورسوله وأن عيسى عبد الله ورسوله وابن أمته وكلمته ألقاها الى مريم وروح منه وأن الجنة حق والنار حق أدخله الله على ماكان من العمل"[1].

الثالث: عمل القلب:

وعمل القلب الإخلاص والنية والمحبة والانقياد وغيرها ذكرها لله في كتابه العزيز منها قوله -تعالى- ﴿ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴾ [الآنفال، ٢].

قوله -تعالى- ﴿وَٱلَّذِينَ يُؤْتُونَ مَآ ءَاتَواْ وَّقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ أَنَّهُمْ إِلَىٰ رَبِّهِمْ رَٰجِعُونَ ﴾[المؤمنون، ٦٠].

وقوله -تعالى- ﴿ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكْرِ ٱللَّهِ ۗ أَلَا بِذِكْرِ ٱللَّهِ تَطْمَئِنُّ ٱلْقُلُوبُ ﴾ [الرعد، ٢٨].

وأما من السنة:

فقوله ﷺ: «**إنما الأعمال بالنيات وإنما لكل امرئ ما نوى فمن كانت هجرته إلى الله فهجرته إلى الله ورسوله ومن كانت هجرته لدنيا يصيبها أو امرأه ينكحها فهجرته إلى ما هاجر إليه**»[2].

وقوله ﷺ: «**ثلاث من كن فيه وجد بهن حلاوة الإيمان: أن يكون الله ورسوله أحب اليه مما سواهما**»[3].

(١) البخاري كتاب أحاديث الانبياء باب ياأهل الكتاب لاتغلو في دينكم ،الفتح (٨/ ٦٠) ومسلم بشرح النووي كتاب الايمان باب من مات على التوحيد دخل الجنه(١/ ٢٢٦).

(٢) أخرجه البخاري كتاب الايمان باب ماجاء ان الاعمال بالنيه والحسبه ولكل أمرىء ما نوى، الفتح(١/ ٢٤٣)ومسلم بشرح النووي باب خصال الايمان(١/ ١٣).

(٣)سبق تخريجه ص(٢١٥).

الرابع: الأدلة على أن من الايمان عمل اللسان:

وهو ما لا يؤدي إلا به كتلاوة القرآن وسائر الأذكار من التسبيح والتحميد والتهليل والتكبير والدعاء والاستغفار وغير ذلك»

من القرآن قوله -تعالى- ﴿ وَٱتْلُ مَآ أُوحِىَ إِلَيْكَ مِن كِتَابِ رَبِّكَ لَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَٰتِهِۦ وَلَن تَجِدَ مِن دُونِهِۦ مُلْتَحَدًا ﴾[الكهف: ٢٧].

وقوله -تعالى- ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱذْكُرُوا۟ ٱللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا . وَسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا ﴾ [الآحزاب، ٤١-٤٢].

وقوله -تعالى- ﴿وَٱسْتَغْفِرُوا۟ ٱللَّهَ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾[المزمل، ٢٠].

وغيرها من الآيات الكثير

وأما من السنة

فقوله ﷺ «**خيركم من تعلم القرآن وعلمه**»(١).

وقوله ﷺ «**كلمتان خفيفتان على اللسان ثقيلتان في الميزان حبيبتان إلى الرحمن سبحان الله وبحمده سبحان الله العظيم**»(٢).

خامساً: الأدلة أن من الايمان عمل الجوارح:

وهي ما لا يؤدى إلا بها مثل القيام والركوع والسجود لله -عز وجل- والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والحج والجهاد وغيرها.

فمن القرآن قوله -تعالى- ﴿وَقُومُوا۟ لِلَّهِ قَٰنِتِينَ ﴾[البقرة: ٢٣٨].

وقوله -تعالى- ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱرْكَعُوا۟ وَٱسْجُدُوا۟ وَٱعْبُدُوا۟ رَبَّكُمْ وَٱفْعَلُوا۟ ٱلْخَيْرَ

(١) البخاري (فضائل القرآن) باب خيركم من تعلم القران وعلمه الفتح (١١/ ٢٦٦)

(٢) البخاري (الأيمان والنذور،باب اذا قال والله لا اتكلم اليوم فصلى او قرأ او سبح، الفتح(١٥/ ٣٣٣)ومسلم بشرح النووي كتاب الذكر والدعاء باب فضل التهليل(٦/ ١٨).

لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ . وَجَٰهِدُواْ فِى ٱللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِۦ ﴾[الحج: ٧٧-٧٨].

قوله -تعالى- ﴿ وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعْبُدُواْ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ حُنَفَآءَ وَيُقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ ۚ وَذَٰلِكَ دِينُ ٱلْقَيِّمَةِ ﴾[البينة: ٥].

وقوله -تعالى- ﴿فَمَن كَانَ يَرْجُواْ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَٰلِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدًۢا ﴾[الكهف: ١١٠].

وقوله -تعالى- ﴿ إِنَّمَا يُؤْمِنُ بِـَٔايَٰتِنَا ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُواْ بِهَا خَرُّواْ سُجَّدًا وَسَبَّحُواْ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ ﴾[السجده: ١٥].

وغيرها من الآيات الكثيرة بهذا المعنى

أما من السنة

فقوله ﷺ «**الايمان بضع وستون شعبة فأعلاها قول لا إله إلا الله وأدناها إماطة الأذى عن الطريق والحياء شعبة من الإيمان**»[١].

وقوله ﷺ «**من قام رمضان إيماناً واحتساباً غفر له ما تقدم من ذنبه**»[٢].

وقوله ﷺ «**من اتبع جنازة مسلم إيماناً واحتساباً وكان معه حتى يصلى عليها ويفرغ من دفنها فإنه يرجع من الأجر بقيراطين كل قيراط مثل أحد ومن صلى عليها ثم رجع قبل أن تدفن فإنه يرجع بقيراط**»[٣].

وقوله ﷺ لوفد عبدالقيس «**أتدرون ما الإيمان بالله وحده؟ قالوا الله ورسوله أعلم قال: شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة، وصيام رمضان وأن تعطوا من المغنم الخمس**»[٤].

(١) البخاري (كتاب الإيمان) (باب أمور الإيمان)الفتح (١/ ١٠٣)، ومسلم (كتاب الإيمان) (باب بيان عدد شعب الإيمان)بشرح النووي (١/ ٣).

(٢) البخاري كتاب الايمان باب تطوع قيام رمضان من الايمان الفتح (١/ ١٧) .

(٣) البخاري كتاب الايمان (باب اتباع الجنائز من الإيمان)الفتح (١/ ١٩٨).

(٤) أخرجه البخاريكتاب الايمان (باب أداء الخمس من الايمان) «الفتح» (١/ ٢٣٢) ومسلم (كتاب الايمان) باب بيان الايمان(١/ ١٨٨).

وهذه الأدلة جميعها تدل على أن الايمان قول وعمل وأن له شعب وأجزاء أعلاها لا إله إلا الله وأدناها إماطة الأذى عن الطريق وجميع أعمال الطاعات واجبها ومستحبها من الإيمان.

إجماع السلف على أن الإيمان قول وعمل:

أجمع السلف على أن الإيمان قول وعمل وآثارهم في ذلك كثيرة، نذكر بعضاً من أقوالهم في ذلك.

قال الشافعي -رحمه الله-: «وكان الإجماع من الصحابة والتابعين ممن أدركناهم أن الايمان قول وعمل ونية ولا يجزئ واحد من الثلاثه إلاّ بالآخر»[1].

وقال ابن عبدالبر: «أجمع أهل الفقه والحديث على أن الإيمان قول وعمل»[2].

وقال البخاري «كتبت عن ألف نفر من العلماء وزيادة ولم أكتب إلاّ عمن قال الإيمان قول وعمل ولم اكتب عمن قال الإيمان قول»[3].

وقال ابن كثير «والايمان الشرعي المطلوب لا يكون إلا اعتقاداً وقولاً وعملاً وهكذا ذهب إليه أكثر الأئمة بل قد حكاه الشافعي وأحمد بن حنبل وأبو عبيده وغيرواحد اجماعًا أن الإيمان قول وعمل يزيد وينقص»[4].

وسئل الفضيل بن عياض عن الإيمان فقال: الايمان عندنا داخله وخارجه: الإقرار باللسان والقبول بالقلب والعمل»[5].

وكان مالك يقول «الإيمان قول وعمل يزيد وينقص»[6].

وغيرها الكثير من الآثار التي تحكى عن العلماء والسلف الصالح أن الايمان قول وعمل يزيد وينقص وأنه شعب ومراتب فمن حافظ عليها استكمل ايمانه ومن فرط فيها نقص إيمانه.

---

(١) «شرح اعتقاد أهل السنة والجماعة» للالكائي (٥/ ٩٥٦).

(٢) «التمهيد» (٩/ ٢٣٨).

(٣) اللالكائي (٣/ ٩٥٩).

(٤) «تفسير ابن كثير» (١/ ٥٩).

(٥) «السنة» الخلال (٢/ ٣٦).

(٦) «السنة» الخلال (١/ ٣٦١).

زيادة الايمان ونقصانه:

زيادة الايمان مجمع عليها بدلالة الكتاب والسنة وأقوال السلف وأما المرجئة فقد منعوا ذلك وفسروا الزيادة بتجدد أمثالة.

نذكر بعض الأدلة من:

الكتاب:

قوله -تعالى- ﴿وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا﴾[الأنفال: ٢].

وقوله -تعالى- ﴿فَزَادَهُمْ إِيمَٰنًا وَقَالُوا۟ حَسْبُنَا ٱللَّهُ وَنِعْمَ ٱلْوَكِيلُ﴾[آل عمران: ١٧٣].

وقوله -تعالى- ﴿لِيَزْدَادُوٓا۟ إِيمَٰنًا مَّعَ إِيمَٰنِهِمْ﴾[الفتح: ٤].

قوله -تعالى- ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِى وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا﴾ [المائدة: ٣].

وقوله -تعالى- حكاية عن إبراهيم عليه السلام ﴿لِّيَطْمَئِنَّ قَلْبِى﴾[البقرة: ٢٦٠]. قال يزداد ايماني.

وقوله تعالى ﴿فَمِنْهُم مَّن يَقُولُ أَيُّكُمْ زَادَتْهُ هَٰذِهِۦٓ إِيمَٰنًا﴾ [التوبة: ١٢٤].

وقوله تعالى ﴿وَمَا زَادَهُمْ إِلَّآ إِيمَٰنًا وَتَسْلِيمًا ﴿٢٢﴾﴾ [الأحزاب: ٢٢].

ونرى أن الله -سبحانه وتعالى- قد أثبت زيادة الايمان وإن لم يذكر في القرآن النقصان إلاّ أن السنة دلت على ذلك.

من السنة:

كثير من أقوال النبي ﷺ قد دلت على زيادة الايمان واكتماله ودلت على نقصانه فمن هذه الأقوال:

قوله ﷺ «**يخرج من النار من قال لا إله إلا الله وفي قلبه وزن شعيرة من خير ويخرج من النار من قال لا إله إلاّ الله وفي قلبه وزن ذره من خير ويخرج من الناس من قال لا إله إلا الله وفي**

قلبه وزن ذرة من خير»[1].

وقوله ﷺ «**من أحب لله وأبغض لله وأعطى لله ومنع لله فقد استكمل الايمان**»[2].

قوله ﷺ «**من رأى منكم منكراً فليغيره بيده فإن لم يستطع فبلسانه فإن لم يستطع فبقلبه وذلك أضعف الإيمان**»[3].

وقوله ﷺ عن شعب الإيمان «**الإيمان بضع وستون شعبه أعلاها قول لا إله إلا الله وأدناها إماطة الأذى عن الطريق والحياء شعبه من الإيمان**»[4].

وهنا بين الرسول ﷺ أن الإيمان شعب ومراتب أعلاها لا إله إلاّ الله وأدناها إماطة الآذى عن الطريق.

وقوله ﷺ «**أكمل المؤمنين إيماناً أحسنهم خلقاً**»[5].

وغيرها الكثير من أحاديث الرسول ﷺ التي تبين أن للايمان اجزاء وأبعاض وأنه يزيد وينقص يكمل ممن أتى بها جميعاً وينقص من فرط في بعضها حتى لا يكون عنده وزن ذرة من خير.

أقوال السلف في زيادة الإيمان ونقصانه:

أقوال السلف في زيادة الايمان ونقصانه كثيرة يمكننا أن نذكر بعضاً منها:

قول ابن مسعود رضي الله عنه في دعائه «اللهم زدنا إيماناً ويقيناً وفقهاً»[6].

---

(١) أخرجه البخاري كتاب الايمان باب زيادة الايمان ونقصانه «الفتح» (١/ ١٨٩)، ومسلم (كتاب الايمان) باب إثبات الشفاعه شرح النووي ص (١/ ٥٩).

(٢) رواه ابوداود (ح : ٤٦٨١)، والترمذي (ح: ٢٥٢١) حسنها الترمذي والألباني في «سلسلة الأحاديث الصحيحة» (ح: ٣٨).

(٣) أخرجه مسلم (كتاب الايمان) باب وجوب الامربالمعروف و النهي عن المنكر (١/ ٢٢).

(٤) أخرجه البخاري (الأيمان والنذور).

(٥) رواه أبوداود في كتاب السنة باب الدليل على زيادة الايمان ونقصانه برقم (٤٦٨٢) ص (٣/ ٨٨٦) ط ١ مكتب التربيه العربي لدول الخليج ١٤٠٨هـ.

(٦) اللالكائي (٣/ ١٠١٣) والآجري في «الشريعة» (٢/ ٥٨٢).

وقول معاذ بن جبل رضي الله عنه لرجل «أجلس بنا نؤمن ساعة يعني نذكر الله -عز وجل-»[1].

وقال أبو الدرداء رضي الله عنه «الإيمان يزيد وينقص»[2].

وقال أبوهريرة رضي الله عنه «الإيمان يزيد وينقص»[3].

وقال عمار بن ياسر -رضي الله عنه- «ثلاث من كن فيه فقد استكمل الإيمان انصافاً من نفسه والانفاق من الإقتار وبذل السلام للعالم»[4].

وأما التابعون فقد تواتر عنهم ذلك أن الإيمان يزيد وينقص ومن ذلك مجاهد بن جبر «الإيمان يزيد وينقص»[5].

وقول عروة بن الزبير «ما نقصت أمانة عبد قط إلا نقص إيمانه»[6].

وقال سفيان الثوري «والإيمان قول وعمل ونية يزيد وينقص يزيد بالطاعة وينقص بالمعصية»[7].

وغيرها من الأقوال التي تبين أن الإيمان لا يكون مجرد التصديق بل قول يصدقه العمل وأن له شعب ومراتب وأن المحافظ على الطاعات استكمل إيمانه ومن فرط في شيء منها نقص إيمانه ولا شك أن هذه الشعب والمراتب التي يتكون منها الإيمان تتفاضل وتتفاوت وأهل الإيمان يتفاضلون بما عندهم من الإيمان والتقوى فهذا التفاضل يشمل إيمان القلب والأعمال.

---

(١) اللالكائي (٣/ ١٠١٤).

(٢) اللالكائي (٣/ ١٠١٤).

(٣) اللالكائي (٣/ ١٠١٦) الآجري في «الشريعة» (٢/ ٥٨٢).

(٤) الالكائي (٣/ ١٠٢٢).

(٥) الالكائي (٣/ ١٠٢٢) و«الشريعة» (٢/ ٦٠٩).

(٦) الالكائي (٣/ ١٧٠).

(٧) الألكائي(٣/ ١٠٢٢) والشريعه (٢/ ٦٠٩)

الاستثناء في الإيمان:

ومعنى الإستثناء هو قول الإنسان أنا مؤمن ان شاء الله.

والناس في الإستثناء على ثلاثة أقوال كما بينها ابن تيميه:

١) منهم من يوجبه (٢) ومنهم من يحرمه (٣) ومنهم من يجوز الأمرين باعتبارين وهذا أصح الأقوال[1].

وهو مذهب أهل السنة والجماعة فإنهم يجوزون الإستثناء في الإيمان في الأعمال ويمنع الإستثناء في أصل الإيمان الذي هو تصديق القلب.

وأما من منعه فهم المرجئة لأن ذلك عندهم شك في الإيمان حيث يرون أن الإيمان هوالتصديق فقط وهذا التصديق لا يستثنى في حصوله لعلمهم بوقوعه، وأما عند أهل السنه والجماعة فالإستثناء عندهم يكون في الأعمال ورعاً وتقوى وخوفاً من تزكية النفس.

ولهذا قال الإمام الأجري -رحمه الله تعالى- «من صفة أهل الحق ممن ذكرنا من أهل العلم الاستثناء في الإيمان لا على جهة الشك نعوذ بالله من الشك في الإيمان ولكن خوف التزكية لأنفسهم من الإستكمال للإيمان لا يدري أهو ممن يستحق حقيقة الإيمان أم لا؟

وذلك أن أهل العلم من أهل الحق إذا سئلوا: أمؤمن أنت؟

قال: آمنت بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر والجنة والنار واشباه هذا فالناطق بهذا والمصدق بقلبه مؤمن وإنما الإستثناء في الإيمان لا يدري أهو ممن يستوجب ما نعت الله به المؤمنين من حقيقة الإيمان أم لا؟ هذا طريق الصحابة والتابعين لهم بإحسان عندهم أن الاستثناء في الأيمان لا يكون في القول والتصديق بالقلب وإنما الإستثناء في الأعمال الموجبة لحقيقة الإيمان»[2].

وبهذا تبين أن الاستثناء في الإيمان ليس في أصله من القول والتصديق بالقلب فهذا يمنع

---

(١) «مجموع الفتاوى» و«الإيمان الكبير» (٧/ ٤٢٩).

(٢) «الشريعة» (٢/ ٦٥٦).

الاستثناء فيه وإنما الاستثناء يكون في العمل بإعتبار أن الإيمان قول وعمل يزيد وينقص.

ولهذا قال الإمام أحمد -رحمه الله- «إن الإيمان قول وعمل فجئنا بالقول ولم نجيء بالعمل فنحن نستثني بالعمل»[1].

والسلف جوزوا الإستثناء في الإيمان باعتبارات:

١) أن الإيمان المطلق يتضمن فعل جميع المأمورات وترك جميع المحرمات وكذلك فعل المستحبات وترك المكروهات، والإنسان لا يقطع لنفسه بأنه أتى بجميع المأمورات وترك جميع المحرمات مع العلم بالتقصير في العمل ولهذا جوز الاستثناء.

٢) أيضاً الخوف من تزكية النفس وقد نهى الله عن ذلك بقوله -تعالى- ﴿فَلَا تُزَكُّوٓاْ أَنفُسَكُمۡۖ هُوَ أَعۡلَمُ بِمَنِ ٱتَّقَىٰٓ﴾[النجم: ٣٢].

٣) وعدم العلم بالعاقبة فالإنسان لا يدري على ماذا يموت وهل أعماله مقبولة أم لا؟ «وخوف من خاف من السلف أن لا يتقبل منه لخوفه أن لا يكون أتى بالعمل على وجهه المأمور»[2]

ولهذا فالمؤمن خائف وجل وطامع في رحمة الله وبهذه الاعتبارات جوزوا الاستثناء في الإيمان.

بخلاف من أوجب الإستثناء ولكن لإعتبار آخر مثل الكلابية والأشعرية فإنهم يوجبون الإستثناء باعتبار الموافاة لأن المؤمن عندهم «من سبق في علم الله أن يختم له بالإيمان والكافر من سبق في علم الله أنه كافر وأنه لا اعتبار بما كان قبل ذلك وعلى هذا يجعلون الاستثناء».

وذلك لأجل عدم معرفتهم بما يتوفى عليه المرء من الإيمان وما يسبق في علم الله أن يموت عليه وإن كان ظاهر هذا القول هو الموافقة لأهل السنة إلا أن أهل السنة لا يستثنون في الإيمان

---

(١) «مجموع الفتاوى» (٧/ ٤٢٩).

(٢) «مجموع الفتاوى» (٧/ ٤٩٦).

بهذا الاعتبار ولهذا قال ابن تيميه: «وأما الموافاة فما علمت أحداً من السلف علل بها الاستثناء ولكن كثير من المتأخرين يعلل بها من أصحاب الحديث من اصحاب أحمد ومالك والشافعي وغيرهم كما يعلل بها نظارهم كأبي الحسن الأشعري وأكثر أصحابه لكن ليس هذا قول سلف أصحاب الحديث»[1].

وأهل السنة استثنوا في الإيمان بدلالة الكتاب والسنة وأقوال السلف

من الكتاب:

قوله -تعالى- ﴿لَتَدْخُلُنَّ الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ إِن شَاءَ اللَّهُ آمِنِينَ﴾[الفتح: ٢٧].

وقوله -تعالى- ﴿وَلَا تَقُولَنَّ لِشَيْءٍ إِنِّي فَاعِلٌ ذَٰلِكَ غَدًا . إِلَّا أَن يَشَاءَ اللَّهُ﴾[الكهف: ٢٣-٢٤].

وقوله -تعالى- ﴿وَآخَرُونَ مُرْجَوْنَ لِأَمْرِ اللَّهِ إِمَّا يُعَذِّبُهُمْ وَإِمَّا يَتُوبُ عَلَيْهِمْ ۗ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾ [التوبه: ١٠٦].

من السنة:

قول الرسول ﷺ عند زيارته للمقابر «**وإنا إن شاء الله بكم لاحقون**»[2].

وقوله ﷺ «**والله إني لأرجو أن أكون أخشاكم لله وأعلمكم بما اتقى**»[3].

ومن اقوال السلف:

قول عمر بن الخطاب -رضي الله عنه- «من قال: أنا مؤمن فهو كافر ومن قال هو عالم فهو جاهل ومن قال : هو في الجنة فهو في النار»[4].

---

(١) «مجموع الفتاوى» (٧/ ٤٣٩).

(٢) مسلم (كتاب الطهارة)باب مايقال عند دخول القبور والدعاء لاهلها بشرح النووي(٣/ ٤١).

(٣) مسلم (كتاب الصيام) باب صحة صوم من طلع عليه الفجر وهو جنب شرح النووي(٣/ ٢٢٤).

(٤) اللالكائي (٣/ ١٠٤٧).

وقال عبدالله بن مسعود -رضي الله عنه- «من شهد على نفسه أنه مؤمن فليشهد أنه في الجنه»[1].

وقال محمد بن سيرين «إذا قيل لك: أمؤمن أنت فقل آمنت بالله وما أنزل إلينا وما أنزل إلى إبراهيم وإسماعيل وإسحاق»[2].

وعندما سئل أحمد عن الإيمان فقال: قول وعمل ونية.

قيل له : فإذا قال الرجل مؤمن أنت؟

قال هذا بدعة قيل له فما يرد عليه ؟ قال يقول: مؤمن إن شاء الله الاّ أن يستثنى في هذا الموضع»[3].

وقال أيضاً : «أقول مؤمن إن شاء الله ومؤمن أرجو لأنه لا يدري كيف أداؤه للأعمال على ما افترضت عليه أم لا»[4].

*****

(١) اللالكائي (٣/ ١٠٤٨).

(٢) اللالكائي (٣/ ١٠٥٢).

(٣) اللالكائي (٣/ ١٠٥٧).

(٤) «السنة» للخلال (٣/ ٦٠).

المبحث الثاني
الإيمان عند البيضاوي

يتضح مذهبه في الإيمان بعد ذكر بعضاً من نصوصه في ذلك.

١) عند تفسيره لقوله -تعالى- ﴿ ٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِٱلْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ... ﴾[البقرة: ٣].

قال: الايمان في اللغة:

عبارة عن التصديق مأخوذ من الأمن ..

وفي الشرع: فالتصديق بما علم بالضرورة أنه من دين محمد ﷺ كالتوحيد والنبوة والبعث والجزاء ....

والذي يدل على أنه التصديق وحده أنه -سبحانه- أضاف الايمان إلى القلب فقال: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ ٱلْإِيمَٰنَ ﴾ المجادلة :٢٢.

﴿وَقَلْبُهُۥ مُطْمَئِنٌّۢ بِٱلْإِيمَٰنِ ﴾النحل :١٠٦.

وقرنه بالمعاصي فقال: ﴿ وَإِن طَآئِفَتَانِ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱقْتَتَلُواْ ﴾الحجرات :٩.

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلْقِصَاصُ فِي ٱلْقَتْلَى ﴾ البقرة :١٧٨...

ثم اختلف في أن مجرد التصديق بالقلب هل هو كاف لأنه المقصود أم لابد من انضمام الإقرار به للمتمكن منه ولعل الحق هو الثاني»[1].

٢) عند تفسيره لقوله -تعالى- ﴿ كَيْفَ يَهْدِي ٱللَّهُ قَوْمًا كَفَرُواْ بَعْدَ إِيمَٰنِهِمْ وَشَهِدُوٓاْ أَنَّ ٱلرَّسُولَ حَقٌّ ﴾[آل عمران: ٨٦].

قال: شهدوا عطف على ما في «إيمانهم» من معنى الفعل ونظيره فاصدق وأكن أو حال باضمار قد من كفروا وهو على الوجهين دليل على أن الإقرار باللسان خارج عن حقيقة

(١) «أنوار التنزيل» (١/ ٢٣-٢٤).

الإيمان»[1].

٣) عند تفسيره لقوله -تعالى- ﴿ٱلَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَآ إِنَّنَآ ءَامَنَّا فَٱغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ﴾[آل عمران: ١٦].

قال: وفي ترتيب السؤال على مجرد الإيمان دليل كاف في استحقاق المغفرة أو الإستعداد لها»[2].

الرد:

من هذه النصوص يتبين أن الإيمان عند البيضاوي هو التصديق بالقلب وأما الإقرار الذي رجحه أولاً فقد نفى في النص الثاني أن يكون من الإيمان فيكون الإيمان عنده التصديق فقط. وأما الإقرار قد يعتبره شرط لأحكام الدنيا.

وقد استدل بعدة آيات ينسب الإيمان فيها للقلب وكذلك الأيات التي تقرن الإيمان بالمعصية بمعنى أن الإيمان لا يزول بالمعصية بل هو باق لأنه تصديق بالقلب وهذا القول مخالف لأهل السنة والجماعة.

والقول بأن الإيمان هو المعرفة أو التصديق هو قول الجهم بن صفوان الذي نصره ابوالحسن الأشعري ومن جاء بعده من المتكلمين. والبيضاوي هنا موافق لجمهور الأشاعرة.

ومعلوم من الدين بالضرورة أن هذا التصديق بدون العمل والاتباع ليس بشيء ولا عبرة به ولا يعتد به ولا يسمى صاحبه مؤمناً، والسلف قد عرفواهذا المذهب المخالف للكتاب والسنة وردوا على من قال بأن الايمان هو التصديق بل قد كفربعض السلف من قال بهذا القول كوكيع بن الجراح وأحمد بن حنبل رحمهم الله وقالوا «إن ابليس كافر بنص القرآن وانما

(١) «أنوار التنزيل» (١/ ١٧٣).

(٢) «أنوار التنزيل» (١/ ١٥٧)، وانظر أقواله أيضاً من الإيمان هو التصديق (١/ ١١٠) (١/ ٧٠) (١/ ٢٤٦) (١/ ٥٦١).

كفره باستكباره وإمتناعه عن السجود لآدم لا لكونه كذب خبراً وكذلك فرعون وقومه قال الله فيهم: ﴿وَجَحَدُوا بِهَا وَاسْتَيْقَنَتْهَا أَنفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا﴾[النحل: ١٤].

وقال موسى عليه السلام لفرعون ﴿لَقَدْ عَلِمْتَ مَا أَنزَلَ هَٰؤُلَاءِ إِلَّا رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ بَصَائِرَ﴾[1] [الاسراء: ١٠٢].

... فدل على أن فرعون كان عالماً بأن الله أنزل الآيات وهو من أكبر خلق الله عناداً وبغياً لفساد إرادته لا لعدم علمه ...

وكذلك اليهود الذين قال الله فيهم ﴿الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَعْرِفُونَهُ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَاءَهُمْ﴾ [البقرة: ١٤٦].

وكذلك المشركين الذين قال الله فيهم ﴿فَإِنَّهُمْ لَا يُكَذِّبُونَكَ وَلَٰكِنَّ الظَّالِمِينَ بِآيَاتِ اللَّهِ يَجْحَدُونَ﴾ [الأنعام: ٣٣].

فهم جميعاً مصدقون بربوبية الله وبما جاءت به الرسل لكنهم رفضوا اتباع الانبياء عناداً واستكباراً فبقوا على كفرهم، وكذلك ابوطالب فإنه كان يعلم ويصدق بأن دين محمد خير الأديان ولكنه لم يتبعه فبقى على كفره.

٢ – كذلك رد ابن تيمية على من يرى الإيمان مجرد التصديق وبين أن الإيمان ليس مرادفاً للتصديق لا في اللفظ ولا في المعنى، من عدة وجوه: منها.

١)**أولاً**: أن يقال للمخبر إذا صدقته صدقه ولا يقال آمنه وآمن به بل يقال آمن له كما قال -تعالى- ﴿فَآمَنَ لَهُ لُوطٌ﴾العنكبوت:٢٦ وقال ﴿فَمَا آمَنَ لِمُوسَىٰ إِلَّا ذُرِّيَّةٌ مِّن قَوْمِهِ﴾يونس:٨٣ .وقال فرعون ﴿آمَنتُمْ لَهُ قَبْلَ أَنْ آذَنَ لَكُمْ﴾.طه:٧١...

فإن قيل فقد يقال: ما أنت بمصدق لنا قيل: اللام تدخل على ما يتعدى بنفسه إذا ضعف عمله إما بتأخيره أو بكونه اسم فاعل أو مصدراً أو باجتماعهما فيقال فلان يعبد الله ويخافه

---

(١) انظر «الإيمان» لابن تيميه (١٥١).

ويتقيه ثم إذا ذكر اسم الفاعل قيل هو عابد لربه .. وهذا بخلاف لفظ الإيـمان فإنـه تعـدى الى الضمير باللام دائماً لا يقال : آمنته فقط وانما يقال : آمنـت لـه كـما يقـال : اقـررت لـه، فكـان تفسيره بلفظ الإقرار أقرب من تفسيره بلفظ التصديق مع أن بينهما فرقاً .

٢) **والثاني**: أنه ليس مرادفاً للفظ التصديق في المعنى فإن كـل مخـبر عـن مشـاهدة أو غيـب يقال له في اللغة: صدقت، كما يقال: كذبت. فمن قال السماء فوقنا قيل له : صدق كـما يقـال : كذب، وأما لفظ الإيمان فلا يستعمل إلا في الخبر عن غائب ... فإن الإيمان مشتق مـن الأمـن. فإنما يستعمل في خبر يؤتمن عليه المخبر كالأمر الغائب الذي يؤتمن عليه المخبر ....

٣) أن لفظ الإيمان في اللغة لم يقابل بالتكذيب كلفظ التصديق ... بـل المعـروف في مقابلـة الإيمان لفظ الكفر والكفر لا يختص بالتكذيب ... فلما كـان الكفـر المقابـل للإيـمان لـيس هـو التكذيب فقط علم أن الإيمان ليس هو التصديق فقط، بل إذا كان الكفر يكون تكـذيباً ويكـون مخالفة ومعاداة وامتناعاً بلا تكذيب، فلابد أن يكون الإيمان تصديقاً مع موافقة وموالاة وانقيـاد لا يكفي مجرد التصديق[1].

٤)أن التصديق ليس مختصاً بالقلب «بل الأفعال تسمى تصديقاً كـما ثبـت عـن النبـي ﷺ «كتب على ابن آدم نصيبه من الزنا مدرك ذلك لا محاله فالعينان زناهما النظـر والاذنـان زناهمـا الاستماع واللسان زناه الكلام واليد زناها البطش والرجل زناها الخُطا والقلب يهـوى ويتمنـى ويصدق ذلك الفرج ويكذبه»[2].

٥) كذلك إذا كان أصله التصديق فهو تصديق مخصوص وهـو مـا أخـبر بـه الرسـول ﷺ ويكون الإيمان في الشرع أخص من الإيمان في اللغـة والخـاص تنضـم إليـه قيـود لا توجـد في

(١) «مجموع الفتاوى» (٧/ ٢٩٠).

(٢) أخرجه البخاري في (الاستئذان) (باب زنى الجوارح) الفتح(١٤/ ١٦٥)، ومسلم في (كتاب القدر) (باب قدر على بن آدم حظه من الزنا)(٦/ ٢٠٥) واللفظ له.

العام.

٦) أن القرآن ليس فيه إيمان مطلق غير مفسر بل لفظ الإيمان فيه إما مقيد وإما مطلق مفسر فالمقيد كقوله -تعالى- ﴿يُؤْمِنُونَ بِٱلْغَيْبِ﴾[البقرة: ٣] وقوله -تعالى- ﴿فَمَآ ءَامَنَ لِمُوسَىٰٓ إِلَّا ذُرِّيَّةٌ مِّن قَوْمِهِۦ﴾[يونس: ٨٣].

والمطلق المفسر كقوله -تعالى- ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ﴾[1] [الأنفال:٤٢]. فعلم من هذا أن الايمان الذي هو مجرد تصديق القلب دون الانقياد والخضوع والعمل ليس بشيء يعتد به ولا يعلق به شيء من أحكام الإيمان لا في الدنيا ولا في الآخرة.

خروج الأعمال من مسمى الإيمان عند البيضاوي:

عند تفسيره لقوله -تعالى- ﴿وَبَشِّرِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أَنَّ لَهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ﴾[البقرة: ٢٥].

قال: «.... وفيه دليل على أنها خارجه عن مسمى الإيمان إذ الأصل أن الشيء لا يعطف على نفسه ولا على ما هو داخل فيه»[2]

وعند تفسيره لقوله -تعالى- ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلْجَنَّةِ ۖ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ﴾[البقرة: ٨٢].

قال: «........وعطف العمل على الإيمان يدل على خروجه عن مسماه»[3].

الرد:

فالبيضاوي في هذه النصوص بين أن العمل ليس من حقيقة الايمان لأن الإيمان عنده التصديق فقط كما تقدم والعمل ليس من حقيقته لأن الشيء لا يعطف على نفسه والعطف

(١) انظر «الإيمان» (١٠٥) بتصرف يسير.

(٢) أنوار التنزيل (١/ ٤٦).

(٣) نفس المصدر(١/ ٧٧).

يقتضي المغايرة.

وهذا القول مخالف لمذهب اهل السنة والجماعة لأن العمل عندهم ركن أساسي في الإيمان وأما الإحتجاج بأن العطف يقتضي المغايرة فقد رد أهل السنة والجماعة على ذلك وقد بين ابن تيمية أن المغايرة مراتب:

١- أعلاها أن يكون متباين ليس أحدهما هو الآخر ولا جزؤه، ولا يعرف لزومه له كقوله تعالى ﴿خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ﴾[الفرقان: ٥٩]. ونحو ذلك وقوله ﴿وَجِبْرِيلَ وَمِيكَىٰلَ﴾[البقره: ٩٨]. وقوله ﴿وَأَنزَلَ ٱلتَّوْرَىٰةَ وَٱلْإِنجِيلَ . مِن قَبْلُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَأَنزَلَ ٱلْفُرْقَانَ﴾ [آل عمران: ٣-٤].

٢) ويليه أن يكون بينهما لزوم كقوله -تعالى- ﴿وَلَا تَلْبِسُوا۟ ٱلْحَقَّ بِٱلْبَٰطِلِ وَتَكْتُمُوا۟ ٱلْحَقَّ﴾[البقرة: ٤٢]. وقوله ﴿وَمَن يُشَاقِقِ ٱلرَّسُولَ مِنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ ٱلْهُدَىٰ وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ [النساء: ١١٥]. والمعطوف عليه لازم فإن من يشاقق الرسول من بعد ما تبين له الهدى فقد اتبع غير سبيل المؤمنين.

وقوله ﴿وَلَا تَلْبِسُوا۟ ٱلْحَقَّ بِٱلْبَٰطِلِ وَتَكْتُمُوا۟﴾ هما متلازمان، فإن من لبس الحق بالباطل فجعله ملبوساً به خفي من الحق بقدر ما ظهر من الباطل ومن كتم الحق احتاج أن يقيم موضعه باطلاً.

٣) عطف بعض الشئ عليه كقوله ﴿حَٰفِظُوا۟ عَلَى ٱلصَّلَوَٰتِ وَٱلصَّلَوٰةِ ٱلْوُسْطَىٰ﴾[البقرة: ٢٣٨]. وقوله ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ مِيثَٰقَهُمْ وَمِنكَ وَمِن نُّوحٍ وَإِبْرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَى ٱبْنِ مَرْيَمَ﴾ [الأحزاب: ٧].

٤) عطف الشئ على الشئ لاختلاف الصفتين كقوله ﴿سَبِّحِ ٱسْمَ رَبِّكَ ٱلْأَعْلَى . ٱلَّذِى خَلَقَ فَسَوَّىٰ . وَٱلَّذِى قَدَّرَ فَهَدَىٰ . وَٱلَّذِىٓ أَخْرَجَ ٱلْمَرْعَىٰ﴾ [الأعلى: ١-٤] [1].

(١) «الإيمان» (١٤١-١٤٢) باختصار.

...وقال: وأما قولهم: «ان الله فرق بين الإيمان والعمل في مواضع فهذا صحيح وقد بينا أن الإيمان إذا أطلق أدخل الله ورسوله فيه الأعمال المأمور بها وقد يقرن به الأعمال، وذكرنا نظائر لذلك كثيرة، وذلك لأن أصل الإيمان هو ما في القلب والأعمال الظاهرة لازمة لذلك لا يتصور وجود إيمان القلب الواجب مع عدم جميع أعمال الجوارح بل متى نقصت الأعمال الظاهرة كان لنقص الإيمان الذي في القلب فصار الإيمان متناولاً للملزوم واللازم وإن كان أصله ما في القلب وحيث عطفت عليه الأعمال فإنه أريد أنه لا يكتفى بإيمان القلب بل لابد معه من الأعمال الصالحة»[1].

وابن تيمية قد بين أن للناس في مسألة العطف قولين:

١) أنه من عطف الخاص على العام، لئلا يظن أنه لم يدخل في الأول فيذكر الإيمان أولاً لأنه الأصل الذي لابد منه ثم يذكر العمل الصالح فإنه أيضاً من تمام الدين لابد منه فلا يظن الظان صحة الأكتفاء بمجرد إيمان ليس معه العمل الصالح.

٢) وقيل: بل الأعمال في الاصل ليست من الإيمان فإن أصل الايمان هو ما في القلب ولكن هي لازمة له فمن لم يفعلها كان إيمانه منتفياً لأن انتفاء اللازم يقتضي انتفاء الملزوم ولكن صارت بعرف الشارع داخلة في اسم الإيمان اذا أطلق فإذا عطفت عليه ذكرت لئلا يظن الظان أن مجرد إيمانه بدون الأعمال الصالحة اللازمه للإيمان يوجب الوعد فكان ذكرها تخصيصاً وتنصيصاً ليعلم أن الثواب الموعود به في الآخرة وهو الجنة بلاعذاب لا يكون إلا لمن آمن وعمل صالحاً لا يكون لمن آمن ولم يعمل[2] فهذا يبين منزلة العمل من الإيمان وأنه لا يكتفى بمجرد التصديق بالقلب لأن العمل لازم لهذا التصديق.

(١) «الإيمان» (١٥٨).

(٢)انظر «الإيمان» (١٦٠).

٣) قد رد السلف على المرجئة الذين أخرجوا الأعمال عن مسمى الإيمان وبينوا أن الإيمان الشرعي لا يكون إلا بالقول والعمل لدلالة نصوص الكتاب والسنة على ذلك، وممن ناقش هذا الموضوع أبو ثور عندما سئل عن الإيمان وهل العمل منه فقال:

«فأما الطائفة التي زعمت أن العمل ليس من الإيمان فيقال لهم: ما أراد الله -عز وجل- من العباد إذ قال لهم أقيموا الصلاة وآتوا الزكاة؟ الإقرار بذلك أو الإقرار والعمل؟ فإن قالت أراد الإقرار ولم يرد العمل فقد كفرت عند أهل العلم من قال: إن الله لم يرد من العباد أن يصلوا ولا يؤتوا الزكاة فإن قالت: أراد منهم الإقرار والعمل قيل: فإذا أراد منهم الأمرين جميعاً لم زعمتهم أنه يكون مؤمناً بأحدهما دون الآخر؟ وقد أرادهما جميعاً.

أرأيتم لو أن رجلاً قال: أعمل جميع ما أمر الله ولا أقر به أيكون مؤمناً؟

فإن قالوا لا قيل : لهم فإن قال:أقر بجميع ما أمر الله به ولا أعمل منه شيئاً أيكون مؤمناً؟

فإن قالوا: نعم

قيل لهم ما الفرق؟ وقد زعمتم أن الله -عز وجل-أراد الأمرين جميعاً فإن جاز أن يكون بأحدهما مؤمناً إذا ترك الآخر جاز أن يكون بالآخر إذا عمل ولم يقر مؤمناً لا فرق بين ذلك.

فإن احتج فقال: لو أن رجلاً اسلم فأمر بجميع ما جاء به النبي ﷺأيكون مؤمناً بهذا الإقرار قبل أن يجئ وقت العمل؟

قيل له: إنما نطلق له الاسم بتصديقه أن العمل عليه بقوله أن يعمله في وقته إذا جاء وليس في هذا الوقت الإقرار بجميع ما يكون به مؤمناً، وقال: أقر ولا أعمل لم نطلق له اسم الايمان»[1]

فبين أن مجرد التصديق والإقرار بدون العمل لا ينفع وهذا الأصل عند السلف فهم مجمعون عليه.

---

(١) «شرح الاعتقاد» للالكائي (٤/ ٩٣٣) و«الإيمان» (٣٠٤).

٤) كذلك رد الإمام الآجري في الشريعة على من يرى خروج العمل من الايمان فقال -رحمه الله- «اعلموا رحمنا الله وإياكم أن الذي عليه علماء المسلمين أن الإيمان واجب على جميع الخلق وهو تصديق بالقلب وإقرار باللسان وعمل بالجوارح ثم اعلموا أنه لا تجزئ المعرفة بالقلب والتصديق إلا أن يكون معه الايمان باللسان نطقاً ولا تجزئ معرفة بالقلب ونطق باللسان حتى يكون عمل بالجوارح فإذا كملت فيه هذه الخصال الثلاث كان مؤمناً دل على ذلك القرآن والسنة وقول علماء السلف»[1].

ثم ذكر الأدلة من الكتاب والسنة وذكر كثيراً من أقوال السلف على أن الإيمان قول وعمل

وكذلك قال الأوزاعي: «لا يستقيم الإيمان الا بالقول ولا يستقم الإيمان والقول إلا بالعمل ولا يستقم الايمان والقول والعمل إلا بنية موافقة للسنة فكان ممن مضى من السلف لا يفرقون بين الإيمان والعمل، والعمل من الإيمان والإيمان من العمل وإنما الإيمان اسم يجمع كما يجمع هذه الأديان إسمها وتصديقه العمل فمن آمن بلسانه وعرف بقلبه وصدق ذلك بعمله فذلك العروة الوثقى التي لا انفصام لها ومن قال بلسان ولم يعرف بقلبه ولم يصدقه بعمله لم يقبل منه وكان في الآخرة من الخاسرين»[2].

٥) وقد ذكر الاجماع على ذلك من السلف غير واحد فقال الشافعي -رحمه الله- «وكان الإجماع من الصحابه والتابعين ممن أدركناهم أن الإيمان قول وعمل ونية ولا يجزئ واحد من الثلاثة إلا بالآخر»[3].

وقال بن عبدالبر «أجمع أهل الفقه والحديث على أن الإيمان قول وعمل»[4].

وقال البخاري: «كتبت عن ألف نفر من العلماء وزيادة ولم أكتب إلا عمن قال: الإيمان

(١) «الشريعة» (٢/ ٦١٩).

(٢) اللالكائي (٣/ ٩٥٦).

(٣) سبق تخريجه في كون الايمان قول وعمل

(٤) «التمهيد» (٩/ ٢٣٨).

قول وعمل ولم اكتب عمن قال:الإيمان قول»[1].

فتبين من هذه النصوص أن السلف لا يرون الإيمان إلا بالعمل لأنه الايمان الشرعي الذي دلت عليه النصوص وعرفه الله ورسوله إلى عباده.

أما زيادة الإيمان ونقصانه عند البيضاوي:

١) عند تفسيره لقوله –تعالى– ﴿فَزَادَهُمْ إِيمَـٰنًا ﴾[آل عمران: ١٧٣].

قال: والمعنى أنهم لم يلتفتوا إليه ولم يضعفوا بل ثبت يقينهم بالله وازداد إيمانهم وأظهروا حمية الإسلام واخلصوا النية وهو دليل على أن الإيمان يزيد وينقص ... وهذا ظاهر إن جعل الطاعة من جملة الإيمان وكذا إن لم تجعل فإن التصديق يزداد بالإلف وكثرة التأمل وتناصر الحجج»[2].

٢) تفسيره لقوله –تعالى– ﴿وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَـٰتُهُۥ زَادَتْهُمْ إِيمَـٰنًا ﴾[الأنفال: ٢]. لزيادة المؤمن به أو لاطمئنان النفس ورسوخ اليقين بتظاهر الأدلة، أو العمل بموجبها وهو قول من قال الإيمان يزيد بالطاعة وينقص بالمعصية بناء على أن العمل من الإيمان»[3].

٣) عند تفسيره لقوله –تعالى– ﴿لِيَزْدَادُوٓا۟ إِيمَـٰنًا مَّعَ إِيمَـٰنِهِمْ ﴾[الفتح: ٤].

قال: «يقيناً مع يقينهم برسوخ العقيدة واطمئنان النفس عليها أو نزل فيها السكون إلى ما جاء به الرسول ﷺ ليزدادوا إيماناً بالشرائع مع إيمانهم بالله واليوم الآخر»[4].

(١) اللالكائي (٥/ ٩٥٨).

(٢) «أنوار التنزيل» (١/ ١٩٣).

(٣) «أنوار التنزيل» (١/ ٣٣٥).

(٤) «أنوار التنزيل» (٢/ ٩٩١).

الخلاصة :

من هذه النصوص نرى أنه يثبت زيادة الإيمان ونقصانه فأثبت زيادة اليقين والعلم والطمأنينة ورسوخ العقيدة وسكون النفس وأن ذلك يزداد بتناصر الادله وكثرة التأمل و التدبر وكذلك أثبت الزياده بالايمان بالشرائع على التفصيل.

وهذا موافق للسلف لأن زيادة الإيمان تشمل التصديق واليقين والمعرفة بالإيمان والأدلة على الإجمال والتفصيل وكذلك الزيادة في الأعمال وكثرة الطاعات.

* * * * *

الفصل السابع
القضاء والقدر

المبحث الأول: تعريفه وذكر مراتبه.

المبحث الثاني: المخالفون في القدر.

المبحث الثالث: تقرير البيضاوي للقدر ومسائله.

المبحث الأول
تعريفه وذكر مذهب السلف في القضاء والقدر

أولاً: تعريف القضاء والقدر:

القضاء لغةً القضاء في اللغة يأتي بعدة معانٍ منها: «القضاء ويقصد: الحكم قضى ـ قضياً وقضاءً، وقضى مات»[(1)].

وقال الراغب في «المفردات»: «القضاء فصل الأمر قولاً كان أو فعلاً.

- ومن القول الإلهي: ﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوٓا۟ إِلَّآ إِيَّاهُ﴾ [الإسراء:٢٣]، أي: أمر بذلك.

- ﴿وَقَضَيْنَآ إِلَىٰ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ فِى ٱلْكِتَٰبِ﴾ [الإسراء:٤] فهنا قضاء بالإعلام.

- ﴿فَقَضَىٰهُنَّ سَبْعَ سَمَٰوَاتٍ فِى يَوْمَيْنِ﴾ [فصلت:١٢]، إشارة إلى إيجاده الإبداعي والفراغ منه.

- وقوله: ﴿وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِن رَّبِّكَ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى لَّقُضِىَ بَيْنَهُمْ﴾ [الشورى:١٤] أي: الفصل[(2)].

- وقوله: ﴿وَقَضَيْنَآ إِلَيْهِ ذَٰلِكَ ٱلْأَمْرَ﴾ [الحجر:٦٦]. أي: تقدمنا إليه وانهينا[(3)].

- قوله -تعالى-: ﴿فَٱقْضِ مَآ أَنتَ قَاضٍ﴾ [طه:٧٢]. أي: اصنع واحكم وافعل ما وصلت إليه يدك»[(4)].

- قوله -تعالى-: ﴿فَإِذَا قَضَيْتُم مَّنَٰسِكَكُمْ﴾ [البقرة:٢٠٠]، أي: أديتموها وفرغتم منها.

---

(١) «القاموس المحيط» للفيروز آبادي (١٠٦٧).

(٢) (ص٦٧٥).

(٣) «تفسير ابن كثير» (٤/ ٤٦٠).

(٤) نفس المصدر السابق (٥/ ٥٩٨).

- وقوله -تعالى-: ﴿فَوَكَزَهُۥ مُوسَىٰ فَقَضَىٰ عَلَيۡهِ﴾ [القصص:١٥]، أي: مات.

فهذه معاني القضاء في اللغة من الحكم والأمر والإعلام والفراغ والموت والفصل والإنهاء والأداء.

- وقال ابن فارس: «القاف والضاد والحرف المعتل أصل صحيح يدل على أحكام أمر وإتقانه وإنفاذه لجهته»[1].

تعريف القدر لغةً:

قال ابن فارس: «القاف والدال والراء أصل صحيح يدل على مبلغ الشيء وكنهه ونهايته»[2].

- وقال الفيروز آبادي: «القدر: محركه القضاء والحكم ومبلغ الشيء ويضم كالمقدار والطاقة كالقدْر فيهما جمع أقدار والقدر الغنى واليسار والقوة»[3].

- ويأتي بمعنى الطاقة ومنه قوله: ﴿عَلَى ٱلۡمُوسِعِ قَدَرُهُۥ وَعَلَى ٱلۡمُقۡتِرِ قَدَرُهُۥ﴾ [البقرة:٢٣٦].

- وبمعنى التضييق ومنه قوله: ﴿وَأَمَّآ إِذَا مَا ٱبۡتَلَىٰهُ فَقَدَرَ عَلَيۡهِ رِزۡقَهُۥ﴾ [الفجر:١٦].

- وبمعنى القياس وقدر كل شيء ومقداره مقياسه[4].

فهذه معاني القدر من الحكم ومبلغ الشيء والغنى واليسار والقوة والطاقة والتضييق والقياس.

والقضاء والقدر كل منهما يأتي بمعنى الآخر ومعاني القضاء الحكم والأمر والإنفاذ ومعاني القدر ترجع إلى التقدير والله هو الذي قدر مقادير الخلائق كلها وعلمها وشاءها.

---

(١) «معجم مقاييس اللغة» (٥/ ٩٩).

(٢) المرجع السابق (٥/ ٦٢).

(٣) «القاموس المحيط» (١٠٣٣).

(٤) المرجع السابق، نفس الصفحة.

معنى القضاء والقدر شرعاً:

قال النووي: «والقدر معناه أن الله -تبارك وتعالى- قدر الأشياء في القدم وعلم -سبحانه- أنها ستقع في أوقات معلومة عنده -سبحانه وتعالى- وعلى صفات مخصوصة فهي تقع على حسب ما قدرها -سبحانه وتعالى-»(1).

ثانياً: مراتب القدر:

مراتب القدر أربعة:

١- العلم ٢- الكتابة ٣- المشيئة والإرادة ٤- الخلق

١ـ مرتبة العلم:

وعلم الله شامل لكل شيء ما كان وما يكون وما لم يكن وأنه عالم ما الخلق عاملون قبل خلقهم ويعلم أرزاقهم وآجالهم وأحوالهم وحركاتهم وسكناتهم ومن منهم من أهل الجنة ومن منهم من أهل النار.

ويعلم سرهم وعلانيتهم فهو العليم الخبير علام الغيوب.

والأدلة على هذا من القرآن والسنة كثيرة نذكر بعضها:

من القرآن الكريم:

١- قوله -تعالى-: ﴿ هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ ۖ هُوَ ٱلرَّحْمَٰنُ ٱلرَّحِيمُ ﴾ [الحشر:٢٢].

٢- وقوله -تعالى-: ﴿لِتَعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ ٱللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَىْءٍ عِلْمًۢا ﴾ [الطلاق:١٢].

---

(1) «صحيح مسلم بشرح النووي» (كتاب الايمان باب بيان الايمان والاسلام والاحسان والقدر) (١ / ١٥٤).



٣- وقوله -تعالى-: ﴿وَعِندَهُۥ مَفَاتِحُ ٱلْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَآ إِلَّا هُوَ ۚ وَيَعْلَمُ مَا فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ ۚ وَمَا تَسْقُطُ مِن وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا حَبَّةٍ فِى ظُلُمَٰتِ ٱلْأَرْضِ وَلَا رَطْبٍ وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِى كِتَٰبٍ مُّبِينٍ﴾ [الأنعام:٥٩].

ومن السنة:

١ - قوله ﷺ: «**ما من مولود يولد إلا على الفطرة فأبواه يهودانه أو ينصرانه أو يمجسانه كما تنتج البهيمة بهيمة جمعاء هل تحسون فيها من جدعاء؟ حتى تكونوا أنتم تجدعونها**» قالوا: يا رسول الله أفرأيت من يموت منهم وهو صغير؟ قال: «**الله أعلم بما كانوا عاملين**»[(١)].

ومعنى الحديث: الله أعلم بما كانوا عاملين لو عاشوا.

وقال ابن عباس: علم ما يكون قبل أن يخلق[(٢)].

٢- وقوله ﷺ: «**ما منكم من نفس إلا وقد عُلم منزلها من الجنة والنار**»، قالوا: يا رسول الله فلم العمل؟ أفلا نتكل؟ قال: «**لا اعملوا فكل ميسر لما خلق له**» ثم قرأ: ﴿فَأَمَّا مَنْ أَعْطَىٰ وَٱتَّقَىٰ . وَصَدَّقَ بِٱلْحُسْنَىٰ . فَسَنُيَسِّرُهُۥ لِلْيُسْرَىٰ . وَأَمَّا مَنۢ بَخِلَ وَٱسْتَغْنَىٰ . وَكَذَّبَ بِٱلْحُسْنَىٰ . فَسَنُيَسِّرُهُۥ لِلْعُسْرَىٰ﴾[(٣)] [الليل:٥-١٠].

٢ـ مرتبة الكتابة:

وهي الكتابة في اللوح المحفوظ وهو الكتاب الذي لم يفرط فيه الله وهي كتابة مقادير الخلائق فكل ما جرى للخلق ويجري عليهم مكتوب عند الله -سبحانه- والأدلة على هذه المرتبة كثيرة جدًّا في الكتاب والسنة ولكن نكتفي بذكر بعضها.

من الكتاب:

١ - قوله -تعالى-: ﴿مَّا فَرَّطْنَا فِى ٱلْكِتَٰبِ مِن شَىْءٍ﴾ [الأنعام:٣٨].

---

(١)سبق تخريجه في مبحث الفطره ص(٧٨).

(٢) «شفاء العليل» (١/ ١٣٦).

(٣) «صحيح مسلم بشرح النووي» (كتاب القدر) (٦/ ١٩٧).

والمراد به اللوح المحفوظ على أحد الوجهين المقصود بالكتاب وهو الذي كتب الله فيه كل شيء.

٢- قوله -تعالى-: ﴿وَكُلَّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَٰهُ فِيٓ إِمَامٍ مُّبِينٍ﴾ [يس:١٢].

وهو اللوح المحفوظ وهو أم الكتاب وهو الذكر وهو الذي كتب فيه كل شيء يتضمن كتابة أعمال العباد قبل أن يعملوها والإحصاء في الكتاب يتضمن علمه بها وحفظه لها والإحاطة بعددها وإثباتها فيها»[١].

٣- وقوله -تعالى- لموسى: ﴿فَمَا بَالُ ٱلْقُرُونِ ٱلْأُولَىٰ .قَالَ عِلْمُهَا عِندَ رَبِّي فِي كِتَٰبٍ ۖ لَّا يَضِلُّ رَبِّي وَلَا يَنسَى﴾ [طه:٥١-٥٢].

فهنا أثبت مرتبة العلم ومرتبة الكتابة.

من السنة:

١- قوله ﷺ: «**كتب الله مقادير الخلائق قبل أن يخلق السماوات والأرض بخمسين ألف سنة قال وعرشه على الماء**»[٢].

٢- قوله ﷺ: «**إن الله كتب على ابن آدم حظه من الزنا أدرك ذلك لا محاله فزنا العينين النظر وزنا اللسان النطق والنفس تتمنى وتشتهي والفرج يصدق ذلك أو يكذبه**»[٣].

وغيرها من الأحاديث التي تبين أن الله كتب على العباد أعمالهم قبل أن يخلقهم وعلم ما هم عاملين وعلم من جعله للجنة ومن جعله للنار.

والإيمان بكتابة المقادير يدخل فيها خمسة تقادير:

(١) «شفاء العليل» لابن القيم (١/ ٦٣).

(٢) «صحيح مسلم بشرح النووي» (كتاب القدر) (٦/ ٢٠٣).

(٣)سبق تخريجه في مبحث الرد على البيضاوي ص(٢٤٨).

١- التقدير الأزلي:

وهو كتابة ذلك قبل خلق السماوات والأرض عندما خلق الله القلم ومن ذلك قول الرسول ﷺ في الحديث المتقدم.

ومنها: ما رواه أبو داود عن أبي حفصة قال: قال عبادة بن الصامت لابنه يا بني إنك لن تجد طعم حقيقة الإيمان حتى تعلم أن ما أصابك لم يكن ليخطئك وما أخطأك لم يكن ليصيبك، سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**إن أول ما خلق الله القلم فقال لهاكتب قال رب ّ وماذا أكتب؟ قال: اكتب مقادير كل شيء حتى تقوم الساعة**». يا بني إني سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**من مات على غير هذا فليس مني**»[(١)].

٢- كتابة الميثاق على بني آدم:

قال -تعالى-: ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنۢ بَنِىٓ ءَادَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ ۖ قَالُوا۟ بَلَىٰ ۛ شَهِدْنَآ ۛ أَن تَقُولُوا۟ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَٰذَا غَٰفِلِينَ . أَوْ تَقُولُوٓا۟ إِنَّمَآ أَشْرَكَ ءَابَآؤُنَا مِن قَبْلُ وَكُنَّا ذُرِّيَّةً مِّنۢ بَعْدِهِمْ ۖ أَفَتُهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ ٱلْمُبْطِلُونَ﴾ [الأعراف:١٧٣].

٣- التقدير العمري عند تخليق النطفة في الرحم:

ومنه حديث الرسول ﷺ: «**إن أحدكم يجمع خلقه في بطن أمه أربعين يوماً نطفة، ثم علقة مثل ذلك، ثم يبعث الله ملكاً فيؤمر بأربع برزقه وأجله وشقي أو سعيد ثم ينفخ فيه الروح فوالله إن أحدكم أو الرجل ليعمل بعمل أهل النار حتى ما يكون بينه وبينها غير باع أو ذراع فيسبق عليه الكتاب فيعمل بعمل أهل الجنة فيدخلها، وإن الرجل ليعمل بعمل أهل الجنة حتى ما يكون بينه وبينها غير ذراع أو ذراعين فيسبق عليه الكتاب فيعمل بعمل أهل النار فيدخلها**»[(٢)].

---

(١) (كتاب السنن) لأبي داود (باب القدر) رقم الحديث (٤٧٠٠).

(٢) «فتح الباري» (كتاب القدر) (١٥/ ١٨٥)، و«مسلم بشرح النووي» (كتاب القدر) باب كيفية خلق الآدمي في بطن أمه (٦/ ١٩٠).

وكذلك قول الرسول ﷺ: «**يدخل الملك على النطفة بعدما تستقر في الرحم بأربعين أو خمسة وأربعين ليلة فيقول يا رب شقي أو سعيد فيكتبان فيقول أي رب أذكر أو أنثى فيكتبان ويكتب عمله وأثره وأجله ورزقه ثم تطوى الصحف فلا يزاد فيها ولا ينقص**»[(1)].

٤- التقدير الحولي في ليلة القدر:

يقدر فيها كل ما يكون في السنة إلى مثلها.

قال -تعالى-: ﴿إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ فِى لَيْلَةٍ مُّبَٰرَكَةٍ ۚ إِنَّا كُنَّا مُنذِرِينَ . فِيهَا يُفْرَقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ﴾[الدخان:٣-٤].

وتفسير ذلك: أن يقضي في هذه الليلة ما يتعلق بالخلائق من معايش وحياة وموت وغيره إلى مثلها من السنة الأخرى.

٥- التقدير اليومي:

وهو سوق المقادير إلى المواقيت التي قدرت لها فيما سبق ودليله قوله -تعالى-: ﴿كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِى شَأْنٍ﴾ [الرحمن:٢٩].

٣ـ مرتبة المشيئة والإرادة:

فما شاء كان وما لم يشأ لم يكن، فما شاء الله كونه فهو كائن بقدرته لا محالة لقوله -تعالى-: ﴿إِنَّمَآ أَمْرُهُۥٓ إِذَآ أَرَادَ شَيْـًٔا أَن يَقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ﴾ [يس:٨٢].

وما لم يشأ لم يكن لعدم مشيئة الله إياه، وليس لعدم قدرته ومنه قوله -تعالى-: ﴿وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَجَمَعَهُمْ عَلَى ٱلْهُدَىٰ﴾[الأنعام:٣٥].

وقوله -تعالى-: ﴿وَلَوْ شَآءَ رَبُّكَ لَءَامَنَ مَن فِى ٱلْأَرْضِ كُلُّهُمْ جَمِيعًا﴾[يونس:٩٩].

وجعل للإنسان مشيئة لكنها تحت مشيئته لقوله -تعالى-: ﴿لِمَن شَآءَ مِنكُمْ أَن يَسْتَقِيمَ . وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [التكوير:٢٨-٢٩].

(١) «مسلم بشرح النووي» (كتاب القدر) (٦/ ١٩٣) رقم (٢٦٤٤).



وهذه المرتبة قد دل عليها الرسل من أولهم إلى آخرهم ومن ذلك قول نوح -عليه السلام- لقومه: ﴿إِنَّمَا يَأْتِيكُم بِهِ ٱللَّهُ إِن شَآءَ﴾ [هود:٣٣].

وقول شعيب: ﴿وَمَا يَكُونُ لَنَآ أَن نَّعُودَ فِيهَآ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ رَبُّنَا ۚ وَسِعَ رَبُّنَا كُلَّ شَيْءٍ عِلْمًا﴾ [الأعراف:٨٩].

والآيات في هذا كثيرة جداً.

وأما من السنة:

فمنه قوله ﷺ: «**إن قلوب بني آدم بين أصبعين من أصابع الرحمن كقلب واحد يصرفه حيث شاء**»، ثم قال رسول الله ﷺ: «**اللهم مصرف القلوب صرف قلوبنا على طاعتك**»[1].

فقوله يصرفه حيث شاء إثبات مشيئة الله النافذة.

وقوله ﷺ في شأن الجنين «**فيقضي ربك ما يشاء ويكتب الملك**»[2].

وكذلك قوله في احتجاج الجنة والنار: «**فقال الله للجنة أنت رحمتي أرحم بك من أشاء من عبادي وقال للنار أنت عذابي أعذب بك من أشاء من عبادي فلكل واحدة منكم ملؤها**»[3].

٤ـ مرتبة الخلق:

وهو الإيمان بأن الله خالق كل شيء، وما من ذرة في السماوات والأرض إلا هو خالقها فالله خالق كل عامل وعمله وكل متحرك وحركته وكل ساكن وسكونه خالق الكون وما فيه من مخلوقات، وأدلة ذلك كثيرة جداً.

من القرآن:

قوله -تعالى-: ﴿ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَيْءٍ﴾ [الرعد:١٦].

---

(١) مسلم بشرح النووي القدر باب تصريف القلوب كيف يشاء (٦/ ٢٠٤).

(٢) نفس المصدر السابق (٦/ ١٩٤).

(٣) نفس المصدر السابق (كتاب الجنة باب جهنم أعاذنا الله منها) (٦/ ١٨١).

قوله -تعالى-: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَجَعَلَ ٱلظُّلُمَٰتِ وَٱلنُّورَ﴾ [الأنعام:١].

قوله -تعالى-: ﴿يَخْلُقُكُمْ فِى بُطُونِ أُمَّهَٰتِكُمْ خَلْقًا مِّنۢ بَعْدِ خَلْقٍ فِى ظُلُمَٰتٍ ثَلَٰثٍ﴾ [الزمر:٦].

والآيات في هذه المرتبة كثيرة جداً تدل على أن الله هو الخالق وحده لا شريك له وكل ما سواه مخلوق مربوب فلا خالق غيره وإليه المرجع والمصير.

من السنة:

ما رواه البخاري في خلق أفعال العباد عن النبي ﷺ قوله: «**إن الله يصنع كل صانع وصنعته وتلا بعضهم عند ذلك:** ﴿وَٱللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ﴾ [الصافات:٩٦]»[1].

كذلك ما رواه في «صحيحه» عن المغيرة بن شعبة -رضي الله عنه- سمعت رسول الله ﷺ يقول خلف الصلاة: «**لا إله إلا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير، اللهم لا مانع لما أعطيت ولا معطي لما منعت ولا ينفع ذا الجد منك الجد**»[2].

فالمانع والمعطي هو الله الخالق وحده.

وفي «الصحيحين» عن أبي موسى الأشعري، قال: قال لي رسول الله ﷺ: «**ألا أدلك على كلمة من كنوز الجنة أو قال على كنز من كنوز الجنة فقلت: بلى فقال: لا حول ولا قوة إلا بالله**»[3].

وهي كلمة استسلام وتفويض إلى الله واعتراف بأن لا صانع إلا الله ولا رادّ لأمره وأن العبد لا يملك شيئاً من الأمر.

والمعنى: «أن الحول والحركة والحيلة أي: لا حركة ولا استطاعة ولا حيلة إلاّ بمشيئة الله

---

(١) (١/ ٦٦- رقم ١٢٤).

(٢) «فتح الباري» (القدر) (باب لا مانع لما أعطى الله) (١٥/ ٢٤٢).

(٣) البخاري كتاب القدر باب لاحول ولاقوة الا بالله الفتح (١٥/ ٢٢٣)و«مسلم بشرح النووي» كتاب الذكر والدعاء والتوبه باب الاكثار من قول لا اله الا الله (٦/ ٢٧).

-تعالى- وقيل معناه لا حول في دفع شر ولا قوة في تحصيل خير إلاّ بالله وقيل: لا حول عن معصية الله إلا بعصمته ولا قوة على طاعته إلا بمعونته وحكي هذا عن ابن مسعود -رضي الله عنه- وكله متقارب»[1].

وهذه النصوص تدل على أن الله هو الخالق والمدبر لكل أمر ومنه الهداية والإضلال والمنع والإعطاء، والحول والقوة فهو الخالق المحيي والمميت وهو المضحك والمبكي فلا خالق غيره ولا رب سواه.

والأدلة على هذا كثيرة لا يمكن لنا حصرها[2].

❋ ❋ ❋ ❋ ❋

(١) نفس المصدر السابق، نفس الموضع.

(٢) انظر: «شفاء العليل» لابن القيم، وكذلك «القضاء والقدر» لعبد الرحمن المحمود.

المبحث الثاني
المخالفون في القضاء والقدر

١ـ أصل القول بالقدر:

عند التحدث عن القضاء والقدر إثباتاً ونفياً نجد الانحراف فيه كان موجوداً لدى الأمم والأديان القديمة كما أخبرت بذلك كتب الفرق وذلك لتعلقه بحياة البشر[1].

والقرآن قد حكى لنا عن مشركي العرب وإثباتهم للقدر واحتجاجهم به.

فقال -تعالى-: ﴿سَيَقُولُ ٱلَّذِينَ أَشْرَكُواْ لَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَآ أَشْرَكْنَا وَلَآ ءَابَآؤُنَا وَلَا حَرَّمْنَا مِن شَيْءٍۚ كَذَٰلِكَ كَذَّبَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ حَتَّىٰ ذَاقُواْ بَأْسَنَا﴾ [الأنعام:١٤٨].

وغيرها من الآيات التي تبين احتجاجهم بالقدر على شركهم وهو احتجاج باطل مردود لأن القدر لا يحتج به في المعاصي والشرك من أعظمها.

- وأما في عهد الرسول ﷺ حين نزول القرآن وتبليغه للناس حتى كمل الدين والصحابه -رضي الله عنهم- يتلقونه بالإيمان والفهم والعمل ولم يكن في عهدهم إبتداع أو تنازع في أمور العقيدة وأكثر اسئلتهم كانت عن أمور الشريعة وقد بينها الله لهم في كتابه العزيز وبينها لهم رسولهم الكريم.

- وأما ما حدث من التحدث في عهده ﷺ في أمر القدر كما روي عن عبدالله بن عمرو بن العاص أن رسول الله ﷺ خرج وهم يتنازعون في القدر فقد نهاهم الرسول ﷺ فانتهوا عن ذلك وكلهم مثبتون للقدر كما جاء في الكتاب والسنة بل لما ظهرت القدرية في أواخر عصر الصحابة تصدوا لها وردوا على من قال بها.

وأما أول من قال بالقدر فهو رجل من البصرة بالعراق ونشره بين الناس وهو معبد

(١) انظر في ذلك وأسبابه القضاء والقدرلعبد الرحمن المحمود ص(١٢٥)



الجهني[1]. كما ذكرت المصادر وأنه أخذه عن رجل نصراني أسلم ثم تنصر وأخذه عن معبد غيلان الدمشقي[2].

وقيل أول من ابتدعه بالعراق رجل من أهل البصرة يقال له سنسويه من أبناء المجوس واخذه عنه معبد الجهني.

وقد روى الإمام الألكائي عن ابن عون قوله «أدركت الناس ما يتكلمون إلاّ في علي وعثمان حتى نشأ ها هنا حقير يقال له سنسويه البقال»[3].

وعن يونس بن عبيد قال «أدركت البصرة وما بها قدري إلا سنسويه ومعبد الجهني وآخر ملعون في بني عوافه[4]»

- وكذلك قال البخاري في خلق أفعال العباد رداً على القدرية «الاّ المعتزلة فإنهم أدعوا أن فعل الله مخلوق وأن أفعال العباد غير مخلوقة وهذا خلاف علم المسلمين الاّ من تعلق من البصريين بكلام سنسويه فإنه كان مجوسياً فادعى الإسلام فقال الحسن أهلكتهم العجمة»[5].

٢) وقيل أنه تلقاه عن رجل نصراني أسلم ثم تنصر اسمه سوسن وأخذ عنه معبد الجهني وأخذ عن معبد غيلان الدمشقي.

وثبت عند مسلم أن أول من قال بالقدر معبد الجهني فروى عن يحي بن يعمر قوله «كان أول من قال في القدر بالبصرة معبد الجهني»[6].

---

(١) هو معبد بن عبدالله بن عليم سمع الحديث من ابن عباس وابن عمرو معاوية وعمران بن خصيمه وشهد يوم التحكيم وكانت له عبادة وزهد قيل قتله الحجاج وقيل عبدالملك سنه (٨٠ هـ) انظر البداية والنهاية (٩/ ٤٣).

(٢) غيلان الدمشقي هو أبو مروان غيلان ابن مسلم أحد البلغاء تنسب اليه فرقة الغيلانية قتل في عهد هشام ابن عبد الملك الذي تولى الخلافه عام ١٠٥هـ انظر ترجمته في الاعلام لزركلي (٥/ ٣٢٠).

(٣) «اعتقاد أهل السنه والجماعه» (٢/ ٨٢٦)، وانظر «الشريعة» للآجري (٢/ ٩٦٠).

(٤) نفس المصدر.

(٥) (٢/ ١٦٥).

(٦) «مسلم بشرح النووي» (١/ ١٥٤).

واختلف هل اسم هذا الرجل سنسويه أو سوسن أو يونس الاسواري كما عند الآجري ولعله شخص واحد وسواء كان المجوس أو النصارى فهذا يدل على أن أصل نفي القدرمتلقى من غير المسلمين والمتفق عليه أن معبد الجهني هو من أخذ القدر عن هذا الرجل وأشاعه وأخذه عنه غيلان الدمشقي وهؤلاء هم غلاة القدرية أو القدرية الأوائل الذين ينكرون العلم والكتابة وجاء عند مسلم «أنهم يزعمون أن لا قدر وأن الأمر أنف» قال النووي أي مستأنف لم يسبق به قدر ولا علم من الله -تعالى- وإنما يعلمه بعد وقوعه»[1].

وقد رد عليهم الصحابة كإبن عمر وابن عباس و أبوهريرة وأنس بن مالك وغيرهم وحكى الألكائي عن أهل العلم تكفير من انكر علم الله[2].

٢ـ المخالفون في القضاء والقدر:

المخالفون في القضاء والقدر فرقتان:

١) القدرية التي غالت في نفي القدر حتى نفت أن تكون أفعال العباد مخلوقة لله. وهؤلاء هم القدرية المتأخرين وهم المعتزلة.

٢)الجبرية التي غالت في إثبات القدر حتى جعلت العبد مجبوراً على فعله.

١ - القدرية المتأخرين (المعتزلة):

لأن القدرية الأوائل في أواخر عصر الصحابة والذين أنكروا العلم والكتابة وهؤلاء القدرية قد انقرضوا ولم يعد لهم وجود.

وأما القدرية المتأخرون فهم يقرون بعلم الله ولكنهم يقولون بخلق العباد لأفعالهم وهؤلاء قد انتشر القدر على أيديهم فهم ينفون مشيئةالله وخلقه لأفعال العباد.

وقال ابن تيمية «ولكن لما اشتهر الكلام في القدر ودخل فيه كثير من أهل النظر والعباد

(١) مسلم بشرح النووي(١/ ١٥٤).

(٢) انظر «اعتقاد أهل السنة» (٢/ ٧٨١).

صار جمهور القدرية يقرون بتقدم العلم وإنما ينكرون عموم المشيئة والخلق»[1].

وحقيقة قولهم أن الله ليس خالقاً لأفعال العباد وزعموا أن العبد هو المحدث للمعصية وهو المحدث للطاعة فجعلوا العباد خالقين لأفعالهم مستقلين بها عن إرادةالله ومشيئته وخلقه.

ولهذا سموا بالقدرية لنفيهم القدر عن الله وإثباته لأنفسهم ومدعي الشيء لنفسه ومضيفه إليها أولى بأن ينسب إليه ممن يعتقده لغيره وينفيه عن نفسه.

وقد جاء في أحاديث الرسول ﷺ عن ابن عمر «**أن القدرية مجوس هذه الأمة إن مرضوا فلا تعودهم وإن ماتوا فلا تشهدوهم**»[2].

وقال الخطابي «إنما جعلهم ﷺمجوساً لمضاهاة مذهبهم مذهب المجوس في قولهم بالأصليين النور والظلمة يزعمون أن الخير من فعل النور والشر من فعل الظلمة فصاروا ثنوية وكذلك القدرية يضيفون الخير إلى الله -تعالى- والشر إلى غيره والله -سبحانه وتعالى- خالق الخير والشر جميعاً لا يكون شيء منهما إلا بمشيئته فهما مضافان إليه -سبحانه وتعالى- خلقاً وإيجاداً وإلى الفاعلين لهما من عباده فعلاً وإكتساباً والله أعلم»[3].

الجبرية:

وجاء في القاموس المحيط «الجبر: خلاف الكسر، والملك والعبد ضد ... وخلاف القدر ....» [4].

وقال الراغب «أصل الجبر: إصلاح الشيء بضرب من القهر يقال جبرته فانجبر

(١) «الإيمان» (٣٠٢).

(٢) رواه الآجري في «الشريعة» (٢/ ٨١) وقال محققه عبدالله الدميجي إسناده حسن.

(٣) نقلاً عن «صحيح مسلم بشرح النووي» (١/ ١٥٤).

(٤) «القاموس» للفيروز آبادي (ص١٨٨) بترتيب خليل مأمون شيحا.

واجتبر»[1].

والجبر في اللغه ثلاثة أصول هي:

١ – أن يغني الرجل من فقر أو يجبر عظمه من كسر وهذا من الإصلاح

٢ – الإكراه والقهر وأكثر ما يستعمل هذا على أفعل يقال أجبرته على كذا إذا أكرهته عليه ولا يكاد يجي جبرته عليه إلاّ قليلاً.

٣ – من العز والإمتناع ومنه نخلةجبّارة ورجل جبّار والجبّار من النخل ما طال وفاق اليد.

وأما الجبّار من أسماء الرب فقد فسر بأنه الذي يجبر الكسير ويغني الفقير والرب كذلك. ولكن ليس هذا معنى إسم الجبار ولهذا قرن بإسمه المتكبر فالجبّار اسم من أسماء التعظيم كالمتكبر والملك والعظيم والقهار قال بن عباس في قوله –تعالى– ﴿ٱلْجَبَّارُ ٱلْمُتَكَبِّرُ﴾ [الحشر: ٢٣].

هو العظيم وجبروت الله عظمته[2].

والجبر لا يعرف في الكتاب والسنة ولهذا انكر السلف هذه اللفظة وقال الأوزاعي «ما أعرف للجبر أصلاً من القرآن والسنة فأهاب أن أقول ذلك ولكن القضاء والقدر والخلق والجبل فهذا يعرف في القرآن والحديث عن رسول الله ﷺ»[3].

والجبر اصطلاحاً:

«وهو نفي الفعل حقيقة عن العبد وأضافته إلى الرب –تعالى–».

والمقصود أن العبد مجبور على أفعاله مقسور عليها وإنما تنسب إليه الأفعال على سبيل

(١) «مفردات الراغب» (ص١٨٣).

(٢) انظر «شفاء العليل» (١/ ٣٦٤) باختصار وتصرف.

(٣) «مجموع الفتاوى» (٨/ ١٠٥).

المجاز والاّ فهو كالشجرة تحركها الرياح.

وأن تكليفه -تعالى- للعباد وأمره بالطاعات ونهيه عن المعاصي هو تكليف ما لا يطاق وأنها كتكليف المقعد أن يرقى إلى السبع الطباق وأن تعذيبه للعصاة إنما هو تعذيب على فعله لا على أفعالهم تعالى الله عن أقوالهم.

والجبر أقسام:

١ - جبرية خالصة هي التي لا تثبت للعبد فعلاً ولا قدرة على الفعل أصلاً وإنما هو مجبور على فعله.

٢ - جبرية متوسطه وهي تثبت للعبد قدره لكنها غير مؤثرة وأهم فرقهم الجهمية - النجارية - الضرارية[(١)].

وظهور الجبرية كفرقة لها آراء ومعتقدات وأقوال كما ذكرت المصادر مرتبط بظهور الجهم بن صفوان الترمذي المقتول عام (١٢٨ هـ) على يد سلم بن أحوز المازني في آخر عهد بني مروان، أي أن ظهورها في أوائل المائة الثانية للهجرة[(٢)].

وقال ابن القيم:

بعد ذكره للقدرية النفاة «ثم تبنت طائفة أخرى من القدرية فنفت فعل العبد وقدرته واختياره وزعمت أن حركته الإختيارية - والإختيار - كحركة الأشجار عند هبوب الرياح وكحركات الأمواج وأنه على الطاعة والمعصية مجبور وأنه غيرميسر لما خلق له بل هو عليه مقسور ومجبور ثم تلا أتباعهم على آثارهم مقتدين ... فقرروا هذا المذهب وانتموا إليه وحققوه وزادوا عليه أن تكاليف الرب لعباده تكليف ما لا يطاق وأنها في الحقيقه كتكليف المقعد أن يرقى إلى السبع الطباق فالتكليف بالإيمان وشرائعه تكليف بما ليس من فعل العبد

---

(١) «الملل والنحل» للشهرستاني (٦٧) .

(٢) انظر «الفرق بين الفرق» للبغدادي (٢١٢).

ولا هو بمقدور ... وكلف عباده بأفعاله وليسوا عليها قادرين ثم عاقبهم عليها وليسوا في الحقيقة لها فاعلين ثم تلاهم على آثارهم محققوهم من العباد فقالوا ليس في الكون معصيةألبتة إذ الفاعل مطيع للإرادة موافق كما قيل:

أصبحت منفعلاً لما يختاره   مني ففعلي كله طاعات»[1].

وهكذا حال الجبرية وغلاة الصوفية القائلين بالجبر والمحتجين بالقدر على أفعالهم السيئة بل هم يرون أن أفعالهم كلها طاعات وهم و إن عصوا أمر الله أطاعوا إرادته وهذا القول من أقبح الأقوال بل هو أشر من قول القدرية النفاة.

* * * * *

(١) «شفاء العليل» (١/ ٤٧-٤٨).

المبحث الثالث
أقوال البيضاوي في القضاء والقدر

أثبت البيضاوي - رحمه الله- القدر ويتضح ذلك من خلال أقواله في تفسيره للآيات ويمكننا أن نرتب ذلك حسب مراتب القدر الأربعه التي لا يمكن الإيمان بالقدر الاّ بها ومن أنكر شيء منها فليس مثبت للقدر.

١ـ مرتبة العلم:

أثبت البيضاوي -رحمه الله- العلم الشامل لله -سبحانه وتعالى- كما مر في مبحث الصفات ونعرض لبعض هذه الآيات.

١) قوله -تعالى- ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَخْفَىٰ عَلَيْهِ شَيْءٌ فِي ٱلْأَرْضِ وَلَا فِي ٱلسَّمَآءِ ﴾[آل عمران: ٥]. قال «أي شيء كائن في العالم كلياً كان أو جزئياً إيماناً أو كفراً .... وهو:كالدليل على كونه حياً »[1].

٢- في قوله -تعالى- ﴿لَا يَعْزُبُ عَنْهُ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ ﴾[سبأ: ٣].

قال لا يبعد عنه ولا يغيب عن علمه (من مثقال ذرة) موازن نمله صغيره أو هباء ... والمقصود منه البرهان على إحاطة علمه بها»[2].

٣- قوله -تعالى- ﴿يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ ﴾[البقرة: ٢٥٥].

قال «ما قبلهم وما بعدهم أو بالعكس لأنك مستقبل ومستدبر الماضي أو أمور الدنيا وأمور الآخرة أو عكسه أو ما يحسونه وما يعقلونه أو ما يدركونه وما لا يدركونه .... لأن مجموعهما يدل على تفرده بالعلم الذاتي التام الدال على وحدانيته .... عالم الأشياء كلها جليها وخفيها كليها وجزئيها»[3].

---

(١) «أنوار التنزيل» (١/ ١٥٤).

(٢) «أنوار التنزيل» (١/ ٤٢١).

(٣) «أنوار التنزيل» (١/ ١٤٠).

أثبت البيضاوي -رحمه الله- أن عالم لبكل شيء وأن علمه تام بما كان وما يكون وأنه يعلم الأشياء كلها جليها وخفيها.

٢ـ مرتبة الكتابة:

١ - في قوله -تعالى- ﴿مَّا فَرَّطْنَا فِي ٱلْكِتَٰبِ مِن شَيْءٍ﴾[الأنعام: ٣٨].

قال -رحمه الله- «يعني اللوح المحفوظ فإنه مشتمل على ما يجري في العالم من الجليل والدقيق لم يهمل فيه أمر حيوان ولا جماد، أو القرآن فإنه قد دون فيه ما يحتاج إليه من أمر الدين مفصلاً أو مجملاً»[1].

٢- في قوله -تعالى- ﴿ إِنَّا نَحْنُ نُحْيِ ٱلْمَوْتَىٰ وَنَكْتُبُ مَا قَدَّمُوا۟ وَءَاثَٰرَهُمْ ۚ وَكُلَّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَٰهُ فِيٓ إِمَامٍ مُّبِينٍ ﴾[يس: ٢٢].

قال: ﴿وَنَكْتُبُ مَا قَدَّمُوا۟﴾ ما أسلفوا من الأعمال الصالحه والطالحه ﴿وكل شيء أحصيناه في إمام مبين﴾ يعني اللوح المحفوظ»[2].

فنرى من هذه الآيات أنه أثبت مرتبة الكتابة وهي في اللوح المحفوظ وكذلك كتابة الملائكة للأعمال وهو في هذا موافق للسلف ونقتصر على هذه الآيات للإختصار[3].

٣ـ مرتبة الخلق:

١ - في قوله -تعالى- ﴿قُلِ ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ ٱلْوَٰحِدُ ٱلْقَهَّٰرُ﴾[الرعد: ١٦].

قال «أي لا خالق غيره فيشاركه في العباده جعل الخلق موجب العباده ولازم استحقاقها ثم نفاه عمن سواه ليدل عليه قوله ﴿وَهُوَ ٱلْوَٰحِدُ﴾ المتوحد بالألوهية ﴿ٱلْقَهَّٰرُ﴾ الغالب على كل

(١) «انوار التنزيل» (١/ ٣٠١) .

(٢) «أنوار التنزيل» (٢/ ٨٦٦) .

(٣) انظر (٢/ ٦٧٧-٧٧٥-٤٤١-٨٨٥-١٠٤٩) (١/ ٣٩٣).

شيء»[1].

٢- قوله -تعالى- ﴿إِنَّ رَبَّكُمُ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ يُغْشِي اللَّيْلَ النَّهَارَ يَطْلُبُهُ حَثِيثًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ وَالنُّجُومَ مُسَخَّرَاتٍ بِأَمْرِهِ ۗ أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ ۗ تَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾[الأعراف: ٥٤].

قال ﴿أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ﴾ فإنه الموجد والمتصرف»[2].

٣- قوله -تعالى- ﴿أَفَمَن يَخْلُقُ كَمَن لَّا يَخْلُقُ ۗ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ﴾[النحل: ١٧].

قال «إنكار بعد إقامة الدلائل المتكاثرة على كمال قدرته وتناهي حكمته والتفرد بخلق ما عدد من مبدعاته لأن يساويه ويستحق مشاركته ما لا يقدر على خلق شيء من ذلك بل على إيجاد شيء ما»[3].

فقد أثبت أن الخالق لكل شيء هو الله الواحد الأحد وأن ما عداه لا يخلق شيئاً وأنه متفرد بالخلق لا شريك له -تعالى-.

٤ - مرتبة المشيئة والقدرة والإرادة:

١ - في قوله -تعالى- ﴿وَلَٰكِنَّ اللَّهَ يَفْعَلُ مَا يُرِيدُ﴾[البقره: ٢٥٣].

قال «وأن الحوادث بيد الله -سبحانه وتعالى- تابعة لمشيئته خيراً كان أو شراً إيماناً أو كفراً»[4].

٢ - في قوله -تعالى- ﴿إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾[البقره: ٢٠].

قال «والقادر هو الذي إن شاء فعل وإن لم يشأ لم يفعل، والقدير: الفعّال لما يشاء على ما

(١) «أنوار التنزيل» (١/ ٥٠٧).

(٢) «أنوار التنزيل» (٢/ ٣٤٣).

(٣) «أنوار التنزيل» (١/ ٥٤٣).

(٤) «أنوار التنزيل» (١/ ١٣٨).

يشاء ولذلك قلما يوصف به غير الباري -تعالى- وإشتقاق القدره من القدر لأن القادر يوقع الفعل على مقدار قوته أو على مقدار ما تقتضيه مشيئته»[1].

٣- وفي قوله -تعالى- ﴿فَعَّالٌ لِّمَا يُرِيدُ﴾[البروج: ١٦].

قال «لا يمتنع عليه مراد من أفعاله وأفعال غيره»[2].

أثبت البيضاوي مشيئة الله -تعالى- وأن كل شيء تابع لمشيئته فما شاء كان وما لم يشأ لم يكن وأن الله قادر على كل شيء وكل ما أراده كائن...

فالبيضاوي -رحمه الله- قد أثبت مراتب القدر الأربعة من العلم والكتابة والخلق والمشيئة فهو في هذا موافق للسلف أهل السنة والجماعة.

موقف البيضاوي من أفعال العباد «الكسب»:

البيضاوي -رحمه الله- قد أثبت أن أفعال العباد كسب لهم وبإختيارهم وإرادتهم ومشيئتهم إلاّ أنها تابعة لمشيئةالله -سبحانه وتعالى- ورد على المعتزلة وعلى الجبرية.

نذكر بعض نصوصه في هذا:

١- في قوله -تعالى- ﴿إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾[البقره: ٢٠].

بعد تفسيرها قال « ... وفيه دليل على أن الحادث حال حدوثه والممكن حال بقائه مقدوران وأن مقدور العبد مقدور لله لأنه شيء وكل شيء مقدور لله -تعالى-»[3].

٢- في قوله -تعالى- ﴿فَمَن شَآءَ فَلْيُؤْمِن وَمَن شَآءَ فَلْيَكْفُرْ﴾[الكهف: ٢٩].

قال «.... وهو لا يقتضي إستقلال العبد بفعله فإنه وإن كان بمشيئته فمشيئته ليست

(١) نفس المصدر (١/ ٣٩).

(٢) نفس المصدر (٢/ ١١٤٥) .

(٣) «أنوار التنزيل» (١/ ٣٩).

بمشيئته»[1].

٣- في قوله -تعالى- ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَظْلِمُ ٱلنَّاسَ شَيْـًٔا وَلَـٰكِنَّ ٱلنَّاسَ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴾[يونس: ٤٤].

قال ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَظْلِمُ ٱلنَّاسَ ﴾ يسلب حواسهم وعقولهم ﴿وَلَـٰكِنَّ ٱلنَّاسَ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴾ بإفسادها وتفويت منافعها عليهم وفيه دليل على أن للعبد كسباً وأنه ليس بمسلوب الإختيار بالكلية كما زعمت المجبرة»[2].

٤- في قوله -تعالى- ﴿وَلَـٰكِنَّ ٱللَّهَ يَفْعَلُ مَا يُرِيدُ ﴾[البقره: ٢٥٣].

قال «... وأن الحوادث بيد الله -سبحانه وتعالى-تابعه لمشيئته خيراً كان أو شراً إيماناً أو كفراً»[3].

٥- في قوله -تعالى- ﴿سَتَجِدُنِىٓ إِن شَآءَ ٱللَّهُ صَابِرًا وَلَآ أَعْصِى لَكَ أَمْرًا ﴾[الكهف: ٦٩].

قال «... وفيه دليل على أن أفعال العباد واقعة بمشيئة الله -تعالى-»[4].

٦- في قوله -تعالى- ﴿وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَـٰكِنَّ ٱللَّهَ رَمَىٰ ﴾[الأنفال: ١٧].

قال ﴿وَمَا رَمَيْتَ ﴾ يا محمد رمياً توصله إلى أعينهم ولم تقدر عليه ﴿إِذْ رَمَيْتَ ﴾ أي إذ أتيت بصورة الرمي ﴿وَلَـٰكِنَّ ٱللَّهَ رَمَىٰ ﴾ أتى بما هو غاية الرمي فأوصلها إلى أعينهم جميعاً حتى انهزموا وتمكنتم من قطع دابرهم»[5].

٧- في قوله -تعالى- ﴿وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ وَيَخْتَارُ ۗ مَا كَانَ لَهُمُ ٱلْخِيَرَةُ ۚ سُبْحَـٰنَ ٱللَّهِ وَتَعَـٰلَىٰ

(١) نفس المصدر (٢/ ٦٠٤).

(٢) «أنوار التنزيل» (١/ ٤٣٨).

(٣) «أنوار التنزيل»(١/ ١٣٨).

(٤) «أنوار التنزيل» (٢/ ٦١٢).

(٥) «أنوار التنزيل» (١/ ٣٨٠).

عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴾ [القصص: ٦٨].

قال: «﴿مَا كَانَ لَهُمُ ٱلْخِيَرَةُ ﴾ أي التخير كالطيرة بمعنى التطير وظاهره نفي الإختيار عنهم رأساً والأمر كذلك عند التحقيق فإن اختيار العباد مخلوق بإختيار الله منوط بدواع لا إختيار لهم فيها»[1].

الخلاصة :

١) هذه نصوص البيضاوي نرى أنه موافق فيها للسلف لأنه أثبت مشيئة الله النافذة لكل شيء وأن جميع الحوادث تابعه لمشيئة الله -سبحانه وتعالى- وأن أفعال العباد ومقدوراتهم مقدور لله لأنه شيء وكل شيء مقدور لله -تعالى- وإن العبد لا يستقل بفعله وإن كان بمشيئته وإختياره لأن أفعال العباد واقعه بمشيئة الله وأن لهم كسب وأختيار وإرادة ومشيئة لكنها تابعة لمشيئة الله -سبحانه وتعالى-.

والبيضاوي في هذه النصوص قدرد على القدرية المعتزلة الذين يرون أن مقدور العباد غير مقدور لله وأن العباد خالقين لأفعالهم. وكذلك رد على الجبرية الذين يسلبون العباد قدرتهم وإختيارهم ويقولون أن العبد مجبور على فعله.

٢- وتفسيره للآية في سورة الأنفال أن الرسول ﷺ أتى ببداية الرمي ولم يأتي بغاية الرمي الذي هو إيصاله إلى أعين الكفار بل ذلك إلى الله -سبحانه وتعالى- وهو تفسير صحيح موافق لأهل السنة والجماعة.

٣- في النص الأخير في تفسيره لآية القصص ونفيه للإختيار قد يفهم من ظاهر كلامه أنه يقول بالجبر ولكن تفسيره الآية صحيح لأن الله قد أثبت لنفسه الخلق والإختيار ونفاه عن العباد في هذه الآية وتفسيرها هنا موافق لتفسير السلف لأن القضاء في كتاب الله نوعين:

(١) «أنوار التنزيل» (٢/ ٧٩٠).

١- القضاء الكوني:

المتعلق بالحوادث الكونية التي قدرها الله وقضاها مما يشترك فيه المؤمن والكافر والبر والفاجر وأهل الطاعة وأهل المعصية. وهذا القضاء متعلق بروبية الله وخلقه وكل شيء مخلوقاً لله مدبر بمشيئته مقهور بحكمته -تعالى- فما شاء كان وإن لم يشأ الناس ومالم يشأ لم يكن وإن شاءه الناس لا معقب لحكمه ولا راد لأمره ومن هذا القضاء قوله -تعالى- ﴿ فَلَمَّا قَضَيْنَا عَلَيْهِ ٱلْمَوْتَ ﴾[سبأ: ١٤].

وقوله -تعالى- ﴿فَقَضَىٰهُنَّ سَبْعَ سَمَٰوَاتٍ فِي يَوْمَيْنِ ﴾[فصلت: ١٢].

٢- القضاء الشرعي الديني:

وهو المتعلق بالأمور التي يحبها الله ويرضاها ويثيب عليها

- منها قوله -تعالى- ﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُ ﴾[الإسراء: ٢٣].

أي أمر وشرع ولو كان قضاءاً كونياً لما عبد غير الله[١].

وقال ابن القيم في معنى الآية:

«أي هو -سبحانه- هو المتفرد بالخلق والإختيار مما خلق وهو الإصطفاء والإجتباء ولهذا كان الوقف التام عند قوله «ويختار».

ثم نفى عنهم الإختيار الذي اقترحوه بإرادتهم وأن ذلك ليس إليهم بل إلى الخلاق العليم الذي هو أعلم بمحال الإختيار ومواضعه لا من قال ﴿لَوْلَا نُزِّلَ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانُ عَلَىٰ رَجُلٍ مِّنَ ٱلْقَرْيَتَيْنِ عَظِيمٍ﴾[الزخرف: ٣١].

فأخبر أنه لا يبعث الرسل بإختيارهم وأن البشر ليس لهم أن يختاروا على الله بل هو الذي

(١) انظر «مجموع الفتاوى» (٨/ ٥٨) و«شفاء العليل» (٢/ ٧٦٧) و«شرح الطحاويه» لابن أبي العز (٢/ ٦٥٦).

يخلق ما يشاء ويختار ثم نفى أن تكون لهم الخيرة كما ليس لهم الخلق»[1].

وقال الشيخ عبدالرحمن السعدي:

في تفسيره لهذه الآية «هذه الآيات فيها عموم خلقه لسائر المخلوقات ونفوذ مشيئته بجميع البريات وانفراده بإختيار من يختاره ويختصه من الأشخاص والأوامر والأزمان والأماكن وأن أحداً ليس له من الأمر والإختيار شيء وأنه -تعالى- منزه عن كل ما يشركون به من الشريك والظهير والعوين والولد والصاحبه ونحو ذلك مما أشرك به المشركون»[2].

فهذا معنى القضاء الكوني القدري الذي يعم جميع الخلق ولا اختيار للخلق فيه فهو واقع حسب قضاء الله وقدره في خلقه لا مرد له وأما القضاء الشرعي الديني فهو ما يتعلق بأوامر الله فلا شك أن الله قد أقدر العباد على أفعالهم وجعل لهم قدرة وإرادة ومشيئة ولكنها تابعة لمشيئة الله -تعالى- ولا يخرج عن مشيئتة شيء من مخلوقاته -سبحانه وتعالى-.

وهذا ما يكثر السؤال عنه من العامة هل الإنسان مسير أم مخير؟ فهو بالإعتبار الأول مسير حسب أقدار الله الكونيه التي لا مرد لها ولا اختيار للعبد فيها بل يجب أن يصبر على مر القضاء وحلوه ويعلم أن كل شيء بقضاء الله وقدره.

وهو بالإعتبار الثاني مخير حسب قضاء الله الشرعي الديني لأن الله أقدره على أفعاله وجعل له مشيئة واختيارا وبين له طريق الخير والشر فيثيبه على الطاعه ويعاقبه على المعصية وكلها بقضاء الله وقدره فله الخلق والأمر.

وبهذا تبين معنى الآية وأن تفسير البيضاوي لها صحيح وأنه موافق للسلف في أن أفعال العباد تابعة لمشيئة الله وأن لهم كسبا واختيارا وإرادة وأن لا اختيار لهم في قضاء الله الكوني القدري وهو ما فسر به آية القصص وأثبت في النصوص التي قبلها كسب العباد واختيارهم.

---

(١) «شفاء العليل» (١/ ١٤٠).

(٢) «تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان» (٦٢٢) (ط١) مؤسسة الرسالة.

٤ - وأما من قال من الباحثين[١] أن البيضاوي قد قال بالجبر في كتاب الطوالع وقال بالإختيار والكسب في تفسيره وأنه تناقض فليس الأمر كذلك فإنه في كتاب الطوالع

أو رد فيه أقوال خصومه من المعتزلة ورد عليهم وأورد أقوال أصحابه من الاشاعرة في معنى الكسب ولم يصرح برأيه هو في الكسب ورأي أن الآمر فيه مشكل وينبغي ترك المجادلة فيه وتفويضه إلى الله أي أنه توقف فيه، وأما رده على المعتزلة الذي فهم منه الباحث أنه يقول بالجبر فليس في رده عليهم ما يثبت أنه يقول بالجبر ما لم يصرح هو بذلك، وكتابه الطوالع متقدم في تأليفه على التفسير لأن تفسيره من آخر كتبه التي ألفها فهو موافق فيه للسلف كيف لا وهو يرد على القدرية المعتزلة وعلى الجبرية النافية لقدرة العبد ومشيئته، أي أنه استقر رأيه في آخر عمره على رأي السلف في أفعال العباد وأنها مخلوقه لله وأنها بمشيئة الله مع إثبات القدرة والمشيئه للعبد. والسلف أهل السنة والجماعه قد ردوا على القدرية النافية للقدر وردوا على الجبرية، وبينوا المذهب الحق في القدر وفي أفعال العباد.

ومن ذلك قول أحمد بن حنبل -رحمه الله- «فمن لم يؤمن بالقدر ورده فقد ضاد الله -عز وجل- في أمره ورد على رسول الله ﷺ «**اعملوا فكل ميسر لما خلق له**»[٢].

وأما من كان من أهل النار فهو من أهلها ومن كان من أهل الجنة فهو من أهلها وأفاعيل العباد مخلوقة مقضية عليهم بقضاء وقدر والخير والشر مكتوبان على العباد والمعاصي بقدر قال الله -تعالى- ﴿إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ﴾[القمر: ٤٩] [٣].

وقال ابن تيمية «اعلم أن العبد فاعل على الحقيقة وله مشيئة ثابتة وله إرادة جازمة وقوة صالحة وقد نطق القرآن بإثبات مشيئة العباد في غير ما آية كقوله «لمن شاء منكم أن يستقيم وما

---

(١) د. حموده السعفي في بحثه «ناصر الدين البيضاوي وآراؤه الكلامية والفلسفية» ص(١٦٠).

(٢) رواه البخاري حديث (٤٦٦٦) ومسلم (٢٦٤٧).

(٣) «السنة» لأبي بكر الخلال (١/ ٤٣).

تشاؤون إلاّ أن يشاء الله رب العالمين».

و﴿فَمَن شَآءَ ٱتَّخَذَ إِلَىٰ رَبِّهِۦ سَبِيلًا﴾ [المزّمل:١٩] ﴿فَمَن شَآءَ ذَكَرَهُۥ. وَمَا يَذْكُرُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُۚ هُوَ أَهْلُ ٱلتَّقْوَىٰ وَأَهْلُ ٱلْمَغْفِرَةِ﴾[المدثر:٥٥-٥٦].

ونطق باثبات فعله في عامة آيات القرآن : (يعملون) (يؤمنون) (يكفرون)........ وكما فارقنا مجوس الأمة بإثبات أنه -تعالى- خالق فارقنا الجبرية بإثبات أن العبد كاسب فاعل صانع عامل والجبر المعقول الذي انكره سلف الأمة وعلماء السنةهو أن يكون الفعل صادراً على الشيء من غير إرادة ولا مشيئة ولا اختيار مثل حركة الأشجار بهبوب الرياح ... وحركة المحموم والمفلوج .. فكل عاقل يجد تفرقة بديهية بين قيام الإنسان وقعوده وصلاته وجهاده ... وبين انتفاض المفلوج وانتفاض المحموم ونعلم أن الأول قادر على الفعل مريد له مختار وأن الثاني غير قادر عليه ولا مريد له ولا مختار ...

والمحكي عن جهم وشيعته «الجبرية» أنهم زعموا أن جميع أفاعيل العباد قسم واحد وهو قول ظاهر الفساد»[1].

وقال ابن القيم عن أهل السنة:

«وهم في هذه المسألة وغيرها من المسائل أسعد الناس بالحق من جميع الطوائف فإنهم يثبتون قدرة الله على جميع الموجودات من الأعيان والأفعال ومشيئتة العامة وينزهونه أن يكون في ملكه مالا يقدر عليه ولا هو واقع تحت مشيئته ويثبتون القدر السابق وأن العباد يعملون على ما قدره الله وقضاه وفرغ منه وأنهم لا يشاؤون إلا أن يشاء الله لهم ولا يفعلون إلاّ بعد مشيئته وأن ما شاء كان ومالم يشأ لم يكن ولا تخصيص عندهم في هاتين القضيتين بوجه من الوجوه ويؤمنون بأنه من يهده الله فلا مضل له ومن يضلل فلا هادي له ... ويثبتون مع ذلك

(١) «مجموع الفتاوى» (٨/ ٣٩٣).

قدرة العبد وإرادته وإختياره وفعله حقيقة لا مجازاً»[1].

موقف البيضاوي من بعض الألفاظ:

كالختم، والطبع، والغشاوة، والران

١) في قوله -تعالى- ﴿ خَتَمَ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ وَعَلَىٰ سَمْعِهِمْ ۖ وَعَلَىٰٓ أَبْصَـٰرِهِمْ غِشَـٰوَةٌ ۖ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴾ [البقرة: ٧].

بعد تفسيرها قال «ولا ختم ولا تغشية على الحقيقة وإنما المراد بهما أن يحدث في نفوسهم هيئة تمرنهم على استحباب الكفر والمعاصي واستقباح الإيمان والطاعات بسبب غيهم وانهماكهم في التقليد وإعراضهم عن النظر الصحيح فتجعل قلوبهم بحيث لا ينفذ فيها الحق وأسماعهم تعاف استماعه فتصير كأنها مستوثق منها بالختم، وابصارهم لا تجتلي الآيات المنصو به لهم في الأنفس والآفاق كما تجتليها أعين المستبصرين فتصير كأنها غطي عليها وحيل بينها وبين الإبصار وسماه على الاستعارة ختماً وتغشية.

أو مثل قلوبهم ومشاعرهم المؤوفة بها بأشياء ضرب حجاب بينها وبين الاستنفاع بها ختماً وتغطية وقد عبر عن إحداث هذه الهيئة بالطبع

- في قوله -تعالى- ﴿ أُو۟لَـٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ طَبَعَ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ وَسَمْعِهِمْ ﴾[النحل: ١٠٨].
- وبالاغفال في قوله -تعالى- ﴿وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُۥ عَن ذِكْرِنَا ﴾[الكهف: ٢٨].
- وبالإقساء في قوله -تعالى- ﴿وَجَعَلْنَا قُلُوبَهُمْ قَـٰسِيَةً ﴾[المائدة: ١٣][2].

الرد:

من كلام البيضاوي -رحمه الله- عن الطبع - الختم - التغشيه والاغفال والإقساء وغيرها من الألفاظ فهو لا يراها على الحقيقة بل هي استعارة ومجاز وهذا مخالف للسلف أهل السنة

(١) «شفاء العليل» (١/ ٢٠٠-٢٠١).

(٢) «أنوار التنزيل» (١/ ٢٨).

والجماعة، لأن هذه الأمور تثبت على الحقيقة لأن الله ورسوله أثبتها فهي جزاء على كفرهم واعراضهم وعدم استجابتهم لأمر الله قال ابن القيم:

«فإنه -سبحانه وتعالى- جعل ذلك عقوبة لهم وجزاء على كفرهم وإعراضهم عن الحق بعد أن عرفوه كما قال -تعالى- ﴿فَلَمَّا زَاغُوٓاْ أَزَاغَ ٱللَّهُ قُلُوبَهُمۡۚ وَٱللَّهُ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلۡفَٰسِقِينَ ﴾ [الصف: ٥]. وقال ﴿بَلۡۜ رَانَ عَلَىٰ قُلُوبِهِم مَّا كَانُواْ يَكۡسِبُونَ﴾[المطففين: ١٤].

.. وقال ﴿ثُمَّ ٱنصَرَفُواْۚ صَرَفَ ٱللَّهُ قُلُوبَهُم ﴾[التوبه: ١٢٧]. ....إلى أن قال «فإنه إذا دعا عبده إلى معرفته ومحبته وذكره وشكره فأبى العبد إلا إعراضاً وكفراً قضى عليه بأن أغفل قلبه عن ذكره وصده عن الإيمان وحال بين قلبه وبين قبول الهدى وذلك عدل منه وتكون عقوبته بالختم والطبع والصد عن الإيمان»[1].

وأما القول بأنها ليست على الحقيقة بل هي مجاز واستعارة وتمثيل فهذا مخالف للسلف لأنه تبع فيه للمتكلمين الذين يرون هذه الألفاظ مجاز ليست على حقيقتها وذلك بزعمهم تنزيها لله عن الظلم والسلف يرونها على الحقيقه.

- قال ابن القيم:

«وها هنا عدة أمور عاقب بها الكفار لمنعهم من الإيمان وهي الختم، الطبع ، والأكنه، والغطاء، والغلاف، والحجاب والغشاوة ، والران، والغل والسد، والقفل والصمم، والوقر ، والبكم والعمى والصد والصرف والشد على القلب، والضلال والإغفال والمرض وتقليب الأفئدة والحول بين المرء وقلبه وإزاغة القلوب، والخذلان والإركاس والتثبيط والتزيين وعدم إرادة هداهم وتطهيرهم، وإماتة قلوبهم بعدم خلق الحياة فيها ...وجعل القلب قاسياً أو جعل الصدر ضيقاً لا يقبل الإيمان.

وهذه الأمور منها ما يرجع إلى القلب كالختم والطبع والقفل والأكنه والإغفال والمرض

(١) «شفاء العليل» (١/ ٢٧٩).

ونحوها ومنها ما يرجع إلى رسوله الموصل إليه الهدى كالصمم والوقر ومنها ما يرجع إلى طليعته ورائده كالعمى والغشاء ومنها ما يرجع إلى ترجمانه ورسوله المبلغ عنه كالبكم النطقي وهو نتيجة البكم القلبي وإذا بكم القلب بكم اللسان».

ونفى -رحمه الله- أن تكون هذه الأمور الحاصلة للقلب والسمع والبصر أن تكون مجازات واستعارات فقال «ولا تصغ إلى قول من يقول إن هذه مجازات واستعارات فإنه قال بحسب مبلغه من العلم والفهم عن الله ورسوله وكأن هذا القائل حقيقة القفل عنده أن يكون من حديد، والختم أن يكون بشمع أو طين والمرض أن يكون حمى بنافض أو قولنج أو غيرهما من أمراض البدن والموت هو مفارقة الروح للبدن ليس إلاّ، والعمى ذهاب ضوء العين الذي تبصر به .... إلى أن قال فالعمى في الحقيقة والبكم والموت والقفل للقلب ثم قال -تعالى- ﴿فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى ٱلْأَبْصَٰرُ وَلَٰكِن تَعْمَى ٱلْقُلُوبُ ٱلَّتِي فِي ٱلصُّدُورِ﴾[الحج: ٤٦]. وهذا النفي يحتمل وجهين:

١) **أحدهما**: أن يكون المعنى !نأ ابصارهم لم تعمّ عن رؤية آياتنا بل رأوها عياناً ولكن عميت قلوبهم عنها ويدل عليه قوله ﴿أَفَلَمْ يَسِيرُوا۟ فِي ٱلْأَرْضِ فَتَكُونَ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَآ أَوْ ءَاذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا﴾ [الحج: ٤٦]. ثم قال: ﴿فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى ٱلْأَبْصَٰرُ﴾ أي قد رأوا وابصروا، ولكن عميت قلوبهم ولم يبصروا.

٢) **الوجه الثاني**: أن يكون المعنى أن ليس العمى في الحقيقه عمى البصر إذا كان القلب مبصراً وإنما العمى الحقيقي عمى القلب الذي في الصدور، والمعنى أنه معظم العمى وأصله»[1].

وعلى التقديرين فقد أثبت للقلب عمى حقيقيا وهكذا جميع ما نسب إليه من هذه الأمور.

(١) «شفاء العليل» (١/ ٢٩٢-٢٩٣).

٤ـ الإستطاعه:

الإستطاعة والطاقة والوسع والقدرة الفاظ متقاربة وهي تتعلق بقدرة العبد واستطاعته على الفعل.

عرفها الجرجاني: «بأنها عرض يخلقه الله في الحيوان يفعل به الأفعال الاختيارية ... وهي عند المتكلمين عبارة عن صفة بها يتمكن الحيوان من الفعل والترك»[(١)].

ووقع الخلاف فيها على عدة أقوال:

١ – قول الجهمية أن العبد ليس له استطاعة ولا قدرة بل تنسب إليه الأفعال على المجاز لا على الحقيقه[(٢)]

٢ – قول المعتزلة أن للعبد قدرة ولكنها متقدمة على الفعل وهي صالحة للفعل وضده غير موجبة للفعل.

قال عبدالجبار «أن من مذهبنا أن القدرة متقدمه على مقدورها وعند المجبره أنها مقارنه له»[(٣)].

٣– عند الأشاعرة أن الإستطاعة مقارنة للفعل لا تتقدمه ولا تتأخر عنه يقول الباقلاني «ويجب أن يعلم أن الإستطاعة للعبد تكون مع الفعل لا يجوز تقديمها عليه ولا تأخيرها عنه»[(٤)].

قول البيضاوي في الإستطاعة:

في قوله –تعالى– ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ﴾[الفاتحه: ٥].

قال «والإستعانة : طلب المعونة وهي ضرورية أو غير ضرورية والضرورية مالا يتأتى

(١) «التعريفات» ص (٢٤).

(٢) «الفرق بين الفرق» للبغدادي (٢١١).

(٣) «شرح الأصول الخمسة» (ص٢٦٧).

(٤) «الإنصاف» (٧١).

الفعل دونه كإقتدار الفاعل وتصوره وحصول آلةومادة يفعل بها فيها وعند استجماعها يوصف الرجل بالإستطاعة ويصح أن يكلف بالفعل. وغير الضرورية تحصيل ما يتيسر به الفعل ويسهل كالراحلة في السفر للقادر على المشي أو يقرب الفاعل على الفعل ويحثه عليه وهذا القسم لا يتوقف عليه صحة التكليف والمراد طلب المعونة في المهمات كلها أو في أداء الواجبات ...» [(١)].

الخلاصة:

المفهوم من كلام البيضاوي أن الإستطاعة عنده نوعين:

١) ضرورية لابد منها لحصول الفعل كقدرة الفاعل وتصوره للفعل وحصول آلة الفعل ومادته وهذه الإستطاعة هي مناط التكليف عنده.

وهي ما تسمى بسلامة الآلات والأسباب والشروط وهي متقدمة على الفعل غير موجبه له عند أهل السنة

٢) استطاعة غير ضرورية أي ليست بلازمة بل هي ميسرة للفعل كالراحلة للسفر للقادر على المشي أو تقريب الفاعل للفعل وحثه عليه أي هي ميسرة للفعل ويمكن إيجاد الفعل بدونها ولكن لا يحصل اليسر إلاّ بها فهي مناط يسر التكليف لا أصله.

ومن تقسيمه لهذه الإستطاعة نفهم من القسم الأول أنها مجموع القدرة وسلامة الآلات والأسباب والشروط وهي مناط التكليف أي لا يقع التكليف إلاّ بها فلا يقع على المقعد مثلاً وهذه الإستطاعة عند أهل السنه متقدمة على الفعل غير موجبة له.

والمفهوم من كلامه عن القسم الثاني وهي الإستطاعة غير الضرورية وهي الميسرة أنها من قبيل الأولى لأن المتفق عليه بين الفقهاء أن الزاد والراحلة من الإستطاعة المتقدمة على الفعل.

وأما الإستطاعة مع الفعل فقد بينها في معنى الإرادة في قوله -تعالى- ﴿مَاذَآ أَرَادَ ٱللَّهُ بِهَٰذَا

(١) «أنوار التنزيل» (١/ ١٥).

مَثَلًا ﴾ [البقره: ٢٦].

قال «الإرادة نزع النفس وميلها إلى الفعل بحيث يحملها عليه ويقال للقوة التي هي مبدأ النزوع والأول مع الفعل والثاني قبله»(١).

ومن هنا فهو يقول أن الإرادة التي هي نزوع النفس وميلها إلى الفعل بحيث يحملها عليها هي مع الفعل. والإرادة التي هي مبدأ النزوع تكون قبل الفعل وهذا القول صحيح فإن الفعل متوقف على القدرة والإرادة.

«والمشروط في التكليف أن يكون العبد قادراً لا أن يكون مريداً له لكنه لا يوجد إلاّ إذا كان مريداً له فالإرادة شرط في وجوده لا في وجوبه»(٢).

والبيضاوي قد أثبت القدرة وسلامة الآلات وهي مناط التكليف وأثبت الإرادة الجازمه بقوله (بحيث يحملها عليه) وبها يحصل الفعل وهذا موافق للسلف.

قال ابن القيم:

«أن القدرة نوعان: قدرة مصححة وهي قدرة الأسباب والشروط وسلامة الآلة وهي مناط التكليف وهذه متقدمة على الفعل غير موجبة له وقدرة مقارنة للفعل مستلزمة له لا يتخلف عنها وهذه ليست شرطاً في التكليف فلا يتوقف صحته وحسنه عليها فإيمان من لم يشأ الله إيمانه وطاعة من لم يشأ الله طاعته مقدور بالإعتبار الأول غير مقدور بالإعتبار الثاني»(٣).

لأن هذه القدرة المستلزمه للفعل قدرة كونية قدرية لا يتخلف الفعل عنها ومن لم يؤمن فهذه القدرة ليست ثابته له وهذا فضل الله يؤتيه من يشاء(٤).

---

(١) «أنوار التنزيل» (١/ ١٥٠).

(٢) «منهاج السنة» لابن تيميه (٢/ ٢٩٥).

(٣) «شفاء العليل» (١/ ٣٢٠) وانظر «منهاج السنة» (٢/ ٢٩٥) و«مجموع الفتاوى» (٨/ ١٢٩) و«درء التعارض» (١/ ٦٠).

(٤) انظر «مجموع الفتاوى» (٨/ ١٢٩).

٥ـ تكليف ما لا يطاق:

والطاقة هي الإستطاعة واختلفت فيها الأقوال لعدم تحديدهم لمعنى ما لا يطاق ما المقصود منه هل هو المستحيل كالجمع بين الضدين؟ أو هو الممتنع عادة؟

وهذه الأقوال هي:

١ - **قول الجهم بن صفوان** في جواز تكليف ما لا يطاق مطلقاً كتكليف الأعمى البصر- والزمن أن يسير إلى مكه[1].

٢ - **قول المعتزلة** في عدم جواز تكليف ما لا يطاق لقبحه عقلاً.

قال عبدالجبار في عدم جواز ذلك «فإن كل عاقل يعلم بكامل عقله أن تكليف الأعمى بنقط المصحف على جهةالصواب وتكليف الزمن بالمشي قبيح»[2].

٣ - **قول الأشاعرة**: أن تكليف ما لا يطاق جائز وحكى الشهرستاني أن تكليف ما لا يطاق جائز على مذهب الشيخ ابي الحسن الأشعري[3]

وقال الإيجي: «تكليف ما لا يطاق جائز عندنا ....ومنعه المعتزلة لقبحه عقلاً»[4].

وهو مراتب:

١) أن يمتنع الفعل لعلم الله بعدم وقوعه أو إرادته أو اخباره والتكليف به جائز عندهم إجماعاً وإلاّ لم يكن العاصي بكفره وفسقه مكلفاً لأن الاستطاعة عندهم مع الفعل وعند المعتزلة قبل الفعل لهذا منعته المعتزلة.

٢ - أن يمتنع لنفس مفهومه كجمع الضدين وقلب الحقائق فأن هذا محالاً وهو مختلف فيه بعضهم جوزه والبعض لا يجوز وقوعه.

(١) «مجموع الفتاوى»(٨/ ١٣٠).

(٢) «شرح الأصول الخمسة» (ص ٢٦٧).

(٣) انظر «الملل والنحل» (٧١).

(٤) «شرح المواقف» للايجي (٤/ ٢٢٢).

لأن تصوره على وجه الوقوع منتف والعلم بالمستحيل علم لا معلوم له

٣- أن لا تتعلق به القدرة الحادثة عامة كحمل الجبل والطيران إلى السماء فهذا جائز عندهم وإن لم يقع بالإستقراء[(١)].

موقف البيضاوي من تكليف ما لا يطاق:

١- عند تفسيره لقوله -تعالى- ﴿ **إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ سَوَآءٌ عَلَيۡهِمۡ ءَأَنذَرۡتَهُمۡ أَمۡ لَمۡ تُنذِرۡهُمۡ لَا يُؤۡمِنُونَ** ﴾ [البقرة: ٦].

قال: «.... والآية مما احتج به من جوز تكليف ما لا يطاق فإنه -سبحانه وتعالى- أخبر عنهم بأنهم لا يؤمنون وأمرهم بالإيمان فلو آمنوا انقلب خبره كذباً وشمل إيمانهم الإيمان بأنهم لا يؤمنون فيجتمع الضدان».

والحق: أن التكليف بالممتنع لذاته وإن جاز عقلاً من حيث أن الاحكام لا تستدعي غرضاً سيما الإمتثال لكنه غير واقع للإستقراء والإخبار بوقوع الشيء أو عدمه لا ينفي القدرة عليه»[(٢)].

٢- عند تفسيره لقوله -تعالى- ﴿ **رَبَّنَا وَلَا تَحۡمِلۡ عَلَيۡنَآ إِصۡرٗا كَمَا حَمَلۡتَهُۥ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِنَاۚ رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلۡنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِۦ** ﴾[البقره: ٢٨٦].

قال: « ....وهو دليل على جواز التكليف بما لا يطاق والا لما سئل التخلص منه»[(٣)].

التعليق:

من نصوصه يتبين أنه ممن جوز التكليف بما لا يطاق بل وجعل الآية ﴿ **رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلۡنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِۦ** ﴾ دليلاً على جوازه والاّ لما سئل التخلص منه وفي الآية الأولى بين أن الممتنع لذاته

---

(١) انظر «شرح المواقف» (٤/ ٢٢٢-٢٢٣).

(٢) «أنوار التنزيل» (١/ ٢٨).

(٣) «أنوار التنزيل» (١/ ١٥٢).

وهو المستحيل كالجمع بين الضدين وإن جاز عقلاً إلا أنه غير واقع للإستقراء. ولكن الاخبار بوقوعه وعدمه لا ينفي القدره عليه وهو بهذا موافق للأشاعرة في تجويز ما لا يطاق وأنه على مراتب عندهم.

وأما مذهب أهل السنة والجماعة فلم يطلقوا هذا على التكاليف الشرعية بل هي من البدع الحادثة في الإسلام يقول ابن تيمية «فإطلاق القول بتكليف ما لا يطاق من البدع الحادثه في الإسلام»[1].

ومذهبهم في هذا الأمر هو التفصيل وأنه على وجهين:

١) **الوجه الأول**: هو أن ما لا يقدر على فعله لاستحالته كالأمر بالمحال وكالجمع بين الضدين وجعل المحدث قديماً، والقديم محدثاً أو كان مما لا يقدر عليه للعجز عنه كالمقعدالذي لا يقدر على القيام والأخرس الذي لا يقدر على الكلام فهذا الوجه لا يجوز تكليفه.

٢ - **الوجه الثاني**: ما لا يقدر على فعله لا لاستحالته ولا للعجز عنه لكن لتركه والإشتغال بضده كالكافر كلفه الإيمان في حال كفره لأنه غير عاجز عنه ولا مستحيل منه فهو كالذي لا يقدر على العلم لاشتغاله بالمعيشه فهذا.. هو قول جمهور الناس من الفقهاء والمتكلمين وهو قول جمهور أصحاب الإمام أحمد»[2].

وأما من قال من أهل الكلام بان تكليف الممتنع لذاته واقع في الشريعة وهذا قول الرازي وطائفة قبله، والبيضاوي قد بين أن هذا وإن جاز عقلاً إلا أنه غير واقع بالإستقراء.

والذين جوزوا يحتجون بأن تكليف أبي لهب وغيره من هذا الباب كلف أن يصدق بالأخبار التي جملتها الإخبار بأن لا يؤمن وهذا غلط فإنه من أخبر الله أنه لا يؤمن وأنه يصلى النار بعمد دعاء النبي ﷺ له إلى الإيمان فقد حقت عليه كلمة العذاب: كالذي يعاين الملائكة وقت الموت لم يبق بعد هذا مخاطباً من جهة الرسول بهذين الآمرين المتناقضين»[3].

(١) «درء التعارض» (١/ ٦٤-٦٥).

(٢) «مجموع الفتاوى» (٨/ ٢٩٥).

(٣) «مجموع الفتاوى» (٨/ ٣٠٢-٤٣٨-٤٧١).

(٤) لسان العرب ج ١٥ حرف الميم فصل الحاء

نفي الحكمة والغرض في أفعال الله :

الحكمة : قال ابن منظور : " الحكمة عبارة عن معرفة أفضل الأشياء بأفضل العلوم ، ويقال لمن يحسن دقائق الصناعات ويتقنها حكيم "(٤)

وفي حكمة الله وتعليلها أختلف الناس فيها الى أقوال :

١- نُفاة الحكمة قالوا : أن الله يفعل مايشاء لا لحكمة فأثبتوا له القدرة والمشيئة ونفوا الحكمة لظنهم أنها تستلزم الحاجة وهذا قول الأشعري وأصحابه ومن وافقهم

٢- من يثبت له حكمة تعود الى العباد فهو يأمر ويخلق لحكمة تعود الى العباد وهو نفعهم والإحسان إليهم وهذا قول المعتزلة وغيرهم

٣- من يثبت له حكمة تعود الى الرب لكن بحسب علمه. قالوا: خلقهم ليعبدون ويحمدون ويثنوا عليه وهم من خلقه لذلك وهم من وجد منه ذلك فهومخلوق لذلك وهذه حكمة مقصودة واقعة بخلاف الحكمة التي أثبتتها المعتزلة. وهذا قول الكرامية.(١)

٤- قول جمهورأهل السنة وهوقول سائرالطوائف من الذين يقولون بالتعليل من الفقهاء وأهل الحديث والصوفية وأهل الكلام وغيرهم وهو أن الله يفعل مايفعل لحكمة يعلمها هو، وهو يعلم العبادأو بعض العباد من حكمته مايطلعهم عليه وقد لايعلمون ذلك.والأمور العامة التي يفعلها تكون لحكمة عامة ورحمة عامة كإرساله محمدا ﷺ قال تعالى:﴿ وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا رَحۡمَةٗ لِّلۡعَٰلَمِينَ ﴿١٠٧﴾ ﴾ [الأنبياء:١٠٧].

موقف البيضاوي من تعليل أفعال الله:

---

(١) انظر مجموع الفتاوي (٨/ ٣٦).

(٢) أنوار التنزيل (١/ ٥٢).

(٣) انظر مجموع الفتاوي (٨/ ٣٦).

(٤) شفاء العليل (٢/ ٥٣٧).

١ -عنـد تفسـيره لقولـه تعـالى ﴿ هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ لَكُم مَّا فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا ثُمَّ ٱسْتَوَىٰٓ إِلَى ٱلسَّمَآءِ ﴾ [البقرة:٢٩].

قال:...ومعنى" لكم "لأجلكم وانتفاعكم في دنياكم باستنفاعكم بها في مصـالح ابـدانكم بوسط أو بغير وسط.ودينكم بالإستدلال والإعتبار والتعرف لما يلائمهـا مـن لـذات الآخـرة وآلامها.لا على وجه الغرض،فإن الفاعـل لغـرض مسـتكمل بـه بـل عـلى أنـه عاقبـة الفعـل ومؤداه....)٢

الـــرد:

من هذا النص نراه ينفي الغرض في أفعال الله لان ذلـك يسـتلزم الحاجـة والنقصـان وهـو محال عليه تعالى فهذا مذهب الأشاعرة نفاة الحكمة وأهـل السـنة والجماعـة يثبتـون لله الحكمـة البالغة في أفعاله.وحكمة الله تتضمن أمرين:

١- حكمة تعود إليه سبحانه وتعالى يحبها ويرضاها.

٢- وحكمــة تعــود إلى عبــاده وهــي نعمــة علــيهم يفرحــون بهــا وهــذا في المــأمورات والمخلوقات،فالمأمورات كل أعمال الطاعة يحبهـا ويرضـاها ففيهـا حكمـة لـه ورحمـة لعباده وكذلك في المخلوقات كل ماخلقه الله خلقه لحكمة تعود إليه تعالى يحبها وخلقه رحمة بالعباد ينتفعون بها.٣

فأفعاله قد دلت"أنه سبحانه حكيم لايفعل شيئاعبثا ولالغير معنى ومصلحة وحكمة هـي الغاية المقصودة بالفعل،بل أفعاله سبحانه صادرة عن حكمة بالغة لأجلها فعل كما هي ناشـئة عن أسباب بها فعل،وقد دل كلامه وكلام رسوله على هذا وهذا في مواضع لاتكاد تحصى".٤

الفصل الثامن
النبوات

التمهيد

النبوة فضل من الله سبحانه وتعالى لمن أختاره من خلقه ليكون نبياً رسولاً فهي منحة إلهية لا تنال بالكسب والاجتهاد كما يدعيه الفلاسفة وليست جزاء لكثرة الأعمال الصالحة بل هي فضل من الله لمن اصطفاه من عباده، وجعلهم الله وسائط بينه وبين خلقه لتبليغ رسالاته إليهم، وإقامة الحجة على الخلق يوم الدين، وجعل طاعتهم واجبة فمن أجابهم فله جنة الله ورضوانه ومن عصاهم فله الخسران في الدنيا والآخرة.

وفي هذا الفصل لا يمكننا التحدث عن النبوة بجميع جوانبها لأن ذلك يحتاج إلى بحث مستقل وإنما نشير إلى بعض تلك الجوانب في عدة نقاط في المباحث التالية:

المبحث الأول: التعريف بالأنبياء وذكر دلائل النبوة.

المبحث الثاني: نبوة نبينا محمد ﷺ.

المبحث الثالث: موقف البيضاوي من النبوة.

المبحث الأول
التعريف بالأنبياء وذكر دلائل النبوة

تعريف النبي والرسول:

«النبأ: محركه: الخبر جمعه ! أنباء . أنبأه وبه : أخبره كنبأه.

واستنبأ النبأ: بحث عنه.

والنبيئ: المخبر عن الله تعالى وترك الهمز المختار ج أنبياء

وتنبأ: إدعاها...»[1].

تعريف الرسول:

«أصل الرسل: الإنبعاث على التؤدة ويقال ناقة رسلة: سهلة السير وابل مراسيل منبعثة إنبعاثاً سهلاً ومنه الرسول المنبعث، وتصوِّر منه تارة الرفق فقيل: على رِسْلِكَ إذا أمرته بالرفق وتارة الانبعاث فاشتق منه الرسول، والرسول يقال تارة للقول المتحمل وتارة لمتحمِّل القول والرسالة»[2].

إذاً فمعنى النبي مشتق من النبأ وهو الخبر فالنبي مخْبَرٌ أي أن الله أخبره بوحيه ومخْبِرٌ عن الله بأمره ونهيه.

الرسول مشتق من الانبعاث وهو الرفق والسهولة. أو من الإرسال[3] الذي هو التوجيه لأن الرسل وجّهوا من قبل الله تعالى إلى الخلق.

الفرق بين النبي والرسول:

قال شارح الطحاوية: وقد ذكروا فروقاً بين النبي والرسول وأحسنها: أن من أنبأه الله مخبر

---

(١) معجم القاموس المحيط (ص ١٢٥٤)

(٢) مفردات الراغب الأصفهاني (ص ٣٥٢)

(٣) انظر معجم القاموس (ص ٥٠)

من السماء إن أمره أن يبلغ غيره فهو نبي رسول وإن لم يأمره أن يبلغ غيره فهو نبي وليس برسول. فالرسول أخص من النبي فكل رسول نبي وليس كل نبي رسول ولكن الرسالة أعم من جهة نفسها فالنبوة جزء من الرسالة إذ الرساله تتناول النبوة وغيرها بخلاف الرسل فإنهم لا يتناولون الأنبياء وغيرهم بل الأمر بالعكس فالرسالة أعم من جهه نفسها، اخص من جهة أهلها»[1].

وقال بن تيمية:

«فالنبي هو الذي ينبئه الله وهو ينبئ بما أنبأ الله به فإن أرسل مع ذلك إلى من خالف أمر الله ليبلغه رسالة من الله إليه فهو رسول وأما إذا كان إنما يعمل بالشريعة قبله ولم يرسل هو إلى أحد يبلغه عن الله رسالة فهو نبي وليس برسول»[2].

والمفهوم من كلام شارح الطحاوية أن النبي من أوحي إليه بشرع ولم يؤمر بتبليغه والرسول هو من أوحي إليه بشرع وأمر بالتبليغ.

وإذا كان الفرق بينهم هو البلاغ فإن الإرسال يقتضي البلاغ والله أخبر أنه أرسل الأنبياء فقال تعالى ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ مِن رَّسُولٖ وَلَا نَبِيٍّ إِلَّآ إِذَا تَمَنَّىٰٓ أَلۡقَى ٱلشَّيۡطَٰنُ فِيٓ أُمۡنِيَّتِهِۦ﴾ [الحج:٥٢].

وترك البلاغ كتم لوحي الله سبحانه.

وأما كلام ابن تيمية.

فالنبي هو من أنبأه الله وهو ينبيء بما أنبأه الله وهو يعمل بشريعة من قبله والرسول هو من أنبأه الله وأرسله إلى من خالف أمره ليبلغه رسالة الله. كنوح فهو أول رسول بعث إلى أهل الأرض وكان قبله أنبياء وقبلهم أدم نبياً. وكان بين آدم ونوح عشرة قرون على الإسلام فالأنبياء يوحى اليهم ويأمرون أقوامهم بما أمرهم الله به لكونهم مؤمنين بهم فإن أرسلوا إلى كفار مخالفين لأمر الله فهم رسل. أي أن الأنبياء تأمر أقوامهم بما يعرفون من شريعة من قبلهم.

(١) شرح الطحاوية (ص ١/ ١٥٥)

(٢) النبوات (ص ٢٨١)

وقد رجح الأشقر «أن الرسول من أوحى إليه بشرع جديد والنبي هو المبعوث لتقرير شرع من قبله»[1].

وابن تيميه لا يرى من شرط الرسول أن يأتي بشرع جديد لأن يوسف كان رسولاً وكان على ملة إبراهيم وداود وسليمان كانا رسولين وكانا على شريعة التوراة.

وجوب الإيمان بالرسل:

الإيمان بالرسل ركن من أركان الإيمان فيجب الإيمان برسل الله جميعهم ومن كفر بواحد منهم فقد كفر بالله وبجميع الرسل لقوله تعالى في ذم أهل الكتاب لإيمانهم ببعض الرسل وكفرهم ببعض فقال تعالى ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ ءَامِنُواْ بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ قَالُواْ نُؤْمِنُ بِمَآ أُنزِلَ عَلَيْنَا وَيَكْفُرُونَ بِمَا وَرَآءَهُۥ وَهُوَ ٱلْحَقُّ مُصَدِّقًا لِّمَا مَعَهُمْ﴾ [البقرة:٩١].

فاليهود لا يؤمنون بعيسى عليه الصلاة والسلام ولا بمحمدعليه الصلاة والسلام والنصارى لا يؤمنون بمحمد، وقد مدح الله رسوله صلى الله عليه وسلم والمؤمنون معه الذين يؤمنون بالله وملائكته وكتبه فقال ﴿ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْهِ مِن رَّبِّهِۦ وَٱلْمُؤْمِنُونَ ۚ كُلٌّ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّن رُّسُلِهِۦ ۚ وَقَالُواْ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا ۖ غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ ٱلْمَصِيرُ﴾ [البقرة:٢٨٥]. ومعنى الإيمان بالرسل هو التصديق الجازم بأن الله بعث في كل أمة رسولاً يدعوهم إلى عبادته وعدم الشرك به وأن جميعهم صادقون بررة مؤيدون بالآيات الباهرة من الله تعالى وأن جميعهم متفقة دعوتهم وهي توحيد الله وعبادته وحده لا شريك له وأما فروع الشرائع فقد تختلف من أمة لأخرى.

وأول الرسل هو نوح عليه السلام وآخرهم محمد ﷺ.

كثرة الأنبياء والرسل:

رسل الله كثر قال تعالى ﴿وَإِن مِّنْ أُمَّةٍ إِلَّا خَلَا فِيهَا نَذِيرٌ﴾ [فاطر:٢٤]. والله سبحانه قد قص

(١) الرسل والرسالات (ص ١٣)

على نبينا محمد ﷺ بعض الأنبياء والرسل ولم يقصص البعض الآخر فقال تعالى ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلًا مِّن قَبْلِكَ مِنْهُم مَّن قَصَصْنَا عَلَيْكَ وَمِنْهُم مَّن لَّمْ نَقْصُصْ عَلَيْكَ﴾ [غافر:٧٨].

والذين ذكرهم الله في كتابه خمسة وعشرون نبياً ورسولاً فهم آدم ونوح وإدريس وهود وصالح وإبراهيم واسماعيل واسحاق ويعقوب ويوسف ولوط وشعيب ويونس وموسى وهارون وإلياس وزكريا ويحيى واليسع وذا الكفل وداود وسليمان وأيوب.

وذكر الأسباط جملة[١] وعيسى ومحمد صلى الله عليهم أجمعين.

فنؤمن بجميعهم تفصيلاً فيما فصل وإجمالاً فيما أجمل. ونؤمن أن لله رسلاً لا نعلمهم كما أوضحت ذلك الآيات وأما أولي العزم من الرسل فهم خمسة أصحاب الشرائع المشهورة وهم نوح وإبراهيم وموسى وعيسى ومحمدعليهم صلوات الله وسلامه أجمعين.

أهم خصائص الرسل:

أهم خصائص الرسل عليهم السلام التي تميزهم عن غيرهم من البشر نذكر بعضاً منها:-

١- **الوحي**: فأهم ما يميز أنبياء الله ورسله هو وحيه تعالى إليهم فقال ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِىٓ إِلَيْهِ﴾ [الأنبياء:٢٥].

والوحي: هو الإعلام بالشرع سواء كان كلام الله من وراء حجاب أو الإلهام أو إلقاء الوحي في قلب النبي[٢].

٢- **العصمة**: والأمة مجمعة على عصمة الأنبياء في تحمل الرسالة وتبليغها للناس وكذلك مجمعة على عصمتهم من كبائر الذنوب.

قال ابن تيمية «القول بأن الأنبياء معصومون من الكبائر دون الصغائر هو قول أكثر علماء الإسلام وجميع الطوائف حتى أنه قول أكثر أهل الكلام كما ذكر أبوالحسن الأمدي أن هذا

(١) والأسباط: هم أولاد يعقوب الأثنى عشر رجلاً أخبرنا القرآن بإسم واحد منهم وهو يوسف والباقي أحدى عشر لم يعرفنا بأسمائهم ولكنه اخبرنا أنه أوحي إليهم.

(٢) انظر مجموع الفتاوي (١٢/ ٣٩٧)

قول أكثر الأشعرية وهو أيضاً قول أكثر أهل التفسير والحديث والفقهاء بل لم ينقل عن السلف والأئمة والصحابة والتابعين وتابيعهم إلا ما يوافق هذا القول»[١].

٢- **أن الأنبياء تنام أعينهم ولا تنام قلوبهم**: من ذلك قول أنس بن مالك في حديث الإسراء أنه قال «والنبي نائمه عيناه ولا ينام قلبه، وكذلك الأنبياء تنام أعينهم ولا تنام قلوبهم»[٢]. وقال ابن حجر عنه «ومثله لا يقال من قبل الرأي

ويؤيد ذلك قول عائشة للنبي صلى الله عليه وسلم في صلاة التطوع «أتنام قبل أن توتر؟ قال تنام عيني ولا ينام قلبي»[٣].

هذه أهم الخصائص ولهم خصائص أخرى، انفردوا بها عن البشر.

دلائل نبوة الأنبياء:

تنوعت الأدلة والبراهين على صدق الرسل وليست الأدله محصورة في المعجزة وإن كانت دليل صحيح لصدق الرسل الا أن الأدلة كثيرة على إثبات النبوه للأنبياء. منها.

١ - دلالة أحوال الأنبياء وصفاتهم على صدقهم وهذه الدلالة منها ما هو في خلقهم ومنها ما هو في خلقهم ومنها ما هو في اتباعهم ومنها ما هو في أقوالهم وأفعالهم ومن هذا استدلال هرقل الروم بهذه الأحوال التي عرفت عن النبي ﷺ على صدق نبوته[٤].

٢ - دلالة النصر والتأييد للأنبياء من الله سبحانه وتعالى واطراد العادة بأن ينصر الله انبيائه ورسله ويؤيدهم ويظهرهم على عدوهم ويجعل العاقبةدائماً لهم ولأتباعهم وينصرهم حسياً ومعنوياً.

(١) مجموع الفتاوي (٤/ ٣١٩)

(٢) الفتح كتاب المناقب باب ٢٤ (٨/ ٢٢٣) وكذلك كتاب التوحيد باب ٣٧ (١٧/ ٥٢٤)

(٣) الفتح كتاب التهجد باب ١٦ (٣/ ٥٥٢)

(٤) رواه البخاري في كتاب بدء الوحي باب كيف كان بدء الوحي الفتح (١/ ٧٠)ح ٧ ومسلم كتاب الجهاد والسير باب كتب النبي شرح النووي (٤/ ١٠٣)

٣-إتفاق الرسل جميعاً في أصل دعوتهم إلى توحيد الله وعدم الشرك به وهذا يقربه من عرف جنس الرسالة كأهل الكتاب لأنهم عرفوا دعوة الرسل وهذا ما استدل به ورقة بن نوفل. فقال: «هذا هو الناموس الذي كان يأتي موسى» وكذلك النجاشي حين استدل بالمضمون من رسالة محمد مع المهاجرين حين طلب منهم أن يقرأ عليه القرآن. مما جعله يسلم[1].

٤ - دلالة الآيات الحسية (المعجزات) وهي ما يحدثه الله سبحانه من آيات ومعجزات لأنبيائه الكرام تأييداً لهم في دعوتهم وصدقهم وسواء كانت بطلب من النبي أو من قومه أو بدون طلب وسواء كانت للتحدي أو بدون تحدي فقد أظهرها الله على أيدي أنبيائه ورسله ومن هذه المعجزات مثل إنزال المائدة لعيسى وانشقاق القمر لنبينا محمد ﷺ والإسراء والمعراج وكآيات موسى ومنها العصا واليد وفلق البحر وانفجار الماء من الحجر وغيرها.

فهذه الآيات لا يستطيع عليها إلا الله تعالى ولا تشتبه بخوارق الكهان والسحرة فإنها مقدورة للأنس والجن وأما خوارق الأنبياء فلا يقدر عليها أحد غير الله، وكذلك كرامات الأولياء من ضمن الآيات الدالة على صدق الرسل لأنهم لو لم يتبعوا الرسل ويتقربوا إلى الله بطاعتهم ويجتنبوا معاصيه لما أكرمهم الله بهذه الكرامات.

٥ - وكذلك الإخبار بالمغيبات الماضية من القصص وغيرها تفصيلاً فهذا لا يدركه أحد إلا بوحي الله ﷻ وكذلك المغيبات في المستقبل إذا وقعت كما أخبر بها فهي من أدلة صدق نبوته.

مثل إخبار عيسى بما يدخرون من المأكل وغيره فهو بالنسبة له غيب لا يعلمه إلا بالوحي. والمغيبات المستقبلة مثل ما أخبر به الرسول محمد ﷺ من الفتن والملاحم وإخباره عن كسرى وقيصر وأخذ كنوزهما وحصل هذا كما أخبر به ﷺ.

---

(١) البخاري كتاب التفسير ح (٤٦٧٠) ومسلم كتاب الايمان باب بدء الوحي ح (١٦٠) وانظر شرح الأصفهانية (ص١٦٢) والأدلة العقلية النقلية على أصول الإعتقاد لسعود العريفي (ص ٤٥٠)



المبحث الثاني
نبوة نبينا ﷺ

أدلة نبوته:

من أدلة نبوة نبينا محمد ﷺ الاخبار به والتبشير في كتب أهل الكتاب والله قد أخبرنا في القرآن بأن خبر محمد ﷺ ونبوته معروف لدى أهل الكتاب وأن الأنبياء بشروا به .

وأدلة نبينا محمد ﷺ كثيرة نذكر منها:

١- دعوة إبراهيم عليه السلام حين بناء الكعبة قال تعالى ﴿رَبَّنَا وَابْعَثْ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُوا عَلَيْهِمْ آيَاتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ ۚ إِنَّكَ أَنتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ [البقرة:١٢٩].

فاستجاب الله دعاءه وبعث فيهم محمداً ﷺ.

٢- بشارة عيسى عليه السلام وهو آخر انبياء بني إسرائيل قال تعالى ﴿وَإِذْ قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُم مُّصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ التَّوْرَاةِ وَمُبَشِّرًا بِرَسُولٍ يَأْتِي مِن بَعْدِي اسْمُهُ أَحْمَدُ﴾ [الصف:٦].

فهذا نص صريح يبشر بنبوة محمد ﷺ وإسمه أحمد وهو من أسماء النبي.

٣- تأييده بالآيات والمعجزات وأعظم هذه الآيات القرآن الكريم الدال على صدق نبوته فليس في مقدور أحد أن يأتي بمثله قال تعالى ﴿لَّئِنِ اجْتَمَعَتِ الْإِنسُ وَالْجِنُّ عَلَىٰ أَن يَأْتُوا بِمِثْلِ هَٰذَا الْقُرْآنِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا﴾ [الإسراء:٨٨]. وسواء كان الاعجاز في ألفاظه أو معانيه وأحكامه وشرائعه فهو غير مقدور لأحد الإتيان بمثله يقول ابن تيمية «والقرآن مما يعلم الناس عربهم وعجمهم أنه لم يوجد له نظير مع حرص العرب وغير العرب على معارضته فلفظه ونظمه آية وإخباره بالغيوب آية وأمره ونهيه آية وإذا ترجم بغير العربيه كانت معانيه آية كل ذلك لا يوجد له نظير في العالم»[1]. وأما معجزاته وآياته غير القرآن فهي كثيرة جداً منها في صحيح البخاري وغيره كالاسراء والمعراج وانشقاق القمر وغيرها[2].

---

(١) النبوات (ص١٦٤)

(٢) انظر عن معجزاته البخاري كتاب المناقب باب ٢٥ (ص ٨/ ٢٢٧) وانظر كتاب من معجزات الرسول/ عبدالعزيز المحمد السلمان ط٢.

ختم الرسالات بعموم رسالته:

الرسالات السابقة لرسالة الإسلام كانت خاصة لأن الله قد أرسل لكل قوم رسولاً يدعوهم إلى شرع الله تعالى فتعدد الأنبياء والرسل في الأمم السابقة ولكن برسالة محمد ﷺ قد ختم الله الرسالات وختم بكتابه الكريم جميع الكتب المنزلة على الأنبياء قبله.

- قال تعالى ﴿ وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا كَآفَّةٗ لِّلنَّاسِ بَشِيرٗا وَنَذِيرٗا ﴾[سبأ: ٢٨].

وقال تعالى ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنِّي رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيۡكُمۡ جَمِيعًا ﴾[الأعراف:١٥٨].

فرسالته عامة للخلق كلهم وهو خاتم النبيين.

قال تعالى ﴿وَلَٰكِن رَّسُولَ ٱللَّهِ وَخَاتَمَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ ﴾[الأحزاب:٤٠].

فهذا الدين جعل عاماً وشاملاً لكل زمان ومكان.

- قال الرسول ﷺ في أنه خاتم الأنبياء: «**إن مثلي ومثل الأنبياء من قبلي كمثل رجل بنى بيتاً فأحسنه وأجمله إلا موضع لبنة من زاوية فجعل الناس يطوفون به ويعجبون له ويقولون هلا وُضِعَتْ هذه اللبنة؟ قال: فأنا اللبنه وأنا خاتم النبيين**»[1].

- وقال ﷺ «**فضلت على الأنبياء بست: أعطيت جوامع الكلم ونصرت بالرعب، وأحلت لي الغنائم، وجعلت لي الأرض طهوراً ومسجداً، وأرسلت إلى الخلق كافة، وختم بي النبيون**»[2].

٢- أن رسالة نبينا محمد ﷺ صالحة لكل زمان ومكان لأن الله قد حفظها وتكفل بهذا الحفظ بخلاف رسالات الأنبياء قبله فقال تعالى ﴿ إِنَّا نَحۡنُ نَزَّلۡنَا ٱلذِّكۡرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ﴾[الحِجر:٩].

(١) الفتح كتاب المناقب باب ١٨ (٨/ ١٩١)

(٢) صحيح مسلم بشرح النووي كتاب المساجد ومواضع الصلاة (٢/ ٥/ ٥٢٣)

المبحث الثالث
موقف البيضاوي من النبوة

البيضاوي رحمه الله قد أثبت النبوة من خلال تفسيره لكثير من الآيات المتعلقة بالنبوة

١- في قوله تعالى ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ مِن رَّسُولٖ وَلَا نَبِيٍّ إِلَّآ إِذَا تَمَنَّىٰٓ أَلۡقَى ٱلشَّيۡطَٰنُ فِيٓ أُمۡنِيَّتِهِۦ﴾[الحج:٥٢].

قال «الرسول من بعثه الله بشريعة مجددة يدعو الناس إليها، والنبي يعمه ومن بعثه لتقرير شرع سابق كأنبياء بني اسرائيل الذين كانوا بين موسى وعيسى عليهم السلام ولذلك شبه النبي علماء أمته بهم فالنبي أعم من الرسول ويدل عليه أنه عليه السلام سئل عن الأنبياء فقال «مائة ألف وأربعة وعشرون الفاً، قيل فكم الرسل منهم قال: ثلاثمائة وثلاثة عشر جمعاً غفيراً »[1].وقيل الرسول من جمع إلى المعجزة كتاباً منزلاً عليه والنبي غير الرسول من لا كتاب له، وقيل الرسول من يأتيه الملك بالوحي والنبي يقال له ولمن يوحى إليه في المنام»[2].

والبيضاوي يرى ان الفرق بين النبي والرسول أن النبي من بعث لتقرير شرع من قبله، والرسول من بعث بشريعة مجددة يدعو الناس إليها.

حكى باقي الاقوال وهذا القول هو المشهور عن العلماء.

ضرورة النبوة وحاجة الناس إليها:

١- في قوله تعالى ﴿رُّسُلٗا مُّبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى ٱللَّهِ حُجَّةُۢ بَعۡدَ ٱلرُّسُلِۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمٗا﴾[النساء:١٦٥].

قال «... وفيه تنبيه على أن بعثه الأنبياء عليهم الصلاة والسلام إلى الناس ضرورة لقصورة

(١) رواه أحمد في المسند برقم (٢١٥٤٦، ٢١٥٥٢، ٢٢٢٨٨) طبعة مؤسسة الرسالة

(٢) أنوار التنزيل (١/ ٢٥٣)

الكل عن إدراك جزئيات المصالح والأكثر عن إدراك كلياتها»[1].

فأثبت أن بعثة الرسل إلى الناس ضرورة لقصورهم عن إدراك المصالح وحاجة الناس إلى الرسل ماسه فهم كالروح للجسد وكالنور للعين. وبهم يقتدي وبإتباعهم يفوزون بجنات النعيم وبالإعراض عن الرسل لهم الخسران في الدارين وهذا موافق فيه للسلف في حاجة الناس للنبوة.

طاعة الرسل:

- في قوله تعالى ﴿ وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا لِيُطَاعَ بِإِذۡنِ ٱللَّهِ ﴾ [النساء:٦٤].

قال: «وتقريره أن ارسال الرسول لما لم يكن إلا ليطاع كان من لم يطعه ولم يرض بحكمه لم يقبل رسالته ومن كان كذلك كان كافراً مستوجب القتل»[2].

إن رسل الله بشراً:

قال تعالى ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ إِلَّا رِجَالٗا نُّوحِيٓ إِلَيۡهِمۡۚ فَسۡـَٔلُوٓاْ أَهۡلَ ٱلذِّكۡرِ إِن كُنتُمۡ لَا تَعۡلَمُونَ ﴾ [النحل:٤٣].

قال «رد على قريش: الله أعظم من أن يكون رسوله بشراً أي جرت السنة الإلهية بأن لا يبعث للدعوة العامة إلا بشراً يوحي إليه على السنة الملائكة والحكمة في ذلك قد ذكرت في سورة الأنعام... ثم قال والآية دليل على أنه تعالى لم يرسل امرأه ولا ملكاً للدعوة العامه وقوله ﴿جَاعِلِ ٱلۡمَلَـٰٓئِكَةِ رُسُلًا ﴾ [فاطر:١] معناه رسلاً إلى الملائكة أو إلى الأنبياء عليهم الصلاة والسلام وقيل لم يبعثوا إلى الأنبياء إلا متمثلين بصورة الرجال ورد بما روى أنه عليه الصلاة والسلام رأى جبريل صلوات الله وسلامه عليه على صورته التي هو عليها مرتين»[3]. فأوضح أن رسل

---

(١) أنوار التنزيل (١/ ٢٥٣)

(٢) أنوار التنزيل (١/ ٢٢٦)

(٣) أنوار التنزيل (١/ ٥٤٨)

الله إلى خلقه من البشر ولم يرسل الله إليهم رسولاً من الملائكة ولا ارسل إليهم امرأه، فالرسول البشري ضرورياً كي يتمكنوا من الفهم عنه ومخاطبتهم.

ولو بعث إليهم رسولاً من الملائكة لم يمكنهم ذلك. فاقتضت رحمته تعالى بهم أن ارسل لهم رسولاً من جنسهم لقوله تعالى ﴿لَقَدْ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ﴾ [آل عمران:١٦٤].

وأما نبوة النساء فلم يرسل الله النساء للنبوة وقد حكى البيضاوي الإجماع على ذلك فقال «فإن الإجماع على أنه سبحانه وتعالى لم يستنبئ إمرأه لقوله ﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ إِلَّا رِجَالًا ﴾ [يوسف:١٠٩] في تفسيره لقوله تعالى ﴿ وَإِذْ قَالَتِ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَٰمَرْيَمُ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰكِ وَطَهَّرَكِ وَٱصْطَفَىٰكِ عَلَىٰ نِسَآءِ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾ [آل عمران:٤٢].

فبين أن الاصطفاء الأول هو تقبلها من أمها ولم يقبل قبلها أنثى وتفريغها للعبادة واغناؤها برزق الجنة عن الكسب وتطهرها عما يستقذر من النساء والثاني هدايتها إرسال الملائكة لها وتخصيصها بالكرامات»[1].

فبين هنا أن الإصطفاء هو اصطفاء كرامة وتقبل وهداية وليس هو إصطفاء نبوة وهو رد على من استدل بهذه الآية على نبوة النساء كما أنه أثبت الكرامات للأولياء كما هو ثابت من كرامة مريم.

معرفة أهل الكتاب بنبوة مُحَمَّدصلى لله عليه وسلم:

□ٱلرَّحِيمِ □□ □□□□ □□□□□ ﴿ٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ يَعْرِفُونَهُۥ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَآءَهُمُ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴾ [الأنعام:٢٠].

قال: «﴿ٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ يَعْرِفُونَهُۥ﴾ يعرفون رسول الله ﷺ بحليته المذكوره في التوراة

---

(١) أنوار التنزيل (١/ ١٦٤)

والانجيل ﴿كما يعرفون أبناءهم﴾ بحلاهم»[1].

عموم رسالة محمد ﷺ:

في قوله تعالى ﴿وَأُوحِيَ إِلَيَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانُ لِأُنذِرَكُم بِهِۦ وَمَنۢ بَلَغَ﴾ [الأنعام:١٩].

قال «أي بالقرآن واكتفى بذكر الإنذار عن ذكر البشارة (ومن بلغ) أي لأنذركم يا أهل مكة وسائر من بلغه من الأسود والأحمر أو من الثقلين، أو لأنذركم به أيها الموجودين ومن بلغه إلى يوم القيامه وفيه دليل على أن أحكام القرآن تعم الموجودين وقت نزوله ومن بعدهم وأنه لا يؤاخذ بها من لم تبلغه»[2].

عصمة الأنبياء عليهم السلام:

- في قوله تعالى ﴿لَا يَنَالُ عَهْدِي ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [البقرة:١٢٤].

قال «إجابه إلى ملتمسه على أنه قد يكون من ذريته ظلمة وأنهم لا ينالون الإمامة لأنهامامةإ من الله وعهد والظالم لا يصلح لها وإنما ينالها البررة الاتقياء منهم، وفيه دليل على عصمة الأنبياء من الكبائر قبل البعثة وأن الفاسق لا يصلح للإمامة»[3].

- وفي قوله تعالى ﴿قُلْنَا ٱهْبِطُواْ مِنْهَا جَمِيعًا ۖ فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم مِّنِّي هُدًى فَمَن تَبِعَ هُدَايَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ . وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَكَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَآ أُوْلَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ ۖ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ﴾ [البقرة:٣٨-٣٩].

قال «و... وقد تمسكت الحشوية بهذه القصة على عدم عصمة الأنبياء عليهم الصلاة والسلام.» فذكرهم خمسة وجوه ورد عليها.

١-ومجمل رده أن آدم لم يكن نبياً بعد.

٢- وإنه سمي ظالم وخاسر لأنه ظلم نفسه بتركالأولى له.

---

(١) أنوار التنزيل (١/ ٢٩٧)

(٢) أنوار التنزيل (١/ ٢٩٧)

(٣) أنوار التنزيل (١/ ٩١)

٣ -وأنه إنما فعل ما فعل نسياناً وعوتب بترك النسيان.

٤ - أنه اجتهد وأخطأ[١].

الرد:

فهو يرى عصمة الأنبياء من الذنوب قبل البعثة كما في النص الأول فهم معصومون من الكبائر والصغائر عنده.

وهذا مخالف لما عليه السلف؛ لأن الأنبياء معصومون في التبليغ وكذلك هم معصومون من الكبائر وأما الصغائر فليسوا معصومين منها ولكنهم تائبين منها باستمرار لأنهم لا يقرون على خطأ.

قال: ابن تيمية «القول بأن الأنبياء معصومون من الكبائر دون الصغائر هو قول أكثر علماء الإسلام وجميع الطوائف حتى أنه قول أكثر أهل الكلام كما ذكر أبوالحسن الأمدي أن هذا قول الأشعرية وهو أيضاً قول أهل التفسير والحديث والفقهاء بل لم ينقل عن السلف والائمة والصحابة والتابعين وتابعيهم إلاً ما يوافق هذا القول»[٢].

ونصوص الكتاب والسنة قد دلت على صدور الذنوب من الأنبياء واستغفارهم منها وتوبتهم منها. فالإجماع على عصمتهم في التبليغ وفي كبائر الذنوب وأما صغائرها فهي موجودة في نصوص الشرع.

(١) أنوار التنزيل (١/ ٦١)

(٢) مجموع الفتاوي (٤/ ٣١٩)

الفصل التاسع
الـيوم الآخر

المبحث الأول: أشراطسـ َّ اعـَة

المبحث الثاني: الحياة البرزخية

المبحث الثالث: القيامه وأحوالها.

المبحث الرابع: موقف البيضاوي من اليوم الآخر.

المبحث الأول
أشراط الساعة

أشراط الساعة ليست من أمور الآخرة ولكنها من الأمور الغيبية التي لا نعلمها إلا بالنص وهذه الأشراط والعلامات مقدمات لقيام الساعة، وقربها وأما وقت وقوع الساعة فغير معروف لأن الله استأثر بعلمها ولكنه دل الناس على قرب وقوعها بعلامات وأمارات سماها أشراطاً.

قال تعالى ﴿ فَهَلۡ يَنظُرُونَ إِلَّا ٱلسَّاعَةَ أَن تَأۡتِيَهُم بَغۡتَةٗۖ فَقَدۡ جَآءَ أَشۡرَاطُهَا ﴾ [محمد:١٨].

وأشراط الساعة: هي علاماتها وإعلامها التي تسبقها وتدل على قربها وقيامها ومجئ الساعة بعدها وانتهاء الدنيا وانقضاءها[(١)].

وأشراط الساعة قد ذكرت في النصوص مجتمعة ولكن العلماء قسموها إلى قسمين:

١ـ أشراط الساعة الصغرى:

وهي تتقدم الساعة بأزمان متطاولة وتكون من نوع المعتاد كقبض العلم والعلماء وظهور الجهل وشرب الخمر والتطاول في البنيان. وقد يظهر بعضها مصاحباً للأشراط الكبرى أو بعدها.

وهذه العلامات والأشراط قد وقع البعض منها ولم يقع البعض الآخر، وقد ذكرت هذه الأشراط في عدة أحاديث ومن هذه الأشراط:

١ - بعثة سيدنا محمد ﷺ ووفاته:

بعثة رسولنا محمد ﷺ ووفاته من أشراط الساعة وعن سهل قال رأيت الرسول ﷺ قال بإصبعيه هكذا الوسطى والتي تلي الإبهام وقال: «**أنا والساعة كهاتين**»[(٢)].

---

(١) انظر التذكرة للقرطبي (ص ٦٤٥) والإيمان باليوم الآخر محمد الحمد ص(٦٧).

(٢) الفتح كتاب الرقاق قول النبي ﷺ بعثت أن اوالساعة (١٤/ ٦٨٢)

– وعن أنس قال: قال رسول الله ﷺ: «**بعثت أنا والساعة كهاتين قال وضم السبابه والوسطى**»[1].

وفي الحديث عن عوف بن مالك قال: قال رسول ﷺ «**أعدد ستاً بين يدي الساعة موتي ثم فتح بيت المقدس ثم موتان يأخذ فيكم كعقاص[2] الغنم ثم استفاضة المال حتى يعطي الرجل مائة دينار فيظل ساخطاً ثم فتنة لا يبقى بيت من العرب إلا دخلته ثم هدنة تكون بينكم وبين بني الأصفر فيغدرون فيأتونكم تحت ثمانين غاية تحت كل غاية اثنا عشر الفاً**»[3].

فذكر من الأشراط في هذا الحديث موته ﷺ وفتح بيت المقدس واستفاضة المال وغدر الروم والفتنة والموتان ومجيء الروم في ثمانين راية لمحاربة المسلمين.

٢- ظهور الفتن:

كثرة ظهور الفتن من أشراط الساعة التي أخبر بها النبي ﷺ في كثير من الأحاديث منها:

ما رواه أبوهريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال «**بادروا بالأعمال فتناً كقطع الليل المظلم يصبح الرجل مؤمناً ويمسي كافراً أو يمسي مؤمناً ويصبح كافراً يبيع دينه بعرض من الدنيا**»[4].

وأعظم هذه الفتن مقتل عثمان رضي الله عنه والخلافات و الحروب الواقعة بعد وفاته كموقعة الجمل وصفين، وظهور الخوارج، وغيرها من الفتن.

(١) مسلم بشرح النووي كتاب الفتن باب قرب الساعة (٦/ ٨٩)

(٢) كعُقاص الغنم : هو داء يأخذ الدواب فيسيل من أنوفها شيء فتموت فجأة.الفتح(٧/ ٤٧٠)

(٣) الفتح كتاب الجزية والموادعه باب مايحذر من الغدر (٧/ ٤٧٠)

(٤) صحيح مسلم بشرح النووي كتاب الإيمان باب الحث على المبادرة بالأعمال قبل تظاهر الفتن (٢/ ١٣٣)

٣- خروج نار الحجاز:

هي خروج نار بالحجاز أضاءت لها أعناق الأبل ببصرى.

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: «**لا تقوم الساعة حتى تخرج نار من أرض الحجاز تضيء أعناق الإبل ببصرى**»[١].

وذكر ابن كثير أنها حصلت في الخامس من جماد الآخرة من عام (٦٥٤هـ) [٢].

٤- ظهور مدعي النبوة:

ظهور الكذابين الذين ادعوا النبوة وقد خرج بعضهم في زمن النبي ﷺ وفي عهد الصحابة رضي الله عنه وهم قرابة الثلاثين وليس المراد تحديد العدد لأن مدعي النبوة كثير ولكن المراد من كان لهم شوكة واتباع وشهرة كمسيلمة الكذاب ظهر في زمن الرسول ﷺ والأسود العنسي باليمن وغيرهم كثير،

قال الرسول ﷺ «**لا تقوم الساعة حتى يبعث دجالون كذابون قريب من ثلاثين كلهم يزعم أنه رسول الله**»[٣].

ومن هذه الأشراط نكتفي بما ذكر إختصاراً وفي الصحيحين وغيرها الكثير لمن تتبعه.

---

(١) الفتح كتاب الفتن باب خروج النار (١٦/ ٥٥٤) ومسلم بشرح النووي كتاب الفتن باب لا تقوم الساعة حتى تخرج نار (٦/ ٣٠) ح (٢٩٠٢)

(٢) البداية والنهاية (ص ١٣/ ١٨٧)

(٣) الفتح كتاب المناقب باب علامات النبوه (٨/ ٢٨١)

٢ـ أشراط الساعة الكبرى:

هي الأمور العظام التي تظهر قـرب قيـام السـاعة وتكـون غـير معتـادة الوقـوع كظهـور الدجال ونزول عيسى عليه السلام وخروج يأجوج ومأجوج وطلوع الشمس من مغربها[١].

وهي التي تدل على قرب قيام السـاعة وهـي متتابعـة في وقوعهـا وأخـبر الرسـول ﷺ أن الساعة لن تقوم حتى يروا قبلها عشر آيات ،نذكربعض هذه الأشراط للإختصار

قال حذيفه بن أسيد الغفاري رضي الله عنه «إطلع النبي ﷺ علينا ونحن نتذاكر فقال: «**ما تذاكرون؟**» قالوا: نذكر الساعة قال: «**إنها لن تقوم حتى ترون قبلها عشر آيات فـذكر الـدخان والدجال والدابة وطلوع الشمس من مغربها ونـزول عيسـى بـن مـريم عليـه السـلام ويـأجوج ومأجوج وثلاثة خسوف خسف بالمشرق وخسف بالمغرب وخسف بجزيرة العرب وآخر ذلك نار تخرج من اليمن تطرد الناس إلى محشرهم**»[٢].

- وعن عبدالله بن عمر رضي الله عنه قال:حفظت من رسول الله ﷺحـديثاً لم أنسـه بعـد سمعت رسول الله ﷺ قال: «**إن أول الآيات خروجاً طلوع الشمس من مغربها وخروج الدابـه على الناس ضحى وأيها كانت قبل صاحبتها فالأخرى على إثرها قريباً**»[٣].

واختلف في أولية الآيات ظهوراً لتعدد الروايات وتعدد أقوال العلماء فيها.

ومن هذه الآيات والأشراط خروج المهدي:

تواترت[٤] أحاديث خروج المهدي في كتب السنة وغيرها واسمه كإسـم النبـي واسـم أبيـه كإسم ابي النبي أي إسمه محمد أو أحمد بن عبدالله وهو من ذرية فاطمة بنـت الرسـول ﷺ مـن ولد الحسن بن علي وصفته أنه أجلى الجبهة وأقنى الأنف كما جاء في الأحاديث منها:

---

(١) أنظر أشراط الساعة ليوسف الوابل (ص ٧٧)

(٢) مسلم بشرح النووي كتاب الفتن واشراط الساعة (٦/ ٢٧-٢٨)

(٣) نفس المصدر باب ذكر الدجال (ص ٦/ ٧٧)

(٤) انظر أشراط الساعه ليوسف الوابل فإنه ذكر أقوال العلماء في تواترأحاديث خروج المهدي ص(٢٥٩).

- عن عبدالله بن مسعود رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**لا تـذهب أو لا تنقضي الدنيا حتى يملك العرب رجل من أهل بيتي يواطيء إسمه اسمي**»[1].

- وعـن جـابر رضي الله عنـه قـال: «**يكـون في آخـر أمتـي خليفـة يحثـي المـال حثيـاً لا يعده عداً**»[2].

(١) مسند الإمام أحمد (٥/ ١٩٩) ج (٣٥٧٣) تحقيق أحمد شاكر. قال إسناده صحيح. ورواه الترمذي ص(٦/ ٤٨٥) وقال هذا حديث حسن صحيح.

(٢) مسلم بشرح النووي كتاب الفتن (١٨/ ٣٨-٣٩). والكلام عن المهدي: أنظر التذكر (ص ٦٣١)

المبحث الثاني
الحياة البرزخيه

معنى الحياة البرزخيه:

الحياة ضد الموت، والبرزخ هو الحاجز بين الشيئين ﴿وَجَعَلَ بَيْنَهُمَا بَرْزَخًا﴾ [الفرقان:٥٣] أي: حاجزاً، والبرزخ هي الدار التي تعقب الموت إلى البعث

قال بن القيم:

«البرزخ هو ما بين الدنيا والأخرة وهذا البرزخ يشرف أهله فيه على الدنيا والآخرة»[(١)].

والموت ضد الحياة وأصله السكون.

«وهو انقطاع تعلق الروح بالبدن ومفارقته وحيلولة بينهما وتبدل حال وانتقال من دار إلى دار»[(٢)].

وقال تعالى ﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَآئِقَةُ ٱلْمَوْتِ ۗ وَإِنَّمَا تُوَفَّوْنَ أُجُورَكُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ﴾[آل عمران:١٨٥].

وآجال العباد محدودة ولها أمد محدود ينتهي إليه وجرى بذلك القلم يوم خلقه ثم كتب الملك بأمر ربه ذلك على كل أحد عند تخليق النطفة فلا يزاد في عمره ولا ينقص ولا يبدل عما سبق به علمه تعالى وجرى به قضاؤه وقدره.

ووقت الموت مجهول لا يعلمه إلا الله لقوله تعالى ﴿إِنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥ عِلْمُ ٱلسَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ ٱلْغَيْثَ وَيَعْلَمُ مَا فِى ٱلْأَرْحَامِ ۖ وَمَا تَدْرِى نَفْسٌ مَّاذَا تَكْسِبُ غَدًا ۖ وَمَا تَدْرِى نَفْسٌۢ بِأَىِّ أَرْضٍ تَمُوتُ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌۢ﴾[لقمان:٣٤].

(١) الروح(٩٠)

(٢) التذكرة للقرطبي(٦)

مستقر الأرواح:

اختلف في معنى الروح وماهيتها كما ذكر بن القيم. والروح التي في البدن هي الـنفس قـال ابن تيمية:

«الروح المدبرة للبدن التي تفارقه بالموت هي الروح المنفوخة فيه وهي النفس التـي تفارقـه بالموت»[1].

وهي تسري في الجسد كله لا اختصاص لها بعضو منه.

وأما مستقر الأرواح بين الموت إلى يوم القيامه فهذا قد اختلف فيه الناس إلى أقوال عديـدة ذكرها ابن القيم في كتابه الروح ورد عليها ثم بـين أن الأرواح متفاوتـة في مسـتقرها في لـبرزخ أعظم تفاوت.

نذكرها باختصار:

- منها أرواح في أعلى عليـين في المـلأ الأعـلى وهـي أرواح الأنبيـاء صـلوات الله وسـلامه عليهم أجمعين. وهم متفاوتون في منازلهم كما رآهم النبي ﷺ ليلة الإسراء.

- ومنها أرواح في حواصل طير خضرـ تسرـح في الجنـة حيـث شـاءت هـي أرواح بعـض الشهداء لا جميعهم لأن بعض الشهداء تحبس روحه عن الجنة لدين أو غيره.

-ومنهم من يكون محبوساً على باب الجنة كما جاء في الحديث.

-ومنهم من يكون محبوساً في قبره كحديث صاحب الشملة الذي غل الشملة واستشهد

- ومنهم من يكون مقره باب الجنة كما في حديث ابنعَبَّاس

ومنهم من يكون محبوساً في الأرض لم تعلُ روحـه إلى المـلأ الأعـلى لانهـا كانـت روحـاً سفلية أرضية والمقصود بها التي أعرضت عن معرفة الله ومحبته وقربه.

- ومنها أرواح تكون في تنور الزناة والزواني.

(١) مجموع الفتاوي ص(٩/ ٢٨٩).

– أارواح في نهر الدم تسبح فيه وتلقم الحجارة، فليس للأرواح سعيدها وشقيها مستقر واحد بل روح في أعلى عليين وروح أرضية سفلية لا تصعد عند الأرض[1].

إثبات عذاب القبر ونعيمه:

إثبات عذاب القبر ونعيمه وفتنته جاءت بها النصوص من الكتاب والسنه وأجمع على ذلك أئمة السنة من الصحابة والتابعين فمن بعدهم، من أهل السنة والجماعة ولم ينكر ذلك إلا بشر المريسي واتباعه من المعتزلة. فيجب الإيمان بعذاب القبر ونعيمه وأنه حق ولا نتكلم في كيفيته إذ ليس للعقل وقوف على كيفيته لكونه لا عهد له به في هذه الدار.

من الآيات الداله على عذاب القبر قوله تعالى عن آل فرعون ﴿وَحَاقَ بِـَٔالِ فِرۡعَوۡنَ سُوٓءُ ٱلۡعَذَابِ . ٱلنَّارُ يُعۡرَضُونَ عَلَيۡهَا غُدُوّٗا وَعَشِيّٗاۚ وَيَوۡمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ أَدۡخِلُوٓاْ ءَالَ فِرۡعَوۡنَ أَشَدَّ ٱلۡعَذَابِ ﴾ [غافر:٤٦].

وأما السنه فوردت أحاديث كثيرة تدل على ذلك منها:

قول الرسول ﷺ: «**لولا أن لا تدافنوا لدعوت الله أن يسمعكم من عذاب القبر الذي أسمع**»[2].

– ومنها عن ابن عباس قال مر النبي ﷺ على قبرين فقال: «**إنهما ليعذبان وما يعذبان في كبير ثم قال: بلى أما أحدهما فكان يسعى بالنميمةأما الآخر فكان لا يستـ ـتر من بول**». ثم قال: ثم أخذ عوداً رطباً فكسره باثنين ثم غرز كل واحد منهما على قبر ثم قال: «**لعله يخفف عنهما ما لم ييبسا**»[3].

(١) أنظر الروح (ص ١٣٨-١٣٩) بإختصار وتصرف.

(٢) مسلم بشرح النووي كتاب الجنه باب عرض مقعد الميت من الجنه أو النار (١٤/ ٢١٩)

(٣) الفتح كتاب الجنائز باب عذاب القبر من الغيبه والبول (٤ / ١٧٢) ومسلم كتاب الإيمان باب الدليل على نجاسة البول (١/ ٢٤٠).

وفتنة القبر هي سؤال الملكين للميت عن ربه ودينه ونبيه، بعد دفنه يجلس ويسأل ثم يفـتح له باب إلى الجنة إن كان مؤمناً أو إلى النار إن كان كافراً وهذا في حديث البراء بن عـازب الـذي رواه الإمام أحمد[1].

(١) أنظر المسند (ص ٤/ ٢٨٧).

المبحث الثالث
القيامه وأحوالها

أسماء يوم القيامه:

لأهمية هذا اليوم تعددت أسمائه في الكتاب والسنة وكثرت وعدها بعض العلماء كالغزالي في الإحياء[1] وبلغت أكثر من مائة اسم وكذلك عدها القرطبي[2] أكثر من خمسين اسماً وعدها لبن كثير في اكثر من ثمانين اسماً[3].

نذكر أشهرها:

١- **يوم القيامة**: ورد ذكره في سبعين آية[4] مثل قوله تعالى ﴿وَنَحْشُرُهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ عُمْيًا وَبُكْمًا وَصُمًّا﴾ [الإسراء:٩٧].

وقوله تعالى ﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَـٰهَ إِلَّا هُوَ ۚ لَيَجْمَعَنَّكُمْ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَـٰمَةِ لَا رَيْبَ فِيهِ﴾ [النساء:٨٧].

٢ – **الساعة**: قال تعالى ﴿إِنَّ ٱلسَّاعَةَ لَآتِيَةٌ لَّا رَيْبَ فِيهَا﴾ [غافر:٥٩].

٣ – **يوم البعث**: قال تعالى ﴿لَقَدْ لَبِثْتُمْ فِى كِتَـٰبِ ٱللَّهِ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْبَعْثِ ۖ فَهَـٰذَا يَوْمُ ٱلْبَعْثِ﴾ [الروم:٥٦].

٤ – **يوم الفصل**: قال تعالى ﴿هَـٰذَا يَوْمُ ٱلْفَصْلِ ٱلَّذِى كُنتُم بِهِۦ تُكَذِّبُونَ﴾ [الصافات:٢١].

٥ – **يوم الحساب**: لقوله تعالى ﴿هَـٰذَا مَا تُوعَدُونَ لِيَوْمِ ٱلْحِسَابِ﴾ [ص:٥٣].

ويوم التناد – يوم الخلود – ويوم الخروج والطامة والصاخة والحاقةوالواقعة ويوم الدين

(١) انظر الاحياء (ص ١٥٢٩-١٥٣٠) طبعة دار الكتب.

(٢) التذكرة (ص ٢٣٣)

(٣) النهاية – الفتن والملاحم (١/ ٢٥٥) تحقيق: د. طه زيني.

(٤) حسب المعجم المفهرس لألفاظ القرآن. محمد عبدالباقي (ص ٧٣٨)

وغيرها من الأسماء[1].

فيجب الإيمان بوقوع هذا اليوم وبما جاء فيه من الأحوال والأهوال وقيام الناس لرب العالمين وما فيه من العرض والحساب والصراط والميزان والحوض وتطاير الصحف ووزن الأعمال والشفاعة ووجود الجنة ونعيمها والنار وعذابها فكل ذلك حق يجب إعتقاده كما دلت عليه النصوص ومن أنكر شيء من ذلك أو كذب بهذا اليوم فلا إيمان له.

النفخ في الصور :

وهو من أحوال وأهوال يوم القيامة.

سئل الرسول ﷺ: ما الصور؟ فقال: «**قرن ينفخ فيه**».

وهو القرن الذي وكل الله تعالى به إسرافيل.

ووردت أدلته في القرآن والسنة منها:

- قوله تعالى ﴿وَنُفِخَ فِي ٱلصُّورِ فَصَعِقَ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِي ٱلۡأَرۡضِ إِلَّا مَن شَآءَ ٱللَّهُۖ ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخۡرَىٰ فَإِذَا هُمۡ قِيَامٞ يَنظُرُونَ﴾[الزمر:٦٨].

- وقال ﷺ: «**ثم نفخ في الصور فلا يسمعه أحد إلاّ أصغى ليتاً ورفع ليتاً[2] ثم لا يبقى أحد إلاّ صعق ثم ينزل الله مطراً كأنه الطل أو الظل تنبت منه أجساد الناس ثم ينفخ فيه أخرى فإذا هم قيام ينظرون**»[3].

ومن العلماء من قال النفخ في الصور نفختان الأولى للصعق والثانية للبعث ومنهم من قال ثلاث نفخات نفخة الفزع ونفخة الصعق ونفخة القيام لرب العالمين[4].

قال القرطبي: «الصور قرن ينفخ فيه النفخة الأولى للفناء وهي نفخة الصعق ويكون معها

---

(١) انظر تفصيلاتها التذكرة - الملاحم - الإحياء

(٢) الليت: صفحة العنق وإصفاؤه: إمالته.انظرمسلم بشرح النووي ص(٦/ ٧٦).

(٣) مسلم شرح النووي ذكر الدجال (ص ٦/ ٧٦)

(٤) أنظر البدور السافرة في أمور الآخرة للسيوطي (ص ١٤) في حديث رواه عن أبي هريرة عن الصور.

نقر لقوله تعال ﴿فَإِذَا نُقِرَ فِي ٱلنَّاقُورِ﴾ [المدّثر:٨] أي في الصور فإذا نفخ فيه للإصعاق جمع بين النقر والنفخ لتكون الصعقة أشد وأعظم ثم يمكث الناس أربعين عاماً ثم ينزل الله ماء كمني الرجال على ما تقدم فتكون منه الأجساد بقدرة الله ....

فإذا تهيأت الأجسام وكملت نفخ في الصور نفخة البعث من غير نقر لأن المراد إرسال الأرواح من ثقب الصور إلى أجسادها ....» [1].

وروي في أحاديث أن هذا النفخ يكون يوم الجمعة فيجب الإيمان به واعتقاده كما ورد.

البعث والنشور:

والمراد به المعاد الجسماني وإحياء العباد للقضاء والحساب وأدلته كثيرة من الكتاب والسنة منها قوله تعالى ﴿ثُمَّ إِنَّكُم بَعْدَ ذَٰلِكَ لَمَيِّتُونَ . ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ تُبْعَثُونَ﴾ [المؤمنون:١٥-١٦].

- ومنها قوله تعالى ﴿زَعَمَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَن لَّن يُبْعَثُواْۚ قُلْ بَلَىٰ وَرَبِّي لَتُبْعَثُنَّ ثُمَّ لَتُنَبَّؤُنَّ بِمَا عَمِلْتُمْۚ وَذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ﴾ [التغابن:٧].

- وفي حديث الرسول ﷺ قال: «**كذبني ابن آدم ولم يكن له ذلك وشتمني عبدي ولم يكن له ذلك فأما تكذيبه إياي فقوله لن يعيدني الله كما بدأني وليس أول الخلق بأهون علي من إعادته....**» [2].

وأدلة البعث كثيرة جداً في القرآن وهي رداً على من أنكره من الكافرين لأن من انكره البعث فهو كافر لقوله تعالى ﴿وَإِن تَعْجَبْ فَعَجَبٌ قَوْلُهُمْ أَءِذَا كُنَّا تُرَٰبًا أَءِنَّا لَفِي خَلْقٍ جَدِيدٍۗ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِرَبِّهِمْ﴾ [الرعد:٥]. لأن الله سبحانه وتعالى قد اوقع البعث في هذه الحياة وله أمثلة كثيرة جاءت بها النصوص منها قصة اليهود وإحياء الله لهم بعد ما أماتهم كما قال تعالى ﴿وَإِذْ قُلْتُمْ يَٰمُوسَىٰ لَن نُّؤْمِنَ لَكَ حَتَّىٰ نَرَى ٱللَّهَ جَهْرَةً فَأَخَذَتْكُمُ ٱلصَّٰعِقَةُ وَأَنتُمْ تَنظُرُونَ . ثُمَّ بَعَثْنَٰكُم مِّنۢ

(١) التذكرة (ص ١٩٠)

(٢) اخرجه البخاري كتاب التفسيرقوله(الله الصمد)الفتح(١١/ ١٤٤)

بَعْدِ مَوْتِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴾ [البقرة:٥٥-٥٦].

وكذلك إحياء الله للأموات في الدنيا كميت بني اسرائيل حين أمرهم أن يذبحوا بقرة ويضربوه ببعضها فأحياه الله وغيره الكثير من القصص الواردة في القرآن مما يكون دليلاً قاطعاً على وقوع المعاد الجسماني يوم القيامة والقادر على خلق السموات والأرض وما فيهما ابتداءً قادر على إعادتهم يوم القيامة.

الحساب والجزاء ونشر الكتب:

والحساب والجزاء يتولاه الله سبحانه وتعالى وهو تعريف العباد بأعمالهم التي عملوها وأقوالهم وما كانوا عليه من طاعة أو عصيان وما يستحقونه من ثواب أو عقاب.

والحساب عام لجميع الناس إلا من استثناهم النبي ﷺ والحساب منه اليسير ومنه العسير ومنه التكريم ومنه التوبيخ والتبكيت ومنه الفضل والصفح ومتولي ذلك هو اكرم الأكرمين.

والأدلة على ذلك كثيرة:

- منها قوله تعالى ﴿وَتَرَىٰ كُلَّ أُمَّةٍ جَاثِيَةً ۚ كُلُّ أُمَّةٍ تُدْعَىٰ إِلَىٰ كِتَابِهَا الْيَوْمَ تُجْزَوْنَ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾ [الجاثية:٢٨].

- ومنها قوله تعالى ﴿إِنَّ إِلَيْنَا إِيَابَهُمْ . ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا حِسَابَهُم ﴾ [الغاشية: ٢٥-٢٦].

والعباد يقومون صفوفاً للعرض على رب العالمين؛ لقوله تعالى ﴿ وَعُرِضُوا عَلَىٰ رَبِّكَ صَفًّا ﴾ [الكهف:٤٨].

-والله سبحانه في الحساب لا يظلم أحداً ولا يحاسب أحدا بجريرة غيره فقال تعالى ﴿وَلَا تَكْسِبُ كُلُّ نَفْسٍ إِلَّا عَلَيْهَا ۚ وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ ۚ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُم مَّرْجِعُكُمْ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ ﴾ [الأنعام:١٦٤].

- ويعطي العباد صحائف أعمالهم ليطلعوا عليها.

فمنهم من يأخذها بيمينه فهم أهل الايمان والطاعة ومنهم من يأخذها بشماله وهم الكافرون والمنافقون وأهل الضلال.



– فقال تعالى ﴿فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَٰبَهُۥ بِيَمِينِهِۦ . فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا . وَيَنقَلِبُ إِلَىٰٓ أَهْلِهِۦ مَسْرُورًا . وَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَٰبَهُۥ وَرَآءَ ظَهْرِهِۦ . فَسَوْفَ يَدْعُواْ ثُبُورًا . وَيَصْلَىٰ سَعِيرًا﴾ [الإنشقاق: ٧-١٢]

وأما من السنة فأدلة منها :

قوله صلى الله عليه وسلم : " من حوسب عذب "، قالت عائشة رضي الله عنها : فقلت أوليس يقول الله تعالى (فسوف يحاسب حساباً يسيراً) الانشقاق : ٨ ٠ قالت فقال: " إنما ذلك العرض ولكن من نوقش الحساب يهلك "[1]وهناك من لا يحاسبون وهم السبعون ألفاً الذين يدخلون الجنة بغير حسلب كما جاء في حديث الرسول صلى الله عليه وسلم فقال : "عرضت علي الأمم ٠٠٠" الى أن قال : " فنظرت فإذا سواد كثير قال :هؤلاء أمتك سبعون ألفاً قدامهم لاحساب عليهم ولا عذاب قلت: ولم، قال :كانوا لا يكتوون ولا يسترقون ولا يتطيرون وعلى ربهم يتوكلون" فقام إليه عكاشه بن محصن فقال: أدع الله أن يجعلني منهم قال «**اللهم اجعله منهم**». ثم قام إليه رجل آخر فقال: ادع الله أن يجعلني منهم. قال: «**سبقك بها عكاشه**»[2].

وأول من يحاسب من الأمم هي أمة محمد ﷺ لقوله «نحن الآخرون السابقون يوم القيامة المقضي بينهم قبل الخلائق»[3]

وأول ما يحاسب عليه العبد الصلاة وأول ما يقضي بين الناس في الدماء لعظم شأنها.

الميزان:

وهو ما تقدر به الأشياء خفة وثقلاً.

والمراد بالميزان يوم القيامة : هو ما وضعه الله لوزن أعمال العباد.

(١) مسلم بشرح النووي إثبات الحساب (٦/ ٢٠٨)

(٢) البخاري كتاب الرقاق يدخل الجنة سبعون الفا بغيرحساب الفتح(١٥/ ٦٧)وبمسلم بشرح النووي باب دخول طوائف من المسلمين الجنة بغيرحساب(١/ ٩٢)

(٣) البخاري كتاب الجمعة باب فرض الجمعة الفتح(٣/ ١٢٠)ومسلم بشرح كتاب الجمعة(٢/ ١٤٤)

قـال تعـالى ﴿ وَنَضَعُ ٱلْمَوَٰزِينَ ٱلْقِسْطَ لِيَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْـًٔا ۖ وَإِن كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا ۗ وَكَفَىٰ بِنَا حَٰسِبِينَ ﴿٤٧﴾ ﴾ [الأنبياء: ٤٧].

وقولـه تعـالى ﴿ فَأَمَّا مَن ثَقُلَتْ مَوَٰزِينُهُۥ ﴿٦﴾ فَهُوَ فِى عِيشَةٍ رَّاضِيَةٍ ﴿٧﴾ وَأَمَّا مَنْ خَفَّتْ مَوَٰزِينُهُۥ ﴿٨﴾ فَأُمُّهُۥ هَاوِيَةٌ ﴿٩﴾ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا هِيَهْ ﴿١٠﴾ ﴾ [القارعه: ١٠].

- وقال الرسول ﷺ «كلمتان حبيبتان إلى الرحمن خفيفتان على اللسـان ثقيلتـان في الميـزان سبحان الله وبحمه سبحان الله العظيم»[١].

وهذا الميزان ينصب يوم القيامه لوزن أعمال العباد وهو ميزان حقيقي لا معنوي كما يدعيـه من لا يثبته و ينكره.

وجاء في النصوص مفرد وجمع فهو واحد وجمع باعتبار الموزون والذي يوزن ثلاثة أوجه:

١- الأعمال نفسها توزن ومنه حديث الرسول المتقدم.

٢- صحائف الأعمال هي التي توزن ومنه حديث البطاقة التي فيهـا لا إلـه إلا الله ومحمـد رسول الله مع التسعة وتسعين سجلاً فتوضـع السـجلات في كفـة والبطاقـة في كفـة فطاشـت السجلات وثقلت البطاقة»[٢].

٣- أن الموزون هو العامل نفسه منه حديث عبدالله بن مسعود حين تعجب منـه الصـحابة لدقة ساقيه فقال الرسول ﷺ «والذي نفسي بيده هما في الميزان أثقل من أحد»[٣].

فهنا عمل وعامل وصحائف

قال ابن عثيمين «أكثر النصوص تدل على أن الذي يوزن هو العمل ويخص بعـض النـاس

(١) الخباري ح (٦٤٠٦) ومسلم ح (٢٦٩٤)

(٢) مسند أحمد بن حنبل (٢/ ٢١٣) والترمذي في السنن برقم(٢٦٣٩)

(٣) مسند أحمد (١/ ١١٤)

فتوزن صحائف أعماله أو يوزن هو نفسه»[1].

والله أعلم.

الحوض:

الحوض في اللغة: هو مجمع الماء.

والمراد بالحوض هنا هو الحوض الذي أعده الله سبحانه وتعالى لنبينا محمد ﷺ يوم القيامة.

والحوض قد وردت أدلته في الكتاب والسنة

قال تعالى ﴿إِنَّآ أَعۡطَيۡنَٰكَ ٱلۡكَوۡثَرَ ١﴾ [الكوثر: ١].

وأما أحاديث النبي ﷺ فقد تواترت في إثبات الورود على الحوض ورويت عن أكثر من خمسين صحابياً[2].

من هذه النصوص:

قوله ﷺ «إني فرطكم على الحوض من مر علي شرب ومن شرب لم يظمأ أبداً ليردن علي أقوام أعرفهم ويعرفونني ثم يحال بيني وبينهم»[3].

وهذا الحوض موجود الآن كما ثبت عن حديث الرسول ﷺ ويصب فيه ميزابان من الكوثر وهو النهر العظيم الذي أعطيه النبي ﷺ في الجنة.

وزمن الحوض يكون قبل العبور على الصراط لأن المقام يقتضي ذلك حيث الناس في حاجة إلى الشرب في عرصات القيامة.

ويرد هذا الحوض المؤمنون بالله ورسوله.

وأما صفة هذا الحوض فبيَّنه حديث الرسول.

---

(١) شرح الواسطيه لابن عثيمين (ص ٢/ ١٤٣)

(٢) أنظر البدور السافرة للسيوطي (ص ٢١٥)

(٣) البخاري كتاب الرقاق باب الحوض(١٥/ ١٦٣)

حيث قال: «والذي نفسي بيده لأنيته أكثر من عدد نجوم السماء وكواكبها ألا في الليلة المظلمة المصحية آنية الجنة من شرب منها لم يظمأ. عرضه مثل طوله ما بين عمان إلى أيله ماؤه أشد بياضاً من اللبن وأحلى من العسل»[(١)].

والأحاديث دلت أن لكل نبي حوض ولكن حوض النبي محمدصلى الله عليه وسلم هو أكبرها وأعظمها وأكثرها وارداً[(٢)].

الصراط:

هو الجسر المنصوب على متن جهنم لعبور الناس عليه إلى الجنة، ودلت الأحاديث على أن الأمم الكافرة تتبع ما كانت تعبد من آلهة باطلة فتسير تلك الآلهة بالعابدين حتى تهوي بهم في النار، ثم يبقى بعد ذلك المؤمنون وفيهم المنافقون وعصاة المؤمنين، وهؤلاء هم الذين ينصب لهم الصراط فيكون الصراط للمؤمنين دون غيرهم من الكفرة»[(٣)].

والصراط قد دلت النصوص عليه منها.

- قوله تعالى ﴿ وَإِن مِّنكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا ۚ كَانَ عَلَىٰ رَبِّكَ حَتْمًا مَّقْضِيًّا ﴿٧١﴾ ثُمَّ نُنَجِّي الَّذِينَ اتَّقَوا وَّنَذَرُ الظَّالِمِينَ فِيهَا جِثِيًّا ﴿٧٢﴾ ﴾ [مريم: ٧٢].

فسرها البعض بأن المراد بالورود هو المرور على الصراط وفسرها البعض الآخر بأنهم يدخلون النار جميعاً إلاّ أنهم ينجون منها»[(٤)].

وأما من السنة:

قال الرسول ﷺ «يضرب الصراط بين ظهري جهنم فأكون أنا وأمتي أول من يجيزها ولا يتكلم يومئذٍ إلاّ الرسل ودعوى الرسل يومئذٍ اللهم سلم سلم وفي جهنم كلاليب مثل شوك

(١) مسلم بشرح النووي باب حوض نبينا(٥/ ٦٢) والبخاري ك الرقاق باب في الحوض الفتح(١٥/ ١٦٣)

(٢) انظر شرح العقيدة الطحاوية (ص ٢٢٨)

(٣) القيامة الكبرى (ص ٢٦٥)

(٤) أنظر التذكرة (ص ٣٥٢) ومعارج القبول (٣/ ١٠٢٧)

السعدان غير أنه لا يعلم ما قدر عظمها إلا الله عز وجل تخطف الناس بأعمالهم فمنهم الموبق بعمله والموثق بعمله ومنهم المخردل أو المجازى أو نحوه»[1].

وقال ابن كثير يرد الناس جميعاً الصراط وورودهم قيامهم حول النار ثم يصدرون بأعمالهم فمنهم من يمر مثل البرق ومنهم من يمر مثل الريح ومنهم من يمر مثل الطير ومنهم من يمر كأجود الخيل ومنهم كأجود الإبل، ومنهم من يمر كعدو الرجل حتى إن آخرهم مراً رجل نوره على موضع ابهامي قدميه يمر فيتكفأ به الصراط والصراط دحض مزلة عليه حسك كحسك القتاد حافتاه ملائكة معهم كلاليب من نار يخطفون بها الناس»[2].

القنطرة:

إذا عبروا على الصراط وقفوا على قنطرة بين الجنه والنار فيقضى لبعضهم من بعض فهذا القصاص غير القصاص الأول الذي في عرصات يوم القيامه لأن هذا قصاص أخص لأجل تنقية مافي القلوب من الغل فإن هذبوا ونقوا أذن لهم في دخول الجنة»[3].

الجنة والنار:

الجنة دار النعيم التي أعدها الله لأوليائه:

والنار دار العذاب التي أعدها الله لأعدائه في الآخرة.

١ - والجنة والنار حق لا ريب فيها.

لقوله تعالى﴿ فَاتَّقُوا النَّارَ الَّتِي وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ ﴿٢٤﴾ وَبَشِّرِ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ ﴾ [البقرة: ٢٤-٢٥].

٢ - إعتقاد وجودهما الآن:

---

(١) الفتح كتاب التوحيد باب ٢٤ (١٧/ ٤٢٢)

(٢) تفسير ابن كثير (٣/ ١٣٩)

(٣) انظر شرح الواسطيه لابن عثيمين (٢/ ١٦٣) بتصرف.وحديث القنطرة اخرجه البخاري كتاب الرقاق باب القصاص يوم القيامة الفتح(١٥/ ٥٠)

لقوله تعالى ﴿أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ ﴿١٣٣﴾﴾ [آل عمرن: ١٣٣].

وقوله تعالى ﴿وَأَعْتَدْنَا لِمَن كَذَّبَ بِالسَّاعَةِ سَعِيرًا ﴿١١﴾﴾ [الفرقان: ١١].

٣- دوامهما وبقائهما وأنهما لا تفنيان ولا يفنى ما فيها لقوله تعالى ﴿خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴿١٠٠﴾﴾ [التوبة: ١٠٠].

ولقوله تعالى ﴿وَمَن يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَإِنَّ لَهُ نَارَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ﴿٢٣﴾﴾ [الجن: ٢٣].

والآيات في هذا كثيرة جداً

قال الرسول ﷺ «يقول يدخل الله أهل الجنة الجنة وأهل النار النار ثم يقوم مؤذن فيهم فيقول: يا أهل الجنة لا موت ويا أهل النار لا موت»[١].

والنار دركات سبع والعرب تقول لكل ما تسافل درك ولما تعالى درج فيقال درج الجنة ودرك النَّار

والمنافقون في الدرك الأسفل من النار وهو الهاوية.

قال العلماء:

أعلى الدركات جهنم وهي مختص بالعصاة من أمة محمد ﷺ وهي التي تخلو من أهلها فتصفق الرياح أبوابها ثم لظي ثم الحطمة ثم السعير ثم سقر ثم الجحيم ثم الهاوية[٢].

نسأل الله الجنة ونعوذ به من النار.

(١) البخاري كتاب الرقاق باب يدخل الجنة سبعون الفا بغيرحساب الفتح(١٥/ ٦٨)

(٢) انظر التذكرة (ص ٤٠٥)

المبحث الرابع
موقف البيضاوي من اليوم الآخر

البيضاوي -رحمه الله- قد أثبت اليوم الآخر وعذاب القبر وأحوال يوم القيامة، وهو موافق فيها للسلف من هذه النصوص:

١- في قوله -تعالى-: ﴿لَيَجْمَعَنَّكُمْ إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَامَةِ﴾ [الأنعام:١٢].

قال: «أي: ليجمعنكم في القبور مبعوثين يوم القيامة فيجازيكم على شرككم، أو في يوم القيامة»[1].

٢- في قوله -تعالى-: ﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَ لَكُم مَّا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا ثُمَّ اسْتَوَىٰ إِلَى السَّمَاءِ فَسَوَّاهُنَّ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ ۚ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ [البقرة:٢٩].

قال بعد تفسيرها: «واعلم أن صحة الحشر مبنية على ثلاث مقدمات وقد برهن عليها في هاتين الآيتين أما الأولى فهي:

أن مواد الأبدان قابلة للجمع والحياة وأشار إلى البرهان عليها بقوله: ﴿وَكُنتُمْ أَمْوَاتًا فَأَحْيَاكُمْ ۖ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ﴾ [البقرة:٢٨] فإن تعاقب الافتراق والاجتماع والموت والحياة عليها يدل على أنها قابلة لها بذاتها، وما بالذات يأبى أن يزول ويتغير، وأما الثانية والثالثة: فإنه -عز وجل- عالم بها وبمواقعها قادر على جمعها وإحيائها وأشار إلى وجه إثباتها بأنه -تعالى- قادر على إبدائها وإبداء ما هو أعظم خلقاً وأعجب صنعاً فكان أقدر على إعادتهم وإحيائهم. وأنه تعالى خلق ما خلق خلقاً مستوياً محكماً من غير تفاوت واختلال مراعٍ فيه مصالحهم وسد حاجاتهم وذلك دليل على تناهي علمه»[2].

فهو قد أثبت البعث والإحياء والحشر.

---

(١) «أنوار التنزيل» (١/ ٢٩٦).

(٢) «أنوار التنزيل» (١/ ٥٣).

النهر أو الحوض:

في قوله -تعالى-: ﴿إِنَّآ أَعۡطَيۡنَٰكَ ٱلۡكَوۡثَرَ﴾ [الكوثر:١].

قال: الخير المفرط الكثرة من العلم والعمل وشرف الدارين وروي عنه -عليه السلام-: «**إنه نهر في الجنة وعدنيه ربي فيه خير كثير أحلى من العسل وأبيض من اللبن وأبرد من الثلج وألين من الزبد، حافتاه الزبرجد وأوانيه من فضة لا يظمأ من شرب منه**» وقيل: حوض فيها، وقيل: أولاده وأتباعه أو علماء أمته»[1].

فهو أوضح أنه خير وأنه نهر أو حوض وهذا موافق للسلف.

(١) «أنوار التنزيل» (٢/ ١١٧٥).

الميزان :

١-عند تفسيره لقوله تعالى ﴿ وَٱلْوَزْنُ يَوْمَئِذٍ ٱلْحَقُّ فَمَن ثَقُلَتْ مَوَٰزِينُهُۥ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿٨﴾ ﴾ [الاعراف : ٨].

قال : الوزن القضاء أو وزن الاعمال وهو مقابلتها بالجزاء والجمهور على ان صحائف الاعمال توزن بميزان له لسان وكفتان ، ينظر اليه الخلائق إظهاراً للمعدلة وقطعاً للمعذرة"[١].

٢-في تفسيره لقوله تعالى ﴿ وَنَضَعُ ٱلْمَوَٰزِينَ ٱلْقِسْطَ لِيَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ ﴾ [الانبياء : ٤٧].

قال : العدل توزن بها صحائف الأعمال وقيل وضع الموازين تمثيل لإرصاد الحساب السوي والجزاء على حسب الأعمال بالعدل "[٢].

الـــــرد :

في الآية الأولى قد فسر الوزن بالقضاء أو وزن الأعمال بمعنى مقابلتها بالجزاء وفي الآية الثانية فسر الموازين بالعدل ونفهم من كلامه إنه لا يثبت الميزان على الحقيقة وهذا مخالف لمذهب أهل السنة والجماعة وما حكاه عن رأي الجمهور هو الصواب .

قال ابن تيمية : " فالميزان ما يوزن به الأعمال وهو غير العدل كما دل على ذلك الكتاب والسنة " الى ان قال : " أما كيفية تلك الموازين فهو بمنزلة كيفية سائر ما أخبرنا به من الغيب "[٣].

فأجمع أهل السنة والجماعة على الايمان بالميزان وأن له لسان وكفتان ولم ينكر ذلك سوى المعتزلة ،وقد وردت بعض الاثار الصحيحة أن للميزان كفتين ومن ذلك ما رواه الألكآئي عن سلمان الفارسي قال :" يوضع الميزان وله كفتان لو وضع في أحدهما السموات والأرض ومن

(١) انوار التنزيل (١/ ٣٣٣)

(٢) انوار التنزيل (٢/ ٦٦٨)

(٣) مجموع الفتاوي (٤/ ٣٠٢)

فيهن لوسعه فتقول الملائكة من يزن هذا فيقول : من شئت من خلقي ، قال : فتقول الملائكـة ، ما عبدناك حق عبادتك"[1].

وأما الموزونات فكما ذكرنا سابقا ان النصوص دلت على وزن الصحف ، ووزن العامـل ووزن العمل.

١- وزن الصحف كحديث البطاقة التي فيها لا إلـه إلا الله محمـد رسـول الله مـع التسـعه وتسعين سجل فتوضع السجلات في كفة والبطاقة في كفة وطاشت السجلات وثقلت البطاقة[2].

٢- وأما وزن الاعمال أنفسها منهـا حـديث " كلمتـان خفيفتنـا عـلى اللسـان حبيبتـان الى الرحمن ثقيلتان في الميزان . سبحان الله وبحمده سبحان الله العظيم "[3]، كذلك حـديث الطهور نصف الايمان والحمد لله تملأ الميزان "[4].

٣- وأما وزن العامل منه حديث " إنه ليآتي بالرجل العظيم السـمين يـوم القيامـة لا يـزن عند الله جناح بعوضة "[5] وحديث عبدالله بن مسعود حين تعجب من الصحابة لدقـة ساقيه وقال ﷺ : " والذي نفسي بيده هما في الميزان أثقل من أحد "[6].

(١) شرح اصول اعتقاد اهل السنه و الجماعة للألكآئي (٣/ ١٢٤٥)

(٢) سبق تخريجه ص(٣٢٥).

(٣) سبق تخريجه ص(٣٢٥).

(٤) رواه مسلم كتاب الطهارة برقم(١).

(٥) رواه البخاري في التفسيرباب(أولئك الذين كفروا بآيات ربهم)الفتح ص(١٠/ ٣٤٣).

(٦) سبق تخريجه ص(٣٢٥).

الجنة والنار:

٢-في قوله -تعالى-: ﴿وَبَشِّرِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أَنَّ لَهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ﴾ [البقرة:٢٥].

قال: «الجنة المرة من الجن وهو من جنّه إذا ستره ومدار التركيب على الستر سمي بها الشجر المظلل لالتفاف أغصانه للمبالغة كأنه يستر ثم البستان لما فيه من الأشجار المتكاثفة... ثم دار الثواب لما فيها من الجنان وقيل سميت بذلك: لأن ستر في الدنيا ما أعد فيها للبشر من أفنان النعم كما قال -تعالى-: ﴿فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّآ أُخْفِىَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ﴾ [السجدة:١٧] وجمعها وتنكيرها لأن الجنان على ما ذكره ابن عباس -رضي الله عنه- سبع: جنة الفردوس وجنة عدن وجنة النعيم ودار الخلد وجنة المأوى ودار السلام وعليُّون وفي كل واحدة منها مراتب ودرجات متفاوتة على حسب تفاوت الأعمال والعمال»[1].

٢- وفي قوله -تعالى-: ﴿إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ فِى ٱلدَّرْكِ ٱلْأَسْفَلِ مِنَ ٱلنَّارِ﴾ [النساء:١٤٥].

«وهو الطبقة التي في قعر جهنم وإنما كان كذلك لأنهم أخبث الكفرة إذ ضموا إلى الكفر الاستهزاء بالإسلام وخداع المسلمين» إلى أن قال: «وإنما سميت طبقاتها السبع دركات لأنها متداركة متتابعة بعضها فوق بعض»[2].

الخلاصة:

البيضاوي -رحمه الله- قد أثبت الجنة والنار وما فيهما من درجات ونعيم لأهل الإيمان والطاعة وما في النار من دركات وعذاب وهذا موافق فيه للسلف.

---

(١) «أنوار التنزيل» (١/ ٤٦).

(٢) «أنوار التنزيل» (١/ ٢٤٨).

الخـاتمـــــــة

الحمد لله الذي بنعمة تتم الصالحات ، والصلاة والسلام على رسولة الكريم وبعد:

فهذه خاتمة البحث أسجل فيها أهم النتائج ..

١- أن العقيدة الصحيحة هي ما كانت مأخوذه من الكتاب والسنة بعيداعن مصطلحات الفلاسفة والمتكلمين التي أفسدت كثير من المعتقدات السليمة لدى من يتبع هؤلاء في مناهجهم وطرق إثباتهم للعقائد ففي كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم الغُنية عما سواهما .

وأما الفرق المخالفة لمنهج السلف وإن تعددت أسماؤها فالجامع بينهم أصول متفق عليها وإنما تختلف بسبب تطبيقها لهذه الأصول والتوسع فيها ، فأصلوا بمفهوهم أصولاً تناقض النصوص الشرعية أو تلقوا هذه النصوص عن أعداء الإسلام فتناقضوا أشد التناقض حتى في المذهب الواحد نجدهم متناقضين فيما يثبتونه أو ينفونه من مسائل العقيدة ، فلم يستقيم لهم الحال إلا فيما وافقوا فيه الكتاب والسنة.

٢- أن البيضاوي رحمة الله قد مزج بين علم الفلسفة وعلم الكلام وكلا العلمين إعتمد أصحابهما على العقل والمصنف كثيرا ما يشرح بعض الآيات بألفاظ فلسفية وكلامية مثل إثبات واجب الوجود وخصائص الممكنات وأن القديم لا يقبل الشركة في ذاته وتكون العالم من الجواهر والأعراض وغيرها من الألفاظ التي لم ترد في الكتاب والسنة .

٣- توحيد الله وإفراده بإثبات ربوبيته وأسمائه وصفاته وإفراده بالعبادة والالوهية التي لا تصرف لغيره تعالى والبيضاوي في تعريفه للتوحيد قد وافق فيه الجهمية والفلاسفة والمعتزلة وذلك بنفي التعدد والتركيب في الذات الإلهية ونفي الجسمية والحيز والجهة وكلها الفاظ مجملة لم تأت في نصوص اللغة والشرع .

ورغم موافقته في معنى التوحيد للمتكلمين إلا إنه أثبت توحيد الألوهية الذي لا نجد له ذكراً في كتب المتكلمين لأن جُل إهتمامهم إثبات توحيد الربوبية .

٤- البيضاوي ممن يرى أن أول واجب على المكلف هو النظر ووجوبه عنده بالشرع وافق فيه الأشاعرة رغم تناقض هذا القول فكيف يكون أول واجب ثم لا يكون إلا بالشرع ؟ والنصوص الشرعية قد دلت على أن أول واجب هو توحيد الله بعبادته لا شريك له ، لا تعريفهم بالربوبية لأنها فطرة مركوزه في نفوس البشر.

٥- الإيمان بالله عند السلف إيمان بالقلب ونطقاً باللسان وعملاً بالجوارح وهو عند البيضاوي وافق فيه المرجئة فهو يراه مجرد التصديق ويرى أن مجرد التصديق القلبي يكفي لإستحقاق المغفرة والاعمال خارجة عن مسمى الايمان .

هذا مخالف للنصوص الشرعية التي دلت على أن الإيمان قول وعمل ولا يجزئ أحدهما عن الأخر.

٦- القرآن كلام الله المنزل على رسوله صلى الله عليه وسلم غير مخلوق منه بدأ وإليه يعود ، وكلام الله عند البيضاوي وإن أثبت أنه متكلم إلا أنه على معنى الكلام القديم النفسي القائم بذاته تعالى بغيرحرف ولاصوت فهو وافق فيه جمهور الأشاعرة ولا نعلم كيف لنا معرفة هذا الكلام القائم بذاته تعالى الذي لا يتكلم بحرف وصوت وهل الكلام إلا حرف وصوت!

ومالم يكن حرف وصوت فلا يطلق عليه كلام.والنصوص قد دلت أن الله متكلم وكلامه على الحقيقة وأنه بحرف وصوت ونداء متى شاء سبحانه وتعالى . أما الكلام النفسي لايعقله العقل ولايدركه والساكت لا يعرف ما بنفسه من كلام حتى يتكلم بحرف وصوت وهذا في المخلوق فكيف بالخالق سبحانه وتعالى..

٧- إن المصنف من كبار المؤلين الأشاعرة لهذا سار على منهج التأويل في الصفات الخبرية كالوجه والعين واليد والصفات الفعليه كالإستواء والعلو والنزول والمجيء وغيرها



وأما الصفات الأخرى كالمحبة والغضب والعجب والرحمة وغيرها فهو يردها الى معنى الإرادة بآعتبارها صفات نفسانية يستحيل إتصاف الباري بها . كذلك شمل التأويل عنده نصوص القدر وبعض نصوص اليوم الآخر ، فهو في هذا قد خالف إمام المذهب أبو الحسن الأشعري لأنه قد ذكر في مقالاته مذهب أهل السنة والجماعة وأنه يقول بقولهم .[1]

أما في باقي مسائل الاعتقاد فقد وافق فيها السلف وذكرتها في مواضعها من البحث .

.. وفي الختام اسأل الله أن يجعل هذا العمل خالصاً لوجهه الكريم وأن ينفعني بما علمني ويعلمني ما ينفعني ويزيدني علما .. وصلى الله على نبينا محمد ..وسلم .

(١) ص (١٧٣)

الفهارس

۱- فهرس الأيات

۲- فهرس الأحاديث

۳- فهرس الفرق والطوائف

٤- فهرس الأماكن والبلدان

٥- فهرس الكلمات الغريبة والمشروحه

٦- فهرس الأعلام المترجم لهم

۷- فهرس المصادر والمراجع

۸- فهرس موضوعات البحث

١- فِهْرس الآيات القرآنية

الآيـــــــــــة	رقمها	الصفحة
سورة الفاتحة		
﴿رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾	٢	٩٦،٤٤
﴿ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾	٣	٢١١
﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾	٥	١٢٣
﴿غَيْرِ ٱلْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ﴾	٧	٢١٢
سورة البقرة		
﴿الٓمٓ ۝١ ذَٰلِكَ ٱلْكِتَٰبُ﴾	١-٢	٥٧
﴿ٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِٱلْغَيْبِ﴾	٣	٥٨،٥٧،٤٦
﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ سَوَآءٌ عَلَيْهِمْ﴾	٦	٢٩١
﴿خَتَمَ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ﴾	٧	٢٨٤،٤٨
﴿يُخَٰدِعُونَ ٱللَّهَ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟﴾	٩	٢٠٨
﴿ٱللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ﴾	١٥	٢٠٧
﴿إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ﴾	٢٠	٢٧٦،١٦٦
﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱعْبُدُوا۟ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُمْ﴾	٢١	١٢٢،٩٨،٨٦، ١٢٤
﴿فَلَا تَجْعَلُوا۟ لِلَّهِ أَندَادًا﴾	٢٢	١٢٥
﴿فَٱتَّقُوا۟ ٱلنَّارَ ٱلَّتِى وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ﴾	٢٤-٢٥	٣٢٨
﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَسْتَحْىِۦٓ أَن يَضْرِبَ مَثَلًا﴾	٢٦	٢١٠
﴿كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِٱللَّهِ وَكُنتُمْ أَمْوَٰتًا﴾	٢٨	٣٣٠،١٧٠

الآيـــــــــــة	رقمها	الصفحة
﴿ هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ لَكُم مَّا فِى ٱلْأَرْضِ ﴾	٢٩	٤٧، ١٦٨، ١٩١، ١٩٥، ٢٩٤، ٣٣٠
﴿ قُلْنَا ٱهْبِطُوا۟ مِنْهَا جَمِيعًا ﴾	٣٨-٣٩	٣٠٨
﴿ وَإِذْ قُلْتُمْ يَٰمُوسَىٰ لَن نُّؤْمِنَ لَكَ ﴾	٥٥-٥٦	٤٦، ١٨٥
﴿ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ ﴾	٨٢	٢٤٩
﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ ءَامِنُوا۟ ﴾	٩١	٢٩٩
﴿ وَجِبْرِيلَ وَمِيكَىٰلَ ﴾	٩٨	٢٥٠
﴿ وَلِلَّهِ ٱلْمَشْرِقُ وَٱلْمَغْرِبُ ﴾	١١٥	٢١٧
﴿ لَا يَنَالُ عَهْدِى ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾	١٢٤	٣٠٨
﴿ رَبَّنَا وَٱبْعَثْ فِيهِمْ رَسُولًا ﴾	١٢٩	٣٠٣
﴿ قُولُوٓا۟ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْنَا ﴾	١٣٦	٢٣٣
﴿ ءَأَنتُمْ أَعْلَمُ أَمِ ٱللَّهُ ﴾	١٤٠	١٦٠
﴿ ٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ يَعْرِفُونَهُۥ ﴾	١٤٦	٢٤٧
﴿ وَٱلسَّحَابِ ٱلْمُسَخَّرِ بَيْنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ ﴾	١٦٤	٢٠١
﴿ أَنَّ ٱلْقُوَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا ﴾	١٦٥	٢٢٠
﴿ إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيْكُمُ ٱلْمَيْتَةَ ﴾	١٧٣	٥٩
﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلْقِصَاصُ ﴾	١٧٨	٤٧، ٢٤٥
﴿ فَمَنِ ٱعْتَدَىٰ عَلَيْكُمْ فَٱعْتَدُوا۟ عَلَيْهِ ﴾	١٩٤	٢٠٩
﴿ ٱلْحَجُّ أَشْهُرٌ مَّعْلُومَٰتٌ ﴾	١٩٧	٥٩
﴿ فَإِذَا قَضَيْتُم مَّنَٰسِكَكُمْ ﴾	٢٠٠	٢٥٧
﴿ هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّآ أَن يَأْتِيَهُمُ ٱللَّهُ ﴾	٢١٠	٢٠٣
﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلتَّوَّٰبِينَ ﴾	٢٢٢	٢١٥



الآيـــــــــــة	رقمها	الصفحة
﴿وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ يَعۡلَمُ مَا فِيٓ أَنفُسِكُمۡ﴾	٢٣٥	١٦٩
﴿وَقُومُواْ لِلَّهِ قَٰنِتِينَ﴾	٢٣٨	٢٣٥
﴿وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَفۡعَلُ مَا يُرِيدُ﴾	٢٥٣	١٧٢، ١٧٣، ١٧٤، ١٧٨، ٢٧٦
﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلۡحَيُّ ٱلۡقَيُّومُۚ﴾	٢٥٥	١٧٠
﴿فَمَن يَكۡفُرۡ بِٱلطَّٰغُوتِ وَيُؤۡمِنۢ بِٱللَّهِ﴾	٢٥٦	١٢٥
﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ يَأۡتِي بِٱلشَّمۡسِ مِنَ ٱلۡمَشۡرِقِ﴾	٢٥٨	١٠٠
﴿لِّيَطۡمَئِنَّ قَلۡبِيۖ﴾	٢٦٠	٢٣٨
سورة آل عمران		
﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلۡحَيُّ ٱلۡقَيُّومُ﴾	٢-٣	١٧١
﴿وَأَنزَلَ ٱلتَّوۡرَىٰةَ وَٱلۡإِنجِيلَ﴾	٣-٤	٢٥٠
﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَخۡفَىٰ عَلَيۡهِ شَيۡءٞ﴾	٥	١٦٩، ٢٧٤
﴿ٱلَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَآ إِنَّنَآ ءَامَنَّا﴾	١٦	٢٤٦
﴿قُلۡ إِن كُنتُمۡ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِي﴾	٣١	٢١٤
﴿وَإِذۡ قَالَتِ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ يَٰمَرۡيَمُ﴾	٤٢	٣٠٧
﴿وَمَكَرُواْ وَمَكَرَ ٱللَّهُۖ﴾	٥٤	٢٠٨
﴿مَا كَانَ إِبۡرَٰهِيمُ يَهُودِيّٗا﴾	٦٧	٨٠
﴿أُعِدَّتۡ لِلۡمُتَّقِينَ﴾	١٣٣	٣٢٩
﴿وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلصَّٰبِرِينَ﴾	١٤٦	٢١٥
﴿لَقَدۡ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَى ٱلۡمُؤۡمِنِينَ﴾	١٦٤	٣٠٧
﴿يَقُولُونَ بِأَفۡوَٰهِهِم﴾	١٦٧	٢٣٢
﴿فَزَادَهُمۡ إِيمَٰنٗا﴾	١٧٣	٢٣٨، ٢٥٤

الآيـــــــــــة	رقمها	الصفحة
﴿ لَّقَدْ سَمِعَ ٱللَّهُ قَوْلَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓا۟ إِنَّ ٱللَّهَ فَقِيرٌ ﴾	١٨١	١٧٤
﴿ كُلُّ نَفْسٍ ذَآئِقَةُ ٱلْمَوْتِ ﴾	١٨٥	٣١٦
سورة النساء		
﴿ يُرِيدُ ٱللَّهُ أَن يُخَفِّفَ عَنكُمْ ﴾	٢٨	١٧٣
﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ مَن كَانَ مُخْتَالًا فَخُورًا ﴾	٣٦	٢١٥
﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ ﴾	٤٨	١٢٥
﴿ يُؤْمِنُونَ بِٱلْجِبْتِ وَٱلطَّٰغُوتِ ﴾	٥١	١٢٦،١٢٣
﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا لِيُطَاعَ ﴾	٦٤	٣٠٦
﴿ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ لَيَجْمَعَنَّكُمْ ﴾	٨٧	٣٢٠
﴿ وَمَن يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُّتَعَمِّدًا ﴾	٩٣	٢١٣
﴿ وَمَن يُشَاقِقِ ٱلرَّسُولَ ﴾	١١٥	٢٥٠
﴿ إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ فِى ٱلدَّرْكِ ٱلْأَسْفَلِ ﴾	١٤٥	٣٣٤
﴿ أَوْ تَعْفُوا۟ عَن سُوٓءٍ ﴾	١٤٩	١٦٧،١٦٦
﴿ رُّسُلًا مُّبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ ﴾	١٦٥	٣٠٥
سورة المائدة		
﴿ ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ ﴾	٣	٢٣٨
﴿ وَجَعَلْنَا قُلُوبَهُمْ قَٰسِيَةً ﴾	١٣	٢٨٤
﴿ وَلَمْ تُؤْمِن قُلُوبُهُمْ ﴾	٤١	٥٨
﴿ فَسَوْفَ يَأْتِى ٱللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ ﴾	٥٤	٢١٥،٢١٤
﴿ وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ يَدُ ٱللَّهِ مَغْلُولَةٌ ﴾	٦٤	٢١٩



الآيـــــــــــة	رقمها	الصفحة
سورة الأنعام		
﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ﴾	١	٢٦٥
﴿وَهُوَ ٱللَّهُ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَفِى ٱلْأَرْضِ﴾	٣	١٢٢
﴿لَيَجْمَعَنَّكُمْ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ﴾	١٢	٣٣٠
﴿وَهُوَ ٱلْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِۦ﴾	١٨	١٩٨،١٩٦
﴿وَأُوحِىَ إِلَىَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانُ﴾	١٩	٣٠٨
﴿ٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ يَعْرِفُونَهُۥ﴾	٢٠	٣٠٧
﴿فَإِنَّهُمْ لَا يُكَذِّبُونَكَ وَلَٰكِنَّ﴾	٣٣	٢٤٧
﴿مَّا فَرَّطْنَا فِى ٱلْكِتَٰبِ مِن شَىْءٍ﴾	٣٨	٢٧٥،٢٦٠
﴿۞ وَعِندَهُۥ مَفَاتِحُ ٱلْغَيْبِ﴾	٥٩	١٦٩،١٦٠
﴿وَكَذَٰلِكَ نُرِىٓ إِبْرَٰهِيمَ مَلَكُوتَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ﴾	٧٥	٢٣٢
﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَلَمْ يَلْبِسُوٓا۟ إِيمَٰنَهُم﴾	٨٢	٤٧
﴿لَّا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَٰرُ﴾	١٠٣	١٢١
﴿فَمَن يُرِدِ ٱللَّهُ أَن يَهْدِيَهُۥ﴾	١٢٥	١٧٤،١٧٢
﴿سَيَقُولُ ٱلَّذِينَ أَشْرَكُوا۟﴾	١٤٨	٢٦٧
﴿هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّآ أَن تَأْتِيَهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ﴾	١٥٨	٢٠٤،٢٠٣
﴿قُلْ أَغَيْرَ ٱللَّهِ أَبْغِى رَبًّا﴾	١٦٤	٣٢٣،١٠٠
سورة الأعراف		
﴿وَٱلْوَزْنُ يَوْمَئِذٍ ٱلْحَقُّ﴾	٨	٣٣٠
﴿هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّا تَأْوِيلَهُۥ﴾	٥٣	١٣٠
﴿أَلَا لَهُ ٱلْخَلْقُ وَٱلْأَمْرُ﴾	٥٤	١٠٠،٩٨،٩٤



الآيـــــــــــة	رقمها	الصفحة
﴿ لَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِۦ ﴾	٥٩	٨٧
﴿ ۞ وَإِلَىٰ عَادٍ أَخَاهُمْ هُودًا ﴾	٦٥	٨٧
﴿ وَإِلَىٰ ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَٰلِحًا ﴾	٧٣	٧٨
﴿ وَمَا يَكُونُ لَنَآ أَن نَّعُودَ فِيهَآ ﴾	٨٩	٢٦٤
﴿ أَفَأَمِنُواْ مَكْرَ ٱللَّهِ ﴾	٩٩	٢٠٨
﴿ وَلَمَّا جَآءَ مُوسَىٰ لِمِيقَٰتِنَا ﴾	١٤٣	١٨٥
﴿ قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنِّى رَسُولُ ٱللَّهِ ﴾	١٥٨	٣٠٤
﴿ وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنۢ بَنِىٓ ءَادَمَ ﴾	١٧٢	٢٦٢،٧٧
﴿ وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ ﴾	١٨٠	١٥٣،١٥٢
سورة الأنفال		
﴿ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ ﴾	٢	٢٤٩،٢٣٨،٢٣٤
﴿ وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ رَمَىٰ ﴾	١٧	٢٧٨
سورة التوبه		
﴿ يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَيُؤْمِنُ لِلْمُؤْمِنِينَ ﴾	٦١	٣٣٠
﴿ وَءَاخَرُونَ مُرْجَوْنَ لِأَمْرِ ٱللَّهِ ﴾	١٠٦	٢٤٣
﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ﴾	١١٦	٩٩
﴿ فَمِنْهُم مَّن يَقُولُ أَيُّكُمْ زَادَتْهُ هَٰذِهِۦٓ إِيمَٰنًا ﴾	١٢٤	٢٣٨
﴿ ثُمَّ ٱنصَرَفُواْ صَرَفَ ٱللَّهُ قُلُوبَهُم ﴾	١٢٧	٢٨٥
سورة يونس		
﴿ إِنَّ رَبَّكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ ﴾	٣	١٩٢
﴿ وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُمْ ﴾	١٨	١١٦،٩٥

الآيــــــــــــة	رقمها	الصفحة
﴿ ۞ لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا۟ ٱلْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ ﴾	٢٦	٢١٩،١١٨
﴿ قُلْ مَن يَرْزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ ﴾	٣١	٩٨،٩٤
﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَظْلِمُ ٱلنَّاسَ ﴾	٤٤	٢٧٨
﴿ فَمَآ ءَامَنَ لِمُوسَىٰٓ إِلَّا ذُرِّيَّةٌ مِّن قَوْمِهِۦ ﴾	٨٣	٢٤٩،٢٤٧
﴿ وَلَوْ شَآءَ رَبُّكَ لَءَامَنَ مَن فِى ٱلْأَرْضِ ﴾	٩٩	٢٦٣
﴿ قُلِ ٱنظُرُوا۟ مَاذَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ﴾	١٠١	٨٦
﴿ وَهُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴾	١٠٧	٢١١
سورة هود		
﴿ كِتَٰبٌ أُحْكِمَتْ ءَايَٰتُهُۥ ﴾	١	١٣٦
﴿ وَٱصْنَعِ ٱلْفُلْكَ بِأَعْيُنِنَا وَوَحْيِنَا ﴾	٣٧	٢٢١
﴿ وَٱسْتَوَتْ عَلَى ٱلْجُودِىِّ ﴾	٤٤	١٩٥
سورة يوسف		
﴿ تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱلْكِتَٰبِ ٱلْمُبِينِ ﴾	١	١٨٠
﴿ وَمَآ أَنتَ بِمُؤْمِنٍ لَّنَا ﴾	١٧	٢٣٠
﴿ نَبِّئْنَا بِتَأْوِيلِهِۦٓ ﴾	٣٦	١٣٠
﴿ وَهُوَ أَرْحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ ﴾	٦٤	٢١١
سورة الرعد		
﴿ ٱللَّهُ ٱلَّذِى رَفَعَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ بِغَيْرِ ﴾	٢	١٩٢
﴿ وَهُوَ ٱلَّذِى مَدَّ ٱلْأَرْضَ ﴾	٣	١٢
﴿ ۞ وَإِن تَعْجَبْ فَعَجَبٌ قَوْلُهُمْ ﴾	٥	٣٢٢
﴿ خَٰلِقُ كُلِّ شَىْءٍ ﴾	١٦	٢٧٥،٢٦٤،٩٨

الآيـــــــــة	رقمها	الصفحة
﴿ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً ﴾	١٧	٢٠١
﴿ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَتَطۡمَئِنُّ قُلُوبُهُم ﴾	٢٨	٢٣٤
سورة إبراهيم		
﴿ مَّثَلُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِرَبِّهِمۡۖ ﴾	١٨	١١
﴿ إِنَّ رَبِّي لَسَمِيعُ ٱلدُّعَآءِ ﴾	٣٩	١٧٥
سورة الحجر		
﴿ إِنَّا نَحۡنُ نَزَّلۡنَا ٱلذِّكۡرَ ﴾	٩	٣٠٤
﴿ وَقَضَيۡنَآ إِلَيۡهِ ذَٰلِكَ ٱلۡأَمۡرَ ﴾	٦٦	٢٥٧
سورة النحل		
﴿ أَفَمَن يَخۡلُقُ كَمَن لَّا يَخۡلُقُۚ ﴾	١٧	٢٧٦
﴿ وَلَقَدۡ بَعَثۡنَا فِي كُلِّ أُمَّةٖ رَّسُولًا ﴾	٣٦	١٢٥،١١٦،٨٧
﴿ وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ إِلَّا رِجَالٗا ﴾	٤٣	٣٠٧،٣٠٦
﴿ يَخَافُونَ رَبَّهُم مِّن فَوۡقِهِمۡ ﴾	٥٠	١٩٦
﴿ وَقَالَ ٱللَّهُ لَا تَتَّخِذُوٓاْ إِلَٰهَيۡنِ ﴾	٥١	١١
﴿ وَٱللَّهُ أَخۡرَجَكُم مِّنۢ بُطُونِ أُمَّهَٰتِكُمۡ ﴾	٧٨	٧٦
﴿ وَقَلۡبُهُۥ مُطۡمَئِنُّۢ بِٱلۡإِيمَٰنِ ﴾	١٠٦	٢٤٥،٥٨ ،٤٧
﴿ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ طَبَعَ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمۡ ﴾	١٠٨	٢٨٤
سورة الإسراء		
﴿ وَلَا تَقۡفُ مَا لَيۡسَ لَكَ بِهِۦ عِلۡمٌۚ ﴾	٣٦	١٥٤
﴿ قُل لَّوۡ كَانَ مَعَهُۥٓ ءَالِهَةٞ ﴾	٤٢	١٠٦،١٠٤
﴿ قُلِ ٱدۡعُواْ ٱلَّذِينَ زَعَمۡتُم ﴾	٥٦	١١٦



الآيـــــــــة	رقمها	الصفحة
﴿ أُولَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ يَدۡعُونَ ﴾	٥٧	١٠٤، ١٠٦، ١٢٤
﴿ قُل لَّئِنِ ٱجۡتَمَعَتِ ٱلۡإِنسُ وَٱلۡجِنُّ ﴾	٨٨	٣٠٣
﴿ وَنَحۡشُرُهُمۡ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ عَلَىٰ وُجُوهِهِمۡ ﴾	٩٧	٣٢٠
﴿ لَقَدۡ عَلِمۡتَ مَآ أَنزَلَ هَٰٓؤُلَآءِ إِلَّا رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ ﴾	١٠٢	١٠١، ٢٤٧
﴿ قُلِ ٱدۡعُواْ ٱللَّهَ أَوِ ٱدۡعُواْ ٱلرَّحۡمَٰنَ ﴾	١١٠	١٥٣
سورة الكهف		
﴿ وَلَا تَقُولَنَّ لِشَاْيۡءٍ إِنِّي فَاعِلٞ ذَٰلِكَ غَدًا ﴾	٢٣-٢٤	٢٤٣
﴿ وَٱتۡلُ مَآ أُوحِيَ إِلَيۡكَ ﴾	٢٧	٢٣٥
﴿ وَلَا تُطِعۡ مَنۡ أَغۡفَلۡنَا قَلۡبَهُۥ ﴾	٢٨	٢٨٤
﴿ فَمَن شَآءَ فَلۡيُؤۡمِن وَمَن شَآءَ فَلۡيَكۡفُرۡ ﴾	٢٩	٢٧٧
﴿ وَعُرِضُواْ عَلَىٰ رَبِّكَ صَفّٗا ﴾	٤٨	٣٢٣
﴿ وَلَا يَظۡلِمُ رَبُّكَ أَحَدٗا ﴾	٤٩	١٦٠
﴿ سَتَجِدُنِيٓ إِن شَآءَ ٱللَّهُ صَابِرٗا ﴾	٦٩	٢٧٨
﴿ فَمَن كَانَ يَرۡجُواْ لِقَآءَ رَبِّهِۦ ﴾	١١٠	٢٣٦
سورة مريم		
﴿ وَنَٰدَيۡنَٰهُ مِن جَانِبِ ٱلطُّورِ ﴾	٥٢	١٨١
﴿ ثُمَّ نُنَجِّي ٱلَّذِينَ ٱتَّقَواْ وَّنَذَرُ ٱلظَّٰلِمِينَ فِيهَا جِثِيّٗا (٧٢) ﴾	٧٢	٣٢٧
سورة طه		
﴿ ٱلرَّحۡمَٰنُ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ ٱسۡتَوَىٰ ﴾	٥	١٦٠، ١٩٢، ١٩٤
﴿ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ﴾	٨	١٥٣

الآيـــــــــــة	رقمها	الصفحة
﴿ إِنَّنِيٓ أَنَا ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعۡبُدۡنِي وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ لِذِكۡرِيٓ ١٤ ﴾	١٤	١٧٨
﴿ وَأَلۡقَيۡتُ عَلَيۡكَ مَحَبَّةٗ مِّنِّي ﴾	٣٩	٢٢٢
﴿ إِنَّنِي مَعَكُمَآ أَسۡمَعُ وَأَرَىٰ ﴾	٤٦	١٧٥
﴿ فَمَن رَّبُّكُمَا يَٰمُوسَىٰ ﴾	٤٩-٥٠	١٠٢،٩٨
﴿ قَالَ فَمَا بَالُ ٱلۡقُرُونِ ٱلۡأُولَىٰ ﴾	٥١-٥٢	٢٦٠
﴿ قَالَ ءَامَنتُمۡ لَهُۥ قَبۡلَ أَنۡ ءَاذَنَ لَكُمۡ ﴾	٧١	٢٤٧،٢٠١
﴿ فَٱقۡضِ مَآ أَنتَ قَاضٍ ﴾	٧٢	٢٥٧
سورة الأنبياء		
﴿ لَوۡ كَانَ فِيهِمَآ ءَالِهَةٌ إِلَّا ٱللَّهُ ﴾	٢٢	١٠٦،١٠٥
﴿ وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ مِن رَّسُولٍ ﴾	٢٥	٣٠٠،١٦٦
﴿ وَنَضَعُ ٱلۡمَوَٰزِينَ ٱلۡقِسۡطَ ﴾	٤٧	٣٣٢،٣٢٥
﴿ وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا رَحۡمَةٗ لِّلۡعَٰلَمِينَ ﴾	١٠٧	٢٩٤
سورة الحج		
﴿ وَأَنَّهُۥ يُحۡيِ ٱلۡمَوۡتَىٰ ﴾	٦	١٦٦
﴿ فَإِنَّهَا لَا تَعۡمَى ٱلۡأَبۡصَٰرُ ﴾	٤٦	٢٨٦
﴿ وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ مِن رَّسُولٖ وَلَا نَبِيٍّ ﴾	٥٢	٣٠٥،٢٩٨
﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱرۡكَعُواْ ﴾	٧٧-٧٨	٢٣٥
سورة المؤمنون		
﴿ ثُمَّ إِنَّكُم بَعۡدَ ذَٰلِكَ لَمَيِّتُونَ ﴾	١٥-١٦	٣٢٢
﴿ وَلَقَدۡ أَرۡسَلۡنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوۡمِهِۦ ﴾	٢٣	١١٦

الآيـــــــــــة	رقمها	الصفحة
﴿ وَالَّذِينَ يُؤْتُونَ مَا آتَوا وَّقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ ﴾	٦٠	٢٣٤
﴿ قُل لِّمَنِ الْأَرْضُ وَمَن فِيهَا ﴾	٨٤-٨٥	٩٥
﴿ وَهُوَ يُجِيرُ وَلَا يُجَارُ عَلَيْهِ ﴾	٨٨	١١٣
﴿ مَا اتَّخَذَ اللَّهُ مِن وَلَدٍ ﴾	٩١	١٠٣، ١٠٥، ١٠٩، ١١٠
سورة النور		
﴿ ۞ اللَّهُ نُورُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ﴾	٣٥	٢٢٣
سورة الفرقان		
﴿ بَلْ كَذَّبُوا بِالسَّاعَةِ ﴾	١١	٣٢٩
﴿ وَجَعَلَ بَيْنَهُمَا بَرْزَخًا ﴾	٥٣	٣٢٩
﴿ وَتَوَكَّلْ عَلَى الْحَيِّ الَّذِي لَا يَمُوتُ ﴾	٥٨	١٧١
﴿ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا ﴾	٥٩	٢٥٠
سورة الشعراء		
﴿ قَالَ فِرْعَوْنُ وَمَا رَبُّ الْعَالَمِينَ ﴾	٢٣-٢٨	٩٩، ١٠١، ١٣٩
سورة النمل		
﴿ وَجَحَدُوا بِهَا وَاسْتَيْقَنَتْهَا أَنفُسُهُمْ ﴾	١٤	٩٤، ١٠١، ١٠٢، ٢٤٧
سورة القصص		
﴿ وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُ ﴾	١٤	١٩٥
﴿ فَوَكَزَهُ مُوسَىٰ فَقَضَىٰ عَلَيْهِ ﴾	١٥	٢٥٨
﴿ مَا عَلِمْتُ لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرِي ﴾	٣٨	١٠٢
﴿ وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ ﴾	٦٨	٢٧٩
﴿ كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا ﴾	٨٨	١٩٠، ٢١٧



الآيـــــــــــة	رقمها	الصفحة
سورة العنكبوت		
﴿ يُعَذِّبُ مَن يَشَآءُ وَيَرۡحَمُ مَن يَشَآءُ ﴾	٢١	٢١١
﴿ إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ تَنۡهَىٰ عَنِ ٱلۡفَحۡشَآءِ ﴾	٤٥	٥٨
سورة الروم		
﴿ فَأَقِمۡ وَجۡهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا ﴾	٣٠	٧٧
سورة لقمان		
﴿ وَلَئِن سَأَلۡتَهُم مَّنۡ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ ﴾	٢٥	٩٥
﴿ ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلۡحَقُّ ﴾	٣٠	١١٦،١١٥
سورة السجدة		
﴿ ٱللَّهُ ٱلَّذِي خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ ﴾	٤	١٩٢
﴿ إِنَّمَا يُؤۡمِنُ بِـَٔايَٰتِنَا ٱلَّذِينَ ﴾	١٥	٢٣٦
﴿ يَدۡعُونَ رَبَّهُمۡ خَوۡفًا وَطَمَعًا ﴾	١٦	١٢٤
﴿ فَلَا تَعۡلَمُ نَفۡسٌ مَّآ أُخۡفِيَ لَهُم ﴾	١٧	٣٣٤
سورة الأحزاب		
﴿ وَإِذۡ أَخَذۡنَا مِنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ مِيثَٰقَهُمۡ ﴾	٧	٢٥٠
﴿ وَمَا زَادَهُمۡ إِلَّآ إِيمَٰنًا وَتَسۡلِيمًا ﴾	٢٢	
﴿ وَلَٰكِن رَّسُولَ ٱللَّهِ وَخَاتَمَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ ﴾	٤٠	٣٠٤
﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱذۡكُرُواْ ٱللَّهَ ﴾	٤١-٤٢	٢٣٥
سورة سبأ		
﴿ لَا يَعۡزُبُ عَنۡهُ مِثۡقَالُ ذَرَّةٍ ﴾	٣	٢٧٤،١٦٣
﴿ وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا كَآفَّةً لِّلنَّاسِ ﴾	٢٨	٩٤



الآيـــــــــــة	رقمها	الصفحة
سورة فاطر		
﴿جَاعِلِ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ رُسُلًا﴾	١	٣٠٦
﴿هَلْ مِنْ خَٰلِقٍ غَيْرُ ٱللَّهِ﴾	٣	٩٤
﴿إِلَيْهِ يَصْعَدُ ٱلْكَلِمُ ٱلطَّيِّبُ﴾	١٠	١٩٦
﴿وَإِن مِّنْ أُمَّةٍ إِلَّا خَلَا فِيهَا نَذِيرٌ﴾	٢٤	٢٩٩
﴿أَوَلَمْ يَسِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ﴾	٤٤	١٦٧
سورة يس		
﴿وَكُلَّ شَىْءٍ أَحْصَيْنَٰهُ فِىٓ إِمَامٍ مُّبِينٍ﴾	١٢	٢٦٠، ٢٧٥
﴿إِنَّمَآ أَمْرُهُۥٓ إِذَآ أَرَادَ شَيْـًٔا أَن يَقُولَ﴾	٨٢	٢٦٣
سورة الصافات		
﴿هَٰذَا يَوْمُ ٱلْفَصْلِ﴾	٢١	٣٢٠
سورة ص		
﴿أَجَعَلَ ٱلْءَالِهَةَ إِلَٰهًا وَٰحِدًا﴾	٥	١١٤
﴿۞ وَهَلْ أَتَىٰكَ نَبَؤُا۟ ٱلْخَصْمِ إِذْ تَسَوَّرُوا۟ ٱلْمِحْرَابَ﴾	٢١-٢٣	٥٩
﴿هَٰذَا مَا تُوعَدُونَ لِيَوْمِ﴾	٥٣	٣٢٠
﴿وَمَا مِنْ إِلَٰهٍ إِلَّا ٱللَّهُ ٱلْوَٰحِدُ ٱلْقَهَّارُ﴾	٦٥	٦٩
سورة الزمر		
﴿تَنزِيلُ ٱلْكِتَٰبِ مِنَ ٱللَّهِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَكِيمِ﴾	١	١٩٨
﴿وَٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُوا۟ مِن دُونِهِۦٓ أَوْلِيَآءَ﴾	٣	١١٦
﴿يَخْلُقُكُمْ فِى بُطُونِ أُمَّهَٰتِكُمْ﴾	٦	٢٦٥
﴿ٱللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ ٱلْحَدِيثِ﴾	٢٣	١٣٧



الآيـــــــــــة	رقمها	الصفحة
﴿ وَٱلَّذِى جَآءَ بِٱلصِّدۡقِ ﴾	٣٤	٢٣٢
﴿ وَمَا قَدَرُواْ ٱللَّهَ حَقَّ قَدۡرِهِۦ ﴾	٦٧	٢٢٠،٢٠٢
﴿ وَنُفِخَ فِى ٱلصُّورِ ﴾	٦٨	٣٢١
سورة غافر		
﴿ رَبَّنَا وَسِعۡتَ كُلَّ شَىۡءٍ رَّحۡمَةً وَعِلۡمًا ﴾	٧	٢١٢
﴿ وَإِنِّى لَأَظُنُّهُۥ كَـٰذِبًا ﴾	٣٧	١٠١
﴿ وَأُفَوِّضُ أَمۡرِىٓ إِلَى ٱللَّهِ ﴾	٤٤	١٤٢
﴿ وَحَاقَ بِـَٔالِ فِرۡعَوۡنَ سُوٓءُ ﴾	٤٥	٣١٨
﴿ إِنَّ ٱلسَّاعَةَ لَأَتِيَةٌ ﴾	٥٩	٣٢٠
﴿ هُوَ ٱلۡحَىُّ لَآ إِلَـٰهَ إِلَّا هُوَ ﴾	٦٥	١٧٠
﴿ وَلَقَدۡ أَرۡسَلۡنَا رُسُلًا مِّن قَبۡلِكَ ﴾	٧٨	٣٠٠
سورة فصلت		
﴿ ثُمَّ ٱسۡتَوَىٰٓ إِلَى ٱلسَّمَآءِ ﴾	١١	
﴿ فَقَضَىٰهُنَّ سَبۡعَ سَمَـٰوَاتٍ ﴾	١٢	٢٨٠،٢٥٧
سورة الشورى		
﴿ لَيۡسَ كَمِثۡلِهِۦ شَىۡءٌ ﴾	١١	١٧٤
﴿ وَلَوۡلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتۡ ﴾	١٤	٢٥٧
﴿ وَقُلۡ ءَامَنتُ بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ ﴾	١٥	٢٣٣
﴿ وَجَزَٰٓؤُاْ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِّثۡلُهَا ﴾	٤٠	٢٠٩
﴿ ۞ وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُكَلِّمَهُ ٱللَّهُ ﴾	٥١	١٨١،١٧٨،٤٥

الآيـــــــــــة	رقمها	الصفحة
سورة الزخرف		
﴿ لِتَسْتَوُۥا۟ عَلَىٰ ظُهُورِهِۦ ﴾	١٣	١٩٥
﴿ لَوْلَا نُزِّلَ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانُ عَلَىٰ رَجُلٍ مِّنَ ﴾	٣١	٢٨٠
﴿ وَسْـَٔلْ مَنْ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رُّسُلِنَآ ﴾	٤٥	١٢٤
﴿ إِنِّى رَسُولُ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾	٤٦	١٠٢
﴿ فَٱسْتَخَفَّ قَوْمَهُۥ فَأَطَاعُوهُ ۚ ﴾	٥٤	١٠٢
﴿ فَلَمَّآ ءَاسَفُونَا ٱنتَقَمْنَا مِنْهُمْ ﴾	٥٥	٢١٣
﴿ أَمْ يَحْسَبُونَ أَنَّا لَا نَسْمَعُ سِرَّهُمْ وَنَجْوَىٰهُم ۚ ﴾	٨٠	١٧٦
﴿ وَهُوَ ٱلَّذِى فِى ٱلسَّمَآءِ إِلَٰهٌ ﴾	٨٤	١٢٣
﴿ وَلَا يَمْلِكُ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِهِ ﴾	٨٦	٢٣٣
سورة الدخان		
﴿ إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ فِى لَيْلَةٍ مُّبَٰرَكَةٍ ۚ ﴾	٣-٤	٢٦٣
سورة الجاثية		
﴿ وَتَرَىٰ كُلَّ أُمَّةٍ جَاثِيَةً ۚ ﴾	٢٨	٣٢٣
سورة محمد		
﴿ فَهَلْ يَنظُرُونَ إِلَّا ٱلسَّاعَةَ ﴾	١٨	٣١١
سورة الفتح		
﴿ لِيَزْدَادُوٓا۟ إِيمَٰنًا ﴾	٤	٢٣٨، ٢٥٤
﴿ لَتَدْخُلُنَّ ٱلْمَسْجِدَ ٱلْحَرَامَ ﴾	٢٧	٤٣٢
سورة الحجرات		
﴿ وَإِن طَآئِفَتَانِ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾	٩	٤٧، ٢٤٥

الآيـــــــــــة	رقمها	الصفحة
﴿ وَلَمَّا يَدۡخُلِ ٱلۡإِيمَٰنُ فِي قُلُوبِكُمۡۖ ﴾	١٤	٤٧، ٥٨
﴿ إِنَّمَا ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ٱلَّذِينَ ﴾	١٥	٢٣٢
سورة ق		
﴿ وَنَحۡنُ أَقۡرَبُ إِلَيۡهِ مِنۡ حَبۡلِ ٱلۡوَرِيدِ ﴾	١٦	١٩٠، ٢٠٥
سورة الذاريات		
﴿ وَمِن كُلِّ شَيۡءٍ خَلَقۡنَا زَوۡجَيۡنِ ﴾	٤٩	٦٩
﴿ وَمَا خَلَقۡتُ ٱلۡجِنَّ وَٱلۡإِنسَ ﴾	٥٦	١١٤، ١١٧
سورة الطور		
﴿ وَٱصۡبِرۡ لِحُكۡمِ رَبِّكَ فَإِنَّكَ بِأَعۡيُنِنَاۖ ﴾	٤٨	٢٢٢
سورة النجم		
﴿ وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلۡهَوَىٰٓ ﴾	٣-٤	١٦٠
﴿ فَلَا تُزَكُّوٓاْ أَنفُسَكُمۡۖ ﴾	٣٢	٢٤٢
سورة القمر		
﴿ إِنَّا كُلَّ شَيۡءٍ خَلَقۡنَٰهُ بِقَدَرٍ ﴾	٤٩	٢٨٢
سورة الرحمن		
﴿ رَبُّ ٱلۡمَشۡرِقَيۡنِ وَرَبُّ ٱلۡمَغۡرِبَيۡنِ ﴾	١٧	١٣٩
﴿ وَيَبۡقَىٰ وَجۡهُ رَبِّكَ ذُو ٱلۡجَلَٰلِ وَٱلۡإِكۡرَامِ ﴾	٢٧	٢١٧
﴿ كُلَّ يَوۡمٍ هُوَ فِي شَأۡنٍ ﴾	٢٩	٢٦٣
سورة الوقعة		
﴿ وَنَحۡنُ أَقۡرَبُ إِلَيۡهِ ﴾	٨٥	٢٠٦

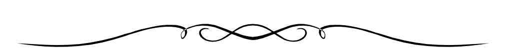
الآيـــــــــــة	رقمها	الصفحة
سورة الحديد		
﴿ هُوَ ٱلْأَوَّلُ وَٱلْآخِرُ ﴾	٣	١٨٩
﴿ هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ ﴾	٤	١٩٢
﴿ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦٓ ﴾	١٩	٢٣١
سورة المجادلة		
﴿ قَدْ سَمِعَ ٱللَّهُ قَوْلَ ٱلَّتِى تُجَٰدِلُكَ ﴾	١	١٧٥
﴿ مَا يَكُونُ مِن نَّجْوَىٰ ثَلَٰثَةٍ ﴾	٧	٢٠٠
﴿ أُو۟لَٰٓئِكَ كَتَبَ فِى قُلُوبِهِمُ ﴾	٢٢	٥٨،٤٧
سورة الحشر		
﴿ هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ﴾	٢٢	٢٧١،٢٥٩
﴿ هُوَ ٱللَّهُ ٱلْخَٰلِقُ ٱلْبَارِئُ ٱلْمُصَوِّرُ ﴾	٢٤	١٥٣
سورة الصف		
﴿ فَلَمَّا زَاغُوٓا۟ أَزَاغَ ٱللَّهُ قُلُوبَهُمْ ﴾	٥	٢٨٥
﴿ وَإِذْ قَالَ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ ﴾	٦	٣٠٣
سورة الطلاق		
﴿ لِتَعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴾	١٢	٢٥٩
سورة التغابن		
﴿ زَعَمَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ أَن لَّن يُبْعَثُوا۟ ﴾	٧	٣٢٢
سورة الملك		
﴿ مَّا تَرَىٰ فِى خَلْقِ ٱلرَّحْمَٰنِ مِن تَفَٰوُتٍ ﴾	٣	١٠٣
﴿ ءَأَمِنتُم مَّن فِى ٱلسَّمَآءِ ﴾	١٦	١٩٨،١٩٧



الآيـــــــــــة	رقمها	الصفحة
سورة الحاقة		
﴿ وَٱلۡمَلَكُ عَلَىٰٓ أَرۡجَآئِهَاۚ وَيَحۡمِلُ عَرۡشَ رَبِّكَ فَوۡقَهُمۡ يَوۡمَئِذٖ ثَمَٰنِيَةٞ ﴾	١٧	١٢
سورة المعارج		
﴿ تَعۡرُجُ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ وَٱلرُّوحُ إِلَيۡهِ ﴾	٤	١٩٦، ١٩٨
سورة الجن		
﴿ وَمَن يَعۡصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ ﴾	٢٣	٣٢٩
سورة القيامة		
﴿ وُجُوهٞ يَوۡمَئِذٖ نَّاضِرَةٌ ﴾	٢٢-٢٣	١٨٨
سورة المدثر		
﴿ فَمَن شَآءَ ذَكَرَهُۥ ﴾	٥٥-٥٦	٢٨٣
سورة التكوير		
﴿ لِمَن شَآءَ مِنكُمۡ أَن يَسۡتَقِيمَ ﴾	٢٨-٢٩	٢٦٣، ٢٨٣
سورة المطففين		
﴿ كَلَّاۖ بَلۡۜ رَانَ عَلَىٰ قُلُوبِهِم ﴾	١٤	٢٨٥
سورة الإنشقاق		
﴿ فَأَمَّا مَنۡ أُوتِيَ كِتَٰبَهُۥ بِيَمِينِهِۦ ﴾	٧-١٢	٣٢٤
سورة البروج		
﴿ فَعَّالٞ لِّمَا يُرِيدُ ﴾	١٦	١٧٣، ٢٧٧
سورة الأعلى		
﴿ سَبِّحِ ٱسۡمَ رَبِّكَ ٱلۡأَعۡلَى ﴾	١-٤	٢٥١



الآيـــــــــــة	رقمها	الصفحة
سورة الغاشية		
﴿ إِنَّ إِلَيْنَآ إِيَابَهُمْ ﴾	٢٥-٢٦	٣٢٣
سورة الليل		
﴿ فَأَمَّا مَنْ أَعْطَىٰ وَٱتَّقَىٰ ۝٥ وَصَدَّقَ بِٱلْحُسْنَىٰ ﴾	٥-١٠	٢٦٠
﴿ وَمَا لِأَحَدٍ عِندَهُۥ مِن نِّعْمَةٍ تُجْزَىٰٓ ﴾	١٩-٢٠	٢١٨
سورة العلق		
﴿ خَلَقَ ٱلْإِنسَٰنَ مِنْ عَلَقٍ ﴾	٢	٤٣
سورة البينة		
﴿ وَمَآ أُمِرُوٓا۟ إِلَّا لِيَعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ ﴾	٥	١١٤، ٢٣٥
سورة القارعة		
﴿ فَأَمَّا مَن ثَقُلَتْ مَوَٰزِينُهُۥ ﴾	٦	٣٢٥
سورة الكوثر		
﴿ إِنَّآ أَعْطَيْنَٰكَ ٱلْكَوْثَرَ ﴾	١	٣٢٦
سورة الإخلاص		
﴿ قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ﴾	١	٤٣، ٦٩



٢- فهرس الأحاديث

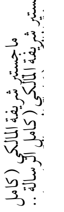
م	طرف الحديـــــــــث	رقم الصفحة
١	أتدرون ما الإيمان بالله وحده؟	٢٣٦
٢	أترون هذه طارحة ولدها...	٢١٢
٣	أسعد الناس بشفاعتي...	٢٣٣
٤	أعدد ستاً بين يدي الساعة...	٣١٢
٥	أعوذ بنور وجهك...	٢٢٥
٦	ـملوا فكلٌ ميسر لما خلق له...	٢٦٠، ٢٨٢
٧	أكمل المؤمنين إيماناً أحسنهم...	٢٣٩
٨	ألا أخبركم عن النفر الثلاثة	٢١٠
٩	ألا أدلك على كلمه من كنوز الجنة...	٢٦٥
١٠	ألا تأمنوني وأنا أمين من في السماء...	١٩٨
١١	أمرت أن أقاتل الناس...	٨٨، ١١٧، ٢٣٣
١٢	أين الله؟	١٩٨
١٣	أيها الناس أربعوا على أنفسكم...	٢٠٧
١٤	لإيمان بضعٌ وستون شعبة...	٢٣٩
١٥	إذا أحب الله العبد دعا جبريل...	٢١٥
١٦	إذا دخل أهل الجنة الجنة...	١٨٨
١٧	إذا أتيت مضجعك فتوضأ...	٨٠
١٨	إن الله لا يخفى عليكم...	٢٢٢
١٩	إن الله إذا أراد رحمة أمة...	١٧٣
٢٠	إن الله لا ينام...	٢٢٥



م	طرف الحديث	رقم الصفحة
٢١	إن الله يصنع كل صانع وصنعته...	٢٦٥
٢٢	إن لله تسعة وتسعون إسماً ...	١٥٥
٢٣	إن أول ما خلق الله القلم...	٣٦٢
٢٤	إن أول الآيات خروجاً طلوع الشمس...	٣١٤
٢٥	إن أحدكم يجمع خلقه في بطن أمه...	٢٦٢
٢٦	إن ربي قد غضب اليوم...	٢١٣
٢٧	إن قلوب بني آدم كلها بين إصبعين...	٢٢١، ٢٦٤
٢٨	إن القدرية مجوس هذه الأمه...	٢٧٠
٢٩	إنك تقدم على قوم من أهل الكتاب...	٨٨
٣٠	إنكم سترون ربكم...	١٨٧
٣١	إن مثلي ومثل الأنبياء من قبلي...	٣٠٤
٣٢	إنما ذلك العرض...	٣٢٤
٣٣	إنما الأعمال بالنيات...	٢٣٤
٣٤	إنه ليأت بالرجل العظيم السمين...	٣٣٣
٣٥	إنها لن تقوم الساعة حتى تروا قبلها عشر آيات...	٣١٤
٣٦	إنهما ليعذبان...	٣١٨
٣٧	إني فرطكم على الحوض...	٣٢٦
٣٨	اللهم إني أستخيرك بعلمك وأستقدرك...	١٦٨، ١٦٩
٣٩	اللهم اغفر لي خطئي وجهلي...	١٦٩
٤٠	اللهم إني أعوذ بعزتك...	١٧١
٤١	اللهم أنت الأول فليس قبلك شيء...	١٩١
٤٢	بادروا بالأعمال...	٣١٢
٤٣	بعثت أنا والساعة كهاتين...	٣١٢



م	طرف الحديـــــــث	رقم الصفحة
٤٤	تنام عيني ولا ينام قلبي...	٣٠١
٤٥	ثلاث من كن فيه وجد بهن حلاوة الإيمان...	٢١٥، ٢٣٤
٤٦	ثم نفخ في الصور...	٣٢١
٤٧	حجابه النورلو كشفه...	٢١٨
٤٨	سبحان ربي الأعلى...	١٩٨
٤٩	الصلاة عماد الدين...	٥٨
٥٠	الطهور نصف الإيمان...	٣٣٣
٥١	عرضت علي الأمم...	٣٢٤
٥٢	على الفطرة...	٨٠
٥٣	فادعهم إلى شهادة أن لا إله إلا الله...	٨٨
٥٤	فضلت على الأنبياء بست...	٣٠٤
٥٥	فقال الله للجنة...	٢٦٤
٥٦	فإنكم ترون ربكم...	١٨٧
٥٧	فيقضر ربك ما يشاء...	٢٦٤
٥٨	كتب الله مقادير الخلائق...	٢٦١
٥٩	كتب على ابن آدم حظه من الزنا...	٢٤٨، ٢٦١
٦٠	كذبني ابن آدم ولم يكن له ذلك...	٣٢٢
٦١	كل مولود يولد على الفطرة...	٧٩، ٢٦٠
٦٢	كلمتان خفيفتان على اللسان...	٢٣٥، ٣٢٥، ٣٣٣
٦٣	لا إله إلا الله وحده لا شريك له...	٢٦٥
٦٤	لا تقوم الساعة حتى تخرج نار...	٣١٣
٦٥	لا تقوم الساعة حتى يبعث دجالون...	٣١٣





م	طرف الحديــــــــث	رقم الصفحة
٦٦	لا تذهب أو لاتنقضي الدنيا حتى يملك العرب...	٣١٥
٦٧	لو لا أن لا تدافنوا لدعوت الله...	٣١٨
٦٨	ما السموات السبع والأرضون...	٢٠٢
٦٩	ما الكرسي في العرش...	٢٠٣
٧٠	ما منكم من نفس إلا وقد علم منزلها...	٢٦٠
٧١	ما من مولود يولد على الفطرة...	٧٨
٧٢	من أحب لله وأبغض لله...	٢٣٩
٧٣	من أتبع جنازة مسلم...	٢٣٦
٧٤	من حوسب عذب...	٣٢٤
٧٥	من رأى منكم منكراً فليغيره...	٢٣٩
٧٦	من قرأ حرفاً من كتاب الله فله...	١٨٠
٧٧	من قال أشهد أن لا إله إلا الله...	٢٣٤
٧٨	ن قام رمضان إيماناً وإحتساباً...	٢٣٦
٧٩	من كان آخر كلامه لا إله إلا الله...	١١٧
٨٠	من لقيت من وراء هذا الحائط...	٢٣٣
٨١	من يرد الله به خيراً يصب منه...	١٧٣
٨٢	المقسطون عند الله على منابر من نور...	٢٢٠، ٢٢١
٨٣	نور أنى أراه...	١٨٩، ٢٢٤
٨٤	هذا باب من السماء فتح اليوم...	١٨٠
٨٥	والله إني لأرجو أن أكون أخشاكم...	٢٤٣
٨٦	النبي نائمةٌ عيناه ولا ينام قلبه...	٣٠١
٨٧	والذي نفسي بيده هما أثقل في الميزان من أحد...	٣٢٥، ٣٣٣
٨٨	وإن الله حيي كريم...	٢١٠



م	طرف الحديث	رقم الصفحة
٨٩	وإني خلقت عبادي حنفاء كلهم...	٧٩
٩٠	وإنا إن شاء الله بكم لاحقون...	٢٤٣
٩١	ومن يرد الله به خيراً يفقهه...	١٧٣
٩٢	يحشر الله العباد فيناديهم بصوت...	١٨٢
٩٣	يخرج من النار من قال لا إله إلا الله...	٢٣٣، ٢٣٨
٩٤	يدخل الملك على النطفه بعد ما تستقر...	٢٦٣
٩٥	يدخل الله أهل الجنة الجنة فيقول...	٣٢٩
٩٦	يضرب الصراط بين ظهري جهنم...	٣٢٧
٩٧	يقبض الله سمواته بيده...	٢٢١
٩٨	يقول الله عز وجل يوم القيامة يا آدم...	١٨١
٩٩	يكون في آخر أمتي خليفة...	٣١٥
١٠٠	يوضع الميزان وله كفتان...	٣٣٢



٣- فهرس الفرق والطوائف

م	اسم الفرقة أو الطائفة	رقم الصفحة
١	الأشاعرة	٩
٢	الثنوية	٩٤
٣	الخوارج	٩
٤	الشيعة	٩
٥	الصوفية	٩
٦	الصفاتية	٧١
٧	الصابئة	١٧٥
٨	الفلاسفة	٩
٩	الفلاسفة المتأخرين	١٧٥
١٠	الإلخانيين	٢٢
١١	المجوس	٩٤
١٢	المعتزلة	٩



٤- فهرس الأماكن والبلدان

م	اسم المكان أو البلد	رقم الصفحة
١	البيضاء	١٦
٢	تبريز	١٦
٣	سهرورد	٢٥
٤	شيراز	١٦
٥	طوس	٢٥



٥- فهرس الكلمات الغريبة والمشروحه

م	الكلمـــــــــــة	رقم الصفحة
١	الجهات.	١٨٥
٢	الأحياز.	١٨٥
٣	الأسباط	٣٠٠
٤	الأوتاد.	١٢
٥	الجوهر	٤٤
٦	العرض	٤٤
٧	عقاص الغنم.	٣١٢
٨	الفلسفة	٨
٩	القراءات المشهورة.	٥٦
١٠	القطب.	٢٠
١١	الليت.	٣٢١
١٢	الممكنات	٤٤
١٣	المنطق	٨
١٤	الواجب لذاته	٤٤



٦- فهرس الأعلام المترجم لهم

م	اسم العلم	رقم الصفحة
١	أحمد بن عبدالرحمن (القلانسي).	١٨٢
٢	إبراهيم بن علي (أبوإسحاق الشيرازي).	٣٤
٣	إسماعيل بن يحيى (فخرالدين الشيرازي).	٤٠
٤	الحسين بن عبدالله (ابن سينا).	١٢
٥	الحسين بن مسعود (البغوي).	٣٥
٦	الحسين بن محمد (الأصفهاني).	٣٦
٧	صالح بن عمر (الصالحي).	١٨٢
٨	عبدالله بن سعيد (ابن كلاب).	١٨٢
٩	عبدالرحمن بن أحمد (الإيجي).	٢٦
١٠	عبدالرحيم بن الحسن (الإسنوي).	٣١
١١	عبيدالله بن محمد (العبيدي الفرغاني).	٣٠
١٢	عبدالجبار المعتزلي.	٦٦
١٣	عبدالملك بن عبدالله (الجويني).	٦٧
١٤	عبدالكريم بن هوازن (القشيري).	٦٨
١٥	علي بن أحمد (ابن حزم الظاهري).	٨٩
١٦	علي بن إسماعيل (أبوالحسن الأشعري).	١٨٢
١٧	علي بن محمد (الآمدي).	٨٤
١٨	علي بن محمد (أبوالحسن الطبري الكيا الهراسي).	٨٣
١٩	عبداللطيف الكازراني.	١٠
٢٠	عثمان بن عمر (ابن الحاجب).	٣٣



م	اســم العلـــــــــــــــــم	رقم الصفحة
٢١	غيلان الدمشقي.	٢٦٨
٢٢	محمدبن الحسين(السلمي).	١١
٢٣	محمدبن عمربن حسين(الرازي).	٣٦
٢٤	محمدبن مسعود(القطب الشيرازي).	١٩
٢٥	محمدبن عبدالكريم(الشهرستاني).	٦٧
٢٦	محمدبن الطيب(الباقلاني).	٨٢
٢٧	محمودبن أبي بكر(الأرموي).	٣٧
٢٨	معبدالجهني.	٢٦٨
٢٩	يوسف بن عبدالله(ابن عبدالبر).	٧٩



٧- فهرس المصادر والمراجع

القرآن الكريم .

أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، تأليف: محمد الشنقيطي، ضبط وتخريج: الشيخ محمد عبد العزيز الخالدي، ط١، ١٤٢٤هـ، دار الكتب العلمية، بيروت.

أنوارالتنزيل وأسرارالتأويل:لناصرالدين،عبدالله ابن عمر البيضاوي. ط١ (٢٠٠١) دارصادربيروت.

الأسماء والصفات، لأبي بكر أحمد بن الحسين البيهقي، تحقيق وتعليق: الشيخ عماد الدين أحمد حيدر، ط٣، ١٤٢٤هـ، دار الكتاب العربي، بيروت.

أشراط الساعة، تأليف: يوسف عبد الله الوابل، ط٢٠، ١٤٢٤هـ، دار ابن الجوزي.

الأعلام قاموس وتراجم لأشهر الرجال والنساء من العرب والمستعربين والمستشرقين، تأليف: خير الدين الزركلي، الطبعة الثالثة، دار العلم للملايين، بيروت.

الأشاعرة في ميزان أهل السنة، تأليف: فيصل بن قزاز الجاسم، الطبعة الأولى، ١٤٢٢هـ، الناشر: المبرة الخيرية لعلوم القرآن والسنة بالكويت.

الأصول التي بنى عليها المبتدعة مذهبهم في الصفات والرد عليها من كلام شيخ الإسلام ابن تيمية، تأليف: الدكتور عبد القادر بن محمد صوفي، الطبعة الثانية، ١٤٢٦هـ، دار أضواء السلف.

الإحكام:للآمدي.ط١.(١٣٨٧هـ).مؤسسة النور.تعليق،عبدالرزاق عفيفي.

الإرشاد إلى قواطع الأدلة في أصول الاعتقاد، تأليف: إمام الحرمين الجويني، حققه وقدم له كل من: الدكتور محمد يوسف موسى، وعلي عبد المنعم عبد الحميد، ١٣٦٩هـ، الناشر: مكتبة الخانجي، مصر.



إعلام الموقعين عن رب العالمين، تأليف: ابن قيم الجوزية، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، الطبعة الأولى، ١٤٧٤هـ، مطبعة السعادة بالقاهرة.

الإنصاف فيما يجب اعتقاده ولا يجوز الجهل به، تأليف: أبي بكر الباقلاني، تحقيق: عماد الدين أحمد حيدر، الطبعة الأولى، ١٤٠٧هـ.

الإيمان، تأليف: شيخ الإسلام ابن تيمية، خرج أحاديثه: محمد ناصر الدين الألباني، الطبعة الخامسة، ١٤١٦هـ، المكتب الإسلامي.

الإيمان باليوم الآخر، تأليف: محمد بن إبراهيم الحمد، الطبعة الثانية، دار ابن الجوزي.

بدائع الفوائد، تأليف: ابن قيم الجوزية، تحقيق: صالح اللحام وخلدون خالد، الطبعة الأولى، ١٤٢٦هـ، دار ابن حزم.

البداية والنهاية، تأليف: أبي الفداء إسماعيل بن كثير الدمشقي، اعتنى بها وحققها: عبد الرحمن اللاذقي ومحمد بيضون، الطبعة الخامسة، ١٤٢٠هـ، دار المعرفة، بيروت.

البدور السافرة في أمور الآخرة، تأليف: جلال الدين السيوطي، الطبعة الثالثة، ١٤٢٥هـ، مؤسسة الكتب الثقافية، بيروت.

البرهان في علوم القرآن، تأليف: الإمام الزركشي، تحقيق: الدكتور زكي محمد أبو سريع، الطبعة الأولى، ١٤٢٧هـ، دار الحضارة للنشر والتوزيع.

البلاغة فنونها وأفنانها، للدكتور: فضل حسن عباس، الطبعة الحادية عشر، ١٤٢٦هـ، دار الفرقان للنشر والتوزيع.

البيضاوي ومنهجه في التفسير، تأليف: يوسف علي، رسالة دكتوراة بجامعة أم القرى.

بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة، تأليف: جلال الدين السيوطي، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، الطبعة الأولى، بمطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه.

بيان تلبيس الجهمية في تأسيس بدعهم الكلامية، تأليف: أبي العباس أحمد بن تيمية، تصحيح وتعليق: محمد بن عبد الرحمن بن قاسم، الطبعة الأولى، مطبعة الحكومة، مكة المكرمة، ١٣٩١هـ.

تاريخ الشعوب الإسلامية – الإمبراطورية الإسلامية وانحلالها، تأليف: كارل بروكلمان، ترجمة للعربية: نبيه أمين فارس، طبعة بيروت الثالثة.

تاريخ الأدب الفارسي، د. رضا زاده شفيق، ترجمة: محمود موسى هنداوي، طبعة دار الفكر العربي.

تاريخ الأدب في إيران. لبراون.

تبيين كذب المفتري فيما نسب إلى الإمام أبي الحسن الأشعري:لأبي القاسم علي بن حسن بن هبة الله ابن عساكر الدمشقي.دارالكتاب العربي بيروت.١٣٩٩هـ/ ١٩٧٩م.

التدمرية، تأليف: ابن تيمية، تحقيق: محمد عودة السعوي، الطبعة الأولى، ١٤٠٥هـ.

التذكرة في أحوال الموتى وأمور الآخرة، تأليف: الإمام القرطبي، الطبعة الأولى، ١٤٠٨هـ، دار التوزيع والنشر الإسلامية بمصر.

التعريفات، تأليف: علي بن محمد الجرجاني، حققه: إبراهيم الأبياري، ١٤٢٣هـ، دار الكتاب العربي، بيروت.

التسعينية، تأليف: شيخ الإسلام ابن تيمية، دراسة وتحقيق: الدكتور محمد إبراهيم العجلان، الطبعة الأولى، ١٤٢٠هـ، مكتبة المعارف.

تفسير القرآن العظيم، تأليف: أبي الفداء إسماعيل بن كثير الدمشقي، الطبعة الثانية، ١٤١٧هـ، مؤسسة الريان.

التفسير والمفسرون، تأليف: محمد حسين الذهبي، الطبعة الثانية، ١٣٩٦هـ، دار الكتب الحديثة.

تمهيد الأوائل وتلخيص الدلائل، تأليف: أبي بكر الباقلاني، تحقيق: عماد الدين أحمد حيدر، الطبعة الثالثة، ١٤١٤هـ، مؤسسة الكتب الثقافية.

التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد، تأليف: أبو عمر يوسف بن عبد البر، طبعة وزارة المعارف المغربية، تحقيق: جماعة من العلماء.

تهذيب السنن :لابن القيم.الناشر دار المعرفة ،بيروت.

التوحيد ومعرفة أسماء الله وصفاته على الاتفاق والتفرد، لابن منده، تحقيق: علي الفقيهي، طبع مكتبة العلوم والحكم.

تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنّان، تأليف: العلامة عبد الرحمن بن ناصر السعدي، اعتنى به وحققه: عبد الرحمن معلاّ اللويحق، الطبعة الأولى، ١٤٢٣هـ، مؤسسة الرسالة.

جامع البيان عن تأويل آي القرآن، تأليف: ابن جرير الطبري، دار الفكر.

جامع البيان عن تأويل آي القرآن، تحقيق: شاكر، دار المعارف بمصر.

جامع بيان العلم وفضله وما ينبغي في روايته وحمله، تأليف: أبو عمر يوسف بن عبد البر، المكتبة العلمية بالمدينة المنورة.

حاشية الشهاب على تفسير البيضاوي، دار صادر.

حاشية القونوي على تفسير البيضاوي مع حاشية ابن التمجيد، الطبعة الأولى، توزيع مكتبة عباس الباز.

حقيقة التوحيد بين أهل السنة والمتكلمين، تأليف: عبد الرحيم بن صمايل السلمي، الطبعة الأولى، دار المعرفة للنشر والتوزيع.

حقائق التفسير:للسلمي.

خلق أفعال العباد والرد على الجهمية وأصحاب التعطيل، تأليف: محمد بن إسماعيل البخاري، دراسة وتحقيق: فهد بن سليمان الفهيد، الطبعة الأولى، ١٤٢٥هـ، دار أطلس الخضراء للنشر والتوزيع.

درء تعارض العقل والنقل، تأليف: شيخ الإسلام ابن تيمية، تحقيق: محمد رشاد سالم، مطبعة جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، الرياض.

دعوة التوحيد، تأليف محمد خليل هرّاس، الطبعة الأولى، ١٤٠٧هـ، الناشر: مكتبة ابن تيمية، القاهرة.

دائرة المعارف الإسلامية، تأليف: نخبة من المستشرقين، ونقلها للعربية: محمد ثابت الفندي وآخرين، طبعة وزارة المعارف، وطبعة دار الشعب.

رسائل ابن سينا: المطبعة الهندية ١٩١٤هـ.

الرسل والرسالات، تأليف: عمر بن سليمان الأشقر، الطبعة الرابعة عشر، ١٤٢٧هـ، دار النفائس بالأردن.

الرسالة الصفدية، تأليف: ابن تيمية، الطبعة الأولى، ١٤٢٣هـ، أضواء السلف.

الرسالة الواضحة في الرد على الأشاعرة، تأليف: ابن الحنبلي، دراسة وتحقيق: علي بن عبد العزيز الشبل، الطبعة الأولى، ١٤٢٨هـ، مكتبة الرشد.

رسالة السجزي إلى أهل زبيد، تحقيق: محمد باكريم، الطبعة الأولى، ١٤١٤هـ، دار الراية، الرياض.

الرد على المنطقيين، لشيخ الإسلام ابن تيمية، ضبط وتعليق: رفيق العجم، دار الفكر اللبناني.

الرد على الزنادقة والجهمية، تأليف: الإمام أحمد بن حنبل، دراسة وتحقيق دغش العجمي، الطبعة الأولى، ١٤٢٦هـ، غراس للنشر والتوزيع، الكويت.

الرد على الجهمية والزنادقة، للإمام أحمد بن حنبل، تحقيق: صبري بن سلامة شاهين، الطبعة الأولى، ١٤٢٤هـ، دار الثبات.

الرد على الجهمية، تأليف: الإمام ابن منده، تحقيق: الدكتور علي بن محمد ناصر الفقيهي، الطبعة الثانية، ١٤٠٢هـ.

سنن الترمذي، للإمام أبو عيسى الترمذي، تحقيق: أحمد شاكر، الطبعة الأولى، ١٣٥٦هـ، مطبعة البابي الحلبي بالقاهرة.

سير أعلام النبلاء، تأليف: شمس الدين أبي عبد الله محمد بن أحمد الذهبي، طبع ونشر دار المعارف، مصر.

السنة، تأليف: أبي بكر الخلال، الطبعة الأولى، ١٤٢٨هـ، الفاروق الحديثة للطباعة والنشر.

السلسلة الصحيحة:للألباني،المكتب الإسلامي بيروت ط١٤٠٥،٤هـ.

السلسلة الضعيفة:للألباني،ط١.

شرح العقيدة الأصفهانية، تأليف: ابن تيمية، تحقيق: سعيد بن نصر محمد، الطبعة الأولى، ١٤٢٢هـ، مكتبة الرشد.

شرح حديث جبريل عليه السلام، لابن تيمية، دراسة وتحقيق: الدكتور علي الزهراني، الطبعة الأولى، ١٤٢٣هـ.

شرح العقيدة الواسطية، تأليف محمد بن عثيمين، خرّج أحاديثه: سعد بن فواز الصميّل، الطبعة الثالثة، ١٤١٦هـ، دار ابن الجوزي.

شرح العقيدة الواسطية، تأليف: محمد خليل الهراس، الطبعة الرابعة، توزيع الجامعة الإسلامية.

شرح العقيدة الطحاوية، تأليف الإمام علي بن علي بن أبي العز الدمشقي، حقق وخرّج أحاديثه: كل من الدكتور عبد الله بن عبد المحسن التركي وشعيب الأرناؤوط، الطبعة الرابعة، ١٤١٩هـ، الناشر: دار هجر.

شرح الأصول الخمسة، تأليف: القاضي عبد الجبار المعتزلي، الطبعة الأولى، دار إحياء التراث العربي، بيروت.

شرح المواقف، تأليف: علي بن محمد الجرجاني، ضبط وتصحيح: محمود عمر الدمياطي، الطبعة الأولى، ١٤١٩هـ، دار الكتب العلمية، بيروت.

شذرات الذهب في أخبار من ذهب، تأليف: ابن العماد الحنبلي، دراسة وتحقيق: مصطفى عبد القادر عطا، الطبعة الأولى، ١٤١٩هـ، دار الكتب العلمية، بيروت، توزيع عباس الباز، مكة المكرمة.

شفاء العليل في مسائل القضاء والقدر والحكمة والتعليل، تأليف: ابن قيم الجوزية، تحقيق: عمر بن سليمان الجفيان، الطبعة الأولى، ١٤٢٠هـ، مكتبة العبيكان.

الشريعة، تأليف: أبي بكر الآجري، دراسة وتحقيق: الدكتور عبد الله الدميجي، الطبعة الثانية، ١٤٢٠هـ، دار الوطن.

صحيح مسلم بشرح النووي، مكتبة دار الفيحاء.

الصارم المسلول على شاتم الرسول، لابن تيمية، تحقيق: محمد الحارثي ومحمد شودري.

الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، تأليف: إسماعيل بن حماد الجوهري، تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار، الطبعة الثانية، ١٤٠٢هـ.

طبقات الشافعية الكبرى، تأليف: ابن السبكي، الطبعة الثانية، دار المعرفة، بيروت، توزيع دار الباز.

طبقات الشافعية الكبرى، لابن السبكي، تحقيق: عبد الفتاح محمد الحلو ومحمود محمد الطناحي، الطبعة الأولى، عيسى البابي الحلبي وشركاه.

طبقات المفسرين، تأليف: محمد بن علي الداودي، تحقيق: علي محمد عمر، الناشر: مكتبة وهبة.

طبقات المفسرين، تأليف: أحمد بن محمد الأدنه وي، تحقيق: سليمان بن صالح الخزي، الناشر: مكتبة العلوم والحكم بالمدينة المنورة، الطبعة الأولى، ١٤١٧هـ.

طوالع الأنوار، تأليف: القاضي ناصر الدين البيضاوي، تحقيق: عباس سليمان، الطبعة الأولى، ١٤١١هـ، دار الجيل، بيروت.

الغاية القصوى في دراية الفتوى، تأليف: ناصر الدين البيضاوي، دراسة وتحقيق: علي محيي الدين علي القرة داغي، دار الإصلاح، الدمام.

فتح الباري بشرح صحيح البخاري، تأليف: أحمد بن علي بن حجر العسقلاني، الطبعة الأولى، ١٤٢٦هـ، بتعليقات ابن باز وعبد الرحمن البراك، اعتنى به: أبو قتيبة الفريابي، دار طيبة.

الفَرق بين الفِرق، تأليف: عبد القاهر البغدادي، حققه: محمد محيي الدين عبد الحميد، دار المعرفة، بيروت.

الفصل في الملل والأهواء والنحل، تأليف: علي بن أحمد بن حزم الظاهري، الطبعة الثانية، دار الكتب العلمية.

الفلسفة الإسلامية دراسة ونقد:د/ عرفان عبدالحميد.مؤسسة الرسالة ط٢(١٤٠٤هـ).

قواعد في بيان حقيقة الإيمان عند أهل السنة والجماعة، تأليف: عادل محمد الشيخاني، الطبعة الأولى، ١٤٢٦هـ، دار أصواء السلف.

القاضي ناصر الدين البيضاوي وأثره في أصول الفقه، رسالة علمية، تأليف: جلال الدين عبد الرحمن، الطبعة الأولى، ١٤٠١هـ، مطبعة السعادة.

القضاء والقدر في ضوء الكتاب والسنة ومذاهب الناس فيه، الدكتور: عبد الرحمن المحمود، الطبعة الثانية، ١٤١٨هـ، دار الوطن.

القول المفيد وفتح المجيد في شرح كتاب التوحيد، شرح: محمد بن صالح العثيمين وعبد الرحمن بن حسن آل الشيخ، اعنى به وخرج أحاديثه: أبو عبد الرحمن عادل بن سعد، الطبعة الأولى، ١٤٢٤هـ، دار ابن الهيثم.

القيامة الكبرى، تأليف: عمر بن سليمان الأشقر، الطبعة الثالثة عشرة، دار النفائس، الأردن.

القيامة الصغرى، تأليف: عمر بن سليمان الأشقر، الطبعة الثالثة عشرة، دار النفائش، الأردن.

كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون، تأليف: المولى مصطفى بن عبد الله المعروف بحاجي خليفة، مكتبة الفيصلية، مكة.

كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون، حاجي خليفة، دار الفكر، ١٤٠٢هـ.

الكامل في الضعفاء: لابن عدي .دارالكتب العلمية.

لسان العرب، تأليف: محمد بن مكرم بن منظور، الطبعة الأولى بالمطبعة الأميرية ببولاق، مصر، ١٣٠٢هـ، وطبعة دار صادر، بيروت.

لسان العرب، لابن منظور، نسقه وعلّق عليه ووضع فهارسه: علي بكري، دار إحياء التراث العربي.

مختصر الصواعق المرسلة على الجهمية المعطلة، تأليف: ابن قيم الجوزية والمختصر للموصلي، شرح وتحقيق: جامع رضوان، مكتبة نزار الباز.

مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية، جمع عبد الرحمن العاصمي الحنبلي، تحقيق: محمد سالم رشاد.

المجلّى في شرح القواعد المثلى، تأليف: كاملة الكواري، الطبعة الأولى، ١٤٢٢هـ، دار ابن حزم.

مرآة الأنوار ومشكاة الأسرار: لعبداللطيف الكازراني. طبعة العجم ١٣٠٣هـ.

مدارج السالكين، تأليف: ابن قيم الجوزية، تحقيق: عبد العزيز بن ناصر الجُلَيِّل، الطبعة الأولى، ١٤٢٣هـ، دار طيبة.

مذهب أهل التفويض في نصوص الصفات، عرض ونقد، تأليف: أحمد بن عبد الرحمن القاضي، الطبعة الأولى، ١٤١٦هـ، دار العاصمة.

مرآة الجنان وعبرة اليقظان، لليافعي، طبعة دائرة المعارف النظامية.

مسند الإمام أحمد، تحقيق: أحمد شاكر، دار المعارف بمصر، ١٣٧٥هـ، الطبعة الأولى ١٣٨٩، المكتب الإسلامي للطباعة، دار صادر، بيروت.

المستصفى من علوم الأصول، تأليف: أبو حامد الغزالي، الطبعة الأولى، ١٣٢٤هـ، المطبعة الأميرية ببولاق، مصر.

معتقد فرق المسلمين واليهود والنصارى والفلاسفة والوثنيين في الملائكة المقرّبين، تأليف: محمد بن عبد الوهاب العقيل، الطبعة الأولى، ١٤٢٢هـ، مكتبة أضواء السلف.

معارج القبول بشرح سلّم الوصول إلى علم الأصول في التوحيد، تأليف: حافظ حكمي، حققه وعلّق عليه: محمد صبحي حلاق، الطبعة الثانية، ١٤٢٤هـ، دار ابن الجوزي.

معجم المؤلفين تراجم مصنفي الكتب العربية، تأليف: عمر رضا كحالة، طبعة دمشق، سنة ١٣٧٧هـ، وطبعة دار إحياء التراث العربي، بيروت.

معجم مقاييس اللغة، تأليف: أحمد بن فارس، تحقيق: عبد السلام هارون، الطبعة الأولى، القاهرة، ١٣٦٦هـ.

معجم القاموس المحيط، تأليف: محمد الفيروز آبادي، رتّبه: خليل مأمون شيحا، الطبعة الثانية، ١٤٢٨هـ، دار المعرفة، بيروت.

معجم البلدان، تأليف: ياقوت الحموي، دار إحياء التراث العربي، بيروت.

المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم، تأليف: محمد فؤاد عبد الباقي، الطبعة الرابعة، ١٤١٨هـ، دار الفكر.

مواردالظمآن إلى زائدابن حبان.

المغني في أبواب العدل والتوحيد، تأليف: القاضي عبد الجبار، الناشر: وزارة الثقافة والإرشاد القومي بمصر.

مفردات ألفاظ القرآن، تأليف: الراغب الأصفهاني، تحقيق: صفوان داودي، الطبعة الثالثة، ١٤٢٣هـ، دار القلم، دمشق.

مفتاح السعادة ومصباح السيادة في موضوعات العلوم، تأليف: أحمد بن مصطفى الشهير بطاش كبرى زادة، طبع مطبعة الاستقلال الكبرى، وطبعة أخرى، حيدر آباد.

المفسرون بين التأويل والإثبات في آيات الصفات، تأليف: الشيخ محمد عبد الرحمن المغراوي، الطبعة الأولى، ١٤٢٠هـ، مؤسسة الرسالة.

منع جواز المجاز في المنزل للتعبد والإعجاز، تأليف: محمد الأمين الشنقيطي، مطبوع بآخر تفسيره أضواء البيان، الطبعة الأولى، ١٤٢٤هـ، دار الكتب العلمية، بيروت.

منهاج السنة النبوية في نقض كلام الشيعة القدرية، تأليف: شيخ الإسلام ابن تيمية، تحقيق: محمد سالم رشاد، نشر دار الفضيلة.

مناهل العرفان في علوم القرآن، تأليف: محمد عبد العظيم الزرقاني، خرجه ووضع حواشيه، أحمد شمس الدين، الطبعة الأولى، ١٤٠٩هـ، دار الكتب العلمية، بيروت.

موقف لمتكلمين من الاستدلال بنصوص الكتاب والسنة عرضاً ونقداً، تأليف: سليمان بن صالح الغصن، الطبعة الأولى، ١٤١٦هـ، دار العاصمة، الرياض.

موقف ابن تيمية من الأشاعرة، للدكتور: عبد الرحمن المحمود، الطبعة الأولى، ١٤١٥هـ، مكتبة الرشد.

موسوعة مصطلحات التصوف الإسلامي:د/ رفيق العجم ط١(١٩٩٩م).

ميزان الإعتدال :للذهبي .دارالمعرفة.

النبوات، لشيخ الإسلام ابن تيمية، دراسة وتحقيق محمد عوض، الطبعة الثانية، ١٤١١هـ، الناشر دار الكتاب العربي.

نهاية الإقدام في علم الكلام، محمد عبد الكريم الشهرستاني، تحقيق: محمد حسن إسماعيل، الطبعة الأولى، ١٤٢٥هـ، دار الكتب العلمية، بيروت.

هدية العارفين في أسماء المؤلفين وآثار المصنفين، تأليف: إسماعيل بن باشا ي

هميان الزادإلى دارالمعاد:محمدابن أطفيش الوهبي الإباضي.المطبعة السلطانية. زنجبار. (١٣١٤هـ).

الوافي بالوفيات، تأليف: صلاح الدين الصفدي، تحقيق: أحمد الأرناؤوط وتركي مصطفى.

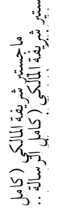


٨- فهرس موضوعات البحث

الموضـــــــــــوع	رقم الصفحة
ملخص البحث	أ
المقدمـــــة	١
أهمية الموضوع	٣
منهج البحث	٣
خطة البحث	٤
التمهيد : أثر كتب التفسير في العقيدة.	٨
الباب الأول **البيضاوي ومنهجه في تقرير العقيدة**	١٤
الفصل الأول: حياة البيضاوي.	
المبحث الأول: حياته الشخصية.	
١- اسمه.	١٥
٢- لقبه.	١٦
٣- المشاركون في اللقب.	١٦
٤- مولده.	١٨
٥- نشأته.	١٨
٦- وفاته.	١٩
المبحث الثاني: حياته العلمية.	٢٢
١- رحلاته العلمية.	٢٢



الموضــــــــــــــوع	رقم الصفحة
٢- شيوخه.	٢٣
٣- تلاميذه.	٢٦
٤- مؤلفاته.	٢٨
٥- توليه لمنصب القضاء.	٤٠
الفصل الثاني: **منهجه في تقريرمسائل العقيدة**.	٤٣
١- معرفة وجود الله.	٤٣
٢- في باب التوحيد.	٤٣
٣- في توحيد الربوبية.	٤٤
٤- في توحيد الأسماء والصفات.	٤٥
٥- موقفه من القرآن.	٤٥
٦- موقفه من الرؤية.	٤٦
٧- في باب الإيمان.	٤٦
٨- في باب القضاءوالقدر.	٤٧
الفصل الثالث: **تفسيرالبيضاوي**.	٥٠
التمهيد: أهميته.	٥٠
المبحث الأول: مصادره.	٥٤
المبحث الثاني: منهجه في التفسير.	٥٦



الموضـــــــــــوع	رقم الصفحة
الباب الثاني **موقف البيضاوي من مسائل العقيدة.**	٦١
الفصل الأول: التوحيد.	
المبحث الأول: تعريف التوحيد.	٦٤
- التوحيد لغة.	٦٤
- لتوحيد شرعاً .	٦٤
٢- تعريف التوحيد عند المتكلمين.	٦٦
- تعريف التوحيد عند المعتزلة .	٦٦
- تعريف التوحيد عند الأشاعرة.	٦٧
المبحث الثاني: تعريف التوحيد عند البيضاوي.	٦٩
الرد عليه.	٧٠
الفصل الثاني: معرفة وجود الله بالفطرة أم بالإستدلال؟	٧٥
المبحث الأول: الفطرة عند أهل السنة.	٧٦
- الأدلة على فطرية المعرفة .	٧٧
المبحث الثاني: النظر والإستدلال على وجود الله.	٨١
- الأصل في إيجاب النظر.	٨١
- الموجب للنظر ووقت وجوبه.	٨٢
- أول واجب على المكلف.	٨٣
- هل المتكلمون كلهم يوجبون النظر؟	٨٤
المبحث الثالث: موقف البيضاوي من الإستدلال على وجود الله.	٨٦

الموضـــــــــــوع	رقم الصفحة
- الرد عليه.	٨٧
الفصل الثالث: **توحيد الربوبية**.	٩٢
المبحث الأول: تعريف توحيد الربوبية.	٩٣
-تعريفه لغة وشرعاً .	٩٣
- الأدلة على توحيد الربوبية.	٩٤
المبحث الثاني: تقرير البيضاوي لتوحيد الربوبية.	٩٤
- تعريفه للربوبية.	٩٦
- أقواله في بعض الآيات الدالة على الربوبية.	٩٨
- أقواله في أدلة التمانع.	١٠٢
الفصل الرابع: **توحيد الألوهية**.	١١١
المبحث الأول: تعريفه.	١١٢
- معنى الإله لغة.	١١٢
-معنى الإله شرعاً .	١١٣
- أهمية توحيد الألوهية.	١١٥
المبحث الثاني: تقرير البيضاوي لتوحيد الألوهية.	١٢٠
- تعريفه للإله.	١٢٠
- بعض الآيات الدالة على الألوهية وأقواله فيها.	١٢٢
- أقواله في العبادة والشرك والطاغوت.	١٢٣
الفصل الخامس: **توحيد الأسماءوالصفات**.	١٢٨
المبحث الأول: تعريفات عامة.	



رقم الصفحة	الموضـــــــــــوع
١٢٩	التأويل - المجاز - المحكم - المتشابه - التفويض.
١٢٩	١ - معنى التأويل لغة .
١٣٠	- معنى التأويل عند السلف وفي نصوص الشرع.
١٣١	- معنى التأويل عند المتأخرين.
١٣٢	٢ - المجاز.
١٣٢	- الحقيقة والمجازلغة.
١٣٣	- لمجازاصطلاحاً .
١٣٤	- متى نشأ القول بالمجاز.
١٣٥	أثرالقول بالمجاز.
١٣٦	٣- المحكم والمتشابه.
١٣٦	- تعريف المحكم والمتشابه لغة.
١٣٦	- الإحكام والتشابه في القرآن.
١٣٧	- الأقوال في المحكم والمتشابه.
١٣٩	- هل الصفات من المحكم أم من المتشابه؟
١٤١	٤ - التفويض.
١٤١	- تعريفه لغة.
١٤٢	- التفويض في نصوص الصفات عند المتكلمين.
١٤٣	- أصول التفويض.
١٤٤	- بعض اللوزم الباطلة للتفويض.
١٤٦	**المبحث الثاني: تعريف توحيد الأسماءوالصفات.**



رقم الصفحة	الموضـــــــــــوع
١٤٦	التمهيد.
١٤٧	١ - أقوال الطوائف في الأسماءوالصفات.
١٤٧	١ - الفلاسفة.
١٤٧	٢ - الجهمية.
١٤٨	٣- المعتزلة.
١٤٩	٤ - الأشاعرة.
١٥١	٢ - مذهب السلف في أسماءالله وصفاته.
١٥٢	معنى الأسماءالحسنى.
١٥٣	١ - أسماءالله كلها حسنى.
١٥٤	٢ - أسماءالله توقيفية.
١٥٥	٣- أسماءالله أعلام وأوصاف.
١٥٥	٤ - إحصاء الأسماء الحسنى وهل هي محصورة في هذا العدد؟
١٥٨	٥ - الإلحاد في أسماءالله.
١٦٠	٣- موقف السلف من صفات الله.
١٦٤	أنواع الصفات عند أهل السنة والجماعة.
١٦٤	- الصفات الثبوتية.
١٦٤	- الصفات السلبية.
١٦٥	**المبحث الثالث: موقف البيضاوي من أسماءالله وصفاته.**
١٦٥	- موقف البيضاوي من أسماءالله.
١٦٦	- موقف البيضاوي من صفات الله.

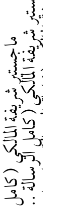


الموضـــــــــــــوع	رقم الصفحة
الصفات التي أثبتها.	١٦٦
١ - القدرة.	١٦٦
٢ - العلم.	١٦٨
٣ - الحياة.	١٧٠
٤ - الإرادة.	١٧١
٥ - ٦ - السمع والبصر.	١٧٤
٧ - صفة الكلام.	١٧٥
٨ - الرؤية.	١٨٥
هل رأى محمد صلى الله عليه وسلم ربه في الدنيا؟	١٨٨
٩ - الأول والآخروالظاهروالباطن.	١٩٠
٢ - الصفات التي تأولها.	١٩١
١ - الإستواء	١٩١
٢ - العلو.	١٩٦
٣ - الكرسي.	٢٠٢
٤ - المجيءوالإتيان.	٢٠٣
٥ - القرب والدنو.	٢٠٥
٦ - الإستهزاءوالمكروالخداع.	٢٠٨
٧ - الحياء.	٢١٠
٨ - الرحمة.	٢١١
٩ - الغضب.	٢١٢

الموضـــــــــــوع	رقم الصفحة
١٠ – المحبة.	٢١٤
١١ – الوجه.	٢١٧
١٢ – اليد.	٢١٩
١٣ – العين.	٢٢١
١٤ – النور.	٢٢٣
الفصل السادس: الإيمان.	٢٢٦
المبحث الأول: تعريفه وذكر مسائله.	٢٢٧
– أقوال الطوائف في الإيمان.	٢٢٧
–تعريف الإيمان لغة وشرعاً .	٢٣٠
– الأدلة على الإيمان الشرعي لدى السلف.	٢٣٢
– زيادة الإيمان ونقصانه.	٢٣٨
– أقوال السلف في زيادة الإيمان ونقصانه.	٢٣٩
– الإستثناء في الإيمان.	٢٤١
المبحث الثاني: الإيمان عند البيضاوي.	٢٤٥
– خروج الأعمال من مسمى الإيمان عند البيضاوي.	٢٤٩
– زيادة الإيمان ونقصانه عند البيضاوي.	٢٥٤
الفصل السابع: القضاء والقدر.	٢٥٦
المبحث الأول: تعريفه وذكر مذهب السلف.	٢٥٧
– تعريف القضاء والقدر لغة.	٢٥٧
– معنى القضاء والقدر شرعاً .	٢٥٩



الموضـــــــــــــوع	رقم الصفحة
مراتب القدر الأربعة.	٢٥٩
١ – مرتبة العلم.	٢٥٩
٢ – مرتبة الكتابة.	٢٦٠
٣ – مرتبة المشيئة والإرادة.	٢٦٣
٤ – مرتبة الخلق.	٢٦٤
المبحث الثاني: المخالفون في القضاء والقدر.	٢٦٧
– أصل القول بالقدر (القدرية الأوائل).	٢٦٧
– القدرية المتأخرين (المعتزلة).	٢٦٩
– الجبرية.	٢٧٠
المبحث الثالث: أقوال البيضاوي في القضاء والقدر.	٢٧٤
١ – مرتبة العلم.	٢٧٤
٢ – مرتبة الكتابة.	٢٧٥
٣ – مرتبة الخلق.	٢٧٥
٤ – مرتبة المشيئة والإرادة.	٢٧٦
موقف البيضاوي من أفعال العباد (الكسب).	٢٧٧
موقف البيضاوي من بعض الألفاظ المتعلقة بالقدر.	٢٨٤
الختم – الطبع – الغشاوة.	٢٨٤
– الإستطاعة.	٢٨٧
موقف البيضاوي من الإستطاعة.	٢٨٧
– تكليف مالا يطاق.	٢٩٠





الموضـــــــــــوع	رقم الصفحة
موقف البيضاوي من تكليف مالايطاق.	٢٩١
- نفي الحكمة والغرض في أفعال الله.	٢٩٣
موقف البيضاوي من تعليل أفعال الله.	٢٩٤
الفصل الثامن: النبوات.	٢٩٥
التمهيد.	٢٩٦
المبحث الأول: التعريف بالأنبياء وذكردلائل النبوة.	٢٩٧
- تعريف النبي والرسول.	٢٩٧
- وجوب الإيمان بالرسل.	٢٩٩
- كثرالأنبياء والرسل.	٢٩٩
- أهم خصائص الرسل.	٣٠٠
- دلائل نبوة الأنبياء.	٣٠١
المبحث الثاني: نبوة نبينا محمدصلى الله عليه وسلم.	٣٠٣
- أدلة نبوته.	٣٠٣
- ختم الرسالات بعموم رسالته.	٣٠٤
المبحث الثالث: موقف البيضاوي من النبوة.	٣٠٥
- تعريف النبي والرسول.	٣٠٥
- ضرورة النبوة وحاجة الناس إليها.	٣٠٥
- طاعة الرسل وأنهم بشر.	٣٠٦
- معرفة أهل الكتاب بنبوة محمد .	٣٠٧
- عموم رسالة محمد.	٣٠٨



الموضـــــــــــوع	رقم الصفحة
- عصمة الأنبياء عليهم الصلاة والسلام.	٣٠٨
الفصل التاسع: **اليوم الآخر**.	٣١٠
المبحث الأول: أشراط االساعة.	٣١١
- تعريفها.	٣١١
أشراط الساعة الصغرى ومنها:	٣١٢
١ - بعثة النبي صلى الله عليه وسلم وموته.	٣١٢
٢ - ظهورالفتن.	٣١٢
٣- خروج نارالحجاز	٣١٣
٤ - ظهورمدعي النبوة.	٣١٣
- أشراط الساعة الكبرى.	٣١٤
المبحث الثاني: الحياة البرزخية.	٣١٦
- معنى الحياة البرزخية.	٣١٦
- مستقرالأرواح.	٣١٧
- إثبات عذاب القبر ونعيمه.	٣١٨
المبحث الثالث: القيامة وأحوالها.	٣٢٠
- أسماء يوم القيامة.	٣٢٠
- النفخ في الصور.	٣٢١
- البعث والنشور.	٣٢٢
- الحساب والجزاء ونشرالكتب.	٣٢٣
- الميزان .	٣٢٤



الموضـــــــــــوع	رقم الصفحة
- الحوض.	٣٢٦
- الصراط.القنطرة.	٣٢٧
- الجنة والنار.	٣٢٨
المبحث الرابع: موقف البيضاوي من اليوم الآخر.	٣٣٠
- إثبات البعث والإحياء والحشر.	٣٣٠
- إثبات النهروالحوض.	٣٣١
- الميزان.	٣٣٢
- الجنة والنار.	٣٣٤
الخاتمــــة.	٣٣٥
الفهـــــارس:	٣٣٨
١ - فهرس الآيات.	٣٣٩
٢ - فهرس الأحاديث.	٣٥٨
٣- فهرس الفرق.	٣٦٣
٤ - فهرس الأماكن.	٣٦٤
٥ - فهرس الكلمات.	٣٦٥
٦ - فهرس الأعلام المترجم لهم.	٣٦٦
٧- فهرس المصادروالمراجع.	٣٦٨
٨- فهرس موضوعات البحث.	٣٨٠

